

## ديوان السليمانيات

### (الجزء العشرون)



### نمو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

أحارُ في قدرة المولى ، فأطريها!  
وكم عجبٌ من الإعجاز المسه  
وكم تساءلتُ في سر وفي علن  
وكم تملكتُني الخشوع ، فانهمرت  
وكم تفكرتُ في صنع المهيم في  
وكم نظرتُ إلى كون غرائبه  
وبالفؤاد ذهبولٌ ينثني تيهها!  
في كل شيءٍ ، وفي الدنيا وما فيها!  
عن معجزاتٍ ، أراني لستُ أحصيها!  
دموعُ عين - من الإبداع - يُبكيها!  
دنيا تدلُّ على الديان منشئها!  
تزيدي - لمليك الناس - تأليها!

### الطبعة الأولى

1 عجبٌ من قدرة الله تعالى









نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديوان السليمانيات  
(الجزء العشرون)

عجبتُ من قدرة الله (تعالى)

شِعْرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعہ الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

ومراجعة ومصححة ومُحقّقة ومُنقّحة ومزيدة



## الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى المنزه عن الأشباه في الأسماء والأوصاف ، المقدّس عن الجوارح والآلات والأطراف ، خضعت لعزته الأكوأ وأقرت عن اعتراف ، وانقادت له القلوب وهي في انقيادها منه تخاف ، أنزل القطر فمناه الدر تحويه الأصداف ، ومنه قوت البذور يربي الضعاف ، كشف للمتقين اليقين فشهدوا ، وأقامهم في الليل فسهروا وشهدوا ، وأراهم عيب الدنيا فرفضوا وزهدوا ، وقالوا: نحن أضياف ، وقضى على المخالفين بالبعد فافاتهم التوفيق والإسعاد فكلهم هام في الضلال وما عاد (واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاد)! أحمده على ستر الخطايا والافتراء ، وأصلي على رسوله محمد الذي أنزل عليه قاف ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي أمن ببيعته الخلاف ، وعلى عمر صاحب العدل والإنصاف ، وعلى عثمان الصابر على الشهادة صبر النظار ، وعلى علي بن أبي طالب محبوب أهل السنة الظراف ، وعلى عمه العباس مقدم أهل البيت والأشراف ، جد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بلغه الله ما يرجو وأمنه ما يخاف! وأصلي على جميع التابعين والأسلاف! يا من يبارز مولاه بما يكره ، ويخالفه في أمره آمنًا مكره ، وينعم عليه وهو ينسى شكره ، والرحيل قد دنا وما له فيه فكرة ، يا من قبائحه ترفع عشياً وبكرة ، يا قليل الزاد ما أطول السفر ، والنقلة قد دنت والمصير الحفرة ، متى تعمل في قلبك المواعظ؟ متى تراقب العواقب وتلاحظ؟ أما تحذر من أوعد وهدد؟ أما تخاف من أنذر وشدد؟ متى تضطرم نار الخوف في قلبك وتتوقد؟ إلى متى بين القصور والتواني تتردد؟ متى تحذر يوماً فيه الجلود تشهد؟ يا سكران الهوى وإلى الآن ما صحا ، يا مفنياً زمانه الشريف لهواً ومرحاً ، يا معرضاً عن لوم من لام وعتب من لحا ، متى يعود هذا الفاسد مصلحاً؟ متى يرجع هذا الهالك مفلحاً؟ لقد أتعبت النصحاء الفصحاء! أما وعظمت بما يكفي؟ أما رأيت من العبرة ما يشفي؟ فانظر لنفسك قبل أن يعمي الناظر ، وتفكر في أمرك بالقلب الحاضر! ولا تساكن الفتور فإناك إلى مسكن القبور صائر ، فالحي للممات والجمع للشئات والأمر ظاهر! يا من يدعى إلى نجاته فلا يجيب ، يا من قد رضي أن يخسر ويخيب ، إن أمرك طريف وحالك عجيب ، أذكر في زمان راحتك ساعة الوجيب ، (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! ويحك إن الحق حاضر ما يغيب ، تحصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب ، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدل وما يخفى المريب ، اسمع لا بد لغربان الفراق من نعيب ، أنساكن الغفلة ولغيرنا نعيب ، يا من سلغها كلها معيب ، أذكر يوم الفرع والتأنيب ، (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! لا بد والله من فراق العيش الرطيب ، والتحاف البلى مكان الطيب ، واعجباً للذات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك أحضر قلبك لوعظ الخطيب ، (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! تذكر من قد أصيب كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه لأحظ الحظ والنصيب ، واحترز فعليك شهيد ورقيب ، إذا حل الموت حل التركيب ، وتقلب مقل القلوب في قلب التقلب ، فتنزعج الروح انزعاج الصرمة إذا أحست بذيبي ، فالتفت يا محب الهوى عن هذا الحبيب ، (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفعك البكاء والنحيب ، لا بد من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا من عمله كله رديء فليته قد شيب! (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! كيف بك إذا أحضرت في حال كنيب ، وعليك ذنوب أكثر من رمل كنيب ، والمهيمن الطالب والعظيم الحسيب؟ فحينئذ يبعد عنك الأهل والنسيب ، النوح أولى بك يا مغرور من التشبيب ، أتؤمن أم عندك تكذيب؟ أم تراك تصبر على التعذيب؟ كأنك بدمع العين ومائها قد أذيب! اقبل نصحي وأقبل على التهذيب ، (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! يا مطالباً بأعماله ،

يا مسؤولاً عن أفعاله ، يا مكتوباً عليه جميع أقواله ، يا مناقشاً على كل أحواله ، نسيانك لهذا أمر عجيب! أتسكن إلى العافية ، وتساكن العيشة الصافية ، وتظن إيمان الغرور واقية؟ لا بد من سهم مصيب! (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! لو أحسنت الخلاص أحسنت ، لو آمنت بالعرض لتجملت وتزينت ، يا من قد انجمت عليه الأمور لو سألت لتبينت ، ويحك أحضر قلبك إنما أنت في الدنيا غريب! (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب)! يا غافلين عما نالوا ، ملتم عن التقوى وما مالوا ، ما أطيب ليلهم في المناجاة ، وما أقربهم من طريق النجاة ، كان بشر الحافي طويل السهر يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم! كم منع نفسه من شهوة ، فما أنالها حتى سمع: كلُّ يا من لم يأكل! لما أتى لها كم حمل عليها حملاً ، وما رثى لها! كم همت بنيل غرض بدا لها ، لما خافت عقبى مرض ينالها أصبح زاهداً. وأمسى عفيفاً ما أخذ من الدنيا إلا طفيفاً ، وما خرج عنها إلا نظيفاً! هذا وكم وجد من الدنيا سعة وريقاً! تقلب في ثياب الصبر نحيفاً ، وتوغل في طريق التقوى لطيفاً ، تالله لقد كان رأيه حصيماً ، وما قدر حتى أعانه الرحمن ، (وخلق الإنسان ضعيفاً)! سبحان من كشف لأحبابه ما غطى عن الغير ، وأعطاهم من جوده كل خير ومير ، فقطعوا مفاوز الدنيا بالصبر ولا ضير ، وكابدوا المجاعة حتى استحيا راهب الدير ، أفي أحوال هذه الدنيا تمارى؟ أما ترى زيهما مستردداً مستعاراً وسلب القرين يكفي وعظاً واعتباراً؟ أما اللذات فقد فنيت وأبقت عاراً ، وأما العمر فمتهب جهاراً ، إياك وإيا الدنيا فراراً فراراً ، لقد قرت عيون الزاهدين وماتوا أحراراً ، قتلت أقرانهم فانتفضوا يأخذون ثاراً ، وباعوها بما يبقى لا كرها بل اختياراً ، قطعوا بالقيام ليلاً وبالصيام نهاراً ، واتخذوا الجد لحافاً والصبر شعاراً ، وركبوا من العزم أمضى من العربان المهارى ، واهتدوا إلى نجاتهم والناس في الجهل حيارى! ربح القوم وخسرت ، وساروا إلى المحبوب وما سرت ، وأجبروا من اللوم وما أجرت ، واستزيدوا إلى القرب وما استزدت ، ذنوبك طردتك عنهم ، وخطاياك أبعدتك منهم ، قم في الليل ترى تلك الرفقة ، واسلك طريققتهم وإن بعدت الشقة ، وابك على تأخرك واحذر الفرقة! وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فأهدي ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى) بأكمله لكل المحبين لنا على درب الإيمان والإسلام وصادق الشعر وتقية! أهديه لزوجي الحبيبة (أم عبد الله) ، وأشهد أنها أعانتني كثيراً في انتقاء بعض ألفاظه وتعبيراته وكلماته! حيث كانت عادتي أنني كلما كتبت قصيدة جديدة أقرأها عليها ونتجاذب أطراف الحديث حول عنوانها وكلماتها وأفكارها وموضوعاتها! واعتادت أن تصارحني بما عندها من الآراء والأفكار! وكنت أسترشد بما تراه فأقر بعضه وأرفض بعضه وأتوقف عند بعض ثالث ريثما أقول فيه برأيي آنفاً! وأهدي ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى) لأبنائي الأحبة: (عبد الله – عبد الرحمن – عمر الفاروق – يوسف الصديق – صلاح الدين – سيف الإسلام – حسان – فاطمة)! سائلاً الله العلي القدير أن ينفعهم به في الدنيا والآخرة! وأرى أن ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى) هو الجزء العشرون من الديوان الأم الذي يشمل الأعمال الكاملة: (السليمانيات) هو تركتي الحقيقية لهم من رصيد القيم والأخلاق والفضائل والآداب! أبنائي إن كثيراً من الآباء والأمهات يتركون لأبنائهم المال عينياً أو نقدياً! ولست أنكر ولا تنكرون أنني أموت يوم أموت ، وقد خلفت لكم المال ، كما خلف غيري! ويبقى الإرث المعنوي: (السليمانيات)! وهو رأس المال الحقيقي فهو جزء من العلم الذي يُنتفع به! وقد اجتهدت طاقتي في جعله موافقاً لهدى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى! وما ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى) إلا خرزة من عقد ديوان: (السليمانيات)! فهو يمثل الجزء العشرين من ديوان الأعمال الكاملة: (السليمانيات) على غرار (الشوقيات) لشوقي! وأيضاً على اسم جدي: (سليمان)!

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده. وفي ظني لم يُحمد ربنا في خاتمة كتاب كحمد أبي الفرج ابن الجوزي في تبصرته: الحمد لله الذي سير بقدرته الفلك والفلك ، ودبر بصنعة النور والحلك ، اختار آدم فحسده الشيطان وغبطه الملك ، وافتخروا بالتسبيح والتفديس ، فأما إبليس فهلك ، (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، تعالى عن وزير ، وتنزه عن نظير ، قبل من خلقه اليسير وأعطى من رزقه الكثير أنشأ السحاب الغزير ، يحمل الماء النмир ، ليعم عباده بالخير ويمير ، فكلما قصر القطر في الوقع صاح الرعد بصوت الأمير ، وكلما رق تصدح بالمدح على جنبات الغدير ، فالجماد أظلمت مسالك الغيث لاح البرق يوضح وينير! فقامت الورق على الدوح تنطق بلسان حالها ، والنبات يتكلم بحركاته وبأشكاله ، والكل إلى التوحيد يشير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أحمده وهو بالحمد جدير ، وأقر بأنه مالك التصوير والتصبير ، وأصلي على محمد رسوله البشير النذير ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق وعلى عمر ذي العدل العزيز ، وعلى عثمان مجهز جيش العسرة في الزمان العسير ، وعلى عليّ المخصوص بالموالاة يوم الغدير ، وعلى عمه العباس المستسقى به الماء النмир ، أدام الله أيامه إدامة رضوى وثبير ، اللهم صل على النبي الرسول محمد وعلى آل النبي الرسول محمد وعلى أصحاب النبي الرسول محمد وعلى تابعي النبي الرسول محمد ، وألهمنا القيام بحقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، وعد علينا في كل حال برفقك وانفعني بما أقول والقارين من خلقك ، برحمتك يا أرحم الراحمين. الحمد لله الذي نصب من كل كائن على وحدانيته برهانا ، وتشرف على خلقه كما شاء عزّ خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً ، واختار المتقين فوهب لهم بنعمته أمناً وإيماناً ، عم المذنبين برحمته عفواً وغفراناً ، ولم يقطع أرزاق أهل المعصية جوداً وامتناناً! وأعاد شؤم الحسد على الحاسد لأنه ارتكب عدواناً ، (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً) ، روح أهل الإخلاص بنسيم كربه ، وحذر يوم القصاص بجسيم كربه ، وحفظ السالك نحو رضاه في سره ، وأكرم المؤمن به إذ كتب الإيمان في قلبه ، حكم في بريته فأمر ونهى ، وأقام بمعونته ما ضعف ووهى ، وأيقظ بموعظته من غفل وسها ، ودعا المذنب إلى توبة لغفران ذنبه أرسل شمالاً ودبوراً فأنشر زرعاً لم يكن منشوراً ، وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً ، بين شرقه وغربه رد عيون العقول عن صفته وأعشاها ، وأنذر بيوم محاسبته من يخشاها ، وخلق لآدم حواء (فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به) ليس بجسم فيشبه الأجسام ، ولا بمتجوف فيحتاج إلى الشراب والطعام ، ولا تُحدث له صفة فيتطرق عليها انعدام نصفه بالنقل ، من غير كيف والسلام ولعن الله الجهمي والمشبه والمجسم! أحمده حمد عبد لربه ، معتدراً إليه من ذنبه ، وأقر بتوحيده إقرار مخلص من قلبه ، وأصلي على رسوله محمد وآله وصحبه ، أبي بكر الصديق ضجيعه في تربه ، وعمر الذي وحد الله فلم يشرك بربه ، وعثمان الشهيد لا في صف حربه ، وعلى علي معينه ومغيثه في كربه ، وعمه العباس المقدم على أهله وحزبه ، اللهم أصلح كلاً منا بإصلاح قلبه ، وأنعم عليه بغفران ذنبه ، وانفعني وكل قارئ بجسده ولبه. الحمد لله الذي لم يزل علينا عظيماً عظيماً جباراً قهاراً قادراً قوياً ، رفع سقف السماء بصنعة ، فاستوى مبنياً ، وسطح المهاد بقدرته وسقاه كلما عطش رياً ، وأخرج صنوف النبات فكسى كل نبت زياً ، قسم الخلائق سعيداً وشقيماً ، وقسم الرزق بينهم فترى فقيراً وغنياً ، والعقل فجعل منهم ذكياً وغيباً ، ألهم إدريس الاحتيال على جنته ، فهو يتناول من لذاتها ويلبس حلياً (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً)! فهو الذي جاد على أوليائه بإسعاده ، وبين لهم



مناهج الهدى بفضلته وإرشاده ، ورمى المخالفين له بطرده وإبعاده ، وأجرى البرايا على مشيئته ومراده ، واطلع على سر العبد صلاحه وقضى عليه بفساده ، فهو الباطن الظاهر وهو القاهر فوق عباده ، أحمدته على إصداره وقلبه وتصريفه وقدره وإيراده ، حمد معترف له بإنشائه وإيجاده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجلو قلب قائلها من رين سواده! شهادة تغفر بها الذنوب وتستتر بها العيوب! يا مُبارزاً بالذنوب خذ حذرك وتوق عقابه بالتقى فقد أنذرك ، واخل الهوى فإنه كما ترى صيرك ، قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه (ويحذركم الله نفسه)! اجتهد في تقوية يقينك ، قبل خسر موازينك ، وقم بتضرعك وخيفتك قبل نشر دواوينك ، وابذل قواك في ضعفك ولينك ، قبل أن يدنو العذاب فتجد مسّه (ويحذركم الله نفسه)! لما سمع المتيقظون هذا التحذير فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف ، فأحزن الأبدان وقلقل الأرواح ، فعاشت اليقظة بموت الهوى وارتفعت الغفلة بحلول الهيبة ، وانهمز الكسل بجيش الحذر ، فتهذبت الجوارح من الزلل ، والعزائم من الخلل ، فلا سكون للخائف ، ولا قرار للعارف ، كلما ذكر العارف تقصيره ندم على مصابه ، وإذا تصور مصيره حذر مما في كتابه ، وإذا خطر العتاب بفنائه فالموت من عتابه ، فهو رهين القلق بمجموع أسبابه ، يا من يرجو الثواب بغير عمل ، ويرجئ التوبة بطول الأمل ، أتقول في الدنيا قول الزاهدين ، وتعمل فيها عمل الراغبين ، لا بقليل منها تقنع ، ولا بكثير منها تشبع ، تكره الموت لأجل ذنوبك ، وتقيم على ما تكره ، الموت له تغلبك نفسك على ما تظن ، ولا تغلبها على ما تستيقن ، لا تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك ، تستكثر من معصية غيرك ما تحقره من نفسك ، أما تعلم أن الدنيا كالحية لين لمسها والسم الناقع في جوفها ، يهوي إليها الصبي الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل ، كيف تقرّ بالدنيا عين من عرفها؟ وما أبعد أن يُفطم عنها من ألفها. سبحانك ربي عصمت أهل محبتك من فتنة الدنيا! سبحان من أظهر العجائب في مصنوعاته ، ودل على عظمته بمبتدعاته ، وحث على تصفيح عبّره وآياته ، وأظهر قدرته في البناء والنقض ، والهشيم والغض ، (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! وهلك كل الهالك وأدبر ، من نسي سعد من تدبير ، وسلم من تفكر وفاز من نظر واستعبر ، ونجا من بحر الهوى من تصبّر ، الموت مع الشعر المبيض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! يا أرباب الغفلة اذكروا ، يا أهل الإعراض ارجعوا. احضروا يا غافلين عن المنعم ، اشكروا يا أهل الهوى ، خلوا الهوى واصبروا ، فالدنيا قنطرة فجوزوا واعبروا ، وتأملوا هلال الهدى ، فإن غم عليكم فاقدرُوا ، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح ، فأسمع أهل الطول والعرض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! ليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر فقط! وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرسل إلى جميع الناس في جميع بلاده ، صلى الله عليه وعلى أبي بكر حارس الإسلام يوم الردة عن ارتداده ، وعلى عمر الذي نطق القرآن بمراده ، وعلى عثمان مشتري سلع السهر بنقد رقاده ، وعلى علي قامع أعدائه ومهلك أزداده ، وعلى عمه العباس آخذ البيعة ليلة العقبة على مراده اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا من الخطايا والآثام ، وارحمنا بفضلك يا ذا الجلال والإكرام ، وانفعني والقارئين بما يجري على لساني من الكلام برحمتك يا عظيم يا علام! وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له! والصلاة والسلام على رسول الحق وحبيب الصدق محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وبعد! نفع الله بديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى) ذلك الديوان الذي انطلق من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات! وذلك على منهج سلف الأمة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – فهذا هو المنهج الحق العدل المستقيم!

## الافتتاحية

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى! اللهم لا يهزم جنك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك ، تحصنا بالله الذي لا إله إلا هو إلهنا وإله كل شيء ، واعتصمنا برنا ورب كل شيء ، وتوكلنا على الحي الذي لا يموت ، واستدفعنا الشر كله بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل! حسبنا الرب من العباد ، حسبنا الخالق من المخلوقين ، حسبنا الرازق من المرزوقين ، حسبنا الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس. اللهم اجعل لنا ولجميع المسلمين من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، يا هادي المضلين ، يا راحم المذنبين يا مقيل عثرات السائرين ، يا محسن ، يا منعم ، يا متفضل يا ذا النعم والعظيم ، يا ذا العرش العظيم ، اجعل لنا مما نحن فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم بك أنزلنا حاجتنا وإن قصر رأينا وضعف علمنا وافتقرنا عن توضيح ذلك ونشره ، فإنا نفتقر إلى رحمتك بعلمك ، فنسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنا من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور ، اللهم ما قصر عنه رأينا وضعف عنه علمنا وعملنا ولم تبلغه مسألتنا من خير وعدته أحد من خلقك أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك ، فإن نرغب إليك فيه ، ونسألك إياه برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا هادين مهديين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلماً لأوليانك حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من عاداك ، اللهم فارح الهم ، وكاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، اللهم إنا ضعفاء فقونا أذلاء فأعزنا فقراء فأغننا. إلهنا وسيدنا ومولانا وقف السؤال ببابك ولاذ المذنبون بجنابك ، ورفع ذنوب الحاجات حاجاتهم إليك ونكس العصاة رؤوس الانكسار بين يديك ، وانقطعت حجج المقصرين من الاعتذار إليك! وأرست سفينة المساكين على بحر كرمك ، كلهم يرجون الجوار إلى ساحة فضلك ونعمك ، إلهنا وسيدنا امتدت أيدي السائلين إلى وابل غيث جودك ، وتقلقت قلوب الخائفين من وعيدك. إلهنا فمن للسائلين إذا ردوا ، ومن للعاصيين إذا عن بابك طردوا ، من للمتخلفين إذا قطعوا ، ومن غيرك يقبل التائبين إذا رجعوا ، إلهنا خضع المتكبرون من هيبة جلالك ، وخشع المتجبرون لصفوة كمالك ، وارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك. إلهنا رُد سائر الحائرين إلى أبواب معرفتك ، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعئنا ، تصلح بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، تزكي بها عملنا ، وتلهمنا بها رشدنا وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء ، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا ، وتلم بها شعئنا وتصلح بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، تزكي بها عملنا ، وتلهمنا بها رشدنا وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء ، اللهم أعطنا إيماناً و يقيناً ليس بعده كفر ، ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. إلهي جنتك مُقرّاً بما اجترحته من المعاصي والذنوب ، ولم أظن بك إلا الخير فاللهم اغفر الذنب واستر العيب! اللهم عاملني بما أنت أهله ، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة! ولا تعاملني بما أنا أهله أنا أهل الذنوب والخطايا! اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأجل الأبر الأكرم! إن تكرم تكرم جماً ، وإن تغفر تغفر جماً! فاللهم اغفر وارحم!

إلهي لا تعذبني ، فإنني مُقِرٌّ بالذي قد كان مني

لعفوك إن عفوت وحسن ظني  
وأنت عليّ ذو فضل ومنن  
عضضت أناملي وقرعت سنني  
لشر الخلق إن لم تعف عني  
وأفني العمر فيها بالتمني  
كأنني قد دعيت له كأي  
قلبت لأهلها ظهر المجن

ومالي حياة إلا رجائي  
فكم من زلة لي في البرايا  
إذا فكرت في قدمي عليها  
يظن الناس بي خيراً ، وإنني  
أجن بزهرة الدنيا جنوناً  
ويين يديّ محتبس ثقيل  
ولو أني صدقت الزهد فيها

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الهادي إلى صراطه المستقيم! وأعترف كشاعر بتقصيري في حقه -  
صلى الله عليه وسلم -! حيث لم يكن من بين قصائدي الزخم الكافي في قصيدة ما أوفي فيها حقه عليّ  
شعراً! وإن كنت قد حبرت ثلاث بردات عارضت فيها ابن زهير وغيره!

يمسك بمفتاح باب الله يغتنم  
ما بين مسلم منه وملتمزم  
في يوم لا عز بالأنساب والّحم  
ولا يقاس إلى جودي لدى هرم  
وبغية الله من خلق ومن نسّم  
متى الورود وجبريل الأمين ظمي؟  
فالجرم في فلك والضوء في علم  
من سُوددِ بآذخ في مظهر سنم  
وربّ أصل لفرع في الفخار نمي  
نوران قاما مقام الصلب والرحم

لذمت باب أمير الأنبياء ومن  
فكل فضل وإحسان وعارفة  
عقلت من مدحه خبلاً أعز به  
يُزري قريضي زهيراً حين أمدحه  
محمّد صافوة الباري ورحمته  
وصاحب الخوض يوم الرسل سائلة  
سناؤه وسناؤه الشمس طالعة  
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته  
نموا إليه ، فزادوا في الوري شرفاً  
خواه في سُبُحات الطهر قبأهم

أسأل الله أن يبارك في هذا الديوان!

## مروعة نادرة

(أخطأ ذلك الرجل الذي نزل من سيارته الجديدة تاركاً مفتاح التشغيل فيها ، وخلفها تعمل فجاء لص مدرّب متربص وقادها إلى حيث يعلم الله. فخرج صاحب السيارة يلتمسها فلم يجدها. فبحث يمناً ويسرة فلم يعثر عليها. وانتظر وأبلغ الشرطة ولكن لم ترجع السيارة. وفي المساء جاءه أصحاب معززين مهمومين لما أصاب صديقهم. واجتمع رأيهم وقد زادوا عن الثلاثين على شراء سيارة جديدة مثلها بجهودهم الذاتية ، كلٌّ على قدر استطاعته ، بدون علم صاحبهم! فألفيتها صدقاً مروعة نادرة ولا في الأحلام ، وخاصة في مثل هذا الزمان الذي قل خيره أغلب أهله وزاد شرّه! ولما جمعوا المبلغ الذي هو (ثمانون ألف درهم) وفي طريقهم إلى الوكالة التي تباع السيارة ، أخبرهم صديقهم فجأة بأن السيارة عادت ، وأنه عثر عليها فأخذ كل ذي سهم سهمه الذي ساهم به ، وعادوا فرحين مرتين: الأولى لعودة السيارة إلى صاحبها ، والثانية أنهم لم يتكبدوا ثمن الأخرى الجديدة. وكلما حكيت هذه القصة للناس زادوا في السخرية مني ، وراحوا يعتقدون أنني صُغتها من خيال الشعراء! وأقسم لهم أنها قصة واقعية وأبطالها ليسوا ملتزمين بالإسلام ولا تربطهم رابطة الإيمان! إنما مجموعة من الذين تغلب عليهم أخلاق الجاهلية والاختلاط المستهتر والتدخين والفسح الماجنة والاصطياف المختلط! فلا يصدقونني ، ومن هنا رحّت أعجب بها وحدي ، وأهيم فيها بمبدأ التكافؤ والتكافل والتراحم والمروعة أيضاً وحدي! وأنا بدوري أدعو لهم بأن يصلحهم الله تعالى ، ويهديهم صراطه المستقيم ، وينفع بهم الإسلام والمسلمين! وإعجابي بقصتهم أنشدت في ذلك من شعري أقول:)

مِنَ أَيِّ جِيْلٍ أَيُّهَا الْأَصْحَابُ؟      وَبِأَيِّ أَرْضٍ أَيُّهَا الْأَحْبَابُ؟  
 خَانَتِكُمُ الْأَجْيَالُ ، مَا اعْتَرَفْتِ بِكُمْ      وَقَلْبُكُمْ الْأَقْوَامُ وَالْأَحْسَابُ  
 وَتَنَكَّرْتِ كُلَّ الْقَبَائِلِ وَالْقُرَى      وَاسْتَبَعَدْتِ قُرْبَانَكُمْ الْأَنْسَابُ  
 وَاسْتَغْرَبْتِ أَوْصَافَكُمْ أَصْقَاعُنَا      وَاسْتَهْجَنْتِ مَا جَاءَتْهُمُ الْأَلْبَابُ  
 وَتَنَاعَتِ الْبُلَادِ أَنْ تَمَّ أَهْلُهَا      وَتَبَاعَدْتِ - بَيْنَ الْوَرَى - الْأَحْقَابُ  
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ تَكَاثُلِ جَمْعِكُمْ      وَقَصِيدَتِي - عَن دَهْشَتِي - إِعْرَابُ  
 وَأَرَى الْخِيَالَ بَعِيْنَهُ أَخْبَارَكُمْ      أَوْ إِنْ مَنَ يَهْذِي بِهَا كَذَابُ!  
 وَأَكَادُ أَجْزَمُ أَنْ هَذَا فَرِيْعَةٌ      إِذْ إِنِّي - فِي صَدَقَاتِهَا - مَرْتَابُ  
 وَأَشْمَ فِي الْأَحْدَاثِ أَنْ وَقَوْعَهَا      بَيْنَ الْأَنْسَامِ - بَدَارُنَا - تَلْعَابُ!  
 هَذَا الْمَرْوَعَةُ قَدْ مَضَى أَرْبَابُهَا      وَقَدْ انْقَضَتْ لِمَا ارْتَقَى الْأَرْبَابُ!  
 وَالنَّاسُ بَيْنَ مَوْلَاهِ دِيْنَارَهُ      أَوْ مَمْسُوكٍ ، أَوْ بِبِئْرٍ فَمُعَابُ

وَمَنْ اتَّقَى تَقْتِيرَهُمْ ظَفَرُوا بِهِ  
 قَالُوا: سَخِيٌّ فِي زَمَانٍ مُّقْتَرٍ  
 أَمَا الْأَلَى بِخَلْوَا ، فَصَانُوا مَالَهُمْ  
 الشَّحَّ أَسْمَى مِنْ نَوَالِكَ رَتْبَةِ  
 تَلَقَّاهُمْ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا  
 الْفَقْرُ طَالَ لِحْوَمَهُمْ وَثِيَابَهُمْ  
 جَاعُوا لِيَشْبَعَ غَيْرُهُمْ يَا لِلْأَسَى!  
 ظَمْنُوا وَغَيْرُهُمْ ارْتَوَى مُتَضَلَعًا  
 فَتَحُوا الْبَيْوتَ لَضَيْفِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ  
 وَاسْتَيْقَنُوا رَدَّ الْجَمِيلِ تَكْلِفًا  
 فَإِذَا هُمْ خَذَلُوا ، وَضَاعَ جَمِيلَهُمْ  
 حَتَّى إِذَا مَلَكَوا الْبَيْوتَ تَكَبَّرُوا  
 وَالْبَعْضُ عَايِرَهُ بِسَالِفِ حَالِهِ  
 وَالْبَعْضُ سَبَّ مُعَرَّضًا بَعِيوبِهِ  
 وَالْبَعْضُ عَابَ مُشْهَرًا بِفَضُولِهِ  
 قَلَّتْ: اخْسَأُوا إِنْ الْمَرْوَةَ لَمْ تَزَلْ  
 يَهْبُونَ مَنْ طَلَبَ الْمَعُونَةَ حِسْبَةَ!  
 فَاللَّهُ يُخَلِّفُ لِلْكَرَامِ عَطَاءَهُمْ  
 نَيْلًا وَلَعْنًا ، قَلَّتْ: مَا الْأَسْبَابُ؟  
 كَلَّ الْأَلَى ضَحَّوْا وَجَادُوا خَابُوا  
 إِنَّا نَرَاهُمْ أَفْلَحُوا ، وَأَصَابُوا  
 وَانظُرْ لِمَنْ طَلَبَ الْفَقِيرَ أَجَابُوا  
 وَلَكُلِّ فَقْرٍ مُدَقِّعٌ أَنْيَابُ  
 مَا الْمَرْءُ إِنْ لَحِمَّ ثَمَوَى وَثِيَابُ؟!  
 وَعَنِ السِّدْيَارِ وَأَهْلِهِمْ قَدْ غَابُوا  
 وَالزَّادُ فَاضٌ ، وَبَعْدُ طَفَّ شَرَابُ  
 وَمُرَادُهُمْ - عِنْدَ الْمَلِيكَ - ثَوَابُ  
 مِمَّنْ خِيَرَهُمْ جَنَوا ، وَأَصَابُوا  
 مِنْ مَعَشَرَ فَتَحَّتْ لَهُمْ أَبْوَابُ  
 وَتَنَقَّصُوا ذَا الْمَكْرُمَاتِ ، وَعَابُوا  
 أَوَاهُ إِذْ يَهْجُو الْعُقَابُ غَرَابُ!  
 وَسَالَخُ كُلِّ الْمَفْلَسِينَ سَبَابُ  
 لِلطَّامِعِينَ بِبِرْقَعٍ وَحِجَابُ  
 فِي الْخَيْرِينَ ، لَهَا إِذْ أَقْطَابُ  
 فَإِذَا سَعَى خَلْفَ الَّذِينَ ارْتَابُوا  
 فَهُوَ الْجَوَادُ الْمُكْرَمُ الْوَهَابُ



## إلى رئيس التحرير

(في إحدى المناسبات عن الأقصى وقضية فلسطين ، أرسلت إحدى قصائدي التي تناولت المناسبة ذاتها لإحدى المجلات ، والتي تابعت أعدادها على مدى ربع قرن من عمري. وكنت أظنها سوف تفتح ذراعيها لهذه المشاركة. فإذا بي أفاجأ برئيس التحرير يرسل رسالة قيمة فخمة يخبرني فيها بمدى إعجابه بالقصيدة ، وأنه سوف ينشرها في العدد القادم ، لأن العدد الحالي تم إخراجها قبل وصول قصيدتي إليهم. فشكرت للرجل ثناءه ومدحه وإعجابه. وانتظرت العدد القادم ، فإذا بي أفاجأ برسالة أخرى من رئيس التحرير نفسه يعتذر عن نشرها بصورة نهائية! فأنشدت هذه القصيدة التي كانت بمثابة الرسالة القاطعة في الرد على رئيس التحرير الذي يظنني واحداً من محبي الظهور وعابدي الأضواء وعاشقي اللمعان ومتولهي النجومية الإعلامية! ولأثبت له أنه ما نال برسالتيه مني شيئاً لا التي وعدت بالنشر ومدحت وأطرت ، ولا التي حظرت النشر بدون إبداء أسباب ومنعت. ولأقول له إنني لا أسعى للبهاريح الإعلامية الزائفة. ولأبين له أن الكاتب الحق والشاعر المبدع هو الذي يقدمه عمله الأدبي إلى الجمهور ، وليست المجلة أو الجريدة هي التي تقدمه لهم. وبارك الله لنا في القنوات التلفازية التي تستضيفنا بين الفينة والفينة ، وفي بعض الصحف والجرائد التي نطل من خلالها على الجمهور! وبارك الله لنا في المنتديات المحترمة التي نبعث إليها بما نكتب فتبارك وتطري وتدعم! وبارك الله لنا في المواقع المحترمة التي ننشر من خلالها ما تعجز عنه الجرائد والمجلات المأجورة! ولم نعد نبكي على دور النشر ولا دور التوزيع التي تسير بنا وبأعمالنا الأدبية سير السلحفاة في حين يسير الإنترنت بها أسرع من المركبات الفضائية بكثير! وبارك الله في الأستاذ شاهين محمد طاهر (معلم اللغة الإنجليزية) الذي علمني كيف أتعامل مع الإنترنت وكيف أستفيد منه! جوزيت خيراً يا أستاذ شاهين على ما قدمت!)

لَمْ يُدَاعِبْ هَذَا الظهورُ خيالي  
ليس مثلي مَنْ يحتفي بالتحالي

لستُ أسعى لنيل أي اشتهار  
تلك دعوى ليست تدور بيالي

ما كتبتُ الأشعار أرجو امتداحاً!  
والمليكُ الـرحمنُ يعلمُ حالي

لم أُرِدْ - بالأشعار - دنيا ومالاً  
إنما التقوى والهوى رأسُ مالي

يا رئيسَ التحرير خابت ظنوني  
ففي عقودٍ مُودَعات خوالي

قلتُ فيكم ما قد ندمتُ عليه  
مِن عطير الأمداح والأقوال

وافترضتُ الخيرَ الذي لا يُبارى  
ووصفتُ الكُتُوبَ بالأبطل

واشتريتُ الأعدادَ دون اكتراثٍ  
لَمْ أصرَّحْ: سِعْرُ المِجْلة غالي!

واطلعتُ مُسْتلهماً كل ذكري  
مسْتفيداً مِّن طرْحِ أيِّ مقال

قانعاً بالأفكار تهدي الحيارى  
مستغلاً سيني عمري ووقتي  
واحترمت الآراء سطرتموها  
واشغلت بالنقد أدلي بدلوى  
مؤثراً ما ناقشتن من قضايا  
مستجيباً للنصح إنا نصحتن  
واثقاً في أخلاقكم والسجايا  
يارئيس التحرير أرسلت شعري  
ينصُرُ الأقصى إذ رآه أسيراً  
لم أغازل (ليلى) بشعري بتاتاً  
لم أنافق بالشعر أهل التدني  
لم أداهن بالشعر أرضي الطواغي  
يارئيس التحرير جُدت بوعدي  
إنما دورٌ سوف يأتي تباعاً  
ثم طوعاً وافيتني باعتذار  
صاح فاعلم أني عجبته لحال  
والذي قد سطرته اليوم أسمى  
فانس أني أرسلت شعري إليكم!  
إن نشر الديوان أهون عندي!

دونتها أقلام أركى الرجال  
وانطلاقاتي أحسن استغلال  
بعد جهد ، بدون أدنى ارتجال  
مُسهماً - في إثرائكم - باشغالي  
ترتقي بالشباب والأجيال  
كم بنصح يجتث أعتى ضلال!  
إذ لمسنت فيكم عظيم الخلال  
مُستبين الشارات عذب الوصال  
نافضاً عنه ربقة الإذلال  
خاب شعري يبكي على الأطلال!  
في سبيل ما عندهم من نوال  
إن هذا عندي قرين الوبال  
أن شعري لم يُمن بالإهمال  
مُنتهاه الإصدار بعد التالي  
دون تبرير ، فاستشيط انفعالي  
بات بدعاً من أغلب الأحوال  
من وعود خلت كفي الزوال  
غاطة فاقت طراقتي واحتمالي  
يحتوي في أوراقه أعمالي!

## في وداع الخريجين

(ما أجمل أن يُودع معلمٌ طلاباً تخرجوا على يديه ، لينطلقوا ويستأنفوا إكمال تعليمهم في مدارس أخرى! وما أشق ذلك عليه في ذات الوقت ، حيث تتملكه جملة مشاعر مختلفة بين الفرحة لتخرجهم ، وبين الرحيل عنه فلا يراهم إلا قَدراً! ولكنه رحيلٌ متحتّم على كل حال: (أحِبُّ مَنْ شئتَ فإنك مفارقه). أنشدتُ هذه القصيدة من شعري في حفل توديع وتكريم خريجي (المدرسة الوطنية بعجمان) وذلك للدفعة الرابعة على التوالي مذ عملت في هذه المدرسة عام 2011م في وداع الخريجين! ولقد تحدث إمام وخطيب المسجد النبوي ، فضيلة الشيخ عبد الله البعيجان ، في إحدى خطب الجمعة عن نعمة العلم وأهمية وفضل التعلم بوصفه حجر الأساس الذي يتعرف به الإنسان على دينه. وكان من جملة ما قال: إن الله سبحانه وتعالى اختار الإنسان ليستخلفه في الأرض ؛ فوهبه العمل مناط العمل والتشريف ، ومنحه العقل مناط الخطاب والتكليف ، وفضل سبحانه الإنسان على الكثير مما خلق بنعمة العلم والعقل ، ورتب على ذلك التكليف والعمل ، فالعلم هو حجر الأساس ، وهو الوسيلة التي يتعرف بها الإنسان على دينه وهو الوسيلة التي يستطيع بها الإنسان أن يعرف طاعة ربه ، وأول أمر جاء به جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الأمر بالتعلم ، وأول آية نزلت من القرآن الكريم {اقرأ}. وأوضح فضيلته أن القرآن الكريم حث على التعلم والله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل الزيادة إلا في العلم {وقل رب زدني علماً}. ولأهمية العلم فإن الله تعالى أشاد بمنزلة العلماء وقرنهم عز وجل بنفسه وملائكته في الشهادة بوحديته قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. ولفت الشيخ البعيجان الانتباه إلى أن العلم أنجع وسائل التربية وأرسخ يقيناً في النزكية وأكثر أماناً من الفتنة وأشد ثباتاً في المحنة ، ويعطي الصبر عند المصيبة ، ويقود إلى أفضل الحسنات وأعظم القربات وأعلى الدرجات. وبين فضيلته أن من يريد الله عز وجل به خيراً يفقه في الدين! فالعلماء ورثة الأنبياء والاشتغال بالعلم من الباقيات الصالحات والصدقة الجارية بعد الممات والثواب المستمر بعد الوفاة ، يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له).هـ.

كـم يـسـتـرقّ ضـنـي التـودـيع مـجـبـوراً يـنـن - مـن أـلم الرـحـيل - مـوتـوراً  
وتـسـتـجـيشُ دـمـوعُ العـيـن هـمـتـه فيغـلبُ الـوجـدُ - في التـو - الأـسـارـيرـا  
ولـفـراق عـذـابـتْ و مـلـهـبـة تـشـجـي فـوآدأ - لـفـرط البـيـن - مـقـهـوراً  
وكـم بـصـرتُ بـمـن غـابـت أحـبـتـه يأسى ، وخـاطـرُه ما انـفـك مـكـسـوراً!  
وسـنـة الله لـقيـا ، ثم تـفـرقـة! واللـه أجـرى بـهـ ذين المـقـادـير! را!  
أبناؤنا اليـوم خـريـجـون نحسـبُهم تـسـنـموا العـز - بـين النـاس - موفـوراً

وناولوننا من الفخار مرتبة بها يوقرننا الأناثم تـ وقيرا  
 وشرفوا قومهم شرافة عظمت وأكرموا الصحب والأصقاع والذورا  
 هذي البدايعة ، والإكمال موعداً هذي البدايعة ، والإكمال موعداً  
 وكل مجتهدي يسعى النجاح له حتى يبيت - بنيل الفوز - مشهورا  
 كانوا عباقرة في خير مدرسة وأمرهم بينهم تزيينه الشورى!  
 (والجرف) هشتت لهم حتى تكافهم على التفوق يس تهوي الجماهيرا  
 وتلك (عجمان) في أبهى حفاوتها تزف بهجتها والفأل والنورا  
 في حفلة شمخت بالتيه بهجتها فيها نكرم أفذاذاً مغاويرا  
 وللتفاؤل - في القلوب - رونقه والشعر أسمى بهذا الحفل محبورا  
 طلابنا الغر أوصيكم ، وأنصحكم أن تستمروا ، ولا تبتدوا المعاذيرا  
 دعووا الأماني ، واعتزوا بمنهجكم ولا يكن همكم - في اللعب - محصورا  
 إننا لكم فرط ، وأنتم تبغ هانن نوسعكم نصحاً وتبصيرا  
 إننا لنغبطكم على تفوقكم وكم نعطر ما نزيجه تعطيرا!  
 نريدكم صفة بالعلم رائدة فالعلم يجعلكم صيدا نحاريرا  
 تذكروا (اقرأ) تلقاهم محمدنا في الغار تصدح ، واستقرؤوا التفاسيرا  
 وآخر الآي تقوى الله ، فاعتبروا إنني أدركم بالآي تذكريرا  
 وبين علم وتقوى الدين أنشأكم وكان ذلك - في القرآن - مسطورا  
 والأمة اليوم تسترجي هدايتكم فترجموا الوحي تطبيقاً وتنويرا  
 عليكم عُقدت آمال أمتكم فحققوا أملاً - في الغيب - مستورا!  
 طلابنا سامحوا معلماً بـ درث منه الإسائة إما كان معذورا!

والأمرُ أوضحُ من نارِ عليّ علم  
فشَمروا - لقبولِ العذر - تشميرا!  
كلُّ ابنِ آدمَ خطاءٌ ، وغفالتُه  
أنْ لا يُقَدَّر - للأخطاء - تقديرا!  
والعفوُ أولىُّ بكم ، وتلكَ منقبية  
فكيف تهَمُّ لبطاءٍ وتأخيرا؟  
كما غفرنا اغفروا ، فنحن قدوتكم  
ما أهون الذنبِ إِمَّا كان مغفورا!  
إنِّي أهيبُ بكم ، فإن بعضكم  
لنا أساء ، فكان الأمرُ تيسيرا  
يا ليت شعري إذا كنتم منارتنا!  
وقد حملتم لهاويهَا الأزاھيرا  
أو ليت شعري إذا سُقتم تفأولكم  
لكل مبتسئس يسولو التباشيرا  
أو ليت شعري إذا دُعتم فضائلكم  
ولم يكن جمعكم - في الخلق - شريرا  
هي المبادئُ تعلي شأنُ صاحبها  
فلتعمروا الأرضَ - بالأخلاق - تعميرا  
لا ترفعوا رايةً تُزري بصحوتكم  
إن النفاق يزيّد الأمرَ تخسيرا  
وحقنا عندكم - في الأسر - منجدلٌ  
فحرّروه - من الأصفاد - تحريرا  
ولا يُحرّر إلا حنين نلمسه  
مُطبقاً حانزاً حباً وتقديرا  
والله ما استويا قومٌ إذا اعتدلوا  
وآخررون بجهل غلبوا الشورا!  
شتانَ بين أناسٍ بالهوى اشتغلوا  
وغلبوا أثراً يُروى ومأثورا  
وآخرين عموا عن درب من رشدوا  
لا يعذر الناسُ في ذا العمى والعورا  
طلابنا أخلصوا - لله - دينكم  
وعزّروا الله يا أبناء تعزيرا  
هزوا إليكم بجذع الخير يُدرّكم  
وبعدّها تُصبِح المأوى لكم دورا  
وتأكلون من الثمار أطيبها  
وتشربون مِزاجاً كان كافورا  
عينٌ بجنة عذن للألى سعدوا  
يُفجّر القومُ هذي العين تفجيرا  
وبالكؤوس سعى الولدانُ مترعة  
من فضةٍ ، بعضها كانت قواريرا



إذا رأيتهم في حُسن هيئتهم حسبتهم لأولواً - في الساح - منثورا  
والخُورُ ترتصد الأزواج عن رغب من من بنات الدنا تضاهي الخُورا؟  
طلابنا حاذروا من صحبة هزلت منها أحذر - وايم الله - تحذيرا  
كنتم لدينا شباباً دينياً دميثاً على حماقات والزلات منصورا  
فقاطعوا الهزل في سر وفي علن كـيلا يُدمر ما شـدناه تدميرا  
وأتحفونا بصـيـتٍ طيبـ حـسـن بين التلاميذ سُوقوا الجد منظورا  
كيلا تضيع جهود الناصحين سُدىً أرجوكم اجتنبوا هـذي المـحـاذير  
نحن اجتهدنا ، فإن زلت مقاصدنا فلا تزيـدوا جوى التقصير تقصيرا  
وليس يُنكر فضل الناس ذوقيم وبعضنا طـور التعلـيم تطـويرا  
فخصكم بمـعـين لـيس يبلـغه سواه مهمما استـمى بذلاً وتدبيرا  
جُذنا بكل الذي اسطعناه مكرمة! ولم يكن دأبنا شخاً وتقتيرا  
غداً تكونون غزلاً في مواقعنا هي الحقائق تجتاح الأساطيرا  
فأشـهدوا الله أن لا تهزلوا أبداً إنني أبشـر أهل الجـد تبشـيرا  
بشـراكم اليوم تخريجٌ يُحيرنا بين الأحاسيس - رغم الأنف - تحييرا  
نتيـه فخرأ بكم ، والبشـر يُعمرنا وكم يـؤثر فينا البـعدُ تـأثيرا!  
تودعون بلا إذن أساتذة كم سـطروا فيكم الأمداح تسـطيرا!  
لكـن نريد لكم مسـتقبلاً غـرداً يـفوق تغريـذه العـذب العـصافيرا  
ندعو الإله لكم بأن يبارككم وأن يصـبـرنا - في البـين - تصـبيرا  
وأن يـوفـقكم لخـير أـمتكم وأن يـطهـركم - بالـذكر - تطهيرا  
مُدوا - إلى الخالق الرحمن - أيديكم فالله خيرٌ لكم حفظاً وتدبيراً

## قوتنا في وحدتنا واتحادنا

(مات ذلك الوالد عن عمر جاوز الستين بقليل بعد صراع مرير مع المرض. وبكته بُنياته الخمس بكاءً طويلاً. ثم نزع الشيطان بينهن بشأن تقسيم الميراث الذي تركه الوالد. وتجادبن أطراف الحديث. وفي النهاية اجتمعن على فكرة جميلة ارتأتها الابنة الصغرى. وحققت بذلك الوحدة والاتحاد بينهن. وأردت الخلاف والفرقة والاختلاف. قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) ، وقال: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ\* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ). أي: ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدلوا دينهم ، وغيروه ، فأخذوا بعضه ، وتركوا بعضه ؛ تبعاً لأهوائهم ، فصاروا فرقاً وأحزاباً ، يتشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم. وقال: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). والمعنى: ولا تكونوا أيها المؤمنون كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرقوا شيعاً وأحزاباً ، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق ، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجه. وقال: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ، وقال: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ؛ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». رواه مسلم. فتخيلت الحوار الذي دار بين البُنَيَاتِ الخمس كان على هذا النحو وصغته شعراً ، فأنشدت على أسننتهن هذه القصيدة الشعرية التي أخذت شكل المسرحية الشعرية ذات الفصل الواحد. وجعلت الأبيات ثمانية من البحر المتقارب.)

### قالت الابنة الأولى مفتحة القصيدة:

نموث ، وبيقى إله الورى وندفن - بالرغم - تحت الثرى  
فسبحان من بالفنا خصنا وخص البرايا ، وخص القرى  
إلى جنة الخلد يا والدي فكم عشت في ذي الدنا خيرًا!  
عهدناك تحنو على أهلنا وتحيا - بدينك - مستبصرا  
تقيم الصلاة على وقتها وفي الليل تطرح عنك الكرى  
وتوتي الزكاة على وجهها وتصبغ - بالدمع - مستغفرا  
وتأمر - بالعرف - دون حيا وتسجهن السوء والمُنكرا  
فرحمة ربي ورضوانه عليك ، وأسأل أن تجرنا

### وقالت الابنة الثانية مستدركة على الأولى:

أراكِ أطأتِ البُكا والرثا      وقدبُك أوشك أن يكسرا  
فهل يرجعُ الدمعُ من قد ثوى      وفارقَ - بالموت - كل الورى؟  
وخلفنا بعده نكتوي      ببلىوى نعوذُ بها القهقرى  
دعينا من الوجْد يُزوي الصبا      وإن - على المرء - أن يصبرا  
وعينك فرط الأسى شجها      وكادت - من الحزن - أن لا ترى  
ولست ألوْمِكِ ، يا غادتي      ولكن أعزيك فيما جرى  
فكف في التوجع ، واستبسلي      وأن لحزنك أن يسـترا  
هلم في نفسم ميراثنا      ونجعل إخلاصنا مظهرا

### وقالت الابنة الثالثة داعية إلى الفرقة والشتات:

أنا سأبيعُ الذي خصني      لأفضل سـعر به يشترى  
وما قيمة الأرض إن أققرت؟      وأرض أبي واحدة تُزدرى!  
هبيني طمحت لإعمارها      فأنى لهايتك أن تثمرا؟  
ولكن إذا بعته حل الغنى      خصوصاً إذا بعته قيصرا  
فبيني عليها الذي يشتهي      وإن باع - فيما بنى - المسكرا!  
وإن شاد ملهى يتيه به      ومـارس رواده الميسرا  
سأخذ مالي ، وأهنا به      ولن أسـتجيب لمن حذرا  
فخلي سبيلي ، ولا تعجبي      ورأيي الجدير بأن يُذكرا

### وقالت الابنة الرابعة ناصحة للجميع:

وأما أنا فاستمعن إلى      كلامي الذي لفظه في الذرى

يوحّد كل الجهود إلى مساع غدا دربها نيرا  
تهدئ هُوج الرياح التي تعرقل تحناننا المُسـفـرا  
وتنفى الخلاف الذي ناره تهدد بالصعق أسند الشرى  
وتحرق يابس ما نجتني وتحرق من بعده الأخضر  
وأسال كيف نبيع الذي ورثنا؟ ونأمل أن ننصرا!  
سنبني معاً كي نعيش معاً وتصبح أرباخنا أوفرا  
ونطر دمن بيننا فتنة تجرّنا كي نأخذها الأغبرا

### وقالت الابنة الخامسة مثنية ومادحة:

صدقت أخية في رؤية أبوك بها طالمما بشرا  
رأى (الاتحاد) لنا رحمة تعيد الإخاء الذي أدبرا  
وتنزع عننا خلافاتنا وتظهر إعزازنا المضمر  
ألا إنها حكمة برة وليست حديثاً هنا يُفترى  
إذا ما اتحدنا قهرنا العدا ونضجى على دخره أقدرا  
ورب الأنام يُباهي بنا ونصبخ - بين الورى - أوقرا  
هداكن ربي لدرب الهدى لتمسين - مما جرى - أكبرا  
وبارك في (وحدة) عفة أراها مثلاً لكل الورى

## الهجرة النبوية نقطة تحول!

(في ذكرى الهجرة النبوية - على صاحبها أتم الصلوات وأزكى التسليم - وهنا في (المدرسة الوطنية بعجمان ، طلب مني الأستاذ محمد عبد الحكم من كرام أهل (ظفر) ، معلم التربية الإسلامية بالمدرسة ، أن أنشد الشعر في ذكرى الهجرة النبوية. فاعتذرت بادئ ذي بدء لأنني لست شاعراً صانعاً يمتطي جواد شعره أينما أراد ووقتما شاء ، كما أنني لست شاعر احتفالات أو خطيب مناسبات كلما عنت مناسبة امتطي سهوة جوادها وركب موجتها لينشد أو ليخطب! وإلا فسيكون الشعر تقطيعاً وأوزاناً كما قال الشاعر. فألح الأستاذ عبد الحكم للمرة الثانية فاعتذرت! وفي المرة الثالثة غلبنى بالحاحه حيث أخرجني بقوله: (اكتب لخاطر النبي - صلى الله عليه وسلم -)! فأنشدت هذه المعقدة في ذكرى الهجرة المباركة إجلالاً لمقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فداه أبي وأمي وولدي ومالي وشعري وما ملكت يدي! وكان أن ارتجلت أبيات عشرة فقط لأن موعد إذاعة الأستاذ بعد نصف يوم من كلامه معي! الأمر الذي لا يكاد يكفي حتى لتصفح الديوان للإتيان بقصيدة عن الهجرة! فاخترت لنفسني أن أمتحن قدرتي على الإنشاد بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد أن سلمت الأبيات العشرة للأستاذ استحييت من نفسي ، إذ إنني أنشدت الكثير والكثير ، فكيف بي لا أزيد على عشرة أبيات في هجرته - صلى الله عليه وسلم -؟ ثم مرّت أيام علي في هذا العتاب وذلك التأنيب ، حتى جاد الله عليّ بستين أخرى ليكمل عدد أبيات القصيدة سبعين ، والله الحمد والفضل والمنة ، ومنه السداد والتوفيق ، وأسأل الله أن يأجرني عليها شفاعته نبيه في وفي أهلي أجمعين يوم العرض الأكبر! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه. وتحت عنوان: (الهجرة دروس وعبر) يقول الأستاذ سامي بن خالد الحمود بتصرف بسيط: (ومن مكة تنطلق ركائب المهاجرين ، ملبية نداء ربها ، مهاجرةً بدينها ، مخلفةً وراءها ديارها وأموالها. ويهم أبو بكر بالهجرة فيستوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً. وعلى الجانب الآخر تشعر قريش بالخطر الذي يهدد كيانها بهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، فتعقد مؤتمراً عاجلاً في دار الندوة (برلمان مكة) للقضاء على محمد قبل فوات الأوان. ويحضر الشيطان معهم على صورة شيخ نجد! قال بعضهم: احبسوه في الحديد حتى يموت ، وقال بعضهم: أخرجوه وانفوه من البلاد ، وبعد أن قوبل هذان الاقتراحان بالرفض تقدّم فرعون هذه الأمة أبو جهل برأي خبيثٍ ماكر فقال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، فيضربون محمداً ضربة واحدة فيقتلوه ، فيتفرق دمه في القبائل. فأعجب القوم بهذا الرأي حتى إن الشيطان الذي لم يستطع الإتيان بمثله أيده وقال: القول ما قال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره. ووافقت القبائل على هذا القرار الغاشم بالإجماع وبدأوا في التنفيذ. (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). وينزل جبريل فيخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتلك المؤامرة ويقول: يا محمد لا تب في فراشك الليلة. وفي بيت أبي بكر كان أبو بكر جالساً مع أهله في الظهيرة ، إذ أقبل النبي عليه الصلاة والسلام متقنعاً مغطياً رأسه ، ففرع أبو بكر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأتيهم في تلك الساعة. ويدخل النبي عليه الصلاة والسلام فيقول: يا أبا بكر أخرج من عندك. قال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله. قال: فإني قد أدن لي في الخروج. قال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. فقال: نعم. فبكى أبو بكر. وروي عن عائشة أنها قالت: فما شعرت أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ. قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت وأمي يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين. فقال له صلى الله عليه وسلم: بالثمن. ثم يعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويعرف



علياً بالأمانات التي عنده ليؤديها إلى أهلها. وفي ظلمة الليل يجتمع المجرمون ويطوقون منزله عليه الصلاة والسلام. وفي هذه الساعة الحرجة يأمر النبي صلى الله عليه وسلم علماً أن يبني في فراشه وأن يغطي رأسه ببرده الحضرمي. ويفتح النبي عليه الصلاة والسلام الباب ، ويخترق صفوف المجرمين ، ويمشي بين سيوفهم وهم مع هذا لا يرونه ، ثم يأخذ من تراب الأرض ، ويذره على رؤوسهم الواحد تلو الآخر ، ثم يمضي بحفظ الله ورعايته ، وبات علي - رضي الله عنه - في فراشه صلى الله عليه وسلم وغطى رأسه والمجرمون ينظرون من شق الباب ، يتهافتون أيهم يضرب صاحب الفراش بسيفه. وفي الصباح يكتشف المجرمون فشلهم ، فيعودون وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم. وسمعت قريش بالخبر فجئن جنونها ، وثارَت ثائرتها ، فوضعت جميع طرق مكة تحت المراقبة المشددة ، وأعلنت عن جائزة كبيرة قدرها مائة ناقة لمن يعيد محمداً أو أبا بكر حيين أو ميتين. وفي بيت أبي بكر كان آل أبي بكر على موعد مع حدثين. أما الحدث الأول فقد انطلق نفر من قريش إلى بيت أبي بكر فقرعوا الباب ، فخرجت إليهم أسماء فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة شديدة حتى سقط قرطها من أذنها. وأما الحدث الثاني فقد كان أبو بكر خرج بكل ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقبل والده أبو قحافة ، وكان شيخاً قد ذهب بصره ، فدخل على أسماء وقال: والله إني لأراه فجعلكم بماله مع نفسه (يعني ولده أبا بكر). فقالت أسماء: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجاراً ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده وقالت: ضع يدك على هذا المال. فلما وضعها قال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشاً ستجد في الطلب شمالاً باتجاه المدينة. فاتجه هو وصاحبه جنوباً إلى غار ثور على طريق اليمن ، ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حجر أبي بكر. وبينما هو نائم إذ لدغت رجل أبي بكر من الجحر فتصبر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه ، لكن دموعه غلبته ، فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدغت فداك أبي وأم. فتفل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال. وأما عن دور عبد الله بن أبي بكر فهو شاب ذكي نبه بطل من أبطل الصحابة. كان يصبح مع قريش فيسمع أخبارها ومكانها ، فإذا اختلط الظلام تسلل إلى الغار ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر ، فإذا جاء السحر رجع مصحياً بمكة. وكانت عائشة وأسماء يصنعان لهما الطعام ، ثم تنطلق أسماء بالسفرة إلى الغار ، ولما نسيت أن تربط السفرة شقت نطاقها فربطت به السفرة ، وانتظت بالآخر فسميت بـ (ذات النطاقين). ولأبي بكر راع اسمه عامر بن فهيرة ، فكان يرعى الغنم ، حتى يأتيهما في الغار فيشربان من اللبن ، فإذا كان آخر الليل مر بالغنم على طريق عبد الله بن أبي بكر عندما يعود إلى مكة ليخفي أثر أقدامه. واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً كافراً اسمه عبد الله بن أريقط وكان هادياً خريئاً ماهراً بالطريق ، وواعده في غار ثور بعد ثلاث ليال. وأعلنت قريش حالة الطوارئ وانتشر المطاردون في أرجاء مكة ، كلهم يسعى للحصول على الجائزة الكبيرة (مائة ناقة). وصل بعض المطاردين إلى الجبل وصعدوه ، حتى وقفوا على باب الغار ، فلما رآهم أبو بكر قال: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. لو أن أحدهم طأطأ بصره لرآنا. فقال له صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا). مكث عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ولما حمدت نار الطلب جاءهما عبد الله بن أريقط في الموعد المحدد ، فارتحلا وملكوا الطريق

الساحلي. وفي مشهد من مشاهد الحزن ، يقف عليه الصلاة والسلام بالحزورة على مشارف مكة ليلقي النظرة الأخيرة على أطلال البلد الحبيب. بلد الطفولة والذكريات. يخاطب مكة ويقول (على فرض صحة الحديث): أما والله إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ ، وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. وفي الطريق يمر عليه الصلاة والسلام بديار بني مدلج ، وإذا سراقاً بن مالك جالس في مجلس من مجالس قومه ، فيقول أحدهم: إني رأيت أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. ففطن سراقاً للأمر ، لكنه أراد أن يستأثر بالجائزة فقال للرجل: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. ثم لبث سراقاً قليلاً ، ثم قام إلى منزله ، ولبس سلاحه وانطلق مسرعاً في أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه. ويبصر سراقاً النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فيدنو منهما ، ويسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ولا يلتفت. يلتفت أبو بكر فيرى سراقاً فيقول: يا رسول الله أتينا. يرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وهو ماضٍ في طريقه لا يلتفت ويقول: اللهم اكفناه بما شئت ، اللهم اصصره. وكان سراقاً يجري بفرسه على أرض صلبة فساخت قدما فرسه في الأرض ، وكأنما هي تمشي على الطين ، فسقط عن فرسه ، ثم قام وحاول اللحاق بهما ، فسقط مرة أخرى ، فنادى بالأمان فتوقف عليه الصلاة والسلام ، وركب سراقاً فرسه حتى أقبل عليه وأخبره خبر قريش ، وسأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يكتب له كتاباً فأمر عامر بن فهيرة أن يكتب له وقال له: أخف عنا. فرجع سراقاً كلما لقي أحداً رده وقال: قد كفيتم ما ههنا. فكان أول النهار جاهداً على النبي صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مدافعاً عنه! فسبحان مغير الأحوال. وفي الطريق يمر الركب المبارك بخيمتي أم معبد فيسألها النبي صلى الله عليه وسلم الطعام فتقول: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب والسنة شهباء! يلتفت عليه الصلاة والسلام وإذا شاة هزيلة في طرف الخيمة فيقول: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فتقول له: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم! قال: أتأذنين أن أحلبها. قالت: نعم إن رأيت بها حلباً. فدعا صلى الله عليه وسلم بالشاة ، فمسح على ضرعها ودعا ، فتفجرت العروق باللبن فسقى المرأة وأصحابه ثم شرب صلى الله عليه وسلم ، ثم حلب لها في الإناء وارتحل عنها. وفي المساء يرجع أبو معبد إلى زوجته ، وهو يسوق أمامه أعزّه الهزيلة. يدخل الخيمة وإذا اللبن أمامه ، فيتعجب ويقول: من أين لك هذا؟ فتقول له: إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. وفي المدينة سمع الأنصار بخروجه عليه الصلاة والسلام ، فكانوا لشدة تعظيمهم له وفرحهم به وشوقهم لرؤيته يترقبون قدومه ليستقبلوه عند مدخل المدينة ، فيخرجون بعد صلاة الفجر إلى الحرة على طريق مكة في أيام حارة ، فإذا اشتد حر الظهيرة عادوا إلى منازلهم. فخرجوا ذات يوم ثم رجعوا عند الظهيرة إلى بيوتهم. وكان أحد اليهود يطل في هذه الأثناء من أطم من أطمهم ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مقبلين نحو المدينة ، فلم يملك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح وكان يوماً مشهوداً ، وسمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف ، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه وتلقوه وحيوه بتحية النبوة وأحدقوا به مطيفين به ، والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير). هـ. لقد كانت هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإسلام والمسلمين! وتم بعدها تثبيت دعائم دار الإسلام ، وأعز الله الإسلام والمسلمين عزة كانوا يفتقدونها في عصر الاستضعاف المكي! وأرى أن الكتاب والأدباء والشعراء ما وفوها حقها من الكتابة عنها من منظور عقدي وتوحيدي ، بل كان جُل ما كتب عن هجرة خير الأنام - عليه الصلاة والسلام - من قبيل السرد التاريخي القصصي! وأرى أن يشمر هؤلاء عن سواعد الجد ويتناولوا الهجرة النبوية في

مقالاتهم وكتابتهم وقصائدهم من ناظرين إليها مشربية العقيدة والتوحيد! وليحتسبوا الأجر عند الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً! إن الاحتساب عمل قلبي ، لا محل له في اللسان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن النية محلها القلب... وأنت أيها الشاعر عندما تكتب تحتسب الأجر من الله ذلك يعني أنك تطلبه منه تعالى ، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ}. والعمل لا بد فيه من النية. فالذي يحتسب وينوي بعمله وجه الله فهو الله ، والذي ينوي بعمله الدنيا فهو للدنيا فالأمر خطير جداً. فإن نويت الله والدار الآخرة في أعمالك الشرعية حصل لك ذلك ، وإن نويت الدنيا فقد تحصل وقد لا تحصل. قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. وإذن فمن الناس من يعطى ما يريد من الدنيا ومنه من يعطى شيئاً منه ومنهم من لا يعطى شيئاً أبداً. وهذا معنى قوله تعالى: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. أما قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}. فلا بد أن يجني هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة. ولعل قصيدتي هذي تكون أول الغيث! وبعدها تكون انطلاقات الأدباء والكتاب والشعراء إن شاء الله تعالى!

هـاجرت باسم الله من أم القرى  
والصحب حولك ينصرونك حسبة  
وإذا المدينة - بالأهـازيج - انتشت  
وربوع مكة ودعت أحبابها  
والغاز أرسل - في الظلام - سكينه  
غاران - بالعدنان - زادا عزة!  
وإذا ترى الصديق يبسم ثغره  
فيقول (أحمد): يا أبا بكر آدم  
يارب أكرمنا بصحبة (أحمد)  
أنا يارسول الله أنظم مدحتي  
شرفت بك البطحاء خير مهاجر  
هـاجرت أعلنها نهاية حقبه  
وعقرت بعل الجاهلية موقاً

ترجو انتصار الحق يا خير الورى  
وكتائب الصرعى تعوذ القهقرى  
وتبخترت فرحاً ، وزايلت الكرى  
بالدمع - في عين المودع - قد جرى  
ياسعد (ثور)! ثم ما ألقى (جرا)!  
وتشرفا - بالمصطفى - وتعطرا  
ثقة بنصر الله ، خيراً ماترى  
ذكر المليك ، وأن أن تستبشرا  
في جنة الفردوس ، يارب الورى  
شعراً ، وحق لمدحتي أن تفخرا  
ومدينة الإسلام خير مهجرا  
كانت - على الدنيا - أضل وأغبرا  
أن الحنيفه صخرة لن تكسرا

عن ربك الرحمن هدياً نيرا  
وغدوت - في أهل البسيطة - منذرا  
في الجاهلية والضلالة والمرا  
وأزلت جهلاً - في القلوب - ومكرا  
والجيل - بالقرآن - أصبح خيرا  
جاء الخليفة هادياً ومبشرا  
والكل عظم ما تقول ، وأكبرا  
من كل مقدم لنصرتك انبرى  
وتسمنوا - بالسلم - أنجاد الذرى  
ملكوا من الدنيا ، وربهم اشترى  
هم في المعامع مثل أساد الشرى  
وشجاعة في الحق لن تتكرا  
في موقف أمسى أضر وأخطرا  
مس تخفياً ، وعلى الفراش تدثرا  
وتجمعوا - حول الممدد - حُضرا  
كلا ، ولا هو - في البليّة - أدبرا  
ليرد للناس الحق فوق مشمرا  
فنبينا أوحى إليه بما جرى  
وأكيل مدحي وافراً ومُحَبِّرا  
ونعيب خواناً لجُهدهم ازدرى

وجهرت بالحق المبين مُبلغاً  
وصدعت - بالإسلام - تختصر المدى  
وهدى بك الديقن قوماً أوغلا  
وسطعت بدرأ في ظلام حياتهم  
وأخذت - بالأيدي - لخير هداية  
ورآك أهل الحق أشرفاً مُرسلاً  
وظفقت تُوسعهم بكل فضيلة  
وصنعت - بالقرآن - جيلاً صالحاً  
قوم - بهذا الدين - عزوا في الدنيا  
باعوا - لرب الناس - أنفسهم ، وما  
وتتبعوا الأعداء دون هواده  
هذا (عليّ) ، لا تسل عن عزمه  
مستبسلاً ضحى الصبي بنفسه  
ومشى الهوينى نحو مخدع (أحمد)  
وأتى إليه الظالمون عصاة  
و(أبو تراب) لم تخفه جموعهم  
حتى إذا تركوه قام إلى الحمى  
ويعيد ما أتمنوا عليه المصطفى  
وأشيد بالمغوار (عامر بن فهيرة) !  
فالسابقون الأولون نُجلهم

وتعقبوه فما استكان ، ولا امترى!  
مُ وزمزم ، حتى استحال غضنفا  
في كل عارفة سما ، وتصدرا  
وأزال آثاراً بدت فوق الثرى  
ورديف صديق الهدى بين القرى  
نحو المدينة داعياً مستبصرا  
كانت بما تأتيه - صدقاً - أبصرا  
وتحملت مُرَّ العذاب مُقنطرا  
بالكف تقنن نص الجبين الأنورا  
في والدٍ لم يُبق مالا أوقرى  
نذت - على أذهاننا - أن تخطرا  
وبسالةٍ فاقت (صُهبياً) والبراً  
حتى يكون الظعنُ بعد مُيسرا  
بالركب مُشتاقاً إليها قد سرى  
بالصيد قد ركبوا الجياد الضمرا  
ودموغ معظمهم تفوق الأنهرا  
حيث الأذى ، والحال بعد تعسرا  
وتبيدُ يابس أرضهم والأخضرا  
والكل يسأل: ما الجريمة ياترى؟  
والدمع - من عين الحبيب - تحذرا

كم ساوموه على العقيدة ، ما انثنى  
وشهوده بطحاء مكة والحطيم  
حيالك ربك من أمين مُخلص  
مولى أبي بكر رعى أغنامه  
وغدا رفيقاً للنبى وخله  
وتوجه الركب المبارك قاصداً  
ولئن نسيتُ فلسفتُ أنسى فذة  
(أسماء) ضحت بالكثير ، وأخلصت  
هذا (أبو جهل) يُدمي وجهها  
و(أبو قحافة) جاء ينعي حظهم  
فتقول أبقى ، ثم تصنع حيلة  
وإذا تراها في نبطاقي عادةٍ  
قلت: الأميرة ناصرت ركب الهدى  
فسل المدينة عن دواعي بشرها  
سألها عن التحنان يغمر أهلها  
وأثوا إليها تاركين ديارهم!  
هم هاجروا - في الله - رغم أنوفهم  
واستبشعوا نار البلاء تحوطهم  
وقد استحال العيش في أصقاعهم  
ويغادر المختار (مكة) مكرهاً

رفيع السما ، ولأنت خير مَخْبَرَا  
ني ، ما خرجت - من الديار - مَكْدَرَا  
وكأنها رَشِدَتْ ، وشبث مُعْصِرَا  
فالحق ، كل الحق ، أن تُسْتَأْمَرَا!  
رك ما تريدُ فسُرْ بعدُ ، وكبّرَا  
ومُجَلًّا ومُكْرَمًا ومُوقِرَا  
أزرت بكسرى يزدجـرد وقيصرَا!  
والجيل من أسر الهوان تحررَا  
وتراجعن زمر الضلال إلى الورا  
نحو القيادة ، دون أن يتأخرا  
إما اهتدوا - بين الخلائق - أظهرا  
حتى يكون العيش خلوًا مزهرا  
إذ حُق للأصنام أن تتكسرا  
كانت تضارعُ - في السمو - المشترى  
حتى استطاعت أن تلي وتعمرا  
فإذا بنصر الله جاء مُؤزرا  
لكن غدث - لجنان ربك - مغبرا  
حتى نشاركه الهنا والكوثرا  
وصحابة فاقوا السنن والجوهرَا  
شمس ، أو اصطدم السحاب فأمطرا!

ويقول: أنت أحب أرض ، والذي  
والله لولا أن قومك أخرجوا  
والناقاة (القصواء) أسرعت الخطا  
فيقول: هذي ناقاة مأمورة  
حتى إذا بركت (أبو أيوب) أد  
وقد استضاف المصطفى متشرفاً  
وهناك قامت دولة وحضارة  
فيها تساوى الناس دون تميز  
وإلى الأمام تقدمت زمر الهدى  
وتقدم الإسلام يستبق الخطا  
حتى يسوس العالمين ، يريدهم  
ويقودهم - نحو الرشاد - أماجداً  
حتى يصيروا - للمهيمن - أعبداً  
إن الرسول أقام أسى دولة  
جعلت علو الدين أنبل غاية  
هي طبقت شرع المليك تعبداً  
وازينت دنيا الأنعام لأهلها  
يارب بلغنا شفاعة (أحمد)  
يارب وارض عن الأشاوس آله  
وعن الذين به اقتدوا ، ما أشرفت



## شاهد الحق

(رحتُ أتحدث إلى الشهيد حديث المتشوق لما أعتقد أنه سيناله في آخرته بإذن الله تعالى. والحقيقة أنني أعني هنا شهيد الحق ، الذي جاهد لتكون كلمة الله تعالى هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. والحمد لله أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قد وسّع دائرة الشهادة ، ولم يحصرها في شهيد الميدان ، وإن كان هو الأفضل بإطلاق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله ، من قتل في سبيل الله فهو شهيد! قال: إن شهداء أمتي إذن لقليل! قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد. رواه مسلم. قال الإمام النووي - رحمه الله - في كتاب رياض الصالحين باب بيان شيء من الشهداء يعني غير المقتولين في سبيل الله: (والمقتول في سبيل الله هو أعلى أنواع الشهداء. أما الشهداء الآخرون فهم شهداء في الآخرة ، أي في أحكام الآخرة لا في أحكام الدنيا. ويتبين ذلك أن الشهيد المقتول في سبيل الله شهيد في الدنيا والآخرة. فهو شهيد في الدنيا ، إذا قتل ومات فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ويدفن ولا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن ربه وعن دينه وعن نبيه. فلا يغسل من أجل أن يبقى أثر الدم عليه! أثر الدم الذي قتل في سبيل الله من أجله ، فيأتي يوم القيامة وجرّحه يثعب دماً ، اللون لون الدم والريح ريح المسك). هـ. وفي مجلة البحوث الإسلامية - العدد الحادي والأربعون - الإصدار: من ذو القعدة إلى صفر لسنة 1414هـ / 1415هـ - وتحت عنوان: (أنواع الشهداء) في توضيح أن شهداء أمة الإسلام كثيرون وإن كان أفضلهم شهيد الميدان. جاء ما نصه: (إن الشهداء أنواع لكن ليسوا في الرتبة سواء أولهم وأعلامهم: الشهيد في سبيل الله ، وهو من أهرق دمه وعقر جواده. الثاني: المطعون. الثالث: المبطون. الرابع: الغريق. الخامس: صاحب الهدم. السادس: صاحب ذات الجنب. السابع: الحريق. الثامن: المرأة تموت بجمع (أي وهي حامل). التاسع: من قتل دون دمه. العاشر: من قتل دون ماله. الحادي عشر: من قتل دون أهله. الثاني عشر: النفساء. الثالث عشر: السل. الرابع عشر: من صرع عن دابته. الخامس عشر: من قتل دون مظلمته. ونخلص إلى أن الشهيد هو القتل في سبيل الله ، ولم يرد نص ينص على سبب تسميته شهيداً ، لكن ما ذكره العلماء أو أكثرهم لعله يكون سبباً لتسميته شهيداً والله أعلم. وقد وردت الأنواع المذكورة في النصوص التالية: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشهداء خمسة ، المطعون ، المبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله. قال ابن حجر: "والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء ، ويدل عليه ما روى أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث جابر ، والدارمي وأحمد والطحاوي من حديث عبد الله بن جحش وابن ماجه من حديث عمرو بن عتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل أي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهرق دمه. وروى الحسن بن علي الجلواني في (كتاب المعرفة) له بإسناد حسن من حديث ابن أبي طالب قال: كل موة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل. وروى البخاري من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون شهادة لكل مسلم. وأخرج أبو داود والترمذي من حديث سعيد بن زيد مرفوعاً: من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد. وهو صحيح. قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرج مالك من حديث جابر بن عتيك في موت أبي الربيع فقال رسول الله صلى الله



عليه وسلم: الشهداء سبعة ، سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، والحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة وجمع أي حاملة. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل: قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قتل دون ماله فهو شهيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: "يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك! قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: (قاتل) قال: أرأيت إن قتلن؟ قال: (فأنت شهيد) قال: أرأيت إن قتلتها؟ قال: (هو في النار). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فناء أمتي بالطعن والطاعون وخز أعدائكم من الجن ، وفي كل شهادة! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قاتل دون مالك حتى تحوز مالك ، أو تقتل فتكون من شهداء الآخرة. وأخرج أحمد والضياع من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القتل في سبيل الله شهادة ، والطاعون شهادة ، والبطن شهادة ، والغرق شهادة ، والنفساء شهادة. وأخرج أحمد من حديث راشد بن حبيش قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القتل في سبيل الله شهادة ، والطاعون شهادة ، والبطن شهادة ، والحرق والسل شهادة ، والنفساء يجرها ولدها بسررها إلى الجنة. أخرجه أبو الشيخ من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السل شهادة. روى الطبراني من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صرع من دابته فهو شهيد. روى النسائي من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خمس من قبض في شيء منهم فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد ، والغريق في سبيل الله شهيد ، والمبطون في سبيل الله شهيد ، والمطعون في سبيل الله شهيد ، والنفساء في سبيل الله شهيدة. وأخرج الطبراني وأحمد والضياع عن صفوان بن أمية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون والغرق والبطن والحرق ، والنفساء شهادة لأمتي. وأخرج البخاري في التاريخ عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: القتل في سبيل الله شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والنفساء شهيدة. وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أتى عند ماله فقتل فقتل فهو شهيد. روى النسائي عن عبد الله بن جبر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما تعدون الشهادة إلا من قتل في سبيل الله؟ إن شهداءكم إذن لقليل! القتل في سبيل الله شهادة ، والبطن شهادة ، والحرق شهادة ، والغرق شهادة ، والمغموم يعني الهدم شهادة ، والجنوب شهادة (أي صاحب ذات الجنب) ، والمرأة تموت بجمع (أي حامل). وروى الإمام أحمد من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يُظلم مظلمة فيقتل (فيقتل) إلا قتل شهيداً. وروى النسائي والضياع من حديث سويد بن مقرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قتل دون مظلمته فهو شهيد. وروى الإمام أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الميت من ذات الجنب شهيد. وأخرج ابن سعد عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون من شهداء أمتي؟ قالوا: قتل المسلم شهادة ، قال: إن شهداء أمتي إذن قليل؟ قتل المسلم شهادة ، والبطن شهادة ، والغرق شهادة ، والمرأة يقتلها ولدها

جمعاً شهادة.هـ. وعموماً كما قال العلماء: شهيد الآخرة الذي يكون له أجر شهيد في الآخرة ، لكنه في الدنيا يطبق عليه ما يطبق على الميت العادي ، فهذا أصناف منهم المقتول ظلماً من غير قتال ، وكالميت بأنواع من الأمراض ونحو ذلك ، وكالغريق في البحر الذي ركبته ، وكان الغالب فيه السلامة بخلاف من ركبته وكان الغالب عدم السلامة ، أو ركبته لإتيان معصية من المعاصي ونحو ذلك ، فأما الاستشهاد في ساحة القتال فإن أجره عظيم جداً ، وهو قمة مراتب الشهادة ، ولا يمكن لأي نوع آخر من الشهداء أن يصل إلى هذا المقام ، قال الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ). وقال صلى الله عليه وسلم: (لشهادته عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفرع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه). وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة). رواه النسائي وسنده صحيح ، فترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة لقوله صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق ؛ بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه). ولذلك كان لا بد من سؤال الله الاستشهاد في سبيله بصدق لتحصيل هذا الأجر العظيم ، ولو مات الإنسان حتف أنفه. - وكذلك من أنواع شهداء الآخرة: الموت غازياً في سبيل الله لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما تعدون الشهيد فيكم قالوا: يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل ، قالوا: فمنهم إذاً يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد). - ومن أنواع شهداء الآخرة: الموت بالطاعون ، قال صلى الله عليه وسلم: (الطاعون شهادة لكل مسلم). وقال - أيضاً - لما سئل عن الطاعون: (إنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد). وقال عليه الصلاة والسلام: (يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء. فيقال: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً ، ریح المسك ، فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك). وكذلك فإن من أنواع شهداء الآخرة من مات بداء البطن لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم: (إن شهداء أمتي إذاً لقليل - ثم ذكر أنواعاً - ومن مات في البطن فهو شهيد). وعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالساً وسليمان بن سرد وخالد بن عرفطة ، فذكروا أن رجلاً مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته ، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره ، فقال الآخر: بلى ، وفي رواية: صدقت). - وكذلك من أنواع شهداء الآخرة الموت بالغرق والهدم لقوله صلى الله عليه وسلم: (الشهداء خمسة: المطعون - الذي أصيب بالطاعون - ، والمبطون - الذي قتل بداء البطن أو مات بسبب مرض في بطنه - ، وأمراض البطن كثيرة ومنها: الكوليرا - والغرق - الذي مات غريقاً - وصاحب الهدم - الذي انهدم عليه بيته ، الذي يسكن فيه ، أو وقع عليه جدار أو حائط ، فمات بسبب الهدم ، وكثير من الذين يموتون في الزلازل كذلك - وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله). - ومن أنواع شهداء الآخرة موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها لحديث عبادة بن الصامت: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن رواحة فما تحوز له عن فراشه - أي: تنحى - فقال: أتدري من شهداء أمتي؟ قال: قتل المسلم شهادة. قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل ، قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة ، والمرأة

يقتلها ولدها جمعاء - التي تموت وفي بطنها ولد - والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة يجرها ولدها بسرره إلى الجنة). والسرة: ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة ، هذا هو السرر ، الحبل السري يجرها به ولدها إلى الجنة ، وهذا مخصوص بالمسلمة التي تموت في حمل صحيح ، ولذلك استثنى العلماء من هذا الحديث من ماتت بحمل من زنا والعياذ بالله. - وكذلك من شهداء الآخرة الموت بذات الجنب كما قال صلى الله عليه وسلم: (وصاحب ذات الجنب شهيد) ، وهو ورم يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع ، أورام في الجانب يموت بسببها الإنسان! ونرجو - إن شاء الله - أن يكون كل مسلم مات بالسرطان من شهداء الآخرة الذين لهم أجر شهيد ، الميت من ذات الجنب شهيد. - وكذلك من أنواع شهداء الآخرة الموت بداء السل لقوله صلى الله عليه وسلم: (القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة) قال في الحديث: (والسل شهادة ، والبطن شهادة). فالذي يموت بالسل شهيد إن شاء الله. وكذلك الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد). وعن مخارق رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يأتيني يريد مالي؟ قال: ذكره بالله ، قال: فإن لم يذكر؟ قال: فاستعن عليه من حولك من المسلمين ، قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: فاستعن عليه السلطان ، قال: فإن نأى السلطان عني وعجل علي؟ - هذا اللص قاطع الطريق عجل علي ولم يكن هناك وقت للاستجداد ، قال: قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك). - ومن الشهداء - أيضاً -: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس ، قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد). وقال عليه الصلاة والسلام: (من قتل دون مظلومه فهو شهيد). والموت في الرباط في سبيل الله من أعظم الميئات وأطيبها ، قال عليه الصلاة والسلام: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان). وأما من مات على عمل صالح قبض عليه فإنه من علامات حسن خاتمته ، قال صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة). - وإن من أعظم أنواع الشهادة - أيضاً - الموت بالحرق لقوله صلى الله عليه وسلم: (الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله) ، وقال: (والحرق شهيد) فالذي يموت محترقاً فهو من أنواع الشهداء ، ولا يصح التساهل في إطلاق لفظ الشهيد على الأشخاص ، فالله أعلم من الذي يموت شهيداً في سبيله. والله يأجر من جاد بروحه ودمه وأرخصهما فيه! والأجر هنا أن يقبله الله شهيداً ويدخله الجنة! إنما أردت بهذه المقدمة الطويلة في تفصيل أنواع الشهداء حتى أدلل على أن شهداء أمتنا المسلمة كثيرون في كل صعيد وفي كل ميدان. وإن كان أفضلهم من جاد بروحه في الميدان! وليصبر المسلم على البلاء! ذلك أن الابتلاء والتمحيص سنة الله! والدكتور عبد الله بن محمد الطيار يقول: (هذا إبراهيم عليه السلام ابتلي من قومه بالمشقة والغنت ، وردوا دعوة التوحيد ، بل أرادوا قتله شر قتلة بحرقه بالنار ، ولكن الله تعالى حفظه وتولاه ، وأخرجه بأذنه سليماً معافى ، وذلك لصبره على أذى قومه ، وثباته على الحق الذي أرسل به ، فمكَّنه الله تعالى بعد ابتلاء ومحن ، وقد ابتلاه ربه في ذبح ابنه إسماعيل فصدق بوعدده ووفى مع ربه ، وعاونه ولده البار ، فقال أعلى الدرجات ورفع ذكره فما زال اسمه يذكر في كتاب الله تعالى حتى تقوم الساعة - عليه الصلاة والسلام - وهذا موسى - عليه الصلاة والسلام - قد تعرض للبلاء منذ طفولته بوضعه في التابوت ، ورميه في اليم ، وأخذ الأعداء له ، وإخراجه من بلده ، وإرادة فرعون قتله ، فثبت على طريقه ولم يهتز لما يتعرض له من قبل أعدائه ، فأراه الله تعالى

من آياته ومعجزاته ، وأغرق أعداءه أمام عينه ، وأنجاه بفضلته ورحمته ، وأعزه ونصره بعد أن كان مطاردًا خائفًا ، وهكذا سنة الله تعالى مع أنبيائه ورسوله. وهذا يونس يلتقمه الحوت ويبقى فيه مدة حتى أنجاه الله. وهذا أيوب يبتلئ بالمرض ويصيبه الضر ثم يكشف الله بلواه ويشفيه من مرضه. وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندما أرسله الله تعالى لقومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكنهم عتوا وتجبروا واستكبروا عن قبول الحق).هـ. وقصيدتي هذي أكتبها عن شهيد الحق كما عنونث لها! عن الشهيد الذي كانت بطولته وتضحيته في سبيل الله! وعن البطولة وتحت عنوان: (مفهوم البطولة في الإسلام) يقول الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحصين ما نصه: (إن تاريخ الإسلام زاخر بأحداث البطولة التي امتدت عبر مراحل المتصلة دون توقف ، وهي في صورها القريبة لا تنفصل في مفهومها عن صورتها الأولى ، وكلها تستمد وجودها من مفهوم أساسي واضح ، هو القيام بدور يدفع الأمة الإسلامية نحو تحقيق أهداف الإسلام الكبرى. وتتسم البطولة في الإسلام بطابع عملي إيجابي ، ومن هنا كان البطل في الإسلام دائماً خادماً لمجتمعه وفكرته وأمته ، يؤمن حق الإيمان بأن عمله مقدور في ميزان العمل الصالح عند الله تعالى ، ثم عند المؤمنين على تعاقب الأجيال ، ومن هنا فهو لا يتطلع إلى الجزاء المادي أو المغنم أو الشهرة. فتحقيق العبودية الصادقة جعل من القلة المؤمنة في غزوة بدر قوة رهيبه قهرت عظام الأحداث ، وأصبحت قانوناً خالداً ينظم حياة المسلمين على أصول الرسالة الخاتمة ، ويضيء أرواح وعقول الرجال المسلمين على مر العصور بالعبر المنهجية ؛ فالصدق والإخلاص في العمل لله وحده لا شريك له يفتح بصيرة المجاهدين حتى يروا ما أعد الله تعالى للشهداء في سبيله ، وهم بعد أحياء يمشون على الأرض).هـ. فلم أكتب قصيدتي عن بطولة من قاتل لحرب وقمع الموحدين وقتلهم وسفك دمانهم! لا أنا منه بريء!)

شـهيدُ الحـق تـغـبـطـه البرايـا	عـلـى مـا نـال مـن خـير العـطايا
وتـصـحـبه المـفـاخـرُ والمـعـالي	وتـغـمـرُه المـناقبُ والسـجايا
وتـحـدوه المـدائـحُ ناشـراتٍ	زكـى العـطـر فـي دنـيا البرايـا
أراه اليـوم جـاد بـكـل غـال	وصـحَّ العـزمُ ، وازدهتِ النوايا
لثـصـبـح رايـة الـرحـمـن عُـليا	ولـم يـعبـأ بـغـائـلة المـنايا!
ولـم تـصـرفه دنـيا لا تـساوي	جـناح بـعوضـة عـطـب السـحايا
ولـم تـرعبـه حـربُ الظـلم يـوماً	وقـد حـوتِ القـنابـل والشـظايا
ولـم يـخـفِ الحـتـوفَ لها زئيرٌ	ولـم يـعمـلُ حـساباً للمـنايا
وعـاش لـدينـه أسـداً هـورا	ودينُ المـرء مـن أسـمى القـضايا
شـهيدُ الحـق أنـزل بالأعـادي	هـزائمَ الحـقتْ بـهـمُ الرزايا

يسوقون الكتائب والسرايا  
وجرّ عهم بصيحته البلايا!  
ومن ينيبك عن قوم خزايا؟!  
ونالوا العار ، إذ ركبوا الدنيا  
إلى أقوامهم مثل المطايا  
وعند الله يا كم من خفايا!  
ففيه من الصحاب ولو بقايا  
وحاط الدين من كل الزوايا  
لأن الخذل من أعتى الخطايا  
ولم يعمد إلى سرد الشكايا  
لما ادخر المليك من الهدايا  
لخور لا ثباريها الصبايا  
وخور في الخيام له سبايا  
ولا سمعته أذان البرايا  
لما يحويه من حسن الخبايا!  
سنذكر ما حُبيت من المزايا!  
ورب الناس أعلم بالطوايا  
بما قدمت من عذب العطايا  
قوي العزم طلاع الثنايا  
وكفر عنك ذنبك والخطايا

وحسّرهم على الأجناد جاؤوا  
فناولهم من التقتيل قسماً  
ومن أسروا فقد باؤوا بخزي  
ومن جرحوا فخببتهم تداعث  
ومن فرّوا من الهجاء عادوا  
ومن فقدوا فلا أخبار عنهم  
شهيذ الحق من دحر الطواغي  
فقد لبى النداء عفاً أبيعاً  
ولم يخذل رفاق الدين يوماً  
ولم ير في الجهاد ضياع نفس  
وفارق داره غرداً طليقاً  
وحن إلى الجنان بفيض شوق  
ففي الجنات خيرات حسان  
وخير لم تنظره عيون  
ولم يخطر على قلب مشوق  
شهيذ الحق لن ننسأك قطعاً  
وندعو الله في سر وجهر  
بأن تلقاه مبتشراً سعيداً  
بما جاهدت طوعاً واحتساباً  
تقبلك المليك فتى تقياً



## المودع الكريم

(إنه لمن دواعي سروري أن أنشد هذه القصيدة التي تحمل عنوان: (المودع الكريم) وذلك في حفل الخريجين للعام الدراسي 2012-2013 م. وأهنئ الطلاب وأولياء أمورهم الكرام ، وبارك الله ربي في مدرستنا الوطنية وفي معلمها جميعاً ، وجعلها قلعة للعلم والتعليم والتربية والأخلاق مدى الأيام.)

رباه أنلتنا عزتتنا وامنحنا الحكمة يا مولى

وانفـع بأساتذتنا بذلوا واجعلهم - بالبنـذل - الأعلى

وأعز الطلاب جميعاً وقهم - في عيشهم - والجهلا

وأعز بهم دينك دوماً لبيبتوا - بجناتك - أولى

كما وأهنئ الأبناء الكرام خريجي الصف التاسع ، وأتمنى لهم مستقبلاً حافلاً بالنجاح والتوفيق. وأعددت لهم هذه المرة قصيدة عذبة تناسب تفوقهم وتتناغم معه ، وكنت قد أنشدتها على مخرج البحر البسيط. ويعود السبب في اختيار هذا البحر أنني استمعت إلى أحد النقاد يقطع بأن قصيدة (مسافر زاده الخيال \* والعرط والسحر والخيال) ، لا يمكن لشاعر أن يحاكيها اليوم! لا في معانيها ولا في وزنها! فتعجبت في نفسي وقلت: إن لغتنا العربية لا تزال لغة محفوظة بحفظ الله لها ، عظيمة المعاني والمباني ، تزداد جمالاً واختيالاً على سائر لغات الدنيا. وربما يكون لهذا الصنف من النقاد الحق! لأننا نجد كثيراً من المتشاعرين أو المستشعرين الذين راق للواحد منهم أن يتهم اللغة العربية بالجمود وراح يهاجم العروض والقوافي! يقول الأستاذ علي العبادي عن المستشعرين المعاصرين ما نصه: (إن الكثير ممن يكتبون الشعر في هذه الأيام ، لا يعرفون شيئاً عن الشعر ، سوى أنه كلمات مرصوفة وأبيات مكسورة خالية من المعاني ويجد هؤلاء مع الأسف من يستمع إليهم ، يتبجحون بشعرهم المقزز ، وكأن الشعر الذي تلقيناه عن الشعراء القدامى أو المعاصرين من كبار الشعراء لا يهمهم في شيء. فبحور الشعر وتفاعيله التي بنى العرب عليها أشعارهم ، أمور قد انقرضت وذُهِبت مع أهلها إلى غير رجعة ، وبعملهم هذا يصرون على جهلهم وتأخرهم وإسفافهم. والشعر العربي فنٌّ من أرقى الفنون نفتخر به ، وأول ما يستدعي النظر في الشعر العربي الأصيل ، ترابط أجزائه وصوره الفنية والموسيقى التي تنبعث من أبيات القصيدة ، فتخلب الأسماع. وما كل شعر موزون يخلب الأسماع ، فهناك شعراء يكتبون الشعر في أوزانه المعروفة ، فيأتون به سمجاً بارداً ، ثقيلاً على السمع. وهناك شعراء يكتبون الشعر مقوياً ، فتتأذى الأذن منه ، ولا يغفر لهم النقاد ما ارتكبوا من خطأ). هـ. وقررت أن أحاكي النص مودعاً أبناء طلاب المدرسة الوطنية ، فكتبت:

مُودَعٌ يصحُّبُ الأمانِي وينشُرُ الفِرْحَ والتَهْنِئَاتِي

ويبذلُ السعدَ مسـتعيناً بـرقـعة البشـر والأغـنـيَاتِي

ويغمرُ الجمعَ بالتحايا      تزينها لمعنة الجمعان  
مردداً رقيقةً تُنجّبي      من الأذى يُروّع الأماني  
مُقَدِّماً عذر مسـتكين      لسـادةٍ أخلصوا التفاني  
مُشـنفاً أذن مـن تلقى      بأحرفٍ غضةٍ حـواني  
ولهجةٍ عذبة السجايا      معسولة الوقع والمعاني  
مُرطباً خاطراً كسـيراً      من الذي كم يُرى يُعاني!  
وناصحاً للذين حادوا      عن التسامي مدى الزمان  
لعل شهماً يُجيب نصحاً      مُعظـرَ النص والبيان  
مُودّع جـاد بالعطايا      ولم يكـن قـط بالأثـاني  
تعلم الخيرَ من أناس      روه للخالق عن فلان  
وجانبَ الهزل والتـردي      وفاصل الطيش والغواني  
واسـتهجنَ الزيـف والتـدني      بفعله العـفـ واللسان  
وداعياً للهـدى البرايا      مُرغـباً في سـنا الجنان  
وراضياً بالمليـك رباً      مُطبقة أشـرعة القـران  
مؤدياً فرضه بعـزم      مستشـعراً فيـه بالأمان



مستظهِراً نص كل علم إذ لا يرى الغش في (اللبان)  
وراسماً بعده طريقاً كالفلك ترنو إلى الموانى  
مُودَعٍ يعشق التحدي ويرفض العيش في الهوان  
مستقبلاً أمره شجاعاً وليس - في السعي - بالجبان  
يتوق - للنصر - مستميتاً بالرُمح والسهم والسنان  
مُضْحياً بالذي لديه حتى يحقق بالروى الدوانى  
مُراهنٌ ذا على التمادي وكفه زانها اليماني  
وكم يناغي طيوفاً غيب مستصحباً ذففة الحنان  
مُحققاً كل ما تمنى مُحاولاً دائماً المِيران  
ولو بعيداً عن الندامى والدار ، والأهل ، والمكان  
يارب أحسن إليه دوماً ما قد شد رافع الأذان  
يارب جنبه كل سوءٍ يُعيقه عن ذرى الأماني

## العود أطيّب يا أستاذي!

(ذهب إلى مضارب قومها معلماً ومرشداً وداعياً إلى الخير وأمرأً بالمعروف وناهياً عن المنكر! ابتغاء وجه الله وعلى نور منه وكتاب مبين. وهناك التقى بها وبرفقة من قومها. وأخذ يُعلم الجميع حِسبةَ الله تعالى. فحفظتُ عنه ووعت وعلمت من دين الله ومن معرفة الحلال والحرام ما الله به عليم. ودانت له بالفضل الكبير وأكبرت جميله ، وعرفت له قدره وأعظمت معرفته! وكان هناك من التواصل ما جعله وجعلها لا يُنهيان ما بينهما من العلاقة التي ازدادت يوماً بعد يوم. بل ظل الأستاذ يعلم ويربي وينشئ. حتى جعلها وقومها بفضل الله على جادة الصواب. وذات يوم أصيب المعلم بنكبة في دينه وكبوة في سلوكه. واحتاج إلى من يُذكر ويعظ ويأخذ باليد إلى الصواب! إذ إنه أصبح يقول ما لا يفعل! قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}. قال ابن كثير في تفسيره: (كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرونها بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنبتهوا من رقدتكم ، وتبصروا من عمايتكم؟ وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر بن قنادة قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون ، فغيرهم الله عز وجل]. فغيرهم ، يعني: عابهم وذمهم ، وهذا ليس خاصاً ببني إسرائيل ، بل هو عام لبني إسرائيل ولهذه الأمة ، ولهذا قال بعضهم: مضى القوم ولم يعن به سواكم ، أي: أن المراد هذه الأمة ؛ لأن بني إسرائيل قد مضوا ، والله تعالى إنما ذكر هذا ليحذرننا من أن نفعل مثل فعلهم ، فيصيبنا ما أصابهم. فالواجب على الإنسان إذا أمر بالمعروف أن يكون أول المؤتمرين به ، وإذا نهى عن منكر أن يكون أول المنتهين عنه ، ولكن كما سيأتي أن الإنسان عليه واجبات: الأول: واجب العمل ، والثاني: واجب الدعوة. فيعمل بالواجب ويدعو الناس إليه وإذا قصر في واحد منهما لم يسقط الآخر ، فإذا كان الإنسان مقصراً في الامتثال فلا يدعوه هذا التقصير إلى أن لا يدعو غيره ، بل يدعو ولو كان مقصراً). هـ. فلما علمتُ هذه الموقفة ما آلت إليه أحوال الأستاذ ، راحت تقول له في إشفاق المؤمنة وإيمان المشفقة: عُد إلى رشدك ، وأدرك من أمرك ما استدبرت. فعاد الأستاذ وأتاب بفضل الله أولاً وأخراً ثم بفضل هذه الموقفة. فأنشدت على لسانها متخيلاً إياها تخاطبه:)

علمتني الشرع والأخلاق والأدبا	وكنت لي - إذ فقدت الوالدين - أبا
وعشت ترشدني - للحق - مُلتمساً	هداية عاقها تعنتت وغباً
وكم بذلت من الإقناع عن رشدي!	وكم أبنت منار الشرع مُحْتسباً!
وكم عرضت من المسائل التبسّت	على الجميع ، وكان الفهم مضطرباً!
وكم تفرست في الأحوال ما برحت	ثُذيقنا المُرّ والتلويح والنصباً!
وكم تحملت في سبيل رفعتنا	تُهدي لنا العلم والإيمان والأدبا!
وكنت تمنيت مجهوداً تقوم به	وأنت أهلّ له ، والأجر ما ذهباً

والدارُ تشهُدُ ، والدروبُ شاهدةٌ  
ففي الجاهلية أصّالنا معيشتنا  
والشُرُّ مُدخِرٌ ، والبغضُ مُكتنِرٌ  
فلا حجابَ ولا تقوى تجمَلني  
لا أمرَ قط بمعروفٍ ندينُ به  
بل عيشةً في مريعِ المعصيات كبتُ  
لم ندخِرُ من خصالِ الخيرِ خردلةً  
والجاهلية تغشى كل بينتنا  
وعشتُ أتبعُ الأهلين قاطبةً  
وعشتُ ما عشتُ أطريهم وأكبرهم  
وعشتُ أحتقرُ الذي يناونهم  
فيهم نشأتُ ، فهم أهلي وعائلتي  
لم أعرفِ الحقَ ميزاناً يُصَنفهم  
وليس عذراً ، ولكن همتي قصُرتُ  
حتى حلت سراجاً في مضاربنا  
والبعض عاندٌ - بالتسفيه - مُكتفياً  
وكنت لي مرشداً ، فخرّاً أتيةً به  
حتى تحديتُ من بعلمها سبقتُ  
وواجهتني صعابٌ ، ما اكثرثتُ بها

بما غرست لنحيا سادة أدبا  
فمن أقرّ نجاً ، واستصحب الطربا!  
لكل مُجتري لَمّا ندين أبى  
وكان عيشي هوىً ، وبعضه لعبا  
وللمهيمن لَمّ نَقْدَم القربا  
وبعدُ ساعات بما نأتيه مُنقابا  
كأن شراً - على أعمالنا - كُتبا  
والهزلُ صكٌ - على نفوسنا - ضُربا  
في كل خندمةٍ ، مهما الجوادُ كبا!  
وفي ما أثرهم أنقح الخطبا  
وأزدي القول لا يزيدهم حسبا  
وديننا عظم الأرحام والنسبا  
ولم أطالع تصانيفاً ولا كُتبا  
عن التعلم يُضفي عزة وإبا  
والكل طوعاً إلى ما قاتله انجذبا!  
والعندُ يُورث جهل النفس والودبا  
وعشتُ طوعاً ألبى كل ما طلبا  
وباجتهادي بلغت المنتهى رُتبا  
فقد رزقتُ قوياً تصارع النوبا

وثبتت الله إيماني ، وزيتته  
 واليوم ها أنذا أصابُ فيك ، ألا  
 أتغرقُ اليوم - في الأرجاس - مُرتجلاً  
 أتوثرُ اليوم أهواءً بليت بها  
 أتستحلُّ حرام الله دون حيا؟  
 قد كنت في الناس رأساً يقتدون به  
 أتستبيحُ الذي حرّمته زمناً؟  
 العوذُ أطيّبُ يا أستاذ ، إن لنا  
 فتبُّ إلى الله ، إن التوبَ منقبذة  
 العوذُ أليقُ بالأساتذ إن نفعث  
 كم ناصح الكل في سر وفي علن  
 وكم تجشّم عُسرَ الدرب مبتسماً  
 وكم تصبّر من عبءٍ ومن كل!  
 وكنثُ أسمع منه الآيَ عاطرة  
 فأستعيد الذي يتأوه موقنة  
 واليوم زلت به في غيه قدم  
 أعده يارب نبراساً يبصّرني  
 وامنحه عفواً وغفراناً ومرحمة  
 وتبّ عليه من الآثام قارفها

في القلب حتى انتهى عن غيّه ، وربا  
 أبصرُ طريقك ، لا أراك مسـتلبا!  
 درباً طوى العقل في أدراجه ، وسبا؟  
 على الهداية؟ هل إيمانك اضـطربا؟!  
 ماذا دهاك لكي تستعذب الرّيبا؟  
 واليوم أصبحت - في جموعهم - ذنباً!  
 أم أنت حرّمت ما حرّمته كذبا؟!  
 يوماً سيلقى به الإنسان ما ارتكبا  
 كيلا تكون غداً لناره الحطببا  
 نصيحة منه للعاصمين إذ غضبا  
 فما ابتغي عرّضاً يُغني ولا ذهباً!  
 لخيمةٍ فقدت - في دارنا - الطنبا!  
 وكم تكبّد في منهاجه الودبا!  
 تزيدي رغباً في التو ، أو رهبا  
 بالخير يأتي يزيل الضنك والتعبا  
 لم تُبق زلتة في عقله لئيبا  
 إما عدمت الدعاة الصفوة النجبا  
 يا من له نبذل الطاعات والقربا!  
 وامح الذنوب التي جميعها اكتسبا

## برقية شكر شعرية!

(طلبتُ من الأستاذ الشاعر أحمد المتوكل ديناً لشهر أو شهرين ، فلبى الطلب ، فأرسلتُ له هذه البرقية الشعرية أعبر فيها عن خالص شكري وامتناني وتقديري. وأحسب أن الأستاذ أحمد المتوكل قد ألزم نفسه معي بأخوة السلف - رضي الله عنهم! إن أخوة علماء السلف بعضهم لبعض ليعجز القلم عن تصويرها! فلقد كان عبد الله بن المبارك يخرج من عند سفيان بن عيينة مسروراً طيب النفس ، فسئل عن ذلك فقال: "وما يمنعني من ذلك حدثني ابن عيينة حديثاً وأطعمني خبيصاً" وهو التمر والسمن يعجن ويصنع ، ماذا أريد أكثر من ذلك؟ علم طعام الروح ، غذاء الروح وغذاء البدن. وقال شعيب ابن حرب: "كان حمزة الزيات يقرؤنا القرآن ويطعمنا الخبيص" قال بعض السلف: "إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية ؛ ففعله أن يكون قد نسي ، فإذا لم يقضها فكبر عليه وقرأ: (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) ، فلا فائدة إذن في مثل هذه الحال ، وكان بعضهم يتفقد عيال أخيه بعد موت أخيه أربعين سنة حتى لا يكادون يشعرون بفقد الأب. وكان منصور بن المعتمر رحمه الله لما مات يزور أولاده وأهله عمرو بن قيس الملائني فترة من الزمن ، فلما مات عمرو وكبر أولاد منصور جعلوا يتفقدون أحوال أهل عمرو بن قيس بعد وفاته! وهذا الحسن رحمه الله لما قيل له: يا أبا سعيد ، الرجل يذبح الشاة فيصنعها ويدعو عليها نقرأ من إخوانه ، ماذا تقول فيه هذا؟ فقال: "وأين أولئك؟ ذهب أولئك!". وقال أبو خلدة: "دخلنا على ابن سيرين أنا وعبد الله بن عوف ، فرحب بنا وقال: لا أدري كيف أتحنفكم؟" يراهم أهل فضل أنهم زاروه في الله ، كل رجل فيكم في بيته خبز ولحم" ، الأكل كلكم عنده أكل ، "لكن سأطعمكم شيئاً لا أراه في بيوتكم ، فجاء بشهده أي من غسل ، وكان يقطع بالسكين ويطعمنا". عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("والذي نفسي بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"). وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: (كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "أي عرى الإسلام أوثق؟" قالوا: الصلاة ، قال: "حسنة ، وما هي بها" ، قالوا: الزكاة ، قال: "حسنة ، وما هي بها" ، قالوا: صيام رمضان قال: "حسن ، وما هو به" ، قالوا: الحج ، قال: "حسن وما هو به" قالوا: الجهاد ، قال: "حسن ، وما هو به) (إن أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله"). وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("من أحب الله وأبغض الله وأعطي لله ومنع لله ، وأنكح لله فقد استكمل الإيمان"). وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ثلاث من كن فيه حرم على النار ، وحرمت النار عليه: إيمان بالله وحب في الله وأن يلقي في النار فيحرق ، أحب إليه من أن يرجع في الكفر". وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام كذلك: "من أحب أن يجد طعم الإيمان ، فليحب المرء ، لا يحبه إلا لله - عز وجل -".

جوزيت خيراً على ما جُدت مُحْتَسِبا ← وَعِشْتَ - يَا صَاحِبِي - لِلْمُعَدِّمِينَ أبا  
ووفى الله مَنْ أَذْهَبْتَ فَاقْتَهَ ← إِلَى السَّدَادِ بِمِيعَادٍ لَهُ ضَرْبَا  
ما زلت تُعْطِي بِلَا مَنِّ ، وَتَمَهَّلْنَا ← وَالْمَنِّ بِالْأَجْرِ فِي يَوْمِ الْجَزَا ذَهَبَا

حسبيك الله من يغلي لك الرتبا!  
وكل قولي - على ظني - لقد غلبا  
والمَنَ أَخْبَثَ ما دهى الأنامَ وبيا!  
بخيرة الصحب ، أطري العلم والأدبا  
والشعر أنبل ما (أديبنا) كتبنا  
أرجى لقاءٍ يُزيلُ الهَمَّ والنصبا!  
إخاءنا ، فغدا هذا الإخوانسبا!  
وكم مَدَدْنَا إلى بحوره سببا!  
لكي نزيل سقيم الفكر والريببا!  
فنحنُ في البحث كم نستعذب النصبا!  
والفوز يستجلبُ السرورَ والطربا  
تحملاً بطيف الصبر مُختضببا!  
إن الخلاف يذر الضنك والودبا  
والأجرُ - عند مليك الناس - ما ذهببا  
به اختصرنا المدى ، والبعد ، والحقببا  
(كوكبنا) شمل الرمان والغنبا  
أجواؤها قلت الجدال والصخببا  
لا يخذل الله عبداً جَدّاً واحتسببا

ولا أزيك - بالأشعار - أسطرها  
إنني أقول الذي أقول مُجتهداً  
إن العطاء - بدون المَنَ - منقبة  
شكرتَ بِذلك مُختالاً ومُفتخراً  
وأجعل الشعر عنواناً لصحبتنا  
على بساط قريض العرب كان لنا  
كم اتفقتنا على الثوابت احتضنت  
وكم نهاننا من القريض أعذبها!  
وكم طرحنا من الأفكار دون هوى  
وكم دخلنا متاهاتٍ بلا وجل  
وكم طربنا إذا الإنجاز حالفتنا!  
وكم تحمّل كلّ حزم صاحبه  
كم اختلفنا ، وما زالت مودتنا  
إن الصداقة تكليفٌ وتضحية  
نحن التقينا ، وكان الشعر موعداً  
وكان (مأمون) في اللقيامُضيفنا  
في خلوةٍ طلعت أنوارُ بهجتها  
أدام ربك - في الدنيا - مودتنا

## مزايده!

(الأصل في الأسرية والعائلية الناجحة أن يعمل الزوجان في بناء الأسرة ، ليلاً ونهاراً ، سراً وجهراً! بدون كل ولا ملل ، وبدون تعارض في الاختصاصات ، وبدون تزامم في المهمات. ولكن عندما تتبنى الزوجة مبدأ النيل من الزوج أمام الأبناء ، وجعله مدعاة للسخرية ومجلبة للاستهزاء وهدفاً للتقص والتندر ، وعندما تنازع الزوجة زوجها مهامه ووظائفه ، وتزايد على دوره ، وتتقص شخصيته ، وتقفز على مساره ، وتصدق فيه الوشاة المغرضين ، وتتصيد مزالقه وهناته وعثراته ، وتضم أخطاه ، وتكثر اللوم والشكوى ، متجاهلة مشوار الحياة الذي قطعاه معاً ، ومتناسية عشرة كانت لبناتها المودة والرحمة وأساسها الحب الوثيق والميثاق الغليظ ، ومتعافلة عن الأبناء الذين هم ثمرة هذا الزواج وأيقونة هذه الزيجة المباركة ، فإنها بذلك تدق منات المسامير في نعش تدمير نفسها وزوجها وأبنائها وبيتها! وكبر على الأسرة أربع تكبيرات ، وصل عليها وعلى القائمين عليها صلاة لا سجود ولا ركوع لها! فليسعد الوشاة والمخببون ، وليفرح شياطين الإنس والجن ، فقد تم لهم المراد! إن الزوجة الواعية التي تعيش على منهاج ربها وسنة نبيها - صلى الله عليه وسلم - لا تسمح لنفسها طرفة عين ولا أقل من ذلك ، أن تقع في شئ من الذي ذكرت. في رسالته الرائعة: (تعلمي فن الإتيكيت مع زوجك) للأستاذ رمضان حافظ قال ما نصه: (ما أجمل النظام وما أروع في داخل الأسرة ، والمدرسة والمصنع ، والمسجد والشارع! وما أقبح الفوضى وما أفظعها في البيت والمدرسة والنادي والميادين! ومن مهام الأنبياء العظيمة التي خصهم الله تعالى بها: تعليم الناس مكارم الأخلاق. ويطلق بعض الناس على الفضائل ومحاسن الأخلاق لفظ الإتيكيت. ومن يطبق هذه القواعد فإنه رجل عالم بالإتيكيت وأصوله. ومن يخالف هذه اللوائح يسمى رجلاً جاهلاً بالإتيكيت وفنونه. وكثيراً ما يراعي كل إنسان مشاعر الطرف الآخر الغريب عنه ، حتى يكتسب ثقته واحترامه وتقديره. ونحن غالباً لا نلقي بالألطف طريقة تعاملنا مع إنسان عزيز علينا ، يعيش بيننا - مثل شريك الحياة - وقد نجرح مشاعره دون قصد غالباً (أو بقصد أحياناً) لأننا نعتقد أن أصول الإتيكيت تطبق فقط حين نتعامل مع الغرباء. أما الجفاء والغلظة وقلة الذوق تستعمل مع الأقرباء. ومن هنا وجب على كل عروسين جديدين أن يتفقا سويماً على قواعد ، تكتب في شكل وثيقة أو اتفاق ، تشمل كل ما تثرى به الحياة ، ويوفر المتعة فيها من أنشطة وهوايات مختلفة وقراءات وزيارات وتأملات ورحلات. إلخ. وذلك ليحترم كل شريك شريكه ويشعره بقيمته ويقلل مخالفاًه وسوء معاملاته. وليكن هناك نوع من الجزاء أو التأديب المناسب للمخالفة مثل خصام يوم أو يومين فقط ، والاعتذار لمن أخطأنا في حقه ، أو دفع مبلغ من المال للإرضاء ، أو شراء هدية معقولة. إلخ. ليظل النظام قائماً والاحترام متواصلاً.) وقد أورد الأستاذ رمضان حافظ في رسالته 27 فنا إتيكيتياً نعتذر عن إيرادها هنا. ومن هذا المنطلق أنشدت من شعري هذي القصيدة من الطويل لتكون ناقوساً يدق في عالم النسيان والغفلة الذي نعيش ، لتنبه كل زوج ينزلق أو تنزلق إلى هذه الوهدة السحيقة. وليتذكر الجميع أن هذه الدنيا دار ممر وليست دار مقر! وأنها لعب ولهو وزينة وتفاهر بين الناس وتكاثر في الأموال والأولاد ، وأنها متاع الغرور ، وأنها دار ابتلاء واختبار ، وأنها هينة على من خلقها - تبارك وتعالى - فهي لا تساوي عنده جناح بعوضة! ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى كافراً به منها شربة ماء! والعمر فيها محدود ، والرزق فيها مفصل على قدر العمر ، فهو محدود أيضاً. وكلما ناقشنا هذه القضية التي هي تنازع حدود التربية بين الأم والأب ، قيل لنا العرف والتقليد والعادة! والأصل أن العرف الذي يجعل القوامه في يد الزوجة عرف ملعون لا قيمة له! وتحت عنوان: (طاغوت



العرف) يقول الأستاذ عبد الرحيم الطحان في محاضرة طويلة عريضة ما نصه: (إن أصناف المعارضين لدعوة الأنبياء والرسل وقد عارضها أربعة أصناف من الخلق حالوا بينها بين وصولها إلى المخلوقين ، من العلماء الفاجرين ، والحكام الظالمين الجائرين ، والعُباد الجاهلين ، والمتفلسفة المخرفين ، لقد وقف كل واحد من هؤلاء حجر عثرة في طريق هذه النعمة ، ووصولها إلى العباد الذين أرسل الله إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ليهتدوا بهذه النعمة فوقف هؤلاء الأصناف أمام هذه النعمة ، وحالوا بينهم وبين هذه النعمة الجليلة الكريمة. نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة بعد ذلك شريعة بين الناس تسمى بالعرف والعادة ، فعكف الناس عليها من دون شريعة رب العالمين ، واحتكموا إليها في جميع شئون حياتهم. شريعة العرف والعادة: أن يسيروا على ما سلكه آباؤهم وأجدادهم وما عليه أعراف قومهم ، نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة هذا العرف العام ، وهذه العادة التي يسير الناس عليها. والعرف يصيغه ويصنعه ويحدده ويوجده عليه القوم وخاصتهم ، وهم هؤلاء الأصناف الأربعة ، ففي كل يوم يحدث الناس شيئاً من الأهواء والعادات والضلالات والبدع ، فيأخذ الناس بها ويهملون شيئاً من الهدى والسنن. ثبت في معجم الطبراني الكبير بسند رجاله موثقون - كما قال الإمام الهيثمي في المجمع - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أتى على الناس عام إلا وأحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن. فنور الله جل وعلا يصبح غير ظاهر بين الناس ، والبدع هي الشريعة التي يحتكم إليها الناس ، حتى تحيا البدع وتموت السنن وهذه البدع يعكف الناس عليها على أنها أعراف عامة ، وتقاليدهم لا يجوز الخروج عنها ، فإذا تعارف الناس على هذه البدع وتتابعوا عليها لا ينكر بعضهم على بعض إذا فعلوا شيئاً منكراً خلاف شريعة الله المطهرة. روى الإمام أحمد في المسند ، وابن ماجه في السنن ، وأبو يعلى في مسنده ، عن أنس رضي الله عنه: أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أي: في أي حالة من الانحطاط نصل إليها ، فإذا وصلنا إليها فإنا قد تركنا قطب الإسلام وأعظم دعامة فيه ، ألا وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، إذا كان العلم في ردالتكم - في الفساق - والملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم) ، أي: إذا وجد هذا فيكم فإنكم تتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والحديث صحيح ، ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عن الصحابة الكرام أجمعين. فنتج عن الأصناف الأربعة عُرْفَ جاهليّ احتكم الناس إليه دون شرع الله المحكم ، دون شرع الله العلي ، فاحتكموا إلى هذا العرف ، فإذا تعارفوا على المنكرات لن ينكر بعضهم على بعض ، وشيخ الإسلام الشيخ: مصطفى صبري عندما كان ينشد قول الشاعر: (وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات فعطل الإنكار) أي: عطل الإنكار على من يفعلون المنكر! وذلك لتعارف الناس على فعل المنكر ، فصار المنكر معروفاً ، ولو أدرك الشيخ مصطفى صبري عليه رحمة الله زماننا لقال: (وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات فأنكر الإنكار) ليس عطل ، إنما إذا أنكرت في زماننا هذا على من يفعل المنكر فإنه ينكر عليك ، كأن المنكر صار شريعة محكمة يتعامل الناس على حسبها فلا يجوز الإنكار عليها. إن هذا العرف الجاهلي الذي وجد هو من أثر هؤلاء الأصناف الأربعة ، هذا العرف الجاهلي هو أول طاغوت عودي به رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وهو أعظم شيء يرد به هدى الله ويدفع به نوره ، هذا هو طاغوت العرف والعادة ، وهذا الطاغوت هو العصا الذي كان يلوح بها الجاهليون في وجوه رسل الحي القيوم عليهم صلوات الله وسلامه ، ويلوح بها كل جاهلي في كل عصر في دفع نور الله وهدايه. وكانت حجة فرعون - وهي الحجة الفرعونية - وهي قوله: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) ، والحجة القرشية هي قولهم: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ

هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ). إن طاعوت العرف والعادة ضل الضالون بسببه ، وقد أخبرنا الله جل وعلا عن ضلال الأمم وضلال المشركين في كل وقت بتقليدهم لأبائهم واتباعهم لأعراف قومهم ، يقول الله جل وعلا: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) ، سبحان الله! فهذا رب ، وهذه عادات وأعراف وتقاليد ، اتبعوا ما أنزل الله ربكم وسيدكم ومولاكم فإنه يعلم ما ينفعكم مما يضركم ، وهداكم للتي هي أقوم ؛ لتسعدوا في هذه الحياة وبعد الممات: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ، فما لهم حجة في دفع هذا الهدى ، إلا أن قالوا: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَأَن أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ \* وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ، أي: حالنا مع الكفار عندما ندعوهم إلى دين العزيز الغفار سبحانه وتعالى كحال من يدعو بهيمة ويناديها ، فالبهيمة لا تسمع من ندائه إلا أصواتاً وصياحاً ، لكن لا تفقه ما يريد بتلك الأصوات ، وماذا يعني بها: (وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) ، أي: يصيح ويصرخ: (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) ، فلو صحت ببهيمة أو ناديت حيواناً ممن يمشي على أربع فماذا يسمع منك؟ يسمع الصراخ والصياح وهكذا حالهم ، لا يسمعون من نوره وهداه عندما يعرض عليهم إلا ألفاظاً لا تؤثر معانيها في قلوبهم. إذاً: هذه حجة المشركين: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا). وهكذا ذكر الله هذا المعنى في سورة لقمان ، يقول الله جل وعلا: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا). هـ. وأعتذر عن هذه المقدمة ولكن كان لا بد من بيان شناعة العرف الجاهلي!

إلام التعدي والتغول والصد	وتغليب أهواء يزاحمها العناد؟
إلام التجنبي دون أدنى مبرر	وطرخ نقاش يستطيل ، ويمتد؟
إلام التشفي ، والجميغ ضحية:	حليل ، ودار ، والحليمة ، والولد؟!
علام الجفا والنيل مني صراحة	ومن كل ما ألقاه ياناس ما القصد؟!
لماذا زكت ناز الخلافات بيننا	ويصلي فوادي من ضراوتها الوقد؟
ويشوي بلا ذنب جنى أو جريرة	ويغدو كمثل الفحم يحرقه الصهد!
لماذا تحذت الهزء نهجاً ومذهباً؟	ألسنت ترين العيش بالمقت يسود؟!
لماذا ذرفنا أهة تلو أهة	إلى أن مضى الإيناس والقرب والود؟
لماذا تصيدت المزالق والخطا؟	فلا حبذا المنهاج ، والسمت ، والصيد!
فأين هو الحب الذي صاغ أنسنا؟	وأين الهنا في البيت؟ أودى به الصد!
وأين رغيذ العيش دفنت طيوفه	ببيت تدعى إذ تعقبه المييد؟

ويصبح سرّاً بيننا اللوم والنقد؟  
لتندحر الأحقاد والعذل والكيـد؟  
مضت كالنسيم العذب أنى لها العود؟  
بـدنيا كبحر ، طبعه الجـر والمـد؟  
لأهواء ما انفكت تُغالي وتشـتد!  
بها - بين أهليـنا - نتيه ونعتد!  
وإن يك في أفلاكه الضنك والسهد  
ولا من على أنات من عشقوا يشدو!  
يميناً رأيت الحـب من خلفه يعدو!  
محبّ كريم مالـه - في الـورى - ند  
من الناس غطريفاً يجود ولا فرد!  
ودارّ ترّبى - في مرابعها - الأسد  
وأخلصت في حبي ، ولم أك أحتد  
على من يُعاديني يعوذ ويرتد؟  
وبالغ عن قصـدٍ ، فسـربلني الـرد  
وأنت الحمى والنفـس والعرض والمجد  
وإن يك تفريق يسـرك أو بُعد  
وهل ألفة المولى يفرّقها (زيد)؟  
يكون بكلّ للذي غالنا حد؟!  
عذابات عيش ليس من طرحها بُد

ألم نتفق أن نطرح الخلف جانباً  
ألم نقهر الغدال بالصبر دائماً  
أما أثرت فينا عقود ثلاثة  
أما اشتقت للأفراح تغمردارنا  
ثمانية الأولاد هانوا جمعهم  
وهانت بما تأتين أندى علاقة  
هو الحب يُشجي كل من يحتفي به  
وليس يحب الحـب من لا يرومه  
ومن يجعل الحـب العفيف رسوله  
وما الحـب إلا تضحيات يسوقها  
يسوق من الأفضال ما لا يطيقه  
وبالحـب يُبنى كل بيت وأسرة  
وإنى وإن بادلتك الحـب صافياً  
فما ضجري أنى أعاني تغتأ  
ألا إنما البادي تجاوز ، واعتدى  
ألا أنت منى الروح والصوت والصدى  
أرى فيك ذاتي واعتزازي وسوددي  
متى كانت الزلات تطوي وداдна؟  
ألا ليت شعري ، أين رُشدٌ وحكمة  
أعيدني من الماضي التجاريب تجتني

وهل ضد ما ألقى يعالجُه الضد؟!  
فقد شق عنه اللحم ، وامتشق الجلد!  
تبارك ربي الخالقُ البارئُ الفرد  
وآخرُ في أفعاله أبقَّ عبد!  
لديك ، فجدِّي سوف ينفعكِ الجد  
ليرحل دمغٌ ليس يعشقه الخد  
لقد توجعَ النفسَ الهواجسُ والحقد  
أراكِ على خيرٍ إذا قادك الرشد  
لماذا بلانفع يُرى أخلف الوعد؟!  
وأعطيت عهداً ، فأين هو العهد؟  
لنا صدرُ العيش المُظفر والورد  
ونسمرُ ، علَّ الشعرَ - في ساحنا - يحدو  
وبالبشر والخيرات - في دارنا - تغدو  
وزينك الإخلاصُ ، والحلمُ ، والزهد  
وأسكنك الجناتِ يعمرها السعد

ولا تنكئي جرحاً يعكُرُ صفونا  
وما استويا جرحُ تسيلُ دماؤه  
وجرحُ شفاه الله مما أصابه!  
وما استويا الحرُّ المعظمُ قدره  
حنائكِ هذا الحبُّ أمسى أمانة  
وصوني - ببذل الوصل - حبي وعشرتي  
وخلي عن النفس الضغينة والهوى  
ولا تنصتي للشك ، أنتِ رزينة  
ألم تعدي بالأمس أن تحفظي الإخا؟  
هداديك هل أنسيتِ ميثاقِ صالحنا؟  
وفاؤك بالميثاقِ يصفو بنوره  
فهيا معي نبني ونرعى ذمارنا  
تروخ بنا الأشعارُ مشرقة السنا  
سلمت لنا ذخراً ، وعوناً ، ونجدة  
ولقائك رب الناس أحلى مسرة

## الغيث سر الحياة!

(في نزهة بالسيارة عبر مدينتي عجمان والشارقة برفقة المنشد الإماراتي إبراهيم الهاجري وصديقه علي ، كان لنا نقاش لا تنقصه الصراحة حول عدد من الموضوعات. وانتهينا بإفطار رتب له الهاجري في المطعم الساحر الرائع (عروس دمشق) بالشارقة ، حيث اختار ثلاثتنا ما نشتهي من الطعام والشراب. وتجادبنا أطراف الحديث الذي كنا عبره بين مد وجزر. ولأن الخلاف بين المحبين لا يُفسد للود قضية ، رحنا نحافظ بيننا على ذات البين أو بتعبير آخر نحافظ على شعرة معاوية ، تلك التي كانت بينه وبين الناس. وإذا بالهاجري يعقد موازنة لطيفة بين الإمام العادل الذي يقيم الدين ويرسي العدل ويسهر على راحة رعيته مذلاً لهم كل عقبات الحياة ، وميسراً عليهم كل سبل العيش الكريم ، وبين الغيث الذي يرسله الله تعالى من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها ، وينبت به الزرع فإذا بالأرض تهتز وترتبت وتحلوا في أنظار سكانها! يقول الهاجري: فكما أن الإمام العادل المُقيم للدين يجعل الحياة صافية مما يكرها عظيمة في مبنائها ومعناها ، فكذلك الغيث يبعث الحياة اليانعة الطيبة. فكلاهما سر الحياة! وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : [سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه]. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : [أهل الجنة ثلاثة: سلطان مقسط ، ورجل رحيم القلب بكل ذي قربى ، ومسلم ورجل غني عفيف متصدق]. وقال الله تعالى: {لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط}. فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال تعالى: {وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب}. فمن عدل عن الكتاب قوّم بالحديد. ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقد روى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف -". فإذا كان هذا هو المقصود ، فإنه يتوسل إليه بالأقرب فالأقرب ، وينظر إلى الرجلين أيهما كان أقرب إلى المقصود ولي.....).هـ. قال العلامة ابن عثيمين: (إمام عادل ، الإمام العادل من يخاف؟ يخاف الله عزوجل ، لأنه إمام ، الأمر بيده ، جعله الله بيده ، فإذا عدل في الخلق ، فإنه لن يراعي مخلوقاً ، وإنما يراعي الله عزوجل. ومن الإمام العادل؟ الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله تعالى. هذا هو الضابط ، الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله ، إن حكم حكم بالشرع! وإن عاقب عاقب بمقتضى الشرع ، لو أن ابنه سرق لقطع يده ، ولو أن أباه سرق لقطع يده. سبحان الله! يقطع يد أبيه؟! نعم يقطع يد أبيه؟! إمام عادل ، سرق أبوه ، يقطع يد أبيه؟! كأن هذا شديد. نعم يقطع يد أبيه ، ولكن امتثالاً لمن؟ لله عزوجل. الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله ، لا يبالي بقريب أو بعيد ، أو شريف أو وضع (...).هـ. قال الحافظ في الفتح: (وَالْمُرَادُ بِهِ صَاحِبُ الْوَلَايَةِ الْعُظْمَى ، وَيَلْتَحِقُ بِهِ كُلُّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَعَدَلَ فِيهِ "... وَأَحْسَنَ مَا فُسِّرَ بِهِ الْعَادِلُ أَنَّهُ الَّذِي يَتَّبِعُ أَمْرَ اللَّهِ ، بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ ، وَقَدَّمَهُ فِي الذِّكْرِ لِعُمُومِ النَّفْعِ بِهِ).هـ. وقال الحافظ ابن رجب في (الفتح): (وأول هذه السبعة المظللين: الإمام العادل ، وهو أقرب الناس من الله يوم

القيامة ، وَهُوَ عَلَى منبر من نور عَلَى يمين الرحمن - عز وجل - ، وذلك جزاء لمخالفته الهوى ، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه ، مَعَ قدرته عَلَى بلوغ غرضه من ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الإمام العادل دعت الدنيا كلها إلى نفسها ، فقال: إني أخاف الله رب العالمين. وهذا أنفع الخلق لعباد الله ، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها. وقد روي أَنَّهُ ظَلَّ اللهُ فِي الأرض ؛ لِأَنَّ الخلق كلهم يستظلون بظله ، فإذا عدل فيهم أَظْلَمَ اللهُ فِي ظله). هـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق ، الذي متى فاتهم خسروا خسراً مبيناً ، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم ، وهو نوعان: قسم المال بين مستحقيه ، وعقوبات المعتدين. فمن لم يَعْتَدِ أصلح له دينه ودنياه. ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول: "إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم دينكم". فلما تغيرت الرعية من وجه ، والرعاة من وجه تناقضت الأمور. فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله! فقد روي [يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة] ، وفي مسند الإمام أحمد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: [أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر]. قال العلامة ابن باز في مجموع فتاويه: (ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، ولا يكون عادلاً إلا إذا حكم بما أنزل الله ، والله تعالى قال لنبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم -: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} ، ولا شك أن الإمام العادل الرفيق من أفضل الناس ؛ لما في عدله من النفع العظيم ، والمصالح الكثيرة للمسلمين وغيرهم. ولا شك أيضاً أن الإمام الجائر من شر الناس ؛ لما في جوره وظلمه من المضار الكثيرة على المسلمين. وفي الصحيحين أيضاً عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». وهكذا كل من ولي من أمر الأمة شيئاً من أمير قرية ، أو مدينة أو وزير أو أي موظف على شيء من أمور المسلمين ، له هذا الحكم. فالواجب الحذر والنصح وأداء الأمانة). هـ. إن الإمام العادل يسهر على راحة رعيته ويحل مشكلاتهم ويطبق شريعة الله فيهم ويستشيرهم ويعبد لهم الطرق! فانتهازها فرصة لي في وصف ذلك شعراً في قصيدة تحمل ذات العنوان. وكنت قد اخترت لها البحر الكامل والقافية النونية. ووعدت الهاجري أن أهديه القصيدة بعد ذلك لعله يُنشدها ، ويُعطيها من أنغامه وألحانه ما يجعلها تتبوأ مكانها بين القصائد التي وصفت الإمام المسلم العادل ، ليكون قدوة لمن يأخذ مكانه اليوم. وجزا الله تعالى المنشد المحترم إبراهيم بن صالح الهاجري - عني وعن قصائدي التي حدا بها وأنشدها - كل خير! فلقد كان خير منشد يعترف لشاعره بالفضل ويؤدي حقه كاملاً غير منقوص!)

بِالْغَيْثِ تَحِيًّا بِالْبَيْدِ وَالْبُلْبُلِ دَانُ      وَتَعَمَّهُ الْخَيْبِرَاتُ وَالْعُمُرَانُ  
وَالْأَرْضُ تَرَبُّو - بِالْجَمَالِ - حَفَاوَةٌ      وَتَبَخَّتْ رَأً ، وَكَأَنَّهُا بُسُوتَانُ  
وَإِذَا النُّبَاتُ يَهِيحُ فَوْقَ تَرَابِهَا      لِنَقْوَلٍ: هَذَا عَسْجَدٌ وَجُمَانُ!  
وَالْعَدْلُ مِثْلُ الْغَيْثِ يَعِشُّهُ الْوَرَى      فَبِهِ تَحْقُقُ عِزَّةً وَأَمَانُ  
وَبِهِ يَسْوُدُ الْحَقُّ فِي هَذِي الدَّنَا      فَلْيَبْتَشِرْ - بِثَوَابِهِ - السُّلْطَانُ



إذ إنّه - بالعدل - أرسى حكمه  
 وأنا أقول حقيقة وتفاهراً  
 أن الذي يشقى ليسعد شعبه  
 هو لا ينام الليل ، بل هو ساهرٌ  
 ويُغيث ملهوفاً ، وينصرُ مُبتلياً  
 ويرد حقاً ضاع من أصحابه  
 ويسدّ ديناً عن مدين غارم  
 ويُعبّد الطرق التي ما عبّدت  
 ويحلّ آلاف المشاكل لم تكن  
 ومعونة من حاكم متفضل  
 هو أجزل الخير المرجى وافراً  
 ويعيش - بين الناس - يعلم حالهم  
 فالباب مفتوح على مصراعه  
 ياليت كل الناس تحذو حذوه  
 ما الحكم إن لم يرع حق رعية  
 ووليّ أمر المسلمين يقودهم  
 نفديّه - بالأرواح - دون تردّد  
 يارب وفقه لنصرة ديننا  
 وأقامه ، فشدتّ به الأوطان  
 وبضاعتي الإخلاص والإحسان!  
 فعلى الإخفاء عطاؤه برهان  
 وأنيسه - في ليله - القرآن!  
 ويُعينُ محتاجاً ، فذا معوان  
 من بعد أن أودى به الطغيان  
 والبنك - وأسفى - هو الديان!  
 من قبل ، إذ مرت بها الأزمان  
 لتحلّ لولا الواحد الرحمن  
 في الجود ليس لمثله صنوان  
 فعلى الذي حاز العطا الشكران  
 وإذا أتوه فكله آذان!  
 وكذلك الإيوان والديوان  
 حتى يزول البغي والعدوان!  
 والحاكم العدل التقى يُعان!  
 للخير لا غيبٌ ولا خسران  
 وله الجميع - على الهدى - أعوان!  
 فعليك - يارب السما - التكلان



## مطعم ضفاف النيل - عجمان!

(اقترح بعض الزملاء بالمدرسة الوطنية أن نحاول أن نعيش مناسبة على نمط الحياة في بلادنا. فكان أول العهد الطعام ، فقلت: أنا أرشح لكم مطعم (ضفاف النيل) هنا في عجمان. فسألوا: وهل لك علمٌ به؟ فقلتُ: نعم ، ودائماً نشترى منه ما يذكّرنا روح بلادنا. وجيء بالطعام ، وقال أحدهم: قبل الطعام لا بد من مقطوعةٍ شعريةٍ عن المطعم وطعامه تكون دعاية له على مستوى. وتابعه على ذلك الطلب آخرون. فقلت: ليس المقام مقام كتابة وإنشاد شعر. فأصروا ، فكانت هذه القصيدة المرتجلة الفورية ترجمة لإصرارهم ، ولما أكلوا ، اعترفوا أنني حقاً لم أبالغ في الوصف. بل كان المطعم على الوصف الذي ذكرت! يقول الأستاذ علي العبادي في مسألة ارتجال الشعر ما نصه: (لقد كان علماء الأدب ينظرون إلى أشعارنا البديعة ، التي تعهدّها الشعراء بالصقل والتهديب ، على أنها قيم صيغت في قالب شعري ، ترابطت معانيه ، واتحدت موسيقاه. ونقرأ ونسمع شعراً يتلى علينا في المنابر والصحف ، تُغلفه عبارات نثرية بعيدة عن الشعر ، ينادي بها الشاعر القرزام ، ويسعى سعياً حثيثاً إلى فرض شعره المقرزم على الساحة الأدبية. ويدخل هذه الساحة الأدبية مستعجلاً جداً كما قال نزار قباني: (يريد الشاعر أن يطبخ أعماله الشعرية الكاملة في خمس دقائق ، دون أن تكون لديه المواد الأولية اللازمة ، من سمن وزيت ولحم وطحين وبهارات ، وعبثاً نحاول أن نقتعه أن الطعام العربي دقيق جداً ، ومعقد جداً ، ويتطلب الصبر الطويل ، والخبرة المهنية ، والكرم الحاتمي ، ولكنه لا يسمع النصيحة ، ويظلّ على قناعته بأن أبا الطيب المتنبي ، تعلمّ الطبخ في مطعم (ماكدونالد). فلم يعد الشاعر الحديث بحاجة إلى أن يعرف شيئاً من علم العروض ، ومن البحور ، والأوزان ولا هو بحاجة إلى أن يعرف قواعد اللغة العربية حتى تسعى إليه إمارة الشعر. وليس على الشاعر الحديث سوى أن يرتدي (الروب) ، وبيجامته الحريرية ، ويدعو القصيدة من بيت أبيها ، فتأتي إليه مكحلةً ، ومعطرةً ، ومعصفرةً ، تضع الحناء في يديها ، والخلاخيل في قدميها ، وتقول له: أمرك سيدي).هـ. وليس يروفتي أبداً الاستشهاد بنزار القباني ، ولكن صدق في كلماته آفة الذكر ، وإن كان لا يمثل العرب ولا شعرهم المحترم! وكانت أمسية شعرية ، أحيها شاعران وشاعرة في نادي مكة الثقافي الأدبي ، جاءوا وهم ليسوا في حاجة إلى أن تكون لديهم المواد الأولية اللازمة للطبخ ، لأنهم مقتنعون أن أبا الطيب المتنبي تعلمّ الطبخ في مطعم (ماكدونالد) ، جاءوا ودعوا قصائدهم ، فأنت إلهيم مكحلة معطرة معصفرة ، تضع كل قصيدة الحناء في يديها ، والخلخال في قدميها! وقد حمدت الله (عزّ وجلّ) أن هذه الأمسية الشعرية لم يحضرها من هو في مستوى العالم الكبير عبد الملك بن قريب الأصمعي ، الذي زار بغداد فهفا إليه الشعراء وكل شاعر يريد أن يسمع الأصمعي شعره ، وأخذ الأصمعي في الاستماع. وساء الحاضرين بكاء الأصمعي بعد الاستماع لقصيدة الشاعر ، واستغرب الحاضرون بكاء الأصمعي فسألوه؟ ما يبكيك يا شيخنا؟ فقال لهم: «يبكيني أن ليس لغريب قدر وحرمة ، لو كنت ببليدي بالبصرة ، لما جسر هؤلاء أن يعرضوا شعرهم عليّ ، وأسكت عنهم ، ولا أضربهم ضرباً مبرحاً حتى يتوبوا!».هـ. وكان عهدي بارتجال الشعر قد ولى من زمن ليس بالبعيد. ولكنني أردتُ أن أجمع بين طعام الروح وطعام الجسم. وإلا فإنني لا أميلُ إلى الارتجال في أي شيء! ومن باب الأولى صياغة الشعر. وأذكر أن الارتجال الثاني كان في بيت واحد في أمسية شعرية!

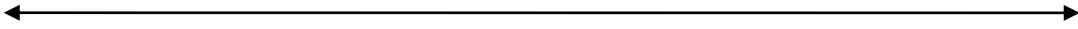
(ضفاف النيل) مطعمنا الجميل له - في خاطري - وصف يطول

بشوق - في الضمائر - لا يزول  
بمائدة بها يُشفي العليل!  
فكل من منهم شهم أصيل  
فهم بحر - إذا أعطوا - ونيل  
تُداعبنا فلافلهم وفول!  
وتجذبهم - إلى الأكل - البقول!  
وبالطرشي قد قام الدليل  
وقد عز المماثل والقبيل!  
له يأوي إذا حان الرحيل  
يقول لها: فراقك مستحيل  
وبات له - على الجوعى - جميل!  
زبانن ليس بيهم بخيل  
لعاب من اشتهى فغدا يسيل  
كان جادات بشربك سلسيل  
وتصدق - في الخلائق - ما تقول  
وصيتك - بيننا - صيت جميل!  
ولا ألك يوماً تساقيل  
ولا يصرفك - عن هذا - عدول!  
وعنك اليوم ليس لنا بديل!

يذكر أهل مصر بساكنيها  
ويكرم ضيفه في كل حين  
وجود القانمين عليه طبع  
وسل عن جودهم من حل ضيفاً  
فكم جننا لمطعمهم ، وغدنا  
وباذنجانهم يُغري جيعاً  
وللساطات طعام لا يُبارى  
على أن الزبائن تشتهيه  
(ضفاف النيل) مأوى كل حر  
لينبش ذكريات الأمس حتى  
كنهر النيل يُطعمنا ويسقي  
فطور يا (ضفاف النيل) ، واخدم  
ومتعم بأحلى الأكل يسبي  
وهات شربك العذب المصفي  
ربا (عجمان) تشهد ، والضواحي  
بأنك مطعم خلو ظريف  
فنافس ما عداك ، وكن فريداً  
وحافظ يا (ضفاف) على التسامي  
حماك الله طارقة التمدني

## واليوم على عشرين نحو!

(وصفتُ أمنا أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة - رضي الله عنها - النكاح في الجاهلية بأنه كان على أربعة أنحاء. وحديثها ثابت صحيح ولا شك. واليوم أصبحت الأمور في الجاهلية المعاصرة أكثر اتساعاً. فأصبح النكاح الجاهلي المعاصر على عشرين نحو! أحدها إصداق الرجل المرأة وإعلام أهلها والإشهاد والعقد والوكيل والشاهدان ، وهو نكاح المؤمنين الموحدين! وأنكحة أخرى ما أظنها تخطر على بال أحد ذي فطرة سوية. ومنها ممارسة الدعارة الجماعية في حفلات تستحيي منها البهائم والعجاوات. ومنها تبادل الزوجات ، ومنها اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء كما جاء في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو علمٌ على نبوته. ومنها مباشرة ثلاثة ذكور لأنثى! ومنها ذكر يباشرُ مجموعة إناث. ومنها أنثى يباشرها مجموعة ذكور. ومن هذه المجموعات تتفرع أصنافٌ شتى روج لها اليهود والكفار عموماً وبعض المجرمين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. وسبب ذلك البعد عن الإسلام ، واتباع خطوات الشيطان ، والاهتداء بهدي الكفار والملاحدة. حتى ليمكننا القول بأن الصورة التي ذكرتها السيدة عائشة - رضي الله عنها - لتتضاعل أمام الصور الجاهلية المعاصرة المنحطة السافلة! وإن كان الغرب الذي راجت فيه هذه الطوام متبعاً للمسيح كما يدعي ، فهل جاء المسيح بمثل هذا لهم؟ جل شأنه المسيح - عليه سلام الله وصلاته - . إنما هم أرادوها فوضى لتشيع الفواحش وتختلط الأنساب ويفشو الزنا والفجور والإفساد في الأرض بغير الحق. وسيخيبُ الله مسعاهم يوماً ما! ومن هنا أنشدتُ من شعري هذه القصيدة أستهجن فيها ما آلت إليه البشرية بسبب بعدها عن الله سبحانه. وإن شاءت تابت ليوفيقها الله!)



تأبى البهائم وضعاً بات مردولا	وليس - عند وحوش الغاب - مقبولا
ما الأدمية إن زالت معالمها؟	وما التحضر إن سنن الأضاليا؟
وما الرقي إذا دب الفسادُ به	فأصل العُهر - بين الناس - تأصيلا؟
وما الحضارة إن غاصت قوائمها	في الوحل حتى كبت فلم تسر ميلا؟
وما التقدم إما بات منجداً	في حمأة الفسق يُفني الدار والجيلا؟
وما التطور إن ديست كرامتها	وعرضنا بات مهتوكاً ومردولا؟
يا غرب كُف عن التزييف ، أنت به	عُرفت خبياً وديوثاً وضليلا
تروج الدعر - في البلدان - قاطبة	وفي حراسته لك اليد الطولى
وإن تكن - في الخنا - أخزى مسابقة	أحرزت - في أمها - المراكز الأولى!
وما استحيت من الفجور تنشره!	ثقافة مُنثت غشياً وتُدجيلا

بين الأنام إلى أن صرت مردولا  
حرباً ضروساً تزيدُ الناسَ تضليلاً  
للهازلين ، وتزجي الفحشَ إكليلاً!  
والإيدز يصحبُ - في الماخور - (إيبولا)!  
كأنما حصَّـل الغاياتِ تحصيلاً  
وبات إتيانها - في القوم - مقبولا  
وليس إفكاً - عن الغرب - الذي قيلاً  
أما المصيرُ فحقاً بات مجهولا  
وقد تزيدُ - على التقليد - تمثيلاً  
يرونُ - للشريعة السمحاء - تفضيلاً  
إلى الحضيضِ فدا البصائرِ الحولى!  
يكادُ يحرقُ مجداً كان مثلاً!  
جيلٌ يرتلُ آي الذكرِ ترتيلاً  
ولا يُبدلُ - في المنهاج - تبديلاً  
ودوركم - في دُجائها - ليس مغفولا  
ويصبغُ الحُكمُ - بالإسلام - مكفولا  
ولا يعساني كتابُ الله تعطيلاً  
شرائعُ الكفرِ تغريراً وتخيلاً  
وفي الـدياجيرِ يُمسي الهذي قنديلاً!

عشرون نحواً من الزيجات تُشهرُها  
والمومسات - على الشاشات - تُعلنها  
من كل ساقطةٍ تبيعُ عفتها  
سوقُ النخاسةِ قد راجت بضاعتها  
والكل أمعنَ في الأرجاسِ في شره  
حتى المحارمُ لم تسلمُ شرافتها  
والغربُ أنسابه - بالباطل - اختلطت  
بل الحقيقة قد لاحت معالمها  
وأغلبُ الناس - في الدنيا - تقلده  
يا ويحهم درجوا على العناد ، فلا  
بل شرعنوا فتنَ التغريب ، فانحدروا  
وقننوا الموبقاتِ الباعثاتِ لظي  
وحاربوا دعوة الإسلامِ يحملها  
يدعو إلى الله رب الناسِ مُحسباً  
يا غربُ هذي إذ دقت مرحلة  
وسوف تمضي ، وينسى الناسُ خلقتها  
وتستقيمُ حياة الناسِ قاطبة  
ولا يكونُ زواج وفق ما شرعت  
لا ينفع الناسَ إلا هذي خالقهم

## النادلة والشهم!

(عاش أحد الرجال المحترمين موقفاً عجبياً ، يصفه بأنه أعجب موقف عاشه في حياته التي امتدت أربعين سنة! ولولا أن راوي هذه القصة ثقة تقوم به الحجة ما صدقت أن يحدث مثل هذا في زماننا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره. يقول راوي القصة حكاية عن صاحبه بطل القصة الأصلي: توفي زوج ابنة عم ذلك الشهم. وكانت امرأة مُصبية (أي ذات أولاد) ، فاضطرتها ظروف الحياة إلى العمل نادلة في مطعم مشهور. وبينما هي في عملها في المطعم إذ يدعى ابن عمها إلى المطعم لتناول وجبة عشاء دعاه إليها أحد أصدقائه. فإذ به يقابل النادلة ابنة عمه. فاستاء من الموقف ، ولكنه ضبط أعصابه ، ولم يبين لصديقه شيئاً. وما هو إلا أن اصطحب زوجته وذهب معها إلى دار ابنة عمه ، في زيارة لم يفصح عن سببها لزوجته. وتفقد أحوالها وأدرك تقصيره والعائلة بأسرها في حقها وحق أولادها. فعرض عليها الزواج فوافقت. ولكنها اشترطت أن يكون أباً لأبنائها بعد رحيل أبيهم. فوافق مرحباً بذلك الشرط ، وقرّر أن يحقق لها حِسبة لله تعالى. وخاض غمار حرب بين زوجته وبين ابنة عمه الزوجة الثانية إلى أن وضعت الحرب أوزارها واستقرت الأمور. والله الفضل والمنة ، وله الحمد والشكر ، وله سبحانه الثناء الجميل الحسن! فتخيلته في لحظته الأولى في المطعم وهو يرى ابنة عمه يقول لها هذي الكليمات التي صغتها شعراً من وحي خيالي وتأثري. حيث إنني تأثرت بهذا الموقف تأثراً لا يتصوره عقل. كما أن زواجه منها يعتبر لوناً من ألوان التضحية والشفقة. وكل ذلك فرض عليّ أن أثنى هذا الموقف الجليل العظيم المبارك فقلت شعراً:)

حنايِكِ يا هذِهِ النادِلَةُ      غداً ملتقانا - هنا - نازلة  
فإنكِ أيقظت في الحيا      فأدركت ما جنت العائلة  
وهيجت غيرة مُسهتر      على أنها غيرة قاتلة  
ولفنتني المدرس مسـتوفياً      بحكمة أسـتاذة فاضلة!  
وألقيت خطبة مكلومة      وهل - في المواعظ - كالثالكة؟!  
وكنت - كما أنت - رغم الأسى      تماماً كما الزهرة الذابلة  
ففيها تخبأ كل الشذى      وإن تك في بيئة قاحلة  
لماذا حملت مُرّ الشقا      وكنت كراكبة راجلة؟!  
لماذا - على الفقر - لم تصبري      لنـدرسَ حالتـك القاتلة؟!  
لماذا سلكت دروب العنا      ضحية من تخذل القافلة؟

لماذا اتخذت الضنا مولاً  
 شققت على النفس حتى خبت  
 وأخرجتنا بين أصحابنا  
 فوالله لولا الحيا والوفا  
 ومكثك - في البيت - خير لنا!  
 لكان يسيراً على خاطري  
 تزوجتُك اليوم لا أدعي  
 ولكن أغار على عترتي  
 وأحببتُ فيك الكفاح الذي  
 وقلبي يعاف البلاء الذي  
 وأشفقُ أني لم أنتبه  
 وأشفقُ - بالعدو - مرثيتي  
 وقلوب يحوقل مس ترجعاً  
 وروح تبثك إحساسها  
 ولكنها أثرت أن تفني  
 فلا تنكني الجرح ، بل سامحي  
 علمتُك حافظلة للإخا  
 فلا تفجعهم بطول النوى  
 سلامي عليك ، وكلني رجاً

تُعانين صائلة جانلة؟  
 وكانت - لطاقتها - باذلة  
 فهل كنت - يا أختنا - هائلة؟!  
 لضقتُ بفعاتك الجاهلة!  
 ولو أن يراك الورى سائلة  
 من الشغل في مطعم (نادلة)!  
 سُموأ على فذة عاقلة  
 وعطابة أصبحت باهلة  
 يُجنبك السبل الباطلة  
 يُريدك خارجة داخله  
 لمن هم على هذه الشاكلة  
 بعين - على ماترى - هاملة  
 ونفس - لفرط الجوى - مائلة  
 بعاطفة لم تكن ذاهلة  
 بحقك قائله عاملة  
 فذا واجب ، ليس بالنافلة  
 وأنت - لأرحامك - الواصلة  
 فما أنت بالفظلة الغافلة  
 بأن ترزقي الفوز في الآجلة!

## استعطاف فوق الوصف!

(أساء الخليفة المأمون معاملة زوج أبيه هارون الرشيد زبيدة ، وذلك بعد توليه الخلافة. وساعت العلاقة كذلك مع ابنها الأمين. فأرسلت إليه برسالة تستعطفه فيها ، وتناشده الرحمة والحلم والأناة. وكان من بين سطور رسالتها: (تذكر أيها الخليفة من لو كان حياً اليوم لكان شفيعي عندك) ، وأضافت بعض العبارات التي جعلته يعدل عن منهجه في المعاملة عندما قالت: (أما إنني أمك وإن كنت زوج أبيك ، فلي حق الأم التي حرّمها الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – تحريماً أبدياً! وإن لم أكن كذلك فلي حق عامة نساء الرعية ، فأنا من رعاياك أيها الخليفة. فاختر لنفسك المقام الذي تريد يوم يبعث الله الخلاق! وإنني لجاعلة بيني وبينك الولي الحق – عز وجل -. فرق قلبه لها ، واستجاب لطلبها بعدما دمعت عيناه ، وطلب من جلسائه أن يتركوه ساعة. يترجم لها الكاتب العراقي الكبير الأستاذ عبد الواحد باش أعيان العباسي في مجلة الرسالة (العدد 984) فيقول ما نصه: (لينحن التاريخ برأسه إجلالاً لكثير من النساء النوابغ ، اللواتي سجلن أعظم الأعمال والمفاخر في صحائفه ، وللمرأة العربية نصيب كبير في مفاخر التاريخ وروائعه ، فمنهن الملكات الحازمات اللاتي رفعن ممالكهن للسؤود والرفعة ، ومنهن المحاربات البواسل ، ومنهن الشواعر والأديبات ، ومنهن من سجلن أعمال الخير والإصلاح في كثير من مرافق الحياة. ومن أشهر هؤلاء النساء النوابغ وأعظمن أعمالاً للخير واهتماماً في الإصلاح والتعمير هي الملكة العباسية الهاشمية السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وأم الأمين و بنت جعفر بن (أبي جعفر المنصور). ولدت سنة 165 هجرية في أحضان العز ومهد الدلال ، وترعاها قلوب بني العباس ويحيطها حبهم ورعايتهم ولا سيما جدّها الخليفة الحازم أبو جعفر المنصور وكان يؤثرها بعنايته وحبّه. وهو الذي سمّاها زبيدة لما رأى من نعومتها وبياض بشرتها ، وقد كانت تجمع إلى الجمال الباهر والأدب العباسي السامي عقلاً كبيراً وذكاء نادراً وعلماً وأدباً كبيرين. وفي خلافة عمها المهدي زفت إلى ابن عمها هارون الرشيد ، فكانت ليلة زفافها من الليلي المشهورة في بغداد يوم ذاك بالروعة والبهاء والفرح ، وقد نثرت اللآلئ في جنبات طريقها على البسط الموشاة بأسلاك الذهب. وقد ألقى عليها من غالي الجواهر واللؤلؤ ما أثقلها وعاقها عن السير ، فكانت عند زوجها وقد استأثرت بقلبه وخلص لها من دون جواريه وسراريه اللواتي يملأن قصره ، وقد شغف بها الرشيد ، واطمأن إلى رأيها وتديبيرها وكمال عقلها حين أصبح خليفة ، فأخذ يسترشد برأيها في حل المعضلات من أمور الدولة الإسلامية في ذلك العصر الذهبي ، وأطلق يديها في بيت المال تنفق ما تشاء ، وقد أنفقت أموالاً عظيمة في الإصلاح والخيرات ، تلك الأعمال التي خلدت اسمها بين أعظم نساء العالم كرمًا وخلقاً وشرفاً ، وسبقت من تقدمها من نساء الإسلام في الأعمال. ولقد قيل إنها أنفقت فيما ابتنت في طريق مكة من مساجد ومنازل ومشارب مليوناً وسبعمائة ألف دينار زيادة على ما أنفقته (ويقدّر بأكثر من مليون دينار) حين أوصلت الماء إلى مكة في الحجاز من العين المعروفة بعين زبيدة ، فقد كان المكيون والحجاج ينقلون الماء من مسافات بعيدة مضمية لشربهم وريهم وسقي حيواناتهم ، وكان يتكلفون بذلك ويجهدهم ، فلما حجت الملكة المصلحة السيدة زبيدة أمرت بإحضار المهندسين والعمال وأن يقدروا كلفة العمل وما يتطلبه من المال فبلغ مبلغاً كبيراً استثقله خازنها ، فقالت كلمتها الخالدة: (اصرف ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً) فلم تنزل حتى تم لها ما أرادت ووصل الماء إلى مكة من مسافة اثني عشر ميلاً في أرض وعرة المسالك. ولا زال منذ عهدا إلى اليوم. ولها أعمال أخرى لا تقل عما تقدم فخراً ومنفعة ؛ فقد ابتنت المساجد الكبيرة الواسعة في أطراف بغداد ليتعبد فيها المسلمون ، فابتنت مسجداً قبالة دار الخلافة



يسمى مسجد زبيدة ، وآخر في أراضيها وأملاكها الخاصة المعروفة بقطيعة أم جعفر ، وثالثاً بين باب خراسان ودار الرقيق ، ورابعاً البيت الذي ولد فيه الرسول بمكة ويسمى دار ابن يوسف ، وكانت إلى كل هذا توزع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين والأيامى ، كما كانت لا تتردد في مساعدة ذوي الحاجة من كبار رجال الدولة والمملكة. ولقد كانت أما رؤوماً تحنو على ابنها الوحيد محمد الأمين وتعني به عناية كبرى وتحبه حباً جماً ، فمن ذلك ما رواه خلف الأحمر وكان قد دعاه الرشيد لتدريس ابنه الأمين يقول: جاءتني جارية يوماً برسالة من أم جعفر (زبيدة) ، تعزم عليّ بالكف عن معاملته بالشدة في تعليمه وتأديبه وأن أجعل له وقتاً لاستجمام بدنه ، فقلت: الأمير قد عظم قدره وبعد صيته ، وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملان التقصير ولا يقبل منه الخطل ولا يرضى منه الزلل في النطق والجهل بالشرائع والعمى عن الأمور التي فيها قوام السلطان وإحكام السياسة! فقلت: صدقت غير أنها والدة لا تملك نفسها ولا تقدر على كف إشفاقها. وعلى ذكر ابنها الأمين ، فإنه لم يكن بين خلفاء الإسلام من كان أبوه وأمه من بني هاشم غير علي بن أبي طالب وابنه الحسن والأمين بن الرشيد! وكان لها قصور عديدة جميلة تتناسب مع مكانة الملكة الشابة ، منها قصر السلام وقصر القرار وغيرها في ضيعاتها وأملاكها الواسعة. وكانت على جانب كبير من الكرم والسخاء فيقول المسعودي: (كتبت مرة تسأل أبا يوسف رئيس القضاة في بغداد) تستفتيه في مسألة فأفتاها بما أوجبت الشريعة وكانت الفتوى مما يوافق مرادها ، فأكرمه بحق من فضة فيه ألوان من الطيب (الروائح) وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخت فيه ثياب وحمار وبغل. . . الخ). وذكر بعض المؤرخين أن لزبيدة يداً كبرى في نكبة البرامكة ، فقد كانت تخشى من جعفر البرمكي على ابنها الأمين ، وكان يقوم بأمر المأمون في ولاية العهد. ولكن في وصيتها التاريخية لقائد جيش الأمين علي بن عيسى حين خرج بجيشه يريد محاربة المأمون وأسرده ، ففي تلك الوصية الخالدة تظهر النفس الكبيرة التي تنتزه عن الدنيا والقسوة الأحقاد وقد قالت له: (يا علي إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإنني على عبد الله (المأمون) مستعطفة مشفقة لما يحده عليه من مكروه وأذى ، وإنما ولدي ملك نافس أخاه في السلطان ، فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته ، ولا تسأوه في المسير ولا تتركب قبله إذا ركب وإذا شتمك فاحتمل). وكانت على جانب كبير من الآداب والأخلاق كما كانت أديبة بارعة وشاعرة حساسة).هـ. ويضاف إلى ذلك كله أنها كانت شاعرة مجيدة ، فلقد وقعت على قصائد لها في كتب المغازي والسير والتراجم ، فألفيتها شاعرة عملاقة! فحاولت أن أصوغ رسالة (زبيدة العباسية) شعراً. في استعطاف المأمون لأن يرجع إلى سالف عهده من المعاملة الرقيقة الطيبة! وأن يُراعي مكانها ومكانتها! وأرجو أن أكون قد وفقت في وصف شعوري - حيال رسالة زبيدة بنت جعفر - شعراً!

ألا إنني أهدي إليك تحيتي وأعرض ما عندي ، وأشرح قصتي  
 وشكواي - بعد الله - أرفعها إلى همام يواسيني ، يُحقق مُنيتي  
 ألا إنه حقاً تسامى اعتزازه فأمسى أبيضاً بافتخار وعِزّة  
 وبالمجد وافاناً ، وغطى ديارنا فقد خصّه المولى بأرقى مكانة!

رعى الله أوطاناً حكمت ربوعها  
 أعزني سماعاً تستمي فيه قصتي  
 أيا ولي الأمر فينا وردأنا  
 تبثك نجواها ، وتزجي احترامها  
 تذكر عظيم القدر لو كان بيننا  
 حباني - من المجد التليد - أصوله  
 وعلمني أن لا أعيش ذليلاً  
 وهل ملك الدنيا يهتك عرضة؟  
 وهل كان مثلي يستهان برأيها؟  
 وهل كان مثلي تستباح رخصة؟  
 لذاقوا جميعاً من لظى الشر حصة  
 فإن لم أكن أمّاً لأزكى خليفة  
 وإلا فإني من رعيتك التي  
 سلام - من المولى - عليك ورحمة  
 ووفقك المولى لنصر الشريعة  
 فإني افتقدت اليوم أهلاً لنصرتي  
 تفضل على تكلي استعانت بمُخبِت  
 وإنك يا (مأمون) صاحب نخوة!  
 لجلي غشاوات تُبين حجتِي!  
 وضحي كثيراً كي يرى نور هبتي  
 ومن كان يقوى أن يسبب ذلتي؟  
 ومن ذا الذي يُزري بجاه (زيدة)؟  
 ومن ذا الذي يقوى على رد كلمتي؟  
 ومن ذا الذي يغتال - في الناس - بسمتي؟  
 ومن كيد أنثى حصة بعد حصة!  
 فزوج أب لي واجبي بعد حرمتي!  
 سنسأل عنها يوم بعث وحسرة  
 وأجعل هذا فصل قولي وختمتي!

## ربة القلب الكبير!

(سمعتُ من صويحباتها أن إحداهن بحاجة لإجراء عملية جراحية تعجز عن الوفاء بأجرها الذي يقارب الآلاف الخمسة. فأرسلتُ إليها مبلغاً من المال يُضاهي ثمن العملية حسبةً لله! عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: أيها الناس تصدقوا فمرّ على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن عليه ، فقيل: يا رسول الله هذه زينب فقال: أي الزياتب؟ فقيل: امرأة ابن مسعود ، قال: نعم ، انذنوا لها ، فأذن لها ، قالت: يا نبي الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندي حُلِي لي ، فأردتُ أن أتصدق به ، فزعم ابنُ مسعود أنه وولده أحقّ من تصدقت به عليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق ابنُ مسعود ، زوجك وولدك أحقّ من تصدقت به عليهم. وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله. وقال: داووا مرضاكم بالصدقة. وقال: إن الصدقة لتطفئ غضب الرب. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يتصدق أحدٌ بتمرّة من كسب طيب ، إلا أخذها الله بيمينه ، فيرببها كما يربي أحدكم فلوةً أو قلوصةً ، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يسرّ على معسر يسرّ الله عليه في الدنيا والآخرة. وقال: لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك على لحييها سبعين شيطاناً. فأنشدتُ من شعري أقول:)

يا ربة القلب الكبير	جوزيت بالخير الوفير
وحبائك ربك عفوهُ	والعفو من أرجى الأجور
مأزال جودك نابضاً	بحياة قلب لا تبور
أكبرت فعلك والوفاء	فوصفت - بالشعر - الشعور!
ولمست - فيك - سجية	ظهرت كما القمر المنير!
تسمو - بذاتك - في النساء	وأخص رببات الخدور
جادت يمينك ترتجي	من ربها العوض الكبير
آلافك الخمس ازدهت	في كف صاحبة البثور!
وسنتت عاظر سونة	تغري الخواطر والضامير!
والتضحيات كثررة	وثوابها أيضاً كثير

ما الصحبة المثالي إذا  
 وتغيث ملهوفاً ثوى  
 وتعيين فرداً عاجزاً  
 وتعيذ مظلوماً همث  
 ما قيمة المال الذي  
 ويبيت أضعافاً ثرى  
 لا يسـ تفاد بكـزه  
 لا يسـ تعان به على  
 بل يسـ تغل جهالة  
 حيـاك ربـك بـرة  
 ها قد أسرت يراعتي  
 لا لـم أبـالغ لحظـة  
 كـالبحر جـدت رضـية  
 وبعثت أمـالاً خـبت  
 ومنحتها فـي كربـها  
 وشفى الإلهه جراحـها  
 واستبشـرت بشـفائها  
 يا ربـة البـذل اسـعدي  
 والناس إن لـم يشـكروا  
 لم تعط كالغيث الغزير  
 إذ لم يعاين مـن يجير  
 عـدم المـعين ، أو الظهير  
 عينااه ، إذ فـد النصير؟  
 يجنى على كـر الدهور؟  
 في شـكل أرصـدة ودور!  
 أبـداً ، ولا يعطى الفقير  
 تـذليل مـعضلة الأمـور؟  
 ليعز أصحاب الدثور  
 وأنـا - بفعلتـك - الفخـور!  
 بعطاءك الغـضـ النضـير  
 إن قـلت: مـنقطـع النظير  
 فزرعت - في القلب - السرور  
 في روح فضلى تسـتجير  
 حبل النجاة ، فلا تحور  
 ومضى العذاب المسـتطير  
 تكلى تـداهمـها الشـرور  
 بالخير يحماـه البشـير  
 فكفـاك مـولـاك الشـكور

## اذكروا محاسن موتاكم!

(ينسب كثيرون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: (اذكروا محاسن موتاكم). ولما تتبعث هذا الحديث ، وجدته ضعيفاً جداً. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أننا لا نشير إلى أخطاء وقعوا فيها أو مظالم اقترفوها في حق غيرهم. ولا يزال القرآن يُعلمنا: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) (عبس وتولى) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) (ولولا أنه كان من المسبحين) (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب). وإذن فذكر بعض تصرفات الموتى لا يعني النيل منهم! بل يعني بيان الحق والاستفادة من طيب أفعالهم والحذر من سيئها!)

خاب الذي كذباً - على الله - افترى  
ليزيغ بالتفريق ألباب السورى  
ما زال يكذب كي يثبت باطلاً  
ويكيل بهتاناً تزخرفه الفرى  
وعلى النبي الكذب أخبث رتبة  
والنار عقبى من يسوق المنكرا  
ولقد نحذر من مساوى من مضى  
لنحصن الأحياء من سوء جرى!  
لم نقصد التقليل من أقدارهم  
لكن نعيذ - من الخطا - أهل القرى!  
فعل عبداً يستجيب لقصدنا  
ويتوب مما - في هواجسه - امترى  
ويرى حقيقة نفسه متجرداً  
حتى يخف إلى التقى ، ويشمرا  
لا يستهين بذنبه مستغنياً  
عن توبة توذي بما هو دبّرا  
ويصحّ الدرب الذي يسعى به  
كـيلا يضيع ثوابه النزق الذي  
إحساننا للميتين المسلمين أمانة  
كـيلا يضيع ثوابه النزق الذي  
إذ إنهم في ذمة المولى غدواً  
نظري محاسنهم ، ونمدح خيرهم  
ونبين الأخطاء قد وقعوا بها  
ليكون ما بذلوا أجلاً وأشهراً!  
ليكون درب الحق صُباحاً مسفراً!



وتغمرني العواطفُ باكياتٍ  
فأبصرُ ذكرياتِكِ شاخصاتٍ  
وتحضرُني المواقفُ كاللآلي  
وأفتكرُ النصائحَ والوصايا  
أنا يا أمّ مبتئسٍ حزينٍ  
وأذكرُكم عطفتِ على اليتامى  
وأذكرُ كيف أكرمتِ الأيتامى  
وأذكرُ من طرائفِكِ الخوالي!  
وأذكرُ من نوادرِكِ الغوالي  
وأذكرُ حكمةَ بلغتِ مداها  
وأذكرُ همةَ لم تألُ جهداً  
وأذكرُ ما تنوعَ به الرواسي  
وأذكرُ ما يُشرفُ كل حي  
وأذكرُ قلبَ والدةِ رؤومٍ  
وأذكرُ من خواطركِ الحواني  
فأدعو الله في سرِّ وجهه  
بأن يرفعكِ أخرجي بعد دنيا
فأهرعُ للثبَتِ والقيام!  
ويُشرقُ طيفكِ الباهي أمامي!  
تُثيرُ الدربُ ، تنبضُ باحترامي  
ويغلبني - إذا زغث - التزامي  
أرجعُ أمسياتكِ في منامي!  
بمسحِ رؤوسهم قبل الطعام!  
وفاض الجُود عاماً بعد عام  
تزلوُ بهنّ داعية السقام  
وأغزاز تزين سنا الكلام  
إيها الكل يؤذنُ باحتكام  
أثمنها بحبِّي واهتمامي!  
من النفحات في شهر الصيام  
من العزم المتوج بالمرامي!  
سقاني الحب من بعد التسامي  
بقايا نور صاحبة المقام  
وبالرحمن مولاي اعتصامي!  
وأجعلُ دعوتي هذي ختامي!



## فذكرت غيرة الزبير

(إن موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - مع النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أناخ لها الناقة ليردفاها عليها رحمة بها ، ليثبت لنا كيف كانت أسماء حريصة على تقدير مدى الغيرة عند زوجها الزبير بن العوام - رضي الله عنه - . وكم عشنا مواقف تشبه هذا الموقف فلم تُقدّر الأغلبية الساحقة من النساء في زماننا هذا غيرة أزواجهن عليهن! فكم من امرأة تتحدث إلى الرجال من غير محارمها بغير الضرورة! وكم من ذاهبة للتداوي عند الأطباء مع وجود الطبيبات ولغير الضرورة! وكم من ناشرة صورها يمنة ويسرة عند المحارم وهو حرام ، فضلاً عن الأجانب من غير محارمها وهو أشد حرمة! وكم من مختلطة بالرجال مزاحمة لهم في الشوارع والطرق بلا داع ولا مبرر. وكم من متبسطة في خضوعها بالقول لدرجة أدنى من الإسفاف ولا زاجر ولا رادع. وإن روجعت الواحدة منهن في شيء من ذلك لهاجت وماجت وأرغت وأزبدت بدلاً من أن تستغفر الله تعالى وتتوب إليه وتعزم على أن لا تعود وتندم على ما فرطت في جنب الله! وفي صحيح البخاري - باب النكاح - فصل الغيرة ما نصه: (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ: (تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرٍ نَاصِحٍ وَغَيْرِ فَرَسِهِ ، فَكُنْتُ أَعْلَفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَنُ أَخْبِرُ ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتِ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صَدَقٍ وَكُنْتُ أَنْفُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ مَنِي عَلَى ثُلْثِي ، فَرَسَخَ ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَدَعَانِي ، ثُمَّ قَالَ: إِخْ إِخْ ، لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرَّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ ، فَمَضَى فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ ، فَقُلْتُ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمَلِكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ يَكْفِينِي سِيَّاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي). وفي معرض الحديث عن الغيرة على الزوجة يقول الأستاذ حسن كامل إبراهيم ما نصه: عندما يكره الإنسان أن يشاركه غيره في حقه ، عندئذ نقول: إن هذا الإنسان يغار من غيره ، لذلك فالغيرة تغير يحصل في الإنسان بسبب ما يلحقه. وترتبط الغيرة دائماً بالمرأة ، وبخاصة غيرة الزوج على زوجته ، وغيرة الزوجة على زوجها ، وفيما يتعلق بغيرة الزوج على زوجته ، فإنها تعني منعه لها عن التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غير ذلك. وسنحاول هنا التعرف على بعض النماذج التي نتبين منها مدى غيرة الرجل على زوجته ، فهذا سعد بن عبادة - رضي الله عنه - يقول: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: (تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني. ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله الغيورين الجنة. وهذا هو الزبير بن العوام يضرب لنا أروع الأمثلة على غيرة الزوج على زوجته. ومن حديث أسماء الذي أوردناه آنفاً نستدل من الصورتين السابقتين أن المسلم يغار على زوجته غيرة عظيمة ، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين يضربون لنا أروع الأمثلة على الغيرة ، أعني غيرة الزوج على زوجته ، وتلك القدوة والأسوة الحسنة على كل مسلم الاقتداء بها في حياته ، ولكن

المشاهد أن الغيرة قلت لأسباب كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أن الرجل انشغل كثيراً عن أهله بعمله وأعبائه اليومية ، فلم يعد يسأل عن أهله باستمرار ، ووسائل الإعلام سمحت لكثير من العادات والتقاليد الغربية على مجتمعاتنا تتسرب إلينا مما جعل قلة من الأزواج يستهينون بمسألة الغيرة على زوجاتهم ، وكذلك الإقبال على ملذات الحياة الدنيا لدرجة الإسراف مما جعل تلك القلة بسبب شرها للعالم لا تقيم وزناً للغيرة. وأتمنى أن تتعلم تلك القلة من هذه النماذج السابقة وغيرها كثير ، وتعود إلى صدورهم مرة أخرى على نحو قوى ، فيغارون على زوجاتهم. ومن الضروري التنبيه على أن للغيرة حدوداً ، فالغيرة الزائدة عن الحد قد تنقلب نقمة على صاحبها ، أقصد أن الغيرة قد تتحول إلى شك من الزوج في سلوكيات زوجته لدرجة أنه قد يتهمها بالخيانة الزوجية ، فنحن هنا ندعو تلك القلة إلى الغيرة على زوجاتهم على نحو ما تفعل الأغلبية من أزواج المسلمين ، وذلك لا يعني أننا ندعو الجميع إلى الغيرة المفرطة التي قد تنقلب إلى الضد فتؤدي إلى انهيار الأسرة ، لا ، بل ندعو إلى الغيرة العاقلة الملتزمة ، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الأسوة الحسنة. هـ لقد عُمرت أسماء - رضي الله عنها - زمناً طويلاً حتى بلغت مائة عامٍ وزيادةً ، ولم يسقط لها سنٌّ ، ولم يُنكر لها عقلٌ ، وكفَّ بصرها بعد ما بلغت من الكبر عتياً فصبرتْ واحتسبتْ لتتالَّ أجرها من الله جل وعلا. عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عز وجل قال: (إذا ابتليتْ عبدي بحبيبتيه فصبرَ عوضتهُ منهما الجنة). [رواه البخاري]. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت مرة في أرض أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة والزبير في أرض بني النضير. فخرج الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولنا جار من اليهود ، فذبح شاة فطبختْ ، فوجدتْ ريحها فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط ، وأنا حامل بابنتي خديجة فلم أصبر ، فانطلقتُ فدخلتُ على امرأة اليهودي أقتبس منها ناراً لعلها تطعمني وما بي من حاجة إلى النار. فلما شممت الريح ورأيت أنه ازدادت شرهاً فأطفاها ، ثم جنت ثانياً أقتبس. ثم ثالثة ، ثم قعدتُ أبكي وأدعو الله. فجاء زوج اليهودية فقال: أدخل عليكم أحد؟ قالت: العربية تقتبس ناراً. فقال: لا أكل منها أبداً أو ترسلي إليها منها. فأرسل إليَّ بقدحة - يعني عُرْفَة - فلم يكن شيء في الأرض أعجب إليَّ من تلك الأكلة. ورُغم فقر الزبير فقد كانت أسماء امرأةً سخية النفس ذات جودٍ وكرمٍ ، باذلة اليد ، فكانت تقول لبناتها وأهلها : (أنفقنَّ وتصدقنَّ ولا تنظرنَّ الفضل ، فإنكنَّ إذا انتظرتنَّ الفضل لم تفضلنَّ شيئاً ، وإن تصدقتن لم تجدن فقده). وقال ابنها عبدُ الله - رضي الله عنه - : ما رأيت امرأةً أجودَ من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلفٌ ، أما عائشة - رضي الله عنها - فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه ، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغيرها. وعن أسماء - رضي الله عنها - قالت: (قلت يا رسول الله: مالي مالٌ إلا ما أدخل عليَّ الزبير أفا تصدق؟! ) ، قال: (تصدقي ولا توعي فيوعي عليك). (رواه الشيخان). والإيعاء: جعل الشيء في الوعاء ، وأصله الحفظ والإيعاء ؛ أي: لا تمنعي ما في يدك ، فتنقطع مادة بركة الرزق عنك فإن مادة الرزق متصلةً باتصال النفقة ، ومنقطعةً بانقطاعها. قال النووي- رحمه الله -: (معناه الحثُّ على النفقة في الطاعة ، والنهي عن الإمساك والبخل). من أجل ذلك كله في مناقب أسماء وخاصة ذكرها غيرة زوجها الزبير عليها ، كتبتُ هذه القصيدة ، وجعلتُ عنوانها جواب أسماء الفاضلة العظيمة الجليلة: (فذكرتُ غيرة الزبير!). ذلك أني لم أجد أروع منه.)

بُؤت - في (دار السلام) - مقاماً ورزقت - فيها - بهجة وناما

وملائك الرحمن جاءت تحتفي  
وحباك رب الناس خير عطائه  
لما قرأت القول هذا شدتي  
(أسماء) خصي - بالرشاد - نساءنا  
لما مرقن من التعفف والحيا  
والغيرة انتحرت ، فسادت جرأة  
والنار شبت في المدائن والقرى  
والدار قد جرفت بسيل عارم  
ما هذه الفوضى؟ وما هو حدّها؟  
هذا التهتك والسفون كلاهما  
والفتنة انتشرت ، وسادت ريحها  
(أسماء) تذكر من شهامة بعها  
حفظته لما غاب حفظ تقيّة  
وتذكرت ما قد يعكز صفوه  
قاست ، وإن يك خاب كل قياسها  
لكنها احتاطت لغيرة زوجها  
للهم أكرمها ، وأعظم أجرها

تأقبي عليّ تحية ، وسلاما  
يامن ولاؤك - للحليل - تسامى  
وغدا الثناء - على الفعال - لزاما!  
إذ ليس يخشى جلهن ملاما!  
والناصح المقدام من كلاما  
وغدت أمارات الحياء خطاما  
وشواظها أمسى لظي وضراما!  
والسيل عم حرائرأ وكراما!  
إنني لأرجو للضياع ختاما  
بهوى التساهل والتبذل ساما  
والعف - من هول الفساد - انضماما  
ما يجعل البعل التقي هماما  
ترعى الذمار ، وتُعظّم الإسلاما!  
وهي التي - عن ذاك - لا تتعامى  
فعلام رفض سخا النبي؟ علاما؟  
كـيلا تُسبب جفوة ، وخصاما  
واجعل لها - في المحسنات - مقاما

## بقايا طعام

(دخلت أسرة مترفة مطعماً راقياً في مدينة عربية ، فطلبت وأكلت وأتخمت! فلما انصرفت الأسرة ، دخلت إحدى اللاجئات ومعها بُنياتها ليأكلن ما خلفته الأسرة المترفة من بقايا الطعام ، وذلك قبل أن يُحمل إلى صندوق القمامة! فتخيلتُ هذا الحوار بين الأم وابنتها قبل دخولهما المطعم! وتحت عنوان: (آفة الفقر والجوع) كتب الأستاذ حميد طولست ما نصه بتصريف زهيد: (آفة الفقر والجوع ليست قضية تحرير أو محاربة ، بل هي مسألة حياة أو موت ، لا يمكن تأجيلها أو غضّ الطرف عنها في أي مجتمع كان. فإن استشرت في حضرة البطالة وانتشار الميز بين طبقات المجتمع و تفاوتات مستويات الدخل ، تسَلل الفساد إليه ورافقه التخلف والانحطاط والجريمة ، لأنّ الجائع في سعيه إلى توفير احتياجاته ، قد يلجأ إلى أي تصرف سلبي دون اعتبار للعواقب ، أو التّفكير بأيّ أمر آخر مهما بدا سامياً وذا قيمة و قدسية ، فالجوع لا يعترف بقيم أو مبادئ وليس له دين ، وهو "كافر" كما يقول الناس! إنه في إعلانات الأمم المتحدة العالمي لحقوق الإنسان التي صادقت كافة أقطار العالم عليها مادة رقم 52 منها تنص على أنه: "لكل شخص الحق في مستوى معيشة يكفي لضمان الصحة والرفاهية له ولأسرته بما في ذلك الحق في المأكل والملبس والسكن والعناية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية". فالرفاهية من الأمور التي يتركها لمن تحملوا أمانة تدبير شؤون الناس من الساسة والحكام. فما يهمه من كل الهرج والمرج المحيط به ، هو حلمه بعدالة اجتماعية حقيقية توفر له ولأبنائه الحد الأدنى من أساسيات الحياة من تعليم وصحة وشغل ، وتحفظ حياته وكرامته في المجتمع ، وتمكن كل الفقراء من الحصول على الغذاء الكافي لملاء بطونهم و بطون ذويهم. الشيء الذي لن يتأتى إلا بتدخل الدولة لدعم السلع الأساسية لتكون في متناول الشرائح الاجتماعية المعوزة والفقيرة دون غيرها من الميسورين الذين منّ عليهم الوطن الكريم من ريع صناديقه الكبيرة العامرة. وقد بات معلوماً أنّ الأمن الاقتصادي والأمني متلازمان ، فكلما غابا أحدهما بسبب من الأسباب ، غاب الثاني نتيجة غياب الأول ، وبغيابهما تغيب العدالة ، وتعم الفوضى وكثرت الاحتجاجات التي غالباً ما تتحول في المجتمعات المتخلفة إلى انفلاتات وثورات يصعب ردعها. فالخطر يزداد كلما ازداد عدد الأفواه التي تبحث عن اللقمة ، وغياب العدالة يؤدي إلى العنف والي منطلق خذ حقك بيدك. لذا أصبح تدارك الأمور قبل تفاقمها ، وفقراؤنا مثل فقراء العالم ، لا يؤمنون بأن الاحتفال بيوم من أيام معاناتهم ، يسمى "اليوم العالمي لمكافحة الفقر" في السابع عشر أكتوبر من كل سنة - أو "اليوم العربي للفقر" المحتفل به في 8 يناير من كل عام ، قادر على القضاء على الفقر أو التقليل من مشاكل الفقراء الاقتصادية والاجتماعية ، التي يغرقون فيها).هـ. وأنا في هذه القصيدة تخيلتُ حواراً بين أم وابنتها دخلتا المطعم لأكل البقايا!

دَعِينَا نَقَمَم ، لا تخجالي  
وبالشـامت النـذل لا تحفلي  
متى هـؤلاء أحسّوا بنا  
ونحن - بذلّانهم - نكتوي؟  
لقد فاق إسرافهم قدرتي  
على وصفه المقرف المذهل!  
أليسوا يـرؤن عذاباتنا؟  
ألم يسمعوا بالمُصاب الجلي؟!

ألم يقرأوا اليوم أخبارنا  
أما هزهم هدم بُنياننا  
أما راعهم ما ابتلينا به؟  
ألم يأتهم شرّ أنباننا؟  
ألم يسمعوا باغتصاب النساء؟  
ألم يبصروا بمنازلنا  
ألم يبصروا بالدماء جرت  
يمينا رأوا حجوم مأساتنا  
فيا أم لا تعتبي ، إننا  
وتنتظر الفجر يُجالي الدجى  
وترقبُ نصر مليك السما  
هبينا طلبنا الحقوق التي  
ودان بها الكل من عصر  
فهل سوف نعطي ولو بعضها؟  
لنأكل (بقايا طعام) الألى  
قضاء الإلاه ، ولا مهرب  
ويارب أنجز لنا نصرة  
وغمة شعب لا تنجلي؟!  
وعيش أمر من الحنظل؟  
وإننا لنحمد من يبتلي  
ألم ينظروا هجمة الجفيل؟!  
ألم يبصروا بالأسى الممجل؟!  
تدك ، وكم تحتها من ولي؟!  
كبحر - بماء الدنا - ممالي؟  
لقد ضرب الشعب في مقتل  
ضحايا تُفتش عن مؤل  
ويؤدي بيل الضنا الأيل!  
هو الصبر يا أم لا تعجلي!  
أقرت بشرع الهدى المنزل!  
وسادت من الزمن الأول  
دعينا من الطغمة العذل  
يمارون في الموقف المخجل!  
فلا تنكئي الجرح ، أو تسألي!  
على الباطل الفاسد الأزل

## غسان أبو خضرة

(أنشد غسان أبو خضرة فأبدع في إنشاده العذب! وتلا القرآن فأبدع في التلاوة! ووشح فانطلق في عالم التواشيح إلى غير رجعة ، مستصحباً كل أنواع المقامات والألحان! وهذا المنشد القارئ الموشح المحاضر لم يقدمه لي أحد. إنما كانت جولة تصفحية للإنترنت ، فعثرتُ على بعض مواد الإعلامية ، تلك التي انفعلتُ لها وتذوقتها ، فكانت سبباً للتعرف عليه وإنشاد القصيدة المتواضعة تلك فيه وفي تلاوته وأنشاده وتوشيحها! ولم أجد لها عنواناً سوى إيراد اسمه كما هو! وذلك أن هذا الاسم يعني عن أي عنوان ، ولا أركيه على الله تعالى. والله حسيبه ووكيله. وإنما أنا أحسبه هكذا. وأطلب منه أن يوسع انتشاره أكثر ليعرفه القاصي والداني! في محاولة منه لأن يصل هذا الصوت الجميل العذب الشجي الرخيم إلى آذان المؤمنين في كل مكان! ولقد قال الأستاذ صالح بن أحمد بن محمد الغزالي الأستاذ المشارك بقسم الشريعة بكلية الشريعة – جامعة أم القرى في التعريف بالنشيد الإسلامي ما له وما عليه ما نصه: (إنه من خلال تعريف النشيد يتبين أن النشيد نوع جديد من السماع أحدث في هذا العصر - يحتاج إلى مزيد بحث وبيان حكمه - ويتميز عن السماعات القديمة المعروفة بالخداء والنصب والشجن. فمن أوجه مخالفته للخداء والنصب: أنه يُسمع ويُشَد في أماكن وأوقات متنوعة ، وغير مقصورة على ما كان يُنشد في الخداء والنصب ، كما أن في النشيد من المقاصد ما ليس في الخداء والنصب ، كإثارة الحماس والغيرة والعواطف الدينية. ومن أوجه مخالفته للغناء: أنه ليس مما يقصد به مجرد التطريب كإثارة الغناء ، وليس في كلماته ما هو في جنس كلمات الغناء من الحب والتشبيب والعشق. ومن أوجه مخالفته للسماع الصوفي: أن معنى التعبد والتقرب إلى الله مما لا بد منه في السماع الصوفي بخلاف النشيد ، وكذلك آلات اللهو وكلمات الحب والعشق والغزل لازمة للسماع الصوفي دون النشيد. ويشتمل الكلام على نشأة النشيد الكلام عن أمور: \* أصل النشيد. لم يُعرف النشيد بصورته الحالية قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجر ، إلا أن له أصولاً قديمة أرجعها المتكلمون على أصله - بحسب رأيهم فيه - إلى أمرين: الأول: أنه امتداد للخداء والنصب اللذين كانا ينشدان في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ومن بعده - رضي الله عنهم - ، مع تطور يسير ، بما يتناسب مع تطورات العصر الحديث. والثاني: أنه موروث عن الطرقيين من الصوفية ، مع تعديل لا بأس به في كلماته كالبعد عن الشركيات. أو غياب كثير من آلات اللهو في كثير منه. وأما مبتدأ النشيد فإنه لم يعرف بصورته الحالية قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، الذي اصطلح على تسميته فيما بعد بعقد الصحوة الإسلامية ، وكان ذلك في مصر والشام ، ثم انتشر في بقية البلدان. المطلوب الثاني: ابتداء النشيد في مصر والشام ، ثم انتقاله إلى بقية البلدان. كتب الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - عام 1954م ، مقدمه لمجموعة من الأناشيد الدينية ، للشاعر محمود أبو الوفاء ، وضمنها معنى الأناشيد الإسلامية اليوم، وقال: "هذه الطبعة الجديدة من الأناشيد ، فقد تمت بناء على رغبة بعض العاملين في حركة الأحياء الإسلامي ؛ لتتنفع بها ناشئة المسلمين ، أو ينتفع بها غيرهم ممن يريد أولياؤهم أن ينشأوا في ظلال الإيمان ، أو يتذوقوا حلاوة روح الدين ". لقد كان الداعي إلى ظهوره وانتشاره أسباباً متنوعة ، وأهمها: الأول: انتشار الأغاني الخليعة مما دعا أهل النشيد إلى منافستها والحد من انتشارها بواسطة بدائل النشيد. الثاني: انتشار الصحوة الإسلامية، لاسيما التجمعات الدعوية، والجماعات الإسلامية، الذين رأوا النشيد من ضرورة أساليب الدعوة. الثالث: تسلط الكفار على المسلمين، واغتصاب أراضيهم، لاسيما فلسطين (ردها الله من الغاصبين) وظهور الحركات الجهادية في مقاومة الكافرين). هـ. فتحية قلبية للقارئ المنشد غسان أبو خضرة!)

شـددا الفـؤادُ بأنغامٍ وألحانٍ      وأذهبـت روعـة الإنشـادِ أشـجاني



صُـبِّتْ بِقَافِيَةٍ شـجـوى وَأوزان  
والـروحُ تـسـبـحُ فـي تـقـوى ، وتـحنـان  
ببـاقِيةِ أصـبـحْتَ فـرحـي وسُـلـوانـي!  
زخـارفَ الشـدو ، تغـزو كلَّ آذان!  
مُنْعَمًا جَاءَ مِن تَأويب (عُـسـان)  
ولم يـزلْ يُتـحـفُّ الـدنـيا بألحـان  
واجهرُ بصوتٍ - على أسـماعنا - حـانـي!  
تحفلُ بما صـنعوا من كيد شـيـطان!  
وإن تـكنُ شـطـنـتُ عـنا بأزـمان  
إنـي عهـدُتُكُ ذا عـزمٍ ورُجـحـان  
يُثـيـرُها شـرَّ أقبـوامٍ وأعـوان  
شـريـعةً نصَّها مِن وحي قرآن  
مستصحباً كلَّ غـدارٍ وخـوان!  
بكل مـخبـثـةٍ رُزقوا وطغـيان  
وأدخـلوا الذوقَ فـي أوحـالٍ عـصـيان!  
أن الـديـارَ غـدتْ مأوى لـنـدـمان  
تأتي بكل صـدئٍ - فـي الـدار - رنـان  
رخيمـة الصـوت تـسـبـي كل هـيـمان!  
يوماً عليـك ، وعـشت مُبـجـل الشـان!  
بنـبـرة المـشـفقِ المُستبصر الـوانـي

وأطربتنـي تـرانيـمٌ مُزركشـة  
فبـت - مِن أـرج الأـصداء - مـبتشـراً  
أرجـع اللـحن - تلو اللـحن - مُحـتـفياً  
والنفسُ فاض - بها الحـنينُ - مُلـتـحـفاً  
وداعبَ القـلبَ تحبـيرٌ يُسـامـره  
فاق الجـمـيع ، ولم يُحـاكِ مِن سـبقوا  
(عُـسـان) غـردَ بما أوتيت مِن طـرب  
وكن بـديلاً لأصـحاب الغـناء ، ولا  
أنشـد - بصوتك - أشـعاراً مُعـبـرة  
واربأ بـنفسـك أن ألقـاك فـي تـرة  
ألا تـرى هـجـمة تغتـال هـيـتنا  
تتـال مِن قـيم أرسـت دعائـمها  
يقودها الغـربُ فـي سر وفي علـن  
يسـتـبدلون - بشـرع الله - بسـاطـلهم  
وأفـقدوا عـالمَ الإنشـاد طـهـرتـه  
و(الـرابُ) و(الـجاز) فـي الأصـقاع شـاهـدة  
وأصـبـحْتَ مـوضـة التـقـليـد سـائـدة  
(عُـسـان) وشـخ ، وأطـلقـها مُدوِية  
لا فـضَ فـوك ، ولا حُـسادك انتـصـروا  
وعـشت ما عـشت تُشـجـينا ، وتُطـربنا



إذ لم تعد عيشة تُرجى بأوطان  
وكابدت كيد طاعوتٍ وغُدوان  
وسُربل العِز في سر وإعلان  
وباء من رضخوا بسوء خسران  
ولم يكن بأسهم إلا بسُلطان  
وخيبة جثمت في كل بلدان  
بخيرة الصحب في تقوى وإيمان  
به نعيش على نور وتيمان  
يُصغي لصوتك في شوق وإمعان  
نعم التغني بترجيع وإتقان!  
حيكت شرافتها من فيض رضوان!  
تُرجي الخُداء كغربون وقربان!  
وتستجيشُ شجونَ المُكره العاني  
وكم يكافأ معطاءً بشكران!  
وُدمت في سعةٍ ، وفضل إحسان!

وإن تكن عشت في منفى تضيق به  
نأيت لَمَّا رأيت الدارَ قد سُلبت  
ولم تعد - لرطيب العيش - صالحة  
واحتج قومٌ على الأوضاع ، فامتحنوا  
واستأثرت - بخيور الدار - شردمة  
وبات عبئاً - على الأحرار - يُحرجهم  
(غسان) رتل كتاب الله مُقتدياً  
كتابُ ربك - للأخلاق - يُرشدنا  
عطر صلاتك بالقرآن في ملاء  
صدقاً تغنيك - بالقرآن - مكرمة  
لمست فيك بداياتٍ لمدرسةٍ  
وأنت - في الغربية الشجوا - مؤسسها  
تُهدي المقامات من هوى طلاوتها  
ونحن نشكر ما قدمت من دُرر  
تقبل الله منك البذل أجمعه

## يا ابن عم لا تتركنا

(رحل عن دياره ذلك الموفق الصالح ، ثم عاد بعد سفر طال عقداً من الزمان. فإذا ببنيات عمه الوحيد وقد صرن عرائس. وفي ظل التردّي الذي تعيشه المجتمعات ، فرطن في جنب الله ، ولم يتعلمن الإسلام! شأنهن في ذلك شأن ملايين البنات والأبناء في الأرض اليوم! فلما زار ذلك الموفق عمه ، أقبلن البنات يسلمن عليه وعلى زوجه. فأدرك ما هن عليه من البعد عن تعاليم الدين. وهاله تأثرهن الزائد عن الحد بالجاهلية وأهلها. فراح يعرض عليهن التعاليم والأحكام. وأحست البنات بتقصيرهن الشديد وتفريطهن في جنب الله. وأحد المفاتيح في تربية وبناء النفس أشار إليه الأستاذ الداعية الفذ عبد الله بن سعيد آل يعن الله في محاضرة له تحمل العنوان ذاته هو (المفتاح الثاني عشر / الشعور بالتقصير) يقول ما نصه: (لقد مات عند كثير من الناس الشعور بالتقصير ، حتى ظنوا بأنهم على خير عظيم ، فغياب الشعور بألم الذنوب الصغيرة مثلاً ، وسيلة كبرى إلى اقتراف ذنوب كثيرة! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: { إياكم ومحقرات الذنوب فإنها إذا اجتمعت على العبد أهلكته}. وقس على ذلك العبادات ، وطلب العلم ، وإصلاح النفس ، والاهتمام بالدعوة. ومهما كان الإنسان ، ومهما كانت همته ، إلا أنه دائماً يُشعر نفسه بأنه مقصر ، وأنه مفرط ، وليس ذلك من أجل اليأس والإحباط ، وإنما من أجل الرقي ببناء النفس ، وإعطائها الاهتمام الأكبر. ومن الوسائل العملية التي تساعد الإنسان على الشعور بالتقصير ما يلي :-

\* صحبة أصحاب الهمم ، لأن ذلك يُفضي مباشرة إلى الاقتداء ، واكتشاف الضعف الذي لديك ، وهذا مؤشر قوي في اكتشاف نفسك من ناحية التقصير. \* معاتبة النفس عند ضياع الوقت. فعاتب نفسك المرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة. وليكن العتاب الأخير أقوى من الذي قبله ، حتى تتهذب نفسك من حب الفوضوية في التعامل مع الأوقات. وقد أعجبني ما قاله ابن القيم رحمه الله: (وجميع المصالح تنشأ من الوقت ، فمتى أضيع الوقت لم يستدركه أبداً). \* إذا عملت العمل (أياً كان العمل) فلا تنظر له بأنه قد وصل إلى درجة الكمال ، بل أشعر نفسك ، بأنك لم تبذل طاقتك في إنجازه على الوضع الصحيح ومن ذلك مقارنته بأعمال شبيهه له في المضمون ، وأفضل منه في الكيف. \* تذكر الآثار السلبية التي تنتج من عدم الشعور بالقصور وذلك بمعرفة السلبيات التي اختلجت هذا العمل. \* معرفة طبيعة النفس ، وتكييفها على الأعمال التي ينبغي أن تمارس). هـ. فأخذن البنات يسألن ابن عمهن وزوجه حتى منتصف الليل وهو صابراً محتسب. وأخذت زوجته تبذع في الإجابات وعرض حقائق الإسلام وأحكامه بطريقة زكية. وفي النهاية أدركت البنات أنهن غريقات ، وأن على ابن العم هذا وزوجه انتشالهن. فرحن يُكثرن الإلحاح بأن لا يتركهن للضياع. وأن أسئلة كثيرة لا تزال تعتمل في الأذهان والقلوب. ولا بد من الإجابة عليها. وإذن فزيارة واحدة لا تكفي! وإنما كان الطمع في سلسلة من اللقاءات المتتالية ، تلك التي الهدف منها التعليم والتوجيه! ووعدت البنات بتجهيز الأسئلة والاستفسارات مسبقاً! فأخذتني رقة ذلك فأنشدت:

سننظرُ - في الملتقى - الأسئلة      مُصدرة بسنا البسمة  
ونبذل - للضيف - إكرامه      فإن له - عندنا - منزلة  
ونأمل أن يستجيب النداء!      محبتنا - في الله - أقوى صلة

ونرتقبُ الخيَرَ مِنْ مُحسِن  
فنترعُ كأسَ السوَالِ رجا  
لقد ينفَعُ العِلمُ أربابَه  
ونحنَ الجهولَاتُ ، فإرفقُ بنا  
جهننا تعاليمَ إسلامنا  
وخزنا الشهادَاتِ تُزري بنا  
ولم نمثّلْ هَذي قرآننا  
عدِمنا - على الدرب - أهل الهدى  
وطالت ليالي الأسى والشقا  
ولمّا نحسّ بأوضاعنا  
رحلتْ وخلفتنا عُصبة  
وشط الرحيل ، ولم ننتبه  
لقد مرَّ عقْدُ كريح الصبا  
إلى أن أتيت فبصرتنا  
عروسً ، ولم تذر ما دينها  
ألا يا ابنَ عمّ تصدّق على  
بنيات عمّك تُقن إلى  
تعلّمنا الحق مُسترشدا  
رعاك المليكُ أخاً صالحاً

إلى مَنْ يُعاني من مُرّ البأسِ!  
عساك تُجيبُ على الأسئلة!  
فبالعلم تنتحرُ البلبلة  
فمسألة - بعدها - مسألة  
وبئسَ الحماقَة والمجهلة!  
وأحوالنا فجّة مُخجلة!  
ولم ندر منه سوى البسمة  
وبؤنا بأوجاعنا المثقلة  
علينا بأستارها المُسدلة  
وكانت - إلى حتفنا - مُوصلة  
هنالك - في الغي - مسترسلة!  
فسرعة أحوالنا مُذهلة  
ونحن قطعنا به مرحلة!  
وأنهيت ما كان من مهزلة  
ألا إنها النكسة المعضلة!  
صبايا عمدن إلى الحوقلة!  
لقاءٍ يُوّدي إلى سلسلة!  
على الحق أنفسنا مُقبلة  
وجُنبت - عن بَذلك - المبخلة

## عمار

(عمد إليه الجلاوذة فأردوه قتيلاً ، ذلك الشاب الطائع العابد الذي لا نزكيه على الله ، والله وكيله وحسيبه ، وإنا لنحسبه هكذا ، كما نحسب على الله تعالى أن يكون قد قبضه إليه شهيداً حياً! وكان من المنتظر مني أن أعزي أهله ، غير أنني أبيت محتجاً عليهم بأنه لا يُعزي في الحي ، إنما يكون العزاء في الميت! قال جابر - رضي الله عنه - في صفة حجه - صلى الله عليه وسلم -: (أفتدرون أي بلد هذا؟) (قلنا: الله ورسوله أعلم ، "فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال: أليست بالبلدة الحرام؟ ، قلنا: بلى) (قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم (إلا بحقها ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا) (إلى يوم تلقون ربكم) (ثم أعادها مراراً) (ألا إن المسلم أخو المسلم ، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه) (وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً) وفي رواية: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: (اللهم هل بلغت؟ ، اللهم هل بلغت؟) (ثلاثاً ، كل ذلك يجيبونه: ألا نعم) (قال: اللهم اشهد ، اللهم اشهد) (اللهم اشهد - ثلاثاً). وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: (بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحرقة من جهينة) (قال: فصبحنا القوم (فقاتلناهم ، فكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتهم قال: فغشيتنا أنا ورجل من الأنصار) (فلما غشينا قال: لا إله إلا الله ، فكف عنه الأنصاري ، وطعنته برمحي حتى قتلته) (فلما قدمنا بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لي: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟) (فقلت: يا رسول الله ، أوجع في المسلمين ، وقتل فلاناً وفلاناً ، وسميت له نفراً ، وإنني حملت عليه ، فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أقتلته؟ قلت: نعم ، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟) (فقلت: يا رسول الله ، إنما قالها خوفاً من) (القتل) (قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟) (كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ ، فقلت: استغفر لي يا رسول الله ، وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟) (قال: فما زال فكرها علي حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم! وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا من مات مشركاً ، أو مؤمناً قتل مؤمناً متعمداً". وإذن فهي البطولة يا عمار يا ولدي وأنت تلقي عدوك مقبلاً غير مدبر ، في شجاعة وإقدام! تلقاه وقد أفسد عليك دنياك ، وأنت أفسدت عليه آخرته! تلقاه وأنت توقن أنه ظالم مجرم ، وأنت بريء مسلم ، وعند الله المنتقم القهار الغالب العزيز الجبار المتكبر تجتمع الخصوم! تلقاه عند الله الذي يثأر لأوليائه كما يثأر الليث الحرب! نسأل الله أن نكون وإياك منهم! وسوف تأتي يوم القيامة ، ويأتي معك قاتلك وأنت تمسك بتلابيبه ، وتخاطب ربك تبارك وتعالى قائلاً: يا رب سل هذا فيم قتلني؟! والله إنها لبطولة تسجل في سجل الخلود يا عمار! بطولة تحاكي ما كان عليه الرعيل الأول ، من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -! وعن البطولة وتحت عنوان: (مفهوم البطولة في الإسلام) يقول الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحصين ما نصه: (لقد جاءت غزوة أحد ، فكانت إصابات المسلمين في أنفسهم وفي جراحات النبي صلى الله عليه وسلم أعظم درس تربوي محمص للمسلمين ، ليعرفوا وخيم عاقبة مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمره عموماً ، ولاسيما إذا علموا أنهم مختارون ليكونوا حملة الإسلام إلى الناس في أقطار الأرض ؛ لذلك بين لهم خطورة الاختلاف وحب الدنيا وإرادتها ، وأن ذلك هو السبب فيما حل ويحل

بالمسلمين ، والله تعالى يقول: {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين}. نعم ، لقد نصرهم الله تبارك وتعالى على عدوهم إلى أن كان منهم الفشل والتنازع وعصيان بعضهم لأمر القائد صلى الله عليه وسلم ، عند ذلك تبدل النصر إلى هزيمة ؛ لأن الله تعالى إنما وعد المؤمنين النصر بشرط التقوى والصبر على الطاعة ، وفي هذا إيماء إلى سنة من سنن الله عز وجل في أخلاق البشر وأعمالهم على المستوى الفردي أو الجماعي ، وهي أن المصائب التي تعرض للمسلمين في خاصة أنفسهم أو في شؤونهم العامة ، إنما هي آثار طبيعية لبعض أعمالهم ، ولكن الله تعالى قد يعفو عن بعض الأعمال التي لا أثر لها في النفس ، وليست ملكة ولا عادة لها ، بل صدرت هفوة غير متكررة ، وهي التي عناها سبحانه وتعالى بقوله: {ويعفو عن كثير}. فينبغي أن نأخذ من أحداث غزوة أحد وابتلاءاتها عبراً تنفعنا إلى آخر الدهر ، ولا سيما إذا استعرضنا التجربة التي مر بها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورأيانهم يخرجون من محنة أحد بإيمان قوي ، وعقيدة راسخة وشجاعة فذة نادرة ، وعزيمة حازمة ، وثقة بالله لا يوازيها شيء ، وكانت سراجاً أضاء الطريق أمامهم في سيرهم برسالتهم ، وجعلتهم يضربون المثل الطيب والأسوة الحسنة في مواقفهم الكثيرة ، وحرصهم على طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم والتزامهم أمره صلى الله عليه وسلم حتى آخر رمق في حياتهم ابتغاء مرضاة الله تعالى والشوق إلى جنته. وقد خلد لنا الإسلام سلاسل مضيئة من أعلام رجالنا الكرام ، كان لهم النصيب الأوفى من البطولة والفداء والصدق والوفاء ، ونزداد إعجاباً بأولئك السابقين من أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نجد أحدهم يذوب خشية وعبادة لربه سبحانه في محرابه كأنه لا شغل له سوى التعبد والتهجد ، فإذا نادى المنادي: حي على الجهاد ، نقل محرابه إلى الميدان وجاهد في سبيل ربه خير جهاد ، ثم بذل جهوده هنا وهنا في مسالك الحياة وشعابها صالحاً مصلحاً ، راغباً في أن يكون عند الله من المقبولين ، قال تعالى: {والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم}. وقد عرف تاريخ الإسلام أبطالاً قاموا بأدوار على قدر عظيم من الأهمية دون أن يكشفوا عن شخصياتهم ، أو ييوجوا بأسمائهم ، وقد سجل التاريخ هذه المواقف تحت أسماء مجهولة ، ومن هؤلاء صاحب النقب ، هذا البطل الذي استطاع أن يفتح ثغرة في سور دمشق بعد أن حاصرها المسلمون طويلاً وحاولوا مرات ، غير أن هذا البطل الذي لم يعرف التاريخ اسمه ، ولم يكشف هو عن شخصيته ، اندفع على رأس فرسه وسهام العدو تنوشه من كل مكان دون أن يتوقف أو يرتد ، حتى بلغ الجدار فأحدث فيه نقباً ، ثم اخترقه إلى داخل السور وكبر ، فكبر المسلمون وعبروا إليه ، فلما انتهت الموقعة ظن قائد الجيش محمد بن مسلمة أن صاحب النقب سوف يتقدم إليه دون جدوى ، هنالك نادى في الجيش أن يتقدم ، فلم يتقدم أحد ، ووعد ثم هدد ، وبينما هو جالس في خيمته تقدم إليه رجل فقال له: أيها القائد ، هل تريد أن تعرف صاحب النقب؟ قال: نعم ، قال: أنا أدلك عليه إذا أعطيتني العهد على ألا تسألني عن اسمي ، فقال القائد محمد بن مسلمة: لك عهد الله علي ألا أسألك عن اسمك ، قال: أنا هو ، وانطلق خارجاً من خيمة القائد ينتظر حسن الثواب من الله تعالى يوم يقوم الحساب ، ولم يتطلع إلى الحظ العاجل وإذاعة أخباره واسمه ، وهذا الصنف الكريم يجلي لنا العبر ، ويعطينا الموعدة الحسنة ، نعتبر بأن الله تعالى وحده هو الذي يجزي على العمل ، وقد وضح لنا هذا المعنى عندما أقبل وباء المرتدين المجرمين بقيادة مسيلمة الكذاب ، وخرج جيش الإسلام ليرد ذلك الطوفان ، وكان فيه البراء بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ولم تكن المعركة يومها سهلة ولا ميسرة ، واشتد القتال بين المؤمنين والباغين ، وهناك رفع البراء بن مالك صوته ينادي في المجاهدين: «يا أهل المدينة ، لا مدينة

لكم بعد اليوم ، إنما هو الله والجنة» ، أي لا تذكروا في هذا الموطن أنفسكم ولا أهليكم ولا بلدكم ، بل اجعلوا كل همكم أن تنصروا الله ربكم جل جلاله ، وأن تأخذوا الطريق إلى جنته عن طريق الجهاد في سبيل دينه ودعوته. فالبطولة الإسلامية لم تكن الإعلان والشهرة ، وإنما هي التماس رضا الله عز وجل ، وتحرير العمل لوجه الله تعالى وإخلاصه للحق وحده. وهكذا نرى البطولة والانتصار يخدمان قضية الإسلام وهدف الدعوة إليه. ولا يقل عمل المصلحين الذين يصححون المفاهيم المنحرفة عن المجاهدين الذين يردون كيد الأعداء ، ويحمون بيضة الدين ، ويتساوى في الإسلام مداد العلماء ودم الشهداء ، ولقد كان تاريخ الإسلام قائماً دائماً على القدرة المتجددة في أن يبعث البطل الذي يقود المعركة ، ويواجه الأزمة ، وكلما تجمعت التحديات في وجه المسلمين برز القائد العالم المجاهد الذي يحمل اللواء ، ويقود الجماعة في معركة مقاومة ، سلاحها المصحف والسيف ، وكانت الأحداث والأزمات دائماً قادرة على أن تدفع المسلمين إلى الوحدة والتجمع تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حتى يحقق الله عز شأنه لهم النصر. وتكاد تجمع المعاجم العربية على أن البطولة هي الشجاعة الفائقة التي لا يتصف بها إلا قليل من البشر ، ويقدم ابن منظور في «لسان العرب» أسباب هذه التسمية بقوله «سمي بطل لأن الأشداء يبطلون عنه ، أو أن دماء الأقران تبطل عنه ، فلا يدرك لهم ثأر» ، أما معجم أكسفورد فيرى أن البطل Hero هو «المحارب العظيم والمقاتل الشجاع». وللبطولة ركانز لا تخفى على أحد ، أولها فيض الحيوية ، إذ إن البطل يتمتع بقوة بدنية فائقة ، بغض النظر عن حجم جسمه ، طويل أو قصير ، سمين أو نحيل. ولم يعرف التاريخ بطلاً غير موفور الصحة ، أو متداعي البناء ، بليد المشاعر والإحساس. وثانيها رسوخ العقيدة ، بوصفها القوة التي تهيمن على الفكر والمشاعر والعزيمة ، وتحمي الفرد عند الملمات ، وتمده بطاقة على الصبر ، وتملأه بالاطمئنان وقت القلق ، والثقة وقت الاضطراب ، وتجعل العظام تصغر في عينيه ، ما دامت باطلاً ، والصغائر تكبر في نفسه ما دامت حقاً. هـ. وأنا أكاد أجزم أن الطواغيت قتلوا (عماراً) ظلماً وعدواناً قتلهم الله به عدد خلقه! والآن أقدم تعزيتي شعراً في الشهيد الحي لأهله وذويه وأصدقائه!

فيم العزاء وما قضى (عمار)؟	والشاهد المتكبر الغفار
أولم يقل: إن الشهيد مُنعم	بحياته ، ويزفه الأخيار؟
مستبشراً - بالفضل - من رب الورى	وبنعمه يحظى - بها - الأبرار
في جنّة طابت لأصحاب التقى	فليحتفّل - بنعيمها - الغفار
عند المليك يعّمهم بعتائه	نعم الجزا نالوا! ونعم جوار!
في جنّة - فيها - الخيور جزيّة	تجري - وربى - تحتها الأنهار!
في جنّة الرحمن أجمل منزل	نعم الثواب لهم! ونعم الدار!
فيها الذي لم ترى عيناً ، ولا	سمعت به أن ، فمنع فخار!

قلوب امرئ ، وبذا أتت أخبار  
من أنبياء ، وحولهم أظهار  
وهم - لدين إلههم - أنصار  
لم تثنهم عن نصره الأعدار  
لما تشبب أيامه الأوزار  
وهب الحياة الواحد القهار  
قلنا: قضاء الله والأقذار  
حتماً ، فليس من القضاء فرار  
ولقد تزيغ - عن الردى - الأبصار  
فيها عقول العالمين تحار  
من بعده يتفرق الخصار  
في ماتم أصحابه الزوار  
أنى يكون لمثل ذلك وقار؟!  
من فكرة ذيعت بها الأسرار؟  
ولكم - بسمعك - غردت أشعار!  
هي غفلة ، ودواؤها الإنذار!  
فأقم دليلاً أن قضى (عمار)  
وهناك - في قرآننا - الآثار  
والدمع - فوق ربوعها - مدار  
من أن تقول: اغتاله الغدار!

فيها الذي - والله - لم يخطر على  
وهناك - في الفردوس - (أحمد) والملا  
والصالحون ومن بنهجهم اقتدى  
والقوم كانوا - في الإله - استشهدوا  
والناس - صديقين - عاشوا عمرهم  
(عمار) نحسب به شهيداً عند من  
لما أتى (عبد الكريم) بخبره  
ما شاء ربك أن يكون فكائن  
هي ميتة خط المهيمن وصفها  
هي ميتة تأتي الحياة بعيدها  
كم ذا نشيخ - للمقابر - ميتا  
وخلاله تطوى ، ويفنى ذكره  
إذ إنه لما يعيش لفضيلة  
أعلمت يا (عبد الكريم) مرادنا  
لما تكن لغزاً ليصعب فهمها  
لأن أعزى في الشهيد ، فلا تقل:  
إن العزا - يا صاحبي - فيمن قضى  
وأنا أقمت - على الحياة - أدلة  
(ظفر) تُعزى فيه خير شبابها  
وتوبن البطل الشهيد ، وتتقي



إذ إنَّ رأسَ طغَمِهم (فشار)!  
وعلى - تقياة دياره - كَرار  
وكانهم هتافاة أغرار  
ولهم - على تقية ياهم - إصرار  
وعلى الضحية أحكمت أدوار  
وعلى الطغاة الكأسُ سوف تُدار  
أما لأصلل الأم (فالنجار)  
ووصية هي - في الدجى - أنوار  
وعلى الشفاعة تُسدل الأستار  
وجبث لهم - يوم الحساب - النار  
هيا احتسب يا أيها الصبار  
ماذا له؟ ماذا أعد لمثله الستار؟!  
عند المليك ، له الجنان ديار  
يدُربه ، قولي - لك - استذكار  
صلى عليه الراحم الغفار  
أم قد سببا أطيابك (العمار)؟!  
في (العكبوت) ، وإنها أطوار  
بك لا حقون ، يطالنا الإدبار  
عما أتوا تتورغ الأعيار!  
لا يسرتوي الحق راء والكبار!

هي لا تصدق ما يقول عِداته  
هو ليس يصدق إن تحدث لحظة  
وليه جلاوذة تُنفذ أمره  
قتلوا الشهيد ، ولم يُراعوا حرمة  
والمسرحية أتقتت حلقاتها  
(عمار) لست ضحية مَرخوصة  
لأبيك إنك طيبٌ من (طيب)  
والى أبيك أرف عذب تحيتي  
يوماً سيشفع - للأقارب - شباكهم  
سبعون قد عضلت بهم آثامهم!  
ماذا تؤمل بعد هذا من عطا؟  
إن كان يوماً سوف ينقذ غيره  
لا تسكب العبرات في حي غدا  
(عمار) قد خطت سني حياتيه  
واذكُر مصابك إذ فقت (محمداً)  
أوليس جدك (طيباً) ، كن طيباً  
أوما قرأت (لتبانون) وأختها  
(عمار) يا ولدي سبقت ، وإننا  
هم أفسدوا دنياك ، لا تعبأ بهم  
أما دماؤك أفسدت أخراهم

أبدأ ، (وعقبى الظالمين النار)  
ويفوز بالرضوان الابن البار  
في وجهه كل تشرق الأنوار  
بشري أتاكم ظلها المغزار  
فقد النبى مصائبنا الهدار  
هذا ورب الناس بنس العار!  
هل من تلاقائه خوَار؟!  
له واجس يُذلي بها الأشرار  
فبالاصطبار سترحل الأكرار  
ولسوف يأخذ ثأره الجبار  
أن لا يُجندل عزمه استتبار  
إذ جاهدت ، هل مثل ذي تنهار؟!  
ستون أو سبعون ، فميم نضار؟!  
ليكن - على أناةك - استغفار  
ما العيش إمارق المختار؟!  
لا فض فوه ، ولا قلبى السمار!  
وأنا سمعت ، فشديني استبشار  
فقصيدة الأديب منار  
وكانها - فى الغيب - الأقمار  
حتى رأت - بعيونها - الأنظار

ومقامك الأسمى الجنان هنيئة  
ما مت يوم قتلت ، بل نلت الفنى  
سبعين قد زوجت فى دار الهنا  
أبشر أبا (عمار) ، وافرخ ، إنها  
حتى تهون عليك كل بليئة  
إنى أعيدك أن يُسربلك الجوى  
اصمد ، ولا تك فى البليئة وانيا!  
ووصيتي لئلا أن لا ترعوى  
كوني كخساء الحنيفة ، واصبري  
واسترجعي رب السماء ، وحمدلي  
وتذكري (أسماء) تُوصي ابنها  
وتذكرها ليايلة استشهاده  
يا أم (عمار) قصير عيشنا!  
وسنلتقي (عمار) يوم قيامة  
وتذكري موت النبى لتهديني  
وأعود للذي هو شاعر  
جعل القصيدة - فى اللقاء - عزاءه  
فطفقت أنسج - فى المصاب - معارضاً  
أبياتها تهدي السراة سبيلهم  
جلت - عن الأنظار - ما حُجبت به

أواه هل يرقى - بها - الإكبار؟  
حاولت ، إن بضاعتي استشعار  
شأني كمن سمعوا القصيد ، فغاروا  
وليه - إلى بر الأمان - مسار  
لا يستوي القبطان والبحار!  
لينفذوا ما قاله الـديار!  
إن كان عز - الآن - هذا الثار  
إننا إذا حان اللقاء ثوار  
ويبوء بالتكفين قوم ثاروا  
ونصون يجمع صفا استنفار  
فليس قط المتغلب الختار!  
وكأنه - بين العدا - سمسار  
ويزول رأس حطه استعمار  
ويطل - من قبح الظلام - نهار  
ويحز - أعناق العدا - البتار  
بل نحن - في أصفادنا - الأحرار  
ولسوف تخلو منكم الأقطار  
ولسوف يطوي المفسدين خسار  
يا مجرمون كفاكم استهتار  
والبعض أعلنها فلا إنكار

إنني لأخبّر ناصها ورموزها  
قطعاً له السبق الجليل ، وإن أكن  
هو خط درياً ، ثم سرت خلفه  
هذا هو القبطان فوق سفينه!  
وأنا - على هذي السفينة - مبحر!  
وأقول للفجار من سفكوا الدما  
يوماً سناخذ ثأرنا وحقوقنا  
يوماً سنمنح في الدنا أكتافكم  
يوماً سنظهر للأنام ضلالكم  
ونذيق أهل البغي سوط عذابنا  
لانستكين لمجرم خان الحمى  
ما انفك يعقد بالدسائس صفقة  
يوماً ستتحر الزيوف جميعها  
يوماً سيبزغ فجر جيل كادح  
يوماً ستتهزم الجنود ذليلاً  
لا شيء يدعى النذل في قاموسنا  
يوماً سندحركم ، ونوهن كيادكم  
أفسدتكم في الأرض ، وفق مزاجكم  
وبغيتم ، والله مهاك بغيكم  
وكم اغتصبتم من نساء حرائر!

وكم اعتديتم ، واسـتـبـجـتم شـعـبـكم!  
أسـمـعت بالعلماء يُحـبـس جُلهم  
أسـمـعت بالأدباء يُنـفـى جمعهم  
أخـزاكم المولى ، وأخـمد نـاركـم  
رب اكفناهم ، أنت أعلم بالذي  
لا ببارك الله المهيمن سـعـيكم  
أعداؤنا أنتم على طول المدى  
للهم دمركيذ قوم أجرموا  
هدموا البيوت ، وشردوا أربابها  
قتلوا بدون جريرة خير الورى  
رب انتصر ، إنا غلبنا غنوة  
قد غرهم حليم الإله عليهم  
إن لم نكن أهلاً لنصرك ، فانتصر  
وارحم إله الناس (عماراً) ، وكن

فهل احـتـلـل جاهدته ديار؟  
ليدننن الطبال والزمار؟  
ليعربب سد السـكـر والخمار؟  
وأدال دولـتكم أيا فجار  
جاؤوا ، فأنت ملاذ من يـحـتـار  
إن المليك - على العدا - جبار  
ووجـدكم فينا أذى وضرار  
وعلى التقاة الصالحين أغاروا  
وبهم تكابد - هولها - الأمصار  
ودمنا من قتلنا وهم أنهار  
أرسل جنودك تبتلي من جـاروا  
أغـث التقاة فقد سرت أخطار  
لشريعة فيها الأرائل مـاروا  
ففي عونـه إذ عز الاستنصار

## مريم

(ما أن قرأت التقارير الطبية الخاصة بهذه الطفلة المبتلاة ، حتى رثيت لحالها ، ورحت أدعو لها ، وأترجم تعاطفي معها ومع حالتها الصعبة شعراً.)

عسى تُشافين من داءٍ ومن سقمٍ      وتبلغين الذرى في الرشد والعظم  
وإن تكن حيل التطيب قد عجزت      فأبشري بشفاء الواحد الحكيم  
لمّا قرأت تقارير الطبيب رثى      قلبي ، ولكت الأسى من شدة الألم  
وسربل الحزن إحساسي وعاطفتي      وراعني ما رأيت عيناى من إزم  
وراعني ثقل البلاء ، أشهد هذه      في عادة رضخت للبووس والنقم  
فناولتني ابتسامات منمقة      من بعد أن لم يكن شئ من البسم  
وشاطرتني بللاء منيت بها      وخففت ما أعانيه من القخم  
وجففت دمعاً تهتاج لأعجاة      وضمدت كدمات تسبب دمي  
وأرسلت أملاً فاحت نضارته      يرضي الفؤاد بذى الأقدار والقسم  
تقول: هذا - من الرحمن - طببت به      نفساً ، وكم خصني - في الناس - بالنعيم!  
لعله الخير نلناه بلا نصب      أو الكرامات حيزت دونما غرم  
لعلها الدرجات الشمّ نبلغها      بما ابتلينا بأمر الواحد الحكيم  
لعله قدر يفضي إلى شرفٍ      في جنّة الله ماوى كل ملتزم  
لعله المجد يحدونا ويغمرنا      أو لطف ربى أتى في جملة الرُحم  
فالحمد لله في اليسرى وضرتها      يارب فاختم لنا بخير مختتم  
واغفر لنا ربنا ما كان من زل      واصرف - عن القلب - ما يرين من غمم

## الأعمال بالخواتيم

(في يوم عُرسها ، وبعد أن وضعت زينتها لتكون بين صويحباتها بالمنظر البديع اللانق بالمناسبة ، هناك وسط النساء بعيداً عن أعين الرجال ، وأدركتها صلاة المغرب ، وأرادت أن تتوضأ ، وإذا فعلت فإن المكياج والزينة والمساحيق والكريمات سوف يزيلها الماء ، فأشارت عليها أمها أن تجمع المغرب مع العشاء فإنها ضرورة. فقالت البنية المحبة للصلاة المؤثرة لطاعة ربها: لا ، ليست هذه ضرورة. واستمرت على ذلك ، وذهبت وتوضأت وأسبغت وضوءها على مكارهه غير مبالية بالمكياج وما شاكله ، قائلة بلسان الحال والمقال: وعجلت إليك ربي لترضى! ولم تقدم بين يدي الله ورسوله. وبينما هي ساجدة قبضت روحها فكانت خاتمتها سجوداً بين يدي الله! والله حسيبها ووكيلها ، ولا نزكي على الله أحداً. والأصل أن يحافظ المسلم على الأذكار الصحيحة رجاء أن يموت على أحدها ، فتكون ميته ميتة حسنة يحبها الله ويأجره عليها! حتى إذا قبض العبد وقد ذكر هذه الأذكار ، قبض على عمل صالح ، ومن أجل ذلك خلصت نيات المؤمنين وصدقت مع ربهم ، رجاء أن يقبضهم الله على نية حسنة ، ومما يعين عليها الإكثار من الأعمال الصالحات ، فما أكثر عبدٌ من عمل صالح إلا وتوفاه الله - سبحانه وتعالى - على ذلك العمل. قال أهل العلم رحمهم الله: من صدق قراره إلى الله ، صدق قراره مع الله ، فمن صدقت توبته ورجوعه وإنابته إلى ربه ، صدق قراره ومسيره وهديه على صراط الله حتى يلقي الله - تبارك وتعالى - هذا الهم الذي أقض مضاجع المتقين من قبل ، وأرق الصالحين من عباد الله. وأورد ابن خلكان رحمه الله في وفيات الأعيان ، في ترجمة يوسف بن أيوب الحمداني ، أنه كان عبداً صالحاً محبوباً من الناس ، فبينما هو ذات يوم في درسه ، إذ قام رجل من الصالحين ظاهراً ، يقال له ابن السقاء ، وكان يحفظ القرآن وعنده شيء من الفقه ، فقام ذلك الرجل يسأله مسائل يريد بها أن يسيء الأمر في حلقته ويشغب عليه وجموع الناس حوله ، فلما أكثر عليه قال يوسف بن أيوب لابن السقاء: اجلس فإني والله ، لأشم من كلامك رائحة الكفر ، وأظنك ستموت على غير ملة الإسلام. فمضت أيام قدم فيها وفد من ملك الروم إلى الخليفة، فلما خرج الوفد عائداً إلى القسطنطينية، تبعه ابن السقاء وذهب معه واستقر به الأمر في تلك المدينة ، فما لبث فيها أياماً حتى تنصر - والعياذ بالله - وأعجبه ما عليه النصارى من دين ، وخرج من ملة الإسلام ، فبقي فيها وكان يحفظ القرآن ، ثم قدر لرجل من أهل بغداد أن يذهب إلى تلك البلدة لتجارة له فوجده مريضاً على دكة وفي يده مروحة يذب بها الذباب عن نفسه ، فقال له: يا ابن السقاء إني كنت أعهد أنك تحفظ القرآن فهل بقي من القرآن في صدرك شيء؟ قال: لا ، ولا آية ، إلا آية واحدة: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ". وأما صاحبة قصيدتنا العروس الساجدة ، فأنشدت أحبيها وأكبر فعلها وميتها.)

غدا السجود - على القنوت - برهانا	عساك جوزيت - بالإحسان - إحسانا
لا شيء كالصدق - في الإيمان - يعصمنا	من الركون - إلى الأهواء - أزمانا
ولليقين صدق في قلب صاحبه	يزيده - إن سباه الوهم - إيماننا
وللصمود - إذا حلت المرارة - أرح	يهدى الفؤاد قناعات ورجحاننا
صدقت ربك في سر وفي علن	وبيات موتك تأبيناً وإعلاننا

أُـمـسـتْ - عـلـى قـوّة الـإـيـمـان - عـنـوانـا  
بـهـا المـحـاسـنُ ، بـات الحـسـنُ بـرـهـانـا  
وإن - فـي تـركـهـا - إثمـاً وخصـرانـا  
وقـد عـدمت - عـلـى التـرجـيح - أعـوانـا  
والبـأسُ يُخـمـدُ - فـي التـنظـير - نـيرانـا  
إذ الأذـانُ غـزا - فـي الحـفـل - آذـانـا  
أدلة شـمـلتُ شـرعاً وقرآنـا  
سـبـحـان مـن جـعل التـرخـيص حُـسـبانـا!  
يا قومـنا اصـطـحبوا - فـي الحـكم - مـيزانـا  
إن الدـراسـة تـؤتي القـلبَ إيقانـا  
وسـوف أذـعن - للنـصـوص - إذعانـا  
فـي مـأزق يجـعلُ الفـؤادَ حـيرانـا  
ويُـمـعنُ العـقلُ فـيها بـعدُ إمعانـا  
لفـرض ربـك تصـديقاً وشـكرانـا  
تـرجـين مـن ربـك الـرحـمـن غفرانـا  
ومـن تـطـعه تـنـلُ عـفواً ورضوانـا  
فأسـلمتُ رـوحـها حُـبـاً وعرفانـا  
جـوداً نـتـيـهـةً بـه فـخرأً وتحنانـا  
تـفـوحُ عـطـراً وتـفـصـيلاً وتـبيانـا

إن التـمسـك - بالإسـلام - مـنقـبـة  
وأنتَ خـيرتَ بـين الزينـة احتفالـتُ  
وبـين فـرض صـلاةٍ حـان موعـدُها  
ومـا اكـثرثتَ بـما أمـلتـه والـدـة  
وخضتَ حـرباً ضـروساً نارها اشـتعلتُ  
أدليتُ دلـواً - مـن الإقـناع - مُترعة  
وللضـرورة أحـكامٌ تُحـدّدُها  
فليس مـن مـرض - كـلا - ولا سـفر  
ولا حـريقٌ ، ولا شـغلٌ ، ولا مـطرٌ  
أين الضـرورة؟ ذلـوني لأدرسـها  
كـي أطمـئننَ لـمـا تـلقـون مـن رُخصٍ  
قلـبـي يـتوقُ لفتـوى أسـتتيرُ بـها  
وتسـتريحُ لـها نـفسـي وعـاطفتـي  
يا أخـتُ أفـحمـتـهم ، وانصـعتِ طـيـعة  
آثرتِ مـرضاةَ ربـ النـاس فـي وضـح  
وكـل مـن تـؤثرُ الـديانَ فـائـزة  
وفـي السـجود سـمـتُ بـالنفس طاعتـها  
تـقبـل الله مـنك الـروحُ جُـدتَ بـها  
وسـوف نـذكرُ ألفاظاً جـهـرتَ بـها



بنبرة أفصح عن حرص مؤمنة  
قولي لمن تترك الصلاة عامدة  
لم التهاون في الصلاة ما شرعت  
إن الصلاة عماد الدين إن صاحت  
ضحيت يا أخت بالمكياج كلفته  
وقبل ضحيت بالفستان كيتته  
وأذهب الماء ما بالشعر من نسق  
على المكاره أسبغت الوضوء ، فلم  
ثم افتتحت صلاة لا انتهاء لها  
والروح قد صعدت بخير خاتمة  
وثبعثين على ما مت تكريمة  
واسأل عن الركع السجود مشهدهم  
والكل يغبطهم على مكائنتهم  
يا أخت عرسك في الجنان أشرف من  
فما الذي يسعد التقاة في أمم  
تنازلوا عن غرى الإسلام أجمعها  
والحكم أولها ، ثم الصلاة غدت  
عليك رحمة ربي ما النهار أتى  
إلى اللقاء بجنات المليك غداً!

على الصلاة ، شددت شجواً وأحانا  
وإن تُقِمَ بعضُها تُقِنه بهتاننا  
إلا تصرف فحشاءً وشيطاننا؟  
لكان سائر ما نأتيه مُزداننا  
آلاف ، لَمَّا يكُنُ والله مَجاننا!  
تكسرت من وضوء بل فساتانا!  
وكان - بالدهن والترجيل - وسناننا  
يفقد وضوءك - بالإسباغ - أركاننا  
ويعلم الله ما العقبى وما كاننا  
وفارقت جسداً - يبكي - وأكواننا  
مع الأماجد - عند الله - جيراننا  
أمسوا بما قدّموا شُماً وأعياننا  
لَمَّا غدت سيرة الأبرار سُلواننا  
غرس تخيسه - بالكرب - دنياننا  
يعيش أغلبها عيراً وقطعاناً؟!  
فأصبحوا - في الدنا - صُماً وغمياننا  
في النقض آخرها ، ظلماً وُعدواننا  
وجنّ ليل ، وبالإظلام وافاننا  
إننا احتسبناك - عند الله - مولاننا

## من خدعنا بالله انخدعنا له!

(كانت هذه كُليمات قالهن الفاروقُ الملهُمُ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وذلك في خطبة الخلافة واستهل الفاروق فقال: (أيها الناس كنا نأخذكم بالوحي على زمان النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فلنا أيها الناس ظاهركم والله يتولى سرائركم ، ألا من خدعنا بالله انخدعنا له). ولو عُدنا لأبينا آدم وأمنا حواء ، سندرك أن إبليس لم يستطع أن يسيطر عليهما ويقنعهما بفكرته من الأكل من الشجرة ، التي حرمها الله عليهما للبلاء والاختبار ، إلا بعد أن خدعهما بالحلف بالله كاذباً! (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) ، فإذا بالتعقيب: (فدلّهما بغرور). وأما قبل الحلف بالله فإنهما لم يطيعاه. وكان من دفاع أبينا آدم عن نفسه: (ما كنتُ أظن أن يحلف خلقٌ من خلق الله يعني إبليس كاذباً! وعن أبي المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ منى بشجرة فقال: أسلمت لله ، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: " لا تقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلتكَ قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال". (متفق عليه). وجاء في الدرر السنية: (لقد كان صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين على ظواهرهم ، مع علمه بنفاق كثير منهم ليقدر هذا الأصل العظيم! (فهم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون ، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم. ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر ، لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ، (وهكذا كان حكمه صلى الله عليه وسلم في دمانهم وأمواهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيئاً إلا بأمر ظاهر ، مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم) ، ومع ذلك (يجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا ، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب ، فالمؤمن المستحق للجنة لا بد أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة). هـ. والحقيقة أنني كان لي عند أحد الناس - الذين يخدعون المؤمنين بالله رب العالمين على منهج إبليس اللعين – كان لي عنده مبلغ من المال. ولسابق معاملته السيئة معي ومع غيري ، أحضرت الورقة والقلم ، وقلت له: مادمت معترفاً بالدين فسجّله بنفسك ووقع عليه إلى أجله الذي تضربه أنت. وذلك عملاً بالآية الكريمة أطول آية في كتاب الله تعالى آية الدين: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه). فإذا به يخدعني بالله ويحوّلها من باب المُداينة إلى باب الأمانة ، فيتلو قول الله تعالى: (فإذا أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أوتمن أمانته وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً). وهنا تكمن المشكلة وينعقد مربط الفرس! أن يستظهر القرآن وقد أسقط العمل به! ولكنني انخدعتُ بالله كما انخدع أبي آدم. فطالبته بالأمانة فأعطاني وعوداً كثيرة الهدفُ منها المراوغة وعدمُ الوفاء. فأنشدتُ أندد بهذا السلوك الذي يُجرى الناس على مخالفة القرآن والسنة!)

أراك جنّت - بما أعلنته - زورا      وبت بالغشّ والخداع مشهورا  
وعنك حاججت كل الناس مُجهداً      وسُقت عذراً ، وإيضاحاً ، وتفسيرا  
وعنك جادلت من خلت أدلتهم      من المطاعن ، تُخفي الحق والنورا

وفيك خاصمت من باعوا مودتنا  
 وفيك قاطعت من هانت محبتهم  
 أتخدع الناس باسم الله متخذاً  
 وتستعين بما أوتيت من جدل  
 وتستهين بأي الذكر ، تحسبها  
 أتجعل الذكر - للتدليس - قنطرة؟  
 وكنيت أمل أن تنداح غائلة  
 تعي (الكتاب) ، وبين الناس تقرأه  
 ترجع الآي تلو الآي محترفاً  
 وللمقامات - في التجويد - حصتها  
 وللتغام أصداً وندنة  
 وللتغني بنطق الآي رفته  
 فهل عقلت الذي تتلوه في ملاء؟  
 ألم يجاوز - إلى التطبيق - ترقوة  
 كفاك هزلاً وتمثيلاً وسفسطة  
 إن كنت تخدعنا بما تقول به  
 لا يفلح الغش ، مهما احتال صاحبه  
 وما استشرت ، كأي أمقت الشورى  
 لما قصصت - عن القوم - الأساطير  
 نص الكتاب ثماري فيه تنظيراً؟  
 به تُغَيَّرُ وجه الحق تغييراً؟  
 قد تحوي - للذي تأتيه - تبريراً؟  
 أسأت يا صاح تصريفاً وتقديراً!  
 أو أن أمرر ما دلست تمريراً  
 وفيه أوتيت يا هذا مزاميراً  
 وكم تزيذ رؤوس الآي تحبيراً!  
 ولأداء صوياً يعرو التباشيراً  
 وإن رجع الصدى يُشجى الأساريراً  
 تثير - من حسنها الفيض - جمهوراً  
 أم كان ذلك - في دنيا الورى - زوراً؟  
 حتى تعيش - بما تتلوه - مسروراً؟  
 كفاك - بالناس والأهلين - تغريراً  
 فلم يعد غشك المفضوح مستوراً  
 حتماً يُتَبَرُّه الجبارُ تتبيراً

## وأسفى على التصنيف وأهله!

(إنها لإحدى الكُبر أن يعزف كثيرٌ من المؤلفين والمصنفين عن التأليف والتصنيف ، لأنهم فقدوا الداعم والقارئ والمتبني للفكرة والناقد والمقدم والمحلل والمحقق والمدقق لها! نعم فقدوا كل هؤلاء في وقتٍ واحد. وأنا أعني هنا أصحاب التأليف والتصانيف المحترمة القيّمة الأخلاقية التي تهدف إلى ترسيخ دعائم الحق والفكر الصحيح والقيم السامية والأخلاق الفاضلة. ولست أعني من يصنفون ويؤلفون لهدم القيم ولسحق بنیان الأخلاق ولنسف صرح الفضائل. فإن هذا الفريق الأخير مدعوم ومكفول ، وبضاعته رائجة ، وباطله منتشرٌ في كل مكان. أما أهل القيم فقد عدموا كل من ذكرت! ومن هنا كانت عزلتهم ، وكان عزوفهم عن الكتابة والتنظير والتأليف والتصنيف! ولربما كان ذلك كذلك لندرة القراء وقلة القراءة! وأعجب من أمة أول آية في كتابها: (اقرأ) ثم هي لا تقرأ؟! وتحت عنوان: (ظاهرة العزوف عن القراءة) كتب الكاتب المغربي الأستاذ الوارث الحسن مقالة مطولة ونشرها في مجلة (طنجة) الأدبية نقبتس منها بتصريف بسيط كلامه: (إن العزوف عن القراءة مشكلة عويصة يواجهها المجتمع عامة وشباب الأمة الإسلامية خاصة ، ولا شك أن يكون ذلك هو أحد الأسباب الرئيسية في تأخر الأمة. فالقراءة هي مصدر الوعي في المجتمعات وهي نماء للعقول وبناء للثقافات المتنوعة وبها تحصل الرفعة والتقدم والنماء. إن مبدأ القراءة أصبح غائباً اليوم عن أمتنا ، وترى ذلك واضحاً جلياً في بعد الطلبة والشباب عامة ونفورهم من الكتب والمكتبات. إن القراءة نزهةٌ في عقول الرجال ، كما يقول أحد الحكماء ، من هذا المنطلق يشتد القول بأن الأمة لا تعرف ماضيها إلا بحاضر أبنائها ، حيث يبقى التحصيل بالقراءة يفيد في استشراف المستقبل. ومن أعظم ذلك عند المسلم قراءة كلام الله وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والعلوم التي تدل على الله معرفةً ومحبةً وخوفاً ورجاءً ، أما كتب الخلق ففيها الصالح والطالح ، وعلى العاقل أن يميز بين الغث والسمين ، وأن يستشير أهل العلم والرأي والعقل والخبرة . فالقراءة والتقدم أمران متلازمان باعتبار أن كل أمة تقرأ فهي أمة ترقى وتتقدم ، على أن ذلك يبقى رهيناً باختياراتنا وهدفنا. والواقع أن مشكلة العزوف عن القراءة هي مشكلة عالمية ، حتى أن الدول التي كانت شعوبها مدمنة على القراءة مثل الشعب الإنجليزي والشعب الفرنسي تعاني اليوم من هذه المشكلة. وقد نشرت مجلة (لوبوان) وهي من أشهر المجلات الفرنسية تحقيقاً موسعاً عن القراءة تحت عنوان: "أنقذوا القراءة"، حيث تحدث في هذا التحقيق عدد من كبار المفكرين والباحثين عن أزمة القراءة ومظاهر العزوف عنها ، وقد أوضحوا في تحقيقهم بأن الكتاب يتعرض منذ سنوات لمنافسة قوية وربما غير متكافئة مع وسائل الاتصال المعرفية مثل التلفزيون والفيديو والإنترنت وكل ما يتصل بها من وسائل سمعية وبصرية. وقد أوضح التحقيق بأن شخصاً من كل شخصين في فرنسا يشاهد التلفزيون طيلة ساعات النهار. وأن متوسط ما يخصصه الأمريكي للقراءة يبلغ حوالي 34 دقيقة للصحف و14 دقيقة للمجلات ، و23 دقيقة فقط للكتب. ولا يخفى على أحد أن الكتب في أمة من الأمم هي مظهر من مظاهرها الحضارية ، بل لعلها أهم تلك المظاهر وأبعدها أثراً على ثقافتها والمقياس الأول لنبضها وحيويتها ، فهي الوعاء الذي يضم ثمرات عقول أبنائها وإبداعات ملدعيها في مختلف مناحي الحياة. لذا فمن الطبيعي أن تحتل هذه الكتب المكانة الرائدة في حياة الشعوب والأوطان ، وأن تلعب الدور الأساسي في المسيرة البشرية نحو التمدن السياسي والاجتماعي والتقدم الاقتصادي ؛ وليس من المستغرب أن تسعى الأمم للعناية بها والاهتمام بمصدرها ، فتنشئ المؤسسات والمعاهد لتطويرها ونشرها وذيوعها ؛ حتى شهد العالم فيضاً منها لا يحصى ولا يعد ، متنوعة في

موضوعاتها ، مختلفة في مضامينها ، توسعت بها حقول العلم ، ورحبت مساحة المعرفة ، وتعمقت العلاقة بين القارئ والكتاب ثقافياً ، وبين السلعة المستهلكة والمستهلك تجارياً. وبناء عليه يبقى علاج ظاهرة العزوف عن القراءة ضرورة ملحة في وقتنا الحالي لتدارك الموقف ومسيرة الركب المعرفي والعلمي. وخلاصة القول فإنه متى عرفت أمة للكتاب قدره وحفظت مكانته ، نالت حظها من الرقي والسمو ، واسترجعت حضارتها وازدادت قوة وعمقا ؛ ومتى عزفت عنه واستهترت بقيمته ، كانت الهلكة مآلها والتقهقر والتلاشي مصيرها ، لأن الأمة التي لا تقرأ تحمل في ذاتها بذور النهاية والفناء كما قيل. فنحن الآن مطالبون أكثر من أي وقت مضى ، بدعم الكتاب وتشجيع القراءة خارج الحملات الموسمية والتظاهرات الرسمية ؛ مطالبون بأن نعيد للكتاب مكانته في الحياة العامة ، وأن نربي في الناشئة فعل القراءة. لكن هل جمهور الشباب قابل لاكتساب عادة القراءة ، والامتثال لأوامر الله عز وجل ودعوته للقراءة وهو (اقرأ باسم ربك)؟ ، وليس علينا إعادة اختراع العلاج لأنه متوفرٌ ومجربٌ فهل نبدأ بتناوله؟ لذا ما نأمل أن يحظى موضوع – القراءة – باهتمام وتركيز في مقررات التعليم بدءاً من رياض الأطفال ومروراً بالمسارين الإعدادي والتأهيلي وانتهاء بالجامعة لتصبح القراءة عادة تمارس طوال الوقت والشعوب المتقدمة هي شعوب قارئة).هـ. روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إنَّ الله لا ينتزع العلمَ من الناسِ انتزاعاً. ولكن يقبض العلماءَ فيرفعُ العلمَ معهم. ويبقى في الناسِ رؤسًا جهالاً. يفتونهم بغير علمٍ. فيضلون ويضلون ”. قال عروة: فلما حدثت عائشة – رضي الله عنها – بذلك ، أعظمت ذلك وأنكرته. قالت: أهدتُك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال عروة: حتى إذا كان قايلاً ، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم. فألقه. ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال فلقينته فسألته. فذكره لي نحو ما حدثني به ، في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك. قالت: ما أحسبه إلا قد صدق. أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص). وأيضاً من صحيح ما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيات في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً). وإذا كان ذلك كذلك فعلى العلماء أن يكتبوا ، وعلى طلاب العلم أن يقرأوا! عملاً بمبدأ: (اقرأ!)

أهل التصانيف حسب الحق خذلانا	كونوا له - في الورى - ردةً وأعوانا
لا تجعلوا اليأس يسري في عزائمكم	أضحى القنوط ووهن العزم صنوانا
لا تستكينوا لما تلقون من إحن	فلاستكانة تُبقي المرء خيرانا
لا تبرحوا ساحة التأليف ، وانتبهوا	لما يُحياك لكم بغيماً وعودانا
واستشعروا - يارفاق الدرب - موقعكم	والله إن لكم - في الناس - أوزاننا
لئن تركتم لمن يهذي منابرکم	لازداد أهل الهوى جهلاً ونكراننا

فَالْوَهْنُ يُورِثُكُمْ ذُلًّا وَخَسْرَانَا  
فَإِنْ - فِي نَشْرِ نُورِ الْعِلْمِ - سُلُوَانَا  
لَعَلَّ جِيلًا يَزِيدُ الْأَمْرَ رُجْحَانَا  
فَنَقَحُوا النِّقْدَ يَا أَفْذَاذَ تَبْيَانَا  
فَإِنْ - فِي الْغَيْبِ - مِيزَانًا وَوَزَانَا  
فَخَالُوا أَنَّهُمْ حُبًّا وَإِيمَانَا  
لَا تُذَعِّنُوا - لِرَحَى التَّحْقِيقِ - إِذْعَانَا  
بِدُونِ حَقِّ لَهْ ، زوراً وبُهْتَانَا  
أَمَلَاهُ جَهِدًا ، وَمَا أَمَلَاهُ شُكْرَانَا  
بَاتَ التَّرْنِخُ - فِي التَّنْظِيرِ - خَذَلَانَا  
وَالْفُوزُ عُقْبَى الذِّي - فِي عَيْشِهِ - عَانِي  
وَالشَّخْضُ أَضْحَى - عَلَى التَّعْجِيزِ - بَرَهَانَا  
يُكَلِّفُ الْكَاتِبَ الْمِسْكَينَ أَثْمَانَا  
مُؤَلَّفُونَ شَكْوَا دَيْنًا وَدِيَانَا!  
وَأَصْبَحَتْ حُمَمًا تَشْوِي وَنِيرَانَا  
وَإِنَّ - لِلنَّهْبِ - تَرْتِيبًا وَحُسْبَانَا  
فَأَمَعِنُوا - فِي الْعُزُوفِ الْمُرِّ - إِعْمَانَا  
لَمَّا طَغَتْ زَمْرُ التَّجَارِ طَغِيَانَا  
أَدْوَا ضَرَبَتَهَا ، أَمْ كَمَا مَجَانَا!  
وَكَمْ تُثِيرُ جَوِيَّ يَكْوِي وَأَحْزَانَا!

إِنِّي أَرَاكُمْ عَلَى ثَغْرِ ، فَلَا تَهْنُوا  
وَإِنْ فَقَدْتُمْ كَفَاءَاتٍ لَتَدَعَمَكُمْ  
وَإِنْ عَدِمْتُمْ هُنَا الْقِرَاءَ ، فَاصْطَبِرُوا  
وَإِنْ تَقَاعَسَ نَقَادٌ ، فَمَا نَقَدُوا  
وَإِنْ تَجَاهَلَ مَنْ فَخْرًا يُقَدِّمُكُمْ  
وَإِنْ يَغِيبُ عَنْكُمْ مُحَلَّلٌ فَطِنٌ  
وَإِنْ رَمَى عِلْمَكُمْ مُحَقِّقٌ خَرَفًا  
وَإِنْ مَدَقَّقُ مَا صَغَمْتُمْ تَعَقُّبَكُمْ  
فَلَا تَبَالُوا بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ نَزَقٍ  
وَفِي الْخِصْمِ لَمْ تَبْدُوا تَرْنَحَكُمْ  
إِنِّي أَهْيَبُ بِكُمْ ، وَالنَّصْرُ مَوْعِدُنَا  
مَا لِلتَّصَانِيفِ تَشْكُو شَخَّ نَاشِرَهَا  
وَالنَّشْرُ أَصْبَحَ غَوْلًا كَاسِحًا شَرَهَا  
وَلِلطَّبَاعَةِ أَسْعَارٌ يَنْوَعُ بِهَا  
وَاسْتَشْرَفَتْ فِتْنَةُ التَّوْزِيْعِ ذِرْوَتَهَا  
وَالسُّوقُ تَلْفُخُ مَنْ يُزْجِي بِضَاعَتَهُ  
وَالكَاتِبُونَ غَدَوْا - قَهْرًا - ضَحِيَّتَهَا  
لَمْ يَقْرَبُوهَا بِمَا خَطُّوا وَمَا كَتَبُوا  
وَالكَأْسُ دَائِرَةٌ تُودِي بِمَنْ شَرِبُوا  
أَهْلُ التَّصَانِيفِ شَكْوَاكُمْ تُعَذِّبُنِي

فما بثثتُ الذي ألقاهِ خلانا!  
وحسبي الله - في التمحيص - رحمانا!  
في كل مُؤتمز أصدرتُ ديوانا  
صغتُ الحياةَ بها معنىً وألحانا  
ولم أوال - بما دونتُ - شيطانا  
ولم ألوثُ بما سطرثُ أذهانا  
فما جعلتُ له - عليّ - ساطانا  
إذ ما استطعتُ - لَمَّا أخفيه - كتمانا  
بات ادخارُ الذي حُمّلتُ عصيانا  
يُدّ تريدُ - بما خطته - رضوانا  
وما خشيتُ - على الأموال - نقصانا  
والقلبُ عانى من الديون أشجانا  
والروحُ ذاقَت من العذاب ألوانا  
حتى يفوق مغاويراً وأعياننا  
وبعدَ صاحبه يندأُ أزماننا  
نصيحةً قلتها شكراً وعرفانا  
إذ ما لقيتُ - على التصنيف - إخواننا

كم اصطليتُ بدين فاق مقدرتي  
لكن تحملتُ هذا العبءَ مُحْتسباً  
وصغتُ شعري دواويناً أتيةً بها  
هذي القصائدُ معياري وتجربتي  
ألفتُ لم أجعل الدينارَ مُغتنمي  
وما افتريتُ على رب السما كذباً  
ولم أجاملُ بما نظمته أحداً  
وذعتُ من خبري ما كنتُ أكتمه  
وما ادخرتُ - من الأخبار - خردلة  
وجُدتُ بالمال أرجو نشرَ ما كتبتُ  
ولم يكن صارفاً فقري ولا عوزي  
صنفتُ لم أكثرتُ بما ابتليتُ به  
والأهلُ ضاقوا بما بذلتُ مرتجلاً  
هي التصانيفُ تُعلي شأنَ صاحبها  
علمٌ يفيضُ - على الأنام - منفعة  
أهل التصانيف قد أعذرتُ ، فامتثلوا  
إني شريكٌ - لكم في الدرب - منفرد



## المتفوقون

(طلب مني الأستاذ / محمد سعد عبد الدايم ، معلم اللغة العربية بعض أبيات تلقى على مسامع جموع الحاضرين والحاضرات ، في حفل تكريم المتفوقين والمتفوقات من طلاب وطالبات (المدرسة الوطنية) بعجمان حيث أعمل فيها معلماً للغة الإنجليزية. واعتذرت في بادئ الأمر لأنني لست صانع شعر ، أكتب حسب الطلب! وبعد إلحاح من الأستاذ ، وجدتني أشدو بهذه الأبيات لا على سبيل التكلف ، فلست من المتكلفين ، وإنما هو مجرد إحساس تجاه الأبناء والبنات من الطلاب المبدعين المتميزين المتفوقين ، حيث إنني أدرس وأعلم بعضهم ، وصدق الأستاذ أبو معاذ وهو يبين أسرار التفوق عندما يقول: (لا مرء في أن كل شخص علي وجه الأرض يحب النجاح ، كما يحب أن يكون متفوقاً على أقرانه وزملائه فيها. وهذه سنة الله في خلقه. وليس النجاح فقط في الحصول علي درجات تامة في الاختبارات والحصول علي الشهرة العريضة... الخ. بل إن النجاح الحقيقي هو شعور ذاتي داخلي بتحقيق ما يصبو إليه الإنسان من خير ، وزيادة الثقة بالنفس وتنمية القدرات الذاتية الكامنة. إن أشقى الأشقياء ، وأتعس التعساء هو الذي حرم نفسه من كافة الخيارات المتوفرة له للنجاح في هذه الحياة ، ولا بد من توفر المواهب والإمكانات لتحقيق المزيد من الأحلام والطموحات والآمال الواسعة العريضة. وإن الثروة الذاتية التي حباك الله تعالى بها في شخصيتك ، وعقلك ، وفكرك ، وطاقتك ، ومواهبك الخاصة هي خير رصيد يمكن استغلاله والإفادة منه لتحقيق أعلى مستويات النجاح التي تريدها في حياتك. ولا غرو أن "الثقافة" العامة ، أو التعليم الرصين هو أحد الأرصدة الكبيرة التي يمكن أن تسخرها للنجاح في الحياة بشكل عام).هـ.)

تفوقوا ، وأحرزوا العلو والنجاح	وحققوا السمو والرقى والفلاح
غداً ترونهم يُجَمَلون عيشتهم	ويأكلون قوتهم بمكسب مُباح
فذا مهندسٌ يُشَيِّدُ الصروحَ في	مِهَادِنَا ، ويبعث الحياة في البطاح
وذا يُعالجُ المريضَ من سقامه	بطبِّه وعلمه نودعُ الجراح
وذاك عالمٌ يبلغُ السورى الهدى	ويبينهم يُغلبُ القراننَ الصِّحاح
وذا معلمٌ له العلوُّ زللت	وقلِّدتُ - بشرحه - الجواهر المِلاح
وذاك - في صناعة الحياة - جهبذ	وما عليه - إن صفتُ لغيره - جُناح
وذاك - في زراعة الثمار - مُبدعٌ	ورغم غرقِ الظروفِ يزرعُ الأقاح
وذاك الاقتصَادُ فنّه وشغلّه	ورأيه - لحلّ مشكلاتنا - صُراح
وذاك منشِئٌ نشيدُه ترنمٌ	يُزيلُ - من قلوبنا - لواعج النواح

ويقرأ الكتاب في الغدو والرواح  
شريفة عفيفة لها التقى وشاح  
تسير لا كما تشا ، وتشتهي الرياح  
ونصه مُحققٌ مُدققٌ بِوِاح  
بروحه ، ولو على أسنة الرماح  
حسابه استمى ، فليس ينصب القِداح  
ومن سواه ينبري ليكبج الجماح  
يُزلزل العدا ، فمن سيخرس الضباح؟  
سفينة الفضاء طائراً بلا جناح  
يضعف الجهود حسبة ، ويبعث الكفاح  
يُحضر الدروس مُجهداً إلى الصباح  
وجده مزخرفاً برقعة المِزاح  
يحتثنا جميعنا لكيلا الامتداح  
وبالصمود تزدهي مطامح الصلاح  
دلالة وفي المضال له خطى فساح  
إذ تنشد الرُقي في مدارج النجاح  
ومقصدي من النفاق والرياق قراح  
وأسعد الجميع في جناحه الفساح

وذاك قارئ يعي كتاب ربه  
وذاك كاتب له صدق وفكرة  
وذاك شاعر قريضه سفينة  
وذا مورخ ، وسفره سبائك  
وذا مناضل يصون مجد أمة  
وذا محاسبٌ منظمٌ ومنصفٌ  
وذاك فارس ، حصانه طوى الفلا  
وللضباح - في النزال - وقعته الذي  
وذاك رائد الفضاء في السما اعتلى  
وخلف كل مُبدع مُعلم مضى  
ويسهر الليالي الحوالمك الدجي  
وشرحه قلائد الجمان أشرفت  
وجده مشرفاً مبارك العطفا  
وعزمه يقوده لذروة العُلا  
وبارك الإله من يدله  
وعزة النفوس تشحذ المضفا  
على المليك لن أركي الأنام ، لا  
وبارك المليك للجميع سعيهم

## أخ النمرود من الرضاعة

(لقد كان النمرود بن كنعان بن كوش ملكاً غيباً متغطساً كفاراً أثيماً. ذلك أنه حاج إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في ربه. وكانت المناظرة بينه وبين إبراهيم عاتية ، وانتصر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - انتصاراً ساحقاً! ولما انتصر الحق بُهت النمرود. والقصة بتمامها في الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). أما أخ النمرود من الرضاعة والذي هو موضوع قصيدتنا مع فارق الزمان والمكان فهو أحد مدراء المدارس الأغبياء المتغطرسين الذين يُسرفون على أنفسهم في ظلم من تحت أيديهم! ذلك المتغطرس قد غرّه حلم الله تعالى عليه قال يوماً كما قال النمرود ، وزعم لنفسه كما زعم النمرود لنفسه ، وتخبط كما تخبط! وذلك عندما تحدّى معلميه ، وراح يتحكم في كل شئ في المدرسة ، ابتداءً من القشة يلتقطها الكناس من الأرض ليُلقيها في سلة القمامة ، إلى لباس المعلم وكلامه وسلامه وطعامه وشرابه وراتبه. وذات يوم قال: سوف أجعل الرواتب حسب الجهد المبذول ، وعلى ذلك فسيكون هناك تفاوت في تقدير الرواتب. فقال أحد المعلمين: إذن يكون هناك حزازات بين المعلمين. وقال ثان: هذا أمر ليس عليه أي مدير مدرسة! وقال ثالث: الأصل توحيد الرواتب وتجعل علاوات تشجيعية أو دورية للمتميزين! وتفردت سكرتيرته العاقلة بالنصح بالإقلاع عن هذا! فقال أخ النمرود: إن الله جعل الجنة درجات ، وأنا سوف أجعل الرواتب درجات! فقلت: وما يفترق هذا عن قول النمرود: (أنا أحيي وأميت)؟ فكانت مماثلة دقيقة ، حيث جعل المدير المتغطرس نفسه في موازنة بالله رب العالمين! وتعالى الله ربي عن ذلك! ومن صحيح كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -: عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" ، فقال له رجل: يا رسول الله ، قد قسم لي من الجمال ما ترى ، وإنه يعجبني أن يكون ثوبي حسناً ، ونعلي حسنة ، أفمن الكبر ذلك؟ قال: لا ، إن ذلك ليس بالكبر ، إن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر بظر الحق وغمط الناس. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من أحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفهبون" ، فقالوا: يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارون ، والمتشدقون ، فما المتفهبون؟ قال: "المتكبرون". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قال الله - عز وجل -: العز إزاري وفي رواية: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيء منهما عذبتة. وفي رواية: فمن نازعني واحداً منهما ، قذفته في النار. أنشدت في هذه العجرفة النمرودية - التي أدى إليها الاغترار بالمنصب وحلم الله - أقول:

أبـئسُ بـفـريـتـك الحـقـيـرة      يـا فـاقـاً دأ نـور البـصـيرة!  
يـا مـجـرماً لـبـس التـغـابي      ثـوبـياً ، وألبـسـه السـريرة  
يـا ظالماً أغـرتـه دنـيـا      وسـأ بـاهُ دنـيـا ر و لـيـرة

مازلت تهذي دون وعي  
 وتسوق بعرض مبررات  
 وأبيت موعظتي ونصحي  
 وظللت تخترع الحكايا  
 يا أيها النمرود أقصِرْ  
 واكبت غرورك ، أنت عبْدٌ  
 عشْ عيشَ أهلك في قراهم  
 ومعلموك فلا تقذهم  
 كلُّ يَكِنُّ لَكَ التشفي  
 ماذا حصدت من التجني  
 ماذا جنيت من التعدي  
 كم كدت ظلماً وانتقاماً  
 وكأنتما (النمرود) فينا  
 وهل الإدارة أن تحابي  
 أو أن تجامل مَنْ يُداجي  
 يوماً ستلقى كل هُونٍ  
 والموت يقصمُ كل عاتٍ

وتلوك كذبتك المريرة  
 كالسُرَيْلَتِ زُمُ الجبيرة  
 ولفظت تذكرة (المديرة)  
 زوراً على ذات الـوتيرة  
 واكبج مخارفك الحقيرة  
 وانكسر إزارك والحصيرة  
 وانظر لأحوال العشيرة!  
 نحو المتاهات المديرة  
 ويراقب الحيل الخطيرة  
 ومن العقاب بلا جريرة؟  
 من بعد عرقلة المسيرة؟  
 وأراك تلتزم الـوتيرة  
 ولله شـرورٌ مسـطيرة  
 من تصطفيه ، وتستنشيره؟  
 من كل مفتقـدٍ ضميره؟  
 والنفس تضرع مسـتجيرة  
 ويؤريه - في الأخرى - مصيره

## في رحاب الهجرة

(إنه لا شك في أن الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبيرة في حياة المسلمين. وليست هذه المرة الأولى التي أنشد فيها من شعري عن الهجرة ، ولن تكون المرة الأخيرة بالطبع! وتحت عنوان: (من دروس الهجرة النبوية) للأستاذ محمد بن ابراهيم الحمد نجده يستنبط عشرين درساً من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول ما نصه بتصريف بسيط: (إن الناظر في الهجرة النبوية يلحظ فيها حكماً باهرة ، ويستفيد دروساً عظيمة ، ويستخلص فوائد جمة يفيد منها الأفراد ، وتفيد منها الأمة بعامه. فمن ذلك على سبيل الإجمال: \* أولاً: ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله: ويتجلى ذلك من خلال استبقاء النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وأبي بكر معه ؛ حيث لم يهاجرا إلى المدينة مع المسلمين ، فعلي رضي الله عنه بات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه صحبه في الرحلة. ويتجلى كذلك في استعانتهم بعبدهما بن أريقط الليثي وكان خبيراً ماهراً بالطريق. ويتجلى كذلك في كتم أسرار مسيره إلا من لهم صلة ماسية ، ومع ذلك فلم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم ، ومع أخذه بتلك الأسباب وغيرها لم يكن ملتفتاً إليها ، بل كان قلبه مطويماً على التوكل على الله عز وجل. \* ثانياً: ضرورة الإخلاص والسلامة من الأغراض الشخصية: فما كان عليه الصلاة والسلام خاملاً ، فيطلب بهذه الدعوة نباهة شأن ، وما كان مقلاً حريصاً على بسطة العيش ؛ فيبغى بهذه الدعوة ثراء. \* ثالثاً: الاعتدال حال السراء والضراء: فيوم خرج عليه الصلاة والسلام من مكة مكرهاً لم يخنع ولم يذل ، ولم يفقد ثقته بربه ، ولما فتح الله عليه ما فتح وأقر عينه بعز الإسلام وظهور المسلمين لم يطش زهواً ، ولم يتعاطم تيهماً ؛ فعيشته يوم أخرج من مكة كارهاً كعيشته يوم دخلها فاتحاً ظافراً ، وعيشته يوم كان في مكة يلاقي الأذى من سفهاء الأحلام كعيشته يوم أطلت رايته البلاد العربية ، وأطلت على ممالك قيصر ناحية تبوك. \* رابعاً: اليقين بأن العاقبة للمتقوى وللمتقين: فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال. ولكن الهجرة في حقيقتها تعطي درساً واضحاً في أن العاقبة للمتقوى وللمتقين. فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم بسيرته المجاهد في سبيل الله الحق أن يثبت في وجه أشياع الباطل ، ولا يهن في دفاعهم وتقويم عوجهم ، ولا يهول أن تقبل الأيام عليهم ، فيشتد بأسهم ، ويجلبوا بخيلهم ورجالهم ؛ فقد يكون للباطل جولة ، ولأشياعه صولة. \* خامساً: ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة: ذلك في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه لما كان في الغار: {ما ظنك باتنين الله ثالثهما}. فهذا مثل من أمثلة الصدق والثبات ، والثقة بالله ، والاتكال عليه عند الشدائد ، واليقين بأن الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات الحرجة. هذه حال أهل الإيمان ، بخلاف أهل الكذب والنفاق ؛ فهم سرعان ما يتهاونون عند المخاوف وينهارون عند الشدائد. \* سادساً: أن من حفظ الله حفظه الله: ويؤخذ هذا المعنى من حال النبي صلى الله عليه وسلم لما انتمر به زعماء قريش ليعتقلوه ، أو يقتلوه ، أو يخرجوه ، فأجابه الله منهم بعد أن حثا في وجوههم التراب ، وخرج من بينهم سليماً معافى. وهذه سنة ماضية ، فمن حفظ الله حفظه الله ، وأعظم ما يحفظ به أن يحفظ في دينه ، وهذا الحفظ شامل لحفظ البدن ، وليس بالضرورة أن يعصم الإنسان ؛ فلا يخلص إليه البتة ؛ فقد يصاب لترفع درجاته وتقال عثراته ، ولكن الشأن كل الشأن في حفظ الدين والدعوة. \* سابعاً: أن النصر مع الصبر: فقد كان هيناً على الله عز وجل أن يصرف الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة ، ولكنها سنة الابتلاء يؤخذ بها النبي الأكرم ؛ ليستبين صبره ، ويعظم عند الله أجره ، وليعلم دعاة الإصلاح كيف يقتحمون الشدائد ، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً كان أم كبيراً. \* ثامناً:

الحاجة إلى الحلم ، وملافة الإساءة بالإحسان: فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقي في مكة قبل الهجرة من الطغاة والطغام أذىً كثيراً ، فيضرب عنها صفحاً أو عفواً ، ولما عاد إلى مكة فاتحاً ظافراً عفا وصفح عن أذاه. \* تاسعاً: استبانة أثر الإيمان: حيث رفع المسلمون رؤوسهم به ، وصبروا على ما واجهوه من الشدائد ، فصارت مظاهر أولئك الطغاة حقيرة في نفوسهم. \* عاشراً: انتشار الإسلام وقوته: وهذه من فوائد الهجرة ، فلقد كان الإسلام بمكة مغموراً بشخب الباطل ، وكان أهل الحق في بلاء شديد ؛ فجاءت الهجرة ورفعت صوت الحق على صخب الباطل. \* حادي عشر: أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه: فلما ترك المهاجرون ديارهم وأهلهم وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم ، أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا. \* ثاني عشر: قيام الحكومة الإسلامية والمجتمع المسلم. \* ثالث عشر: إجتماع كلمة العرب وارتفاع شأنهم. \* رابع عشر: التنبيه على فضل المهاجرين والأنصار. \* خامس عشر: ظهور مزية المدينة: فالمدينة لم تكن معروفة قبل الإسلام بشيء من الفضل على غيرها من البلاد ، وإنما أحرزت فضلها بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها. \* سادس عشر: سلامة التربية النبوية: فقد دلت الهجرة على ذلك ؛ فقد صار الصحابة مؤهلين للاستخلاف ، وتحكيم شرع الله ، والقيام بأمره ، والجهاد في سبيله. \* سابع عشر: التنبيه على عظم دور المسجد في الأمة: ويتجلى ذلك في أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة ، حيث بنى المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المسلم برب العالمين ، وليكون منطلقاً لجيوش العلم ، والدعوة والجهاد. \* ثامن عشر: التنبيه على عظم دور المرأة: ويتجلى ذلك من خلال الدور الذي قامت به عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما حيث كانتا نعم الناصر والمعين في أمر الهجرة ؛ فلم يخذلا أباهما أبا بكر مع علمهما بخطر المغامرة ، ولم يفشيا سرّ الرحلة لأحد ، ولم يتوانيا في تجهيز الراحلة تجهيزاً كاملاً ، إلى غير ذلك مما قامت به. \* تاسع عشر: عظم دور الشباب في نصرته الحق: ويتجلى ذلك في الدور الذي قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة. ويتجلى من خلال ما قام به عبدالله بن أبي بكر ؛ حيث كان يستمع أخبار قريش ، ويزود بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر. \* عشرون: حصول الأخوة وذوبان العصبية. هـ. أشكر الأستاذ الحمد على هذي الدروس الفذة!

حَدَّثَ أَجَلَ مِنَ الْجَمَالِ وَأَطِيبَ  
وَمَعَزَةَ فِي الْقَلْبِ يَبْعَثُ شَجْوَهَا  
وَتَجَلَّةَ فِي النَّفْسِ تَغْمُرُهَا صَدَى  
وَشِرَافَةَ تُهْدِي الْيِرَاعَ مِدَادَهُ  
وَمَقَامَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ جَلَالَةَ  
وَإِذَا تَرَاهُ مَهْجَاجاً مُتَخَفِياً  
وَهُوَ الَّذِي بَمَلِكِهِ مُسْتَعَصِمٌ  
وَمُنَاسِبَاتٌ تُسْتَتَابُ وَتُرْغَبُ  
تَرْنِيمَةً تَأْتِي ، وَأُخْرَى تَذْهَبُ  
حَتَّى تَدَاعِبَ مَا تَعِيشُ ، وَتَطْرِبُ  
فَنَرَاهُ يَسْطُرُ مَا احْتَوَاهُ وَيَكْتَبُ  
وَكِرَامَةَ ، فَهُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ  
فَتَخَالَهُ يَخْشَى الظُّهُورَ ، وَيُرْهَبُ  
يَدْعُو ، وَدَمْعُ فِؤَادِهِ يَتَصَبَّبُ

ورفيقه الصديق يعصمه الأسى  
ونبينا أهده أعظم نصحه  
يا ثاني اثنين اتنذ ، واضرع إلى  
ويقول: لا تحزن ، فإن إلهنا  
والله لن يصلوا إلينا ، فابتشر  
مهما بدالك من عدوك كيده  
أومات تراهم كُكبوا في هوة  
في غار ثور آية ودلالة  
وإذا ترى (أسماء) تحمل زادهما  
(ذات النطاقين) التي هي ذرة!  
أخفت دفين السر دون وصية  
دور يترجم للنساء سبل الهدى  
ومن التي تسعى لنصرة دينها  
الهجرة الزهراء نصر مؤذن  
والحق منتصر على أعدائه  
جل المليك له الخلق أدعت

فرقاً عليه ، وقلبه يتحرق  
ومضى لخاطره الكسير يطيب  
رب يقدر ما يريد ، ويرقب  
معنا ، وليس عليه أمر يصعب  
إننا استعنا بالذي لا يغلب  
فإن الله موهن كيده إذ يغضب  
وتجندلوا إذ ليس ثمة مهرب؟  
أن العقيدة نصرها لا يحجب  
لنبيها وأب ، أفاض الأب!  
كانت لخلاق الورى تتقرب  
حتى تضلل طغمة تتعقب  
فمن التى ود التقية تخطب؟  
في غيب أمسى يسى ، ويعطب؟  
بداية الحق الذى لا يسلب  
والشرق منقاد له والمغرب  
والله منه العون قطعاً يطلب!



## (عجبتُ من قدرة الله تعالى)

(كلما أنشدتُ شيئاً من الشعر أمام قوم ، ظن بعضهم لجهله بي وبشعري وبالشعر وبسماعه وبالشعراء ومنهجيتهم ، أو لسوء نيته في خصوصاً وفي الناس عموماً ، أو لكل هذه الاحتمالات مجتمعة ، أنني يجب أن لا أنشد إلا من الذي كتبه فقط. والأصل أن الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها. ومنذ كان في الأرض شعراً وشعراء ، والناس يأخذ بعضهم من بعض ، ويتمثل كثيرون منهم أشعار بعضهم البعض. فتارة يؤيدون ، وأخري يعارضون ، وثالثة يتمثلون ، ورابعة يستحسنون ، وخامسة يستهجنون ، وسادسة يعدلون ، وسابعة ينقصون ، وثامنة يضيفون ، وتساعة يظلمون ، وعاشرة يعدلون. ولستُ بدعاً من الناس فضلاً عن أكون بدعاً من الشعراء! فما يسع الناس اليوم يسعني مثلهم! وما وسع الشعراء بالأمس يجب أن يسعني الآن. فإنا أنا واحد منهم. والحقيقة أنني كنتُ أجالس أحدهم فأنشدتُ بناءً عن طلبه لاستشعاره السامة والملاحة ، بعض أبيات قصيدة كنتُ طالعتها في مجلة (منار الإسلام) وأنا في المرحلة الثانوية في سبعينات القرن المنصرم. ولم أكن أعرف اسم شاعرها ، ولكنني أذكر جيداً أنني استظهرتُ أبياتها الاثني عشر بسرعة مذهلة ، وكأنها من محفوظات الكتاب المدرسي آنذاك! وما ذلك إلا لعذوبتها وجمالها وسهولة ألفاظها! إذ لو كانت غير ذلك ، لما كان من اليسير على طفل في ذلك العهد ، أن يستظهرها بذلك اليسر ، ولا أن تجري كلماتها على لسانه بهذه السهولة! وأنشدتها اليوم على صاحبي ظاناً أنني سأمتع صاحبي:

عجبتُ للأرض توّتي الخير أجليها	والشركُ يرمئها ، والكفرُ يؤذيها!
عجبت للشمس من في الصبح يظهرها؟	ومن وراء الدجى - في الليل - يُخفيها؟
عجبت للطير في الأرجاء سابحة	تسعى بجدٍ ، ورزقُ اليوم يكفيها!
عجبت للوردة الفيحاء نقطفها	من ذا الذي أودع العطرَ الذي فيها؟
عجبت للحبّة الصماء نبذرها	في الأرض توّتي ثماراً ، ثم نجنيها!
عجبت للحية الرقطاء مسكنها	في الصخر ، لا ماء بين الصخر يرويها!
عجبت للآم توّتي الذرّ إن ولدت	وإن تكن عاقراً لا درّ يأتيها!
عجبت للشهد أم الشهد تصنعُه!	من ذا الذي لجميل الصنع يهديها؟
عجبت للروح ، أين الروح في جسدي؟	من عنده علمها؟ سبحان باريها!
عجبت لا تنتهي إن جد قائلها	لم يوتِ علماً عن الأشياء يُحصيها
فالعلم لله ، كل الأرض قبضته	إن شاء يقبضها ، أو شاء يُبقيها
سبحانه من إليه واحدٍ أحدي!	يُبلي العظامَ ، وأنى شاء ينشئها!

وبعد أن أشدتها على صاحبي انهال عليّ بالاتهامات معترضاً أنها ليست لي! والسر أنه كان يتصفح الإنترنت ، فكان أن دونَ مطلعها ، وطلب من مُحرك البحث (جوجل) أن يبحث! بينما هو راح يكيّل الاتهامات تلو الاتهامات! زاعماً أنني عندما أتمثل أشعار الآخرين أنسبها لنفسي – معاذ الله -! الأمر الذي لم أفعله وأنا ابن خمسة عشر عاماً ، فكيف بي أفعله وأنا اليوم ابن خمسة وأربعين ربيعاً؟! وكان يكفي سؤالي: هل هذا من شعرك؟ وذلك ليتبين له من جوابي ما إذا كنتُ منتحلاً لأشعار الآخرين أم لا! ولكن – والله أعلم – أن الأمر كان هكذا لفضح سريرته ولكشف نيّته! ومن هنا تحدّيته وعزمتُ أن أنظّم مائة وعشرين بيتاً إضافةً إلى عدد أبياتها (120+12=132 بيتاً) ، متناولاً قدرة الله في الكون من حولي! ومركزاً على توحيد العبادة والأسماء والصفات! الأمر الذي لم تتناوله قصيدة المنار ، إذ ركز شاعرهما على الربوبية فقط! وذلك في محاولةٍ مني لأثبت لهذا الزميل (والذي للأسف هو معلم لغة عربية) ولمن كان على شاكلته ، أنني قادرٌ على تأليف أكثر منها في عدد الأبيات بإذن الله تعالى! وإن كان صاحبها بأبياته الاثني عشر أراه أفضل مني لأن له السبق ، ولي شرف محاولة معارضته! ولقد تكون أبياته الاثني عشر قد فازت بالقبول عند الله ، فأسأل الله قبول كل ما أكتب من الحق ، وجعله في ميزان حسناتي! وكم انتحل لي من أشعار يوم كنتُ أعلق بعضها على أسوار كلية الآداب بالمنصورة ، أو وأنا أبعث بها إلى المجلات والدوريات والجراند هنا وهناك! لقد كان للنبي – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أبياتٌ شعرية يتمثلونها ويقروونها وهي لشعراء آخرين! وبناءً على ذلك تناولتُ القلم وبدأتُ عقيب صلاة فجر يوم الجمعة ، وحتى قبيل أذان الجمعة بقليل كان الفراغ منها. فقلتُ منشداً من شعري على ذات البحر والوزن والقافية:

أحارُ في قدرة المولى ، فأطريها!	وبالفؤاد ذهوولٌ ينثني تيهها!
وكم عجبثُ من الإعجاز المُسه	في كل شيءٍ ، وفي الدنيا وما فيها!
وكم تساءلثُ في سر وفي علن	عن معجزات أراني لسثُ أحصياها!
وكم تملكني الخشوعُ ، فانهمرثُ	دموغُ عين – من الإبداع – يُكيها!
وكم تفكرثُ في صنع المُهمين في	دنيا تذلّ على الديان مُنشياها!
وكم نظرتُ إلى كون غرائبه	تزيدني - لمليك الناس - تأليها!
وكم تأملتُ ما حولي صباح مسأ	لأودع القلبَ إرشاداً وتنبهها!
وكم تبصرتُ في أحوال من رشدوا	إذ لم يكن رُشدهم في الناس تمويهها!
وكم تدبرثُ أعمال الألى فسقوا	من شوهاوا الدينَ بين الناس تشويها!
وكم تفرستُ - في الأمور - أرقبها	حتى سَبرثُ خبايا لسثُ أدريها!
وكم عجبثُ إلى أن ضاق بي عجبِي	فدعتُ أسرارَ نفس عشتُ أخفيها!

مُوَحَّدٍ ، أو كفور النفس طاغيها!  
 ولم تؤخر خيورا أودعت فيها  
 وتلك سنة رب الناس يجريها  
 بدون أعمدة ، سبحان باريها!  
 وحيرت خاطري الآيات تحويها  
 وترسل الغيث - للأرضين - يشجيهما  
 إنني أنوّه للآيات تنويها!  
 لمستقر لها ، الرحمن يجريها  
 وذات يوم يكورها ويفنيها  
 في الليل تبتلع العتمة ، تُرديها  
 يعيدها الله أياماً ، ويُبديها  
 لكن أشبه - بين اثنين - تشبيها  
 وإن سرت سُحْبٌ سودا تُغطيها  
 من ياترى - لصحيح الدرب - يهديها؟  
 رب الأنعام على الصحرا ، فيُحييها  
 بطيب العطر والفحوى يُحليها  
 ومالح ينهر الأفواه يكويها  
 طعم يُشفي بالسنّة ، ويؤذيها  
 تسرّ آذان من يُصغي ، وتغريها  
 بحثاً عن الرزق ، ما خابت مساعيها!

عجبت للأرض أعطت كل مجتهد  
 لم تدخر - عن جميع الخلق - نعمتها  
 بل أغدقت خيرها - والله - مكرها  
 عجبت للسبع فوق الأرض قد رفعت  
 وكم رأيت السما الدنيا وحبكتها!  
 وبالكواكب قد زينت لناظرها  
 وليس تسقط ، إن الله مُسكها  
 عجت للشمس في السماء ساجدة!  
 تجود بالدفء والأنوار طائفة  
 عجت للقمر المنير طلعه  
 والله قدره منازلاً علمت  
 وما استوى البدر والمحاق في نظري!  
 عجت للنجم الزهراء ساطعة  
 هي العلامات ، إذ كم يُستدل بها  
 عجت للمطر الثجاج ينزله  
 عجت للزرع - في الحقول - منتشراً  
 ما بين مر ، وحلو طاب مأكله  
 من أودع المر - يا قومي - مرارته؟  
 عجت للطير في الأفاق شادية  
 تغدو خماصاً ، بلا كل ولا ملل

تُعطي الصغارَ الذي جادَ الإلهُ به  
عجبتُ من شامخِ الأَجبالِ راسخةً  
عجبتُ من منظرِ الأسماكِ عِشتها  
عجبتُ من مشهدِ الحيتانِ مُشرعةً  
عجبتُ من نجدةِ الدُلفينِ يَبذلها  
كي ينقذَ الغارقينَ البحرُ جنَدلهم  
فمن هداه لمعروفٍ يَجودُ به  
عجبتُ للقِرشِ مُختالاً بصولته!  
عجبتُ من سَكَنِ الجنينِ في رِحِمِ  
عجبتُ للإبلِ الصابورةِ انطلقتُ  
عجبتُ للنحلِ يَحيا في بُلهنيةٍ  
يُلقي علينا من الأعسالِ صافيةٍ  
عجبتُ للبحرِ ، والأمواجِ تغمرُه  
عجبتُ للصباحِ مُذْ وافى تنفَسَه  
عجبتُ لليلِ يحدونا بظلمته  
عجبتُ للزهرِ باقاتٍ مزركشةٍ  
عجبتُ للوردِ فاحت منه رائحةٍ  
عجبتُ للناسِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ!  
واللهُ يسمعُ كلاً وفوقَ لهجته  
عجبتُ للظالمِ الطاغوتِ طال به

تُعنى بأفراخها دوماً ، وتؤويها  
تثبَّتْ الأرضَ ، تُوثِقها ، تُقويها  
في البحرِ طيبةً ، والرزقُ يكفيها  
مثلَ البوارجِ ، إن حطتْ مراسيها  
في لجةِ المَوجِ ، إن شطتْ غواشيها!  
هذي الشهامةُ في أبهى معانيها  
إن الدلافينَ أعيَتْ مُستميحيها!  
أسرابُ طيرٍ طففت زهواً خوافيها  
والأمُ ترتقبُ المولودَ يُشجِيها  
بدونِ ماءٍ - خلالِ السَفرِ - يرويها  
فمن - على عيشه الجميلِ - يُضفيها؟  
فاسألْ معي الناسَ: من جوداً يُصفيها؟  
والمَدَى دَفَعها ، والجَزْرُ يُزكيها!  
في رحلةٍ هداَتْ الليلَ تُغشيها!  
والفجرُ يبعثُ عذبَ النورِ يُجليها  
على مباسمه الأفرارِ تُبديها  
من العذوبةِ تستهوي مُريديها  
هذي اللغاتُ عليهم من يُلقيها؟  
حتى يوجَّههم - للخيرِ - توجيها  
ظلمُ البريةِ - بالتكيلِ - يُشقيها!

وفي أكاذيب - جهراً - ظل يحكيها  
وأوقد النار - للأجسام - يشويها  
وإن تعد فنة منهم يصفيها  
لو أنه مسلم لكان يزوجها  
بالناس ظمأ - على البلوى - يغطيها  
فباغت القوم بالأوجاع ينويها  
جور الطغاة بأحوال يعانيها!  
فأبدلته عذابات يقاسيها  
مؤدباً نفس مكاموم ، ينقيها  
وكاشف عنه أسقاماً يهاجيها  
معيشة بطرت - جهراً - مساويها  
لو بعد حين ، بتقديري أواليها  
تخلص الدار من بلوى أعاديها!  
والعير ترجف قاصيها ودانيها  
حتى تفاجئهم ، فمن يضاهيها؟  
في عزة النفس من منا يحاكيها؟!  
وتستبد بخمر في مراعيها!  
توشوش السخب ، ما ألقى تساميها!  
أن الجميع - بصخر الأرض - يرميها!  
أمن على جودها - حقاً - يكافئها؟

فقتل البعض رغم الأنف في شبه  
وقطع البعض بالأسياف تشافية  
وهجر البعض - في الأصقاع - منتقماً  
وأودع البعض سجناً دون مرحمة  
ولفق التهم المفضوحة التصقت  
إذ غره حلم جبار السماء ضحى  
عجبت للحائر المظلوم سربله  
فبات يجترّ الآمات تصارعه  
ولم يزل بدعاء الله مشغلاً  
يدعو ، ويوقن أن الله ناصره  
فتلك دعوة مظلوم تقاسمه  
يقول ربك: يوماً سوف أنصرها  
عجبت للخيل - في الهيجاء - ضابحة  
تمور قدحاً ، فيهتاج العجاج بها  
تغير صبحاً ، وأعداء الهدى رقدوا  
عجبت للأسد - في الغابات - رابضة  
لا تستكين لأعداء بها ظفرت  
عجبت للنخل - في الأمصار - باسقة  
وشقط الرطب الذي يحاكمنا  
فمن يرد حقوق النخل إذ هُضمت؟

تَهْمِي غِيوْثاً رَطِيْبَاتٍ مَصَافِيهَا!  
عُبَابَ مَاءٍ بِلَا يَأْسٍ يُنَاغِيهَا  
جَلَّ الْمَهِيْمُنُ مُرْسِيَهَا وَمُجْرِيهَا!  
فَوْقَ الْغَمَامِ ، بَلْ أَعْلَى أَقَاصِيهَا!  
وَمَنْ تَرَاهِ مِنْ السَّقُوْطِ يَحْمِيهَا؟  
بِمَا ابْتَنَيْنَا مِنَ الصَّرُوْحِ تُزْرِيهَا!  
فَمَا ابْتَنَيْنَا بِنَايَاتِ ثَمَاهِيهَا!  
سَمَّتْ عَنِ الْوَصْفِ هَلْ شَعْرِي سَيَطْرِيهَا؟  
أَلْبَابَ مَنْ نَظَرُوا إِلَى مَرَامِيهَا!  
وَقِصَّةَ كِتَابِ التَّارِيْخِ تَرْوِيهَا  
سَكَنْدَرِيَّةَ تُخْفِيهَا ، وَتُبْدِيهَا!  
وَفِي النُّقُوْدِ الَّتِي قَدْ بُدِّدَتْ فِيهَا!  
و(شَاهِ جِهَانَ) بِمَا بَنَى يُوَاسِيهَا  
نَحْوَ الْبَسِيْطَةِ ، هَلْ أَمْسَى يُنَاجِيهَا؟  
أَجْدُ مَثِيلاً لَهَا ، سُقِيَا لِمُنْشِيهَا!  
وَسُمِّعَةَ أَسْنَنْتُ ، أَرَاهُ يَنْفِيهَا!  
وَلِلْأَمْدَادِيحِ أَقْوَامٍ تُغْنِيهَا  
مِسْكَاً يُعْطِرُ دُنْيَانَا ، يُسَالِيهَا  
تُسَهِّلُ الْعَيْشَةَ الشَّجْوَى ، تُهْنِيهَا  
تُسَابِقُ الرِّيْحَ إِنْ سَارَتْ ، وَتَفْرِيهَا!

عَجِبْتُ لِلسُّخْبِ - فِي الْجُوزَاءِ - هَائِمَةً  
عَجِبْتُ لِلسُّفْنِ الشَّمَاءِ مَاخِرَةً  
وَاسْتَقْبَلْتُ أَمْرَهَا - فِي الْبَحْرِ - جَاهِدَةً  
عَجِبْتُ لِلطَّائِرَاتِ الْيَوْمَ نَشْهُدُهَا  
فَمَنْ يُوصِّلُهَا - إِلَى الْمَطَارِ - إِذْنَ؟  
عَجِبْتُ لِلنَّاطِحَاتِ السُّخْبِ تُخْجَلُنَا  
كَيْفَ ابْتَنَاهَا أَنْاسٌ فِي دِيَارِهِمْ؟  
عَجِبْتُ لِلسُّورِ سُورِ الصِّينِ صَانِعْتَهُ  
عَجِبْتُ مِنْ أَهْرَمَاتِ الْجِيْزَةِ اسْتَلْبْتُ  
أَجْدَاثَ فِرْعَوْنَ وَالْأَلِّ الَّذِينَ طَعَنُوا  
عَجِبْتُ مِنْ كِتَابِ صِيْنَتِ بِمَكْتَبَةِ الْإِ  
عَجِبْتُ مِنْ (تَاجِ مَحَلِّ) فِي عِمَارَتِهَا  
قَبْرِ الْحَلِيْلَةِ (مَمْتَازِ) الَّتِي هَلَكَتْ  
عَجِبْتُ مِنْ بَرَجِ (بِيْزَا) مَالٍ مُنْحَدِراً  
عَجِبْتُ فِي (بَابِلِ) مِنْ الْحَدَائِقِ لَمْ  
عَجِبْتُ مِنْ بَرَجِ (إِيْفِيْلِ) وَرَفَعْتَهُ  
وَلِلْفَرَنْسِيْسِ بِالْأَبْرَاجِ خِبْرَتَهُمْ  
عَجِبْتُ مِنْ زَمَنِ فَاحَتِ حَضَارَتِهِ  
فِي كُلِّ شَبْرٍ رَمُوزِ الْعِلْمِ مَائِلَةً  
عَجِبْتُ لِلْقَاطِرَاتِ الْهُجُوجِ تَحْسِبُهَا

تُزَلُّ الصَّعْبَ ، وَالدُّنْيَا تُحْيِيهَا!  
وَمَنْكَرُ الْفَضْلِ لِلْفَضْلِ يُجَافِيهَا  
تَفْضِلاً مِنْهُ - بِالْخَيْرَاتِ - يَعْطِيهَا  
وَأَوَّلُ النَّعْمِ التَّقْوَى تُسَاوِيهَا  
فَهَلْ هُنَاكَ مِنْ نَعْمَى تُسَامِيهَا؟!  
فَأَصَابُوا بَعْدَهَا فِينَا مَعَاتِيهَا  
تُبْذِي الْحَقَائِقَ: خَافِيهَا وَبَادِيهَا  
مَنْ حَازَ قِصَّتَهَا - صَدَقاً - فَيُفْشِيهَا  
وَإِنْ تَفَارَقَ جُسُومَ النَّاسِ تُرْدِيهَا  
لَمْ نَدِرْ - مِنْ حَوْلِنَا - الْأَشْيَاءَ نَحْصِيهَا  
بِرَا الْبَرِيَّةِ مِنْ طِينٍ ، وَيُفْنِيهَا  
كُلَّ الْخَلَائِقِ فِي الْأُمُورِ تَمْضِيهَا  
وَشَاهِدِي - فِي سَنَا الْفَحْوَى - قَوَافِيهَا  
وَمَنْ يُطَالِعُ يَجِدُ سَجْعاً وَتَشْبِيهَا  
وَلِلْبَدِيعِ أَمَارَاتٌ تُزَكِّيهَا  
عَسَى الْمُهَيِّمِ يَجْزِينِي ، وَيَجْزِيهَا!  
وَالسَّامِعِينَ لَهَا وَمَنْ سَيَّرُوِيهَا!  
قَدْ اسْتَحَقَّ - مِنَ الْأَنْبَاءِ - تَنْزِيهَا  
عِبَادَةَ غَمْرَتْ حَبِيباً وَتَأْلِيهَا  
لِذَا أَسْفَهَ أَهْلَ الشَّرْكِ تَسْفِيهَا

عَجِبْتُ لِلْكَهْرِبَا غَزَتْ مَعَايِشِنَا  
عَلَى الْجَمَائِلِ لَا حَصْرَ ، وَلَا عَدْدَ  
تَبَارَكَ اللَّهُ فِي دُنْيَايَ أَوْجَدَهَا  
عَجِبْتُ لِلنَّعْمِ الْكُبْرَى تُجَمِّلُنِي  
وَبَعْدَهَا الْعَقْلُ ، وَالتَّكْلِيفُ عُمْدَتُهُ  
وَاسْأَلْ عَنِ الْعَقْلِ مَنْ غَلَبَتْ عَقُولُهُمْ  
وَنِعْمَةُ الْبَصْرِ الْحَدِيدِ مَا فَتَتْ  
وَنِعْمَةُ الرُّوحِ: مَا فَحْوَى حَقِيقَتِهَا؟  
مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَلَمْ يَخْبِرْ بِهَا أَحَدًا  
(عَجِبْتُ) لَيْسَ لَهَا مَدَى يُحَدِّدَهَا  
فَالْعَلْمُ لِلَّهِ مَوْلَانَا وَمَوْجِدُنَا  
حَاولْتُ بِالشَّعْرِ وَصَفَ الْقُدْرَةَ انْتَضَمْتُ  
وَلِلْقَصِيدَةِ مَغْزَاهَا وَرَوْنَقِهَا  
أُورِدْتُ كُلَّ جَمَالٍ أَسْتَعِينُ بِهِ  
وَالْأَسْتَعَارَاتُ بِالنُّوعِ تَدْمِغُهَا  
أَنْشَدْتُهَا - فِي اقْتِدَارِ اللَّهِ - مُحْتَسِبًا  
وَبَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ خَطَّ زَبَدَتَهَا  
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْوُجُودَ مِنْ عَدَمٍ  
وَيَخْلُصُونَ - لِمَوْلَاهُمْ - عِبَادَتَهُمْ  
إِنْ لَيْسَ يُعْبَدُ غَيْرَ اللَّهِ خَالِقَهُمْ



ومن يؤله من فيها ، ويُطريها  
على طرائق ، والأهواء تُجريها  
وفتنةٍ أحرقت أشقى مُريديها  
هذا يشوه من أتوه تشويها  
إذ شبهوا الله بالمخلوق تشبيها؟  
وفي الكتاب نصوص فازتاليها  
هَدِي الرَسُول بعزَماتٍ يُزَكِّيها  
بها الصَّحَافُ ، كان العبد يُخفيها  
وإن يكن فاعلُ الزلاتِ يُبديها  
تفضل الله - بالغفران - يطويها  
فغفور رب الورى - في التو - يُرديها  
شركٌ يؤله غيرَ الله تاليها  
يُزكي الصَّحَافُ أعمالاً ويُزبيها  
يُخَي النفوس ، وبين الناس يُعليها  
هذي الحقيقة تُزكي الروح ، تُخبيها  
وأرسل الرَسُول - للأنام - تهديها  
من استمى عن صفات النقص تنزيها  
فلا تكن حُجةً يَحْتجُ آتيها!

تعمساً لمن عبدوا القبور أجمعهم  
إني رأيت الألى القبورَ قد عبدوا  
لا يُستساغ الذي أتوه من ضلل  
وهل يُطاع طواغيتٌ إذا شرعوا؟  
وهل - على الشركا - أوزار من عبدوا  
لا يغفر الله شركاً أكبراً أبداً  
إلا إذا تاب منه العبد متبعاً  
ويغفر الله ذلاتٍ ولو ملئت  
حتى الكبائر فضلاً منه يغفرها  
وإن أتى بقرب الأرض معصية  
فلا يكون لها فيما أتى أثرٌ  
لكن بتوحيده رب لا يُخالطه  
توحيدُ رب الورى لا شيء يعدله  
أراه أفرض ما الدينان أوجبه  
الخلق والأمر للرحمن سيدنا  
تبارك الله من - للخير - أرشدنا  
مبشرين بجناتٍ لمن عبدوا  
ومنذرين بنيان لمن كفروا

## أبورية هيا إلى العمل!

(طلب إلي بعض معلمات المدرسة الوطنية بعجمان تصميم أبورية إنشادي للأطفال عنوانه (هيا إلي العمل)! يتناول حكاية الدب الكسلان الذي يريد التهام العسل دونما مشاركة في عمل! وكيف رد النحل عليه! فلم أتأخر عنهن في ذلك حباً في المدرسة الوطنية ورغبة في تطويرها ورفعتها ومجدها ابتغاء وجه الله - سبحانه وتعالى - . ولم أكتب الأبوريات من قبل! فوعدت أن أحاول ثم رفضت الفكرة! ثم تذكرت الأستاذ موسى ديب الخوري الذي كان يرى أن الإبداع يبدأ بالمحاولة فيقول ما نصه: (قد تبدو الفكرة غريبة في الظاهر ، وغير مألوفة. لكنني أراها تشمل جميع فنون الإنسان وأعماله الإبداعية ، على جميع المستويات. بل أرى أيضاً أنها أساس كل عمل أدى إلى تطور الإنسان وإلى تفتحه. من هنا أحب أن أنظر إلى الشعر - إلى الشعر الحديث خصوصاً - وإلى دور الشعر العربي الحديث في مسيرة الشعر العالمي على وجه التحديد. وإذن فعلينا أن نقرّ ونعترف - والأمر ليس صعباً - أن ما يحدّد قيمة العمل الإبداعي هو قدرته على التعبير عن قيمة الحياة والحقيقة ، وليس كما نظنّ ونزعم غالباً ، أن المقاييس الفنية المتوارثة أو التي لا تزال في طور الصياغة ، هي التي تحدّد في النهاية القيمة الحقيقية للعمل الخلاق. وفي الشعر لا يمكننا الاستغناء ، كما يحاول الشعر الحديث أن يفعل ، عن القوالب العتيقة وعن القوافي المقيدة ، فتتحول الألحان الرتيبة في القصيدة إلى غنائية داخلية. لكن من الصعوبة بمكان الاستغناء عن الشعور في الشعر - وإلا لما عاد شعراً). هـ.

والآن لتتخيل كيف يُغني النحل وهو يجتهد في العمل داخل الخلية فيقول مترنماً شادياً:

إننا لنعشقُ العسلَ	لكني نَجوُدُ بالعسلِ
ولا مجبال للكسلِ	حياتنا لا تحتملِ
مَنْ كان ينشدُ العُلا	فليس تخفَ بالكسلِ
وليس تَمزَّ عاملاً	مَنْ يجتهد هو البطلِ

وفجأة يأتي الدب الكسلان الذي يريد أن يأكل العسل دون أن يعمل أو يجتهد فيقول:

أنا استيقظت من نومي	أريدُ الأكلِ يا قومي
بلا عمل ولا تعب	لأشبع سائرَ اليوم
يكاد الجوعُ يقتلني	أغيثوني بلا لوم
هي الأمعاءُ خاوية	وليس تسيرُ بي قديمي

أريد خليفة مـلأى      لثقة ذني من العدم  
شذاها طيب عبـق      يطيبُ خاطري وفمي  
لقد حقتْ أمنيـتي      هناك قبالة الـيم

ويصحو النحل وقد كان نائماً في خلاياه! فتحاور الدبّ نحلة ذكية فتقول له:

أيها الـدب سـلاما      أكرموا الضيف الهمامـا  
ما تريـدُ يا عزيزي      نحن خـدّامُ النشـامـي

فيرد عليها الدب في غرور واستكبار و صلف ، وكأنه ملك من الملوك ، فيقول لها:

ابـذلوا كـل جـمـيل      قدّموا الآن الطعامـا  
أحضـروا الشـهد المـصـفـي      في شـذاه القـلب هـامـا

فترد عليه النحلة بكل نصح وموعظة لتنكر عليه ذلك الكسل فتقول:

نـحن لا نـعطـي الكـسـالى      لا ، ولا نـعطـي النـيامـا  
عـجزوا عـن بـذل جـهـدٍ      يأخـذون بـه الحـطامـا

فيسألها الدب عن الطريقة التي بها يعيش معهم ، ويعمل مثلهم ، ويستمتع بالحياة فيقول:

كـيف أـغدو فـي قـراكم      عـاملاً يـهـوى العـظامـا  
أعشـقُ الشـغل بـصـمـتٍ      لـستُ أقضـيها كـلامـا

فتنصحه النحلة ، وتبين له الطريقة التي بها يعيش مُكرماً ومحترماً فتقول:

خـل عـنك النـوم ، واعمـل      سـوف نـعطـيك وسـامـا  
ويـراك الكـل شـهـماً      بعـد أن نـلت احـترامـا

## الزاهية تحدثنا عن نفسها

(أنشدت هذه الملحمة الشعرية عن (الزاهية) وعن أنظمتها العلمية التربوية التسعة ، مشيداً بجمالها ومعجباً بطبيعتها الخلابة ومناظرها البديعة ، بعد زيارة لها في شتاء 2014م ، بناء على طلب من الشیخة فاطمة آل نهيان. أما الزاهية فهي أشبه ما تكون بالواحة الطبيعية الظليلة في منطقة (الحليو) بعجمان ، وربما تكون هذه البقعة من أجمل مناطقها وبقاعها على الإطلاق! ويوجد فيها تسعة أنظمة بيئية مختلفة. وكل نظام يشكل بيئة تعليمية متكاملة في ذاته. وتلك البيئة تتوفر فيها استراحة متعددة الأغراض. ويستطيع الزائرون من أرباب الفنون والحرف أن يضيفوا إليها من الابتكارات ما يجعلها أجمل وأجمل ، فهي بذاتها تقبل التطوير والتجديد ومُواكبة العصر ومُحاكاة الماضي في آن واحد! وعلى هذا فالمهندس يستفيد منها ، وكذلك الأديب والشاعر والكاتب والمعماري والفيلسوف والمفكر والداعية وغيرهم. وبعد سعادتي بالزيارة التي استمرت قرابة الساعتين ، كانت هذه القصيدة ترجمة وانعكاساً لها. وكنتُ تخيلتُ الزاهية تكلمنا عن نفسها وعن أنظمتها التسعة ، ثم عدلتُ عن ذلك لأجعل الزاهية تتصدرُ الكل وتتحفنا بأبيات ثمانية عن نفسها ، ثم يأتي دور كل نظام ليتحدث عن نفسه: وصفاً وترحيباً ووصية ، في ثمانية أبيات تنفرد في قافيتها وبحرها ووزنها عن غيره من الأنظمة. ثم يأتي دور الضيوف الذين يقومون بدورهم بالترحيب بالزاهية ويدعون لها ، الأمر الذي جعل الأبيات تبلغ الـ 88 بيتاً! وهذا العمل الفني بحاجة ماسة لمن يتبناه ويجعله في قالب إنشادي بديع يبين قيمة (الزاهية) العلمية والتربوية!

### الزاهية

أنا البقعة الخُلوة الغائبة	لذلك سُميتُ بالزاهية
جمالُ الطبيعة في واحتي	يُداعبُ أبصارنا الزاكية
ففي كل ركن أعاجيبه	تغردُ مَحَبورة ساجية
وفي كل درب بدتُ آية	تسامرها الأنفُسُ الواعية
وأنظمتي الناشراتُ الضيا	تُضيءُ دروبَ السُورِ الداجية
لكل نظام ثقافته	وأهدافه الفِئدة السامية
وكل الضيوف رأوا بيئتي	من الزرع والطير والماشية
ورحبتُ بالكل ، أمتعتهم	وجُذتُ بأفكارِ الزاكية

## النظام البيئي الأول (البركة التعليمية)

وتغني أعذب سامرها	البركة ترم زائرها
واسمع لأغاني طائرها	ترحيباً بالأضياف أتوا
وتسلي خاطر شاعرها	ونباتات ترقص طرباً
والماء يطيب لناظرها	وطريق الغاف يظللها
أعجز عن وصف مآثرها	وعلى الأشجار عصافير
تخرج من جوف حناجرها	ولهها أصوات شادية
يحكي ترديد خواطرها	وبأودية الصبار صدى
تختال بعذب مناظرها	والجساسة في الوادي انخفضت

## النظام البيئي الثاني (ساحة الإنصات)

أنا أم له وأب	أنا للضياف أرتقب
ت) تمنح من له طلب	مغاني (ساحة الإنصات)
فلا يبقى به نصب	وتهدى الضيف راحته
إذا ما بعضهم عتبوا	وعندي ينصت الكرماء
وعندي تقرأ الكتب	وعندي يكتب الشرفاء
ولا فوضى ، ولا صخب	هـ دوء لا ضجيج به
وكم قالوا؟ وكم لعبوا؟	سلوا الضيفان كم سعدوا؟
ت) عندي السمع يطلب	لأنني (ساحة الإنصات)

### النظام البيئي الثالث (النفق الضيق)

ويصـ أفـكم ، ويصـ أفـكم	(النفق الضيق) يدعوكم
هـذا التعريـج يسـلككم	لا تخشوا بأس تعرجه
بجميعـ الشـكل تحيـكم	(أحواض الخضرة) يانعـة
بهباء الخضرة تشـرككم	و(البيوت الأخضر) بهجتـه
وعبيـر الـورد ينـاجكم	وشذى الأزهار يعطـركم
ونرى إشـراقنا فـيكم	لا شيء يفوق تميزنا
أنـا معـزة بـواديكم	والصـباريات شـهـود
والخيـل عـراقـة ماضـيكم	والإصـطبل ظريـف المـرأى

### النظام البيئي الرابع (المتاهة)

والهـم والغـم والآلام والـحـزن	أنا (المتاهة) عندي يذهب الشجن
مسـرة فـألها مستبشـر حـسن	ومن يزرنـي يجـد عـقبى زيارته
وليس يسـقم - في المتاهة - البدن	عنـدي من اللـعب البريـء أعـذبـه
وكل فرد بما يأتيه مـرتـهن	عنـدي المـلاهـي ، فللتـرفيـه حصـته
من البلايل ، كل تحتـه فنـن!	وسائلوا زمـر الخـلان كم طربوا
كأنما الجمـع بالأنغام مـفتـتن	واسـتعـذبوا شـدوها ، ورددوه معاً
وباحتـي للذـي يزورني وطن	أنا (المتاهة) ، والأضياف تعرفني
بديع حسن سيعلي ذكره الزمن	سلوا الإطارات في مداخلـي رُصدت!

### النظام البيئي الخامس (بيت الشجرة)

أنا ياسادة (بيت الشجرة) فوق الغافة هذي الخضرة  
والغافة تحملني طوعاً والطلعة فوق هينة  
أنا بيت أسسني قوم مشدود الأظناب ، ويكفي  
أنا بيت يطرب زائره ويحار العقول لرؤيتها  
لا يغني قول عن رؤيا  
فوق الغافة هذي الخضرة من فوق الأغصان العشرة  
وسع الطاقة ، ليست خطرة عندهم همم معتبرة  
أن ليست تدخلني حشرة إذ يبصر طرقاً مبتكرة  
أيقام البيت على شجرة؟! وأنا معرفة لانكرة!

### النظام البيئي السادس (مطار الهليوكوبتر)

(المطار) فوق الروابي تسامي لبيت شعري ، والمروحيات تترى  
سيتم البناء يوماً ، وينمو أرض هذا المطار أعلى ارتفاعاً  
إنه عنوان الحضارة قطعاً ربوة منها كل شيء تبدي  
تبصر العين الزرع والطير منه والخيل في اصطبائها ، والمطايا  
مستطياً لقا الضيوف النشامي في دلال يزيدهن انسجاما  
كالتبات المغروس إذ يتنامي وهو - بين الرياض - أرقى مقاما  
وعليه العمران في الأرض قاما والمطار - حقاً - يعد نظاما  
والغزال - إما عدا - والنعاما والممرات والزببا والحماما



### النظام البيئي السابع (بيوت الحيوانات)

وأنا النظام التربوي السابع  
والكائنات فوق أرضي أكرمت  
من كل صنفٍ في الدنيا وبيئةٍ  
أهدي الضيوف العلمَ واضحاً  
وما الحياة إن قلت علومها؟  
وفررت للدواب ما تريده  
فعاودوا زيارتي لكي تروا  
واستلهموا الدروسَ ، ثم دونوا  
عندي العلوم منهج وطابع  
وعيشها مستلخ وماتع  
والصيث - في أهل الديار - ذائع  
عن كل ما حويث ، والدليل قاطع  
العلم للحياة نجم ساطع  
والمشهد البيئي في رائع  
عجائب الدنيا ، والعود نافع  
إن لم يكن هناك مانع!

### النظام البيئي الثامن (منطقة الطاقة)

وأنا منار الطاقة المتجددة  
وسلوا جميع الناس عن منظومتي  
إنني لأنصحكم ، وأرجو نفعكم  
استهلكوا طاقتكم بتعقل  
في بيئة أولى بأغلب أهلها  
حتى تمهد للريادة والعلا  
الطاقة المفتاح إن هي رُشدت  
أولم يقل رب الورى: لا تسرفوا  
بالعلم فقت الكل ، صرت السيدة  
تجدوا مجالاتي غدت متفردة  
فأقول ، لست على الورى متزيدة  
لتزيد إن كانت بكم مترشدة  
أن يُحسنوا للطاقة المتجددة  
وتكون من رب الأنام مؤيدة  
كيلا تكون - مدى الزمان - مبددة  
وأنا أرى الإسرافَ أعظم مفسدة!

## النظام البيئي التاسع (المشتل التعليمي)

وأنا المشـتـلُ في طيـاتي  
ذات يمـين ، ذات شـمال  
وورودٌ تحضـنُ أزهاراً  
وفسـائلُ تأسـرُ ناظرها  
لا تشـبه واحـدة أخـرى  
ونظـامٌ بيئـي يعطي  
والصـوبات هنا شـاهدة  
زوروا المشـتـل ليـزودكم  
كم تتـرنح من شـتلات!  
وفقـاً لظريـف النغمات  
وشـذاها يهدي النفحات  
فيطيـلُ إليها النظـرات  
فكلـلٍ مختـلف سـمات  
طـول العـمر وعذب حياة  
أن زمـان المشـتـل آت  
بـالفحوى والمعلومات

## تحية الضيوف للزاهية ودعاؤهم لها

واحـة دفـت بآيات الجمال  
تنشـر العـلم ، وتقـري أهله  
قبـلة الكـتاب إمـا سـطروا  
مـحضـن الصـناع إمـا قـدموا  
ربنا احفظها ، وأكرم شأنها  
ربنا وانفع بها من زارها  
أنت يا رباه أولى بالدعا  
من سواك اليوم ندعو ربنا  
وبها (عجمان) تزهو في اختيال  
من رآها قال: ما هذا الخيال؟!  
في بديع الصنع ديباج المقال  
كل تطوير على غير مثال  
كي يراها الكل في أسمى كمال  
من ذوي الإبداع في كل مجال  
وأرانا قد أظننا الابتغال  
خاب من يدعو سوى رب الجلال!

## التفوق ثمرة العمل

(طلابي المتفوقون في المدرسة الوطنية بعجمان يستحقون أكثر من قصيدة لفرط أدبهم ولتفوقهم على أقرانهم. من أجل ذلك وغيره أنشدت لهم من شعري هذه القصيدة في حفل المتفوقين ، متمنياً لهم مستقبلاً حراً غرداً مع إكمال مشوار الحياة في ظلال التفوق والنجاح!)

سهروا الليالي حسبة ، وتفوقوا  
وتفياوا ظلال العلوم رطيبة  
وتطلعوا للمجد في مستقبل  
لا شيء غير العلم يختصر المدى  
وسلخ هيجاءٍ تخر له العدا  
أبناؤنا اتخذوا التفوق طابعاً  
وهل الحياة - بغير علم - تشتهي؟  
لما بذلنا كل جهد نبتغي  
وتناولوا الأقالام دون تكاسل  
وتحملوا نصب التعلم رغبة  
وتدافعوا نحو المعلم كلهم  
ولكل درس أنصتوا وتفهموا  
هذي دفاترهم تصدق رؤيتي  
وإذا سألت سمعت عذب جوابهم  
وإذا اختبرت ذكاءهم ألفتهم  
وإذا أمرت أطاع كل راضياً  
وإذا دخلت الصف أنصت جمعهم

وعليهم الآباء - عطفاً - أشفقوا  
والى التميز والنجاح تشوقوا  
لجب ، به الأخطار يوماً تحق  
هو شمس هذا الكون إما تشرق  
والعلم إن - حمي الوطيس - البيرق  
وكأنهم - بين الخلاق - فيلق!  
وهل العلوم - بدون تقوى - تُعشق؟  
تعليمهم ، نشطوا ، ولم يتحمقوا  
وتوحدوا في الرأي ، لم يتفرقوا  
منهم بأن لا يفشلوا ، أو يلحقوا  
واستشرفوا بالعلم ، ثم تعمقوا  
وبكل أخلاق الكرام تخلقوا  
في كل سطر يحتفي بك رونق  
كشذى الورود إذا يفوخ ويعبق  
قِمماً بما ترجوه منهم تنطق  
وبلايمين - إن نطقت - تصدق  
وإذا بدأت الدرس جدت ألقوا

لاستأذنونك ليحملوا ، مهما شقوا  
من رقعة! نعم الهدى والمنطق!  
بل أكرموك ، ورغم ضيق أنفقاوا!  
بعبارة صدقت ، فلم يتشددوا  
وبرغبة - في العلم - لم يتحذلقوا  
فيه الأماجدُ بالغوا ، وتأنقوا  
والله يُكرمُ مَنْ يشاء ، ويرزق  
وهل الذي يقلو الصلاة يُوفق؟  
هو في الدراسة فائز مُتفوق  
وأخوهما (موسى) ، ولسنتُ أفرق  
متميز ، وله اجتهادٌ شقيق  
تحصيله متأصلٌ مُتدفق  
بستانٍ أخلاقٍ سمّت ، لا يفرق  
يجتالها ، حتى نقول (فرزدق)!  
وأعيذهم بالله أن لا يزهقوا  
والى المناقب والغلا فليرتقوا  
والنصحُ يوتي أكله إن طبقوا  
أوج المعالي ، إن هذا الأليق  
فتغمدوها بالعطفا ، وتفوقوا  
إن الذي يهبُ الغلامن يخلق!

وإذا حملت من الوسائل حزمة  
وإذا عطست يشمتونك ، يالها  
وإذا استضافك بعضُهم لم يخالوا  
وإذا همُ سألوا لمست هدوهم  
وبهمة تُزري بكل ترهل  
فإذا أُجبت رأيت شكرَك ماثلاً  
وتفردوا بالصالحات تعبداً  
لم يهملوا صلواتهم مثل الغثا  
أكرم بـ (مروان الشعالي) من فتى!  
وأخوه (مروان العلاء) مميـز  
وكذاك (مؤمن) في جميع دروسه  
وكذاك (سعد) و (السعيد) كلاهما  
و (محمد العوضي) خيرٌ محتدأ  
هو (ترمومتر) الصف ، إن تك غلطة  
إنني لأغبطهم ، وأطري شأنهم  
فليطرحوا زيغ الهواجس والهوى  
مازلت أنصحهم ، وأرجو نفعهم  
أبنائي الأحباب جدوا ، واعتلوا  
(عجمان) تطمعُ في جميل عطائكم  
والله أسأل أن يُديم نجاحكم

## الابتلاء سنة ماضية

(لا يخفى على أحد أن الحياة الدنيا مليئة بالمصائب والبلاء ، وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها وفي أي وقت: فمرة يُبتلى في نفسه ، ومرة يبتلى في ماله ، ومرة يبتلى في حبيبه. وهكذا تُقلَّب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم خبير. وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للبلاء والتصور الصواب للمحن ، فسوف يكون زلُّه أكبر من صوابه ، ولا سيما أن بعض المصائب تطيش منها العقول لضخامتها وفجاءتها. ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يسير بين الناس على أرض الله ودنيا الناس وليس عليه ذنوب! يقول الله - عز وجل -: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. أصيب عروة بن الزبير - رضي الله عنه - في قدمه ؛ فقرر الأطباء قطعها ، فقطعت. فما زاد على أن قال: "اللهم لك الحمد فإن أخذت فقد أبقيت ، وإن ابتليت فقد عافيت". فلما كان من الغد ركلت بغلة ابنه محمداً - وهو أحب أبنائه إليه ، وكان شاباً يافعاً - فمات من حينه ، فجاءه الخبر بموته ، فما زاد على أن قال مثل ما قال في الأولى ، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: "كان لي أربعة أطراف فأخذ الله مني طرفاً وأبقى لي ثلاثة ، وكان لي سبعة من الولد فأخذ الله واحداً وأبقى لي ستة. وعافاني فيما مضى من حياتي ثم ابتلاني اليوم بما ترون ، أفلا أحمده على ذلك؟! نعم ، الابتلاء محطة نتوقف فيها برهة من الزمن فإذا بأدران الذنوب والمعاصي تتحات منا كما يتحات ورق الشجر ؛ إذ المؤمن يُثاب على كل ضربة عرق ، وصداع رأس ، ووجع ضرس ، وعلى الهم والغم والأذى ، وعلى النَّصَبِ والوَصَبِ يصيبه ، بل وحتى الشوكة يشاكها. وفي الحديث: "ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ - وهما المرض والتعب - ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها". [متفق عليه]. فالأجر ثابت عند الله ، على كل ألم نفسي أو حسي يشعر به المؤمن إذا صبر واحتسب. وفي الأثر "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على أم السائب رضي الله عنها فقال لها: ما لك ترفزين؟ قالت: الحمى لا يبارك الله فيها. فقال: لا تسبي الحمى فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد". [رواه مسلم]. وعن سلمة بن عبَّيد الله بن مِحصن الأنصاري عن أبيه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ ، أَمِنَّا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. البُخَارِي ، في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي. قيل ليحيى بن مُعاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ قال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه ، فيقول: إن أعطيتني قَبِلْتُ ، وإن منعتني رضيت ، وإن تركتني عبت ، وإن دعوتني أجبت. والمسلم الحق هو الذي يعجل إلى ربه ويفر إليه طالباً رضاه ، وكان لسان حاله ومقاله: (وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى). وقال معروف الكرخي: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل ، فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك فقلت: وما ذلك العمل قال: دوام الطاعة لمولاك ، وحرمة المسلمين ، والنصيحة لهم. (وفيات الأعيان). وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله تعالى به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها" [متفق عليه]. ولقد ابتليت بسادن من سدنة الطواغيت ، كان قد وشى بي عند من يعبدهم من دون الله. وأعاني الله عليه وعلى من استعان بهم في إلحاق الضرر بي! وصبرني الله وأيدني بنصر منه وتثبيت! وأنشدت فيه هذه القصيدة مبكثاً ومحذراً.)

الحمـــــــــــــــــد لله القـــــــــــــــــوي الســـــــــــــــــويـــــــــــــــــد      حمـــــــــــــــــداً كــــــــــــــــثيــــــــــــــــراً طيــــــــــــــــباً بتــــــــــــــــعــــــــــــــــدٍ

سبحانه من ناصر ومؤيد  
من شر نفس غارم ومؤيد  
وإذا أضلّ ، فليس بعدُ بمُهد  
رفع السماء ، وغيره لم نجد  
هادي الوري ، يا دارنا فلتشهدي!  
ع والودنا ، يا أرضُ بعدي ردي!  
والصحب ، والأتباع ، حتى الموعود  
قتل الأسى أحشاءه بتشدد  
وبكل كرب بالمهالك مُزبد  
ق ، ولا أبالي من جحيم الموقد  
والزيف مُجج ، فيا تعابير اشهدي  
ويح اليواقيت العذاب الخرد!  
وبكل دمع في الحنايا مُسهد  
والشرّ يكي في الصدى المُتبدد  
والكبريتُ نازعني سروري بالغد  
لُ مُحطماً بعذابه المنتهد  
فرعون ، يا للمستبد الأكد!  
والشرّ من تكشيره المُتوقد  
من أنت حتى تجهرن بتوعد؟  
انة في الوجوه؟ ومن يخف يتهدد!

هو ربنا ، هو حسبنا ونصيرنا  
ونعوذ بالله العظيم من الهوى  
من يهده الله القدير فمُهد  
وشهادة أن لا إله سوى الذي  
وشهادة أن الرسول محمداً  
صلى عليه الله مادامت سما  
صلى الإله على النبي وآله  
هذا القصيد هدية من مبتلى  
بالحزن أسطره على أحوالنا  
بالدمع أسكبه على غدر الشقي  
هو بالجوى مُزدانة أبياته  
وقد استقل البؤس مركب سيره  
بدمي كتبت سطره وحروفه  
والغدرُ مخبئة تُخمش مُهجتي  
والظلمُ حط رحاله في خيمتي  
غدر الشقيقُ فلا أرى أرضاً تقى  
ومضى يزرع الأرض يزعم أنه  
هو ظن أن الخير من نفحاته  
يا للجهل بحجمه وخدوده!  
من أنت حتى تشهرن سيف الخي

ق؟ وإن تناصَّح ، بالصديق تندد  
ل شراةة ، مثل الفصيل الملسد؟  
أيام ، تجرُّها بغدر الأكد؟  
أقوام؟ ويح الهازلين الشررد!  
بان تُخبِّيء زيفها بتعبد؟  
ع الجاهلية؟ نار من لم يلحد  
ناق الهداة؟ ومن يعارضُ جلد!  
ب تذبذب وجراداً للطغاة؟ ألا اهتد!  
مخ للحضيض بكل بأس أتلد؟  
يا أفعوان كفاك لسعاً في اليد  
عجباً لأمرك من خبيث أوبد!  
زعماء تلون بالضللال الأسود  
أنعمتها - يوماً - على المتشرد  
فسحبها سحب الرباب الأكيد!  
ونسجت من شعري عباءة (مرثد)  
وعملت للدنيا بكل تعبد  
وأراك قد أدنيت كل معربد  
أواه من محض ادعاء أجرد!  
هو قد مضى ، ولوى زمام الموقد  
ونفحتني أبداً بكل تجرد

من أنت حتى تأكلن لحم الصديق  
من أنت حتى تشربن دمه بك  
من أنت حتى تلعبن بعواطف ال  
من أنت حتى تلهون بمشاعر ال  
من أنت يا متلوناً بمسوح ره  
من أنت يا قِطاً وديعافى ربو  
من أنت يا سوطاً تسلط فوق أع  
من أنت يا مترعباً فوق السرا  
من أنت يا متسربلاً بالوهم تط  
من أنت يا حرباء صحتنا هنا؟  
ألهت ذاتك ما ارعويت لآهتي  
وزعمت أنك تمنح الناس الغنى  
وتقول أني قد كفرت بنعمة  
وخصصته برعاية فازاحها  
وتقول أني قد ذبتك دائماً  
وتقول لم أعمل لديني لحظة  
وتقول ضاقت أرضكم بضيافتي  
وتقول أني قد خذلتك في الورى  
وتقول ضل طريقه وسلوكه  
وتقول إنك في الإله نصحتني



وسحبت تزكيتي ، ولم تتردد  
وسقيتني وكسوتني منذ مولدي!  
نحو الهداية يالْفقيه المرشد!  
ومضيت في دربي ، ولم أك أهتدي!  
قد حرت في تفكيره المتجدد  
ليط امتلا ، وعلى الأذى متجاد  
تلو الخطا ، وأخذت شوري الأمر  
أيقظت فتنة مُستبد قمهد  
رب السماء ، فيا لبؤس المشهد!  
وأطعته مثل البعير الأقدود  
بك ، تب إلى مولاك ، ويلك من غد!  
عَي خيمة ، أبئس بغدر الغرقد!  
ونسيت نفسك في خضم الأقدود؟  
وطحنت سُمعتنا بشِدق أهرد؟  
نار حتى قلت زيفاً في الهمام الأصيد؟  
فسعى اللسان يروم بأس مهند؟  
بيد العدا ، يغال كل موحد  
وأزاهر صرّ بعت بعض تورّد  
يا شيخ فاكتمها ، ولا تتصيد  
ورحى العمالة باللظى لم توقد

وتقول إنك في السورى زكيتني  
وتقول إنك طالما أطعمتني  
وتقول إنك طالما وجهتني  
وتقول إنني ما ارعويت لنصحك  
وتقول: هذا لست أعرف دربه  
للهم سلم من فواد بالأغا  
ومضيت للشيطان تلثم الخطا  
وطرقت باباً مغلقاً بمزالج  
وهمست في أذني إسافك لم تخف  
ورأيتَه عمراً ، ورُحيت تُعينه  
طوّعت أي الله للشيطان حسـ  
وذكرتني بالسوء لم ترحم رضيـ  
كيف انحدرت إلى الجهالة هكذا  
كيف انزلت إلى الضلالة جُملة  
كيف اشتركت الغدر بالديـ  
بل كيف طوعت اللسان بسرعة  
أنتم على التوحيد سيف صارم  
وعلى الضلال حمائم مألوفة  
قاطعت قائلهم بثورة مؤمن  
ليست تصدق ما سمعت طبيعتي

يا للـدعيّ المفلس المتحـرد  
ر (عزيز مصر) برمش عين ألود  
دث بالذي يجتأخ عرش العـرد  
ذنب الـذي قارفته بتعمـد  
وتقولها: بالزور فلتتـزود  
لظننت نفسي بالحسام المـرد  
يعني اتهـام عقيـدي بتمـرد  
هو شـيمتي ، بل سمـت كل موحد  
قـة والصرحة رغم كيد المعتـدي  
خيبت ظني وانفعالة سـوددي  
فيما ظننت بشـامتٍ ومنـدد!  
من هـازل ومضـيع ومبـدد  
من حاسـدٍ لدجى الأذى متعمـد  
هو - في الترخـص - حازم بتشـدد  
وي الطبع رخـواً ، ليس بالمتشـدد  
ن على الغـثاء ، وجهـدهم بتزيـد  
ن ، وجمعه في البأس لم يتجلـد  
قعر العمالة عبـقرياً يفتـدي  
أقوام صـحوة هـذينا ، فلترعـد  
ق ، فعـز أهلك في اللظى المتبـد

وأتيـت تطلب أن أوري حـجتي  
وأشـم في كلماتك الجوفاء عـه  
يا أيها الصـديق أعرض لا تحـ  
واسـتغفري يا أيها العصـماء للـ  
أتريد مني أن ألمـم صـرختي  
يا أيها المغرور لو برأتكم  
مطلـوبكم هـذا بكل صـراحة  
والصدق منجاةً ، ويعلم ربنا  
فلئن سـئلت فسوف أنطق بالحقيـ  
قد كنت أرجو ، فيك خيراً وافـراً  
يا سـواتي فيما رجوت وخيـتي  
أسـفي على التوحيد من أمثالكم  
من خائن ومعظم شأن الهوى  
من مـفـر ، ومـفـر ، ومـفـر  
ونراه - في كل العزائم - أنـثـ  
ويل لنور أهله يتفـيهقـو  
ويل لحق أهله يتكلمـو  
وهو الذي صنع الشقاء ، وبات في  
يا أيها الجمع الذي سماكم الـ  
حتى تخالـع ما اعتراك من النفا

ورمتك بالبلوى عيون الحُسد  
ية ، يا فؤادي في الخراب المُفسد؟  
بسيوف جمع - في العمالة - جلمد؟  
متسربل ثاوي بمخالب جلعمد؟  
فوق الرؤوس ، ومن يسُد يستأسد؟  
فوق النفوس ، تبيدُ شهد السؤدد؟  
مته ، ويطعن - في الهدى - كالمهتدي؟  
ن رجال هيعتنا بألفي عندد؟  
ر فر ملتاعاً من المتورد!  
لم يسع في الدنيا لمال لبد  
قبخت من أذن الضواري أبرد  
ما قلت ش شيئاً يفيد المهتدي  
وقهرتم حرق المليك الأوحد  
وشكوتم شكوى الذي لا يهتدي  
وأخذتم التوحيد دمعاً نم ثوهد  
وسعيتم للنار سعبي العجرد  
إلا الطواغي ، كان كالمس تأخذ  
فله بريق خاطف كالجفرد  
مشبوهة في الموقف المتصعد  
يل واضح ، أو حجة لمجدد

إن النفاق ينال منك حقيقة  
فإلى متى هذي النكاية والشكا  
وإلى متى التوحيد يُذبح جهرة  
وإلى متى أهل الهداية حقهم  
وإلى متى أهل النفاق نراهم  
وإلى متى أهل الرياء نعالهم  
وإلى متى الجمع الهزيل يدق خي  
وإلى متى أهل الشقاق يذبحو  
وكانهم كلاً مبأح ، أو بعير  
والله يعلم أنه نور الدجى  
إياك أعني يا عميل بذى الدنا  
أنا أشهد الله العظميم بأنكم  
أقررتم زور الطواغي غيلة  
وعلى البرايا صحتم ، وبكيتم  
وزعمتم أن التعامي جنة  
وأكلتم خبزاً بهدي مليكننا  
في كل شأن صاح مُنذر هزلكم  
يا سعد أهل الجاهلية بانفعال كلامكم  
أعني دمار المخلصين بدعوة  
تتطاولون على الكرام بلا دلي

وَاحْرَ قَلْبِي مِنْ صَنِيعِ مُوعِدٍ!  
نَا ، ثُمَّ سَرْتَمَ سِيرَةَ الْمُتَحَرِّدِ  
وَيَحِ الْأَقْرَابَ مِنْ صَنِيعِ حَلْقِدٍ!  
ب ، وَفِي النَّفْسِ إِهَانَةَ الْمُتَمَرِّدِ  
وَالْيَوْمَ ثَأْرٌ بَيْنَنَا ، لَمْ يَبْرُدِ  
وَطَغَى الْعَدَاءُ كَمَا يَثُورُ الصَّالِحُ  
هُمْ لَا يَرُونَ سِوَى الْهَوَى الْمُتَرَفِّدِ  
رَةً ، تُرْتَدِي ، وَكَذَا التَّفَافِ الْبَرَجِدِ  
مِنْ هَازِلٍ - فِي الْحَقِّ - فَعَلًا مُجْمِدِ  
وَتَحَدَّدَتْ كَالنَّهْرِ بَيْنَ الْأَوْهَدِ  
أَمَّا الْقَلُوبُ فَصَخْرَةٌ مِنْ قِرْدِ  
تَهْوَى الْحَضِيضَ ، وَلَا تَخِيفَ لِأَنْجِدِ  
قَبَحَتْ مِنْ أَمَلٍ شَقِيٍّ حَنْزِدِ  
(مَوْلَى الْمَغِيرَةِ) مُتٌ بَغِيظٌ مُزِيدِ  
وَدُمُ الشَّهِيدِ عَلَيْهِ يَبْكِي الْمُقْتَدِي  
سَاهُ الشَّهَادَةِ ، فَنَابِرِي كَالْمُقْتَدِي  
وَسَطَ النَّفْسَاقِ الْمَسْتَكِينِ الْحَيِّدِ

وَقَدْ اسْتَطَلْتُمْ وَالغَيْنَ بِعَرَضِهِمْ  
تَاجَرْتُمْ فِي الْهَدْيِ بِالْدِينَارِ حَيْدِ  
لَمَّا تُرَاعُوا حُرْمَةَ الْأَقْرَابِ  
فَعَذَابُكُمْ آثَارُهُ تُدْمِي الْقَلُوبِ  
كُنَّا نَرَاكُمْ طَيِّبِينَ أَشَاوَسَاءَ  
وَعَدَا الْوَفَاءَ شَحِيحَةَ أَثَارِهِ  
وَالنَّاسُ لَا تُدْرِي حَقِيقَةَ جَمْعِهِمْ  
هُمْ لَا يَرُونَ سِوَى السَّرَاوِيلِ الْقَصِيدِ  
هُمْ لَا يَرُونَ سِوَى الْكَلَامِ الْمُنْتَقِي  
هُمْ لَا يَرُونَ سِوَى الدَّرُوسِ تَنْظِمَتْ  
أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ فِي قَاعِ الْهَوَى  
أَمَّا الْعُقُولُ فَفِي الْفَلْسُوفِ تَسَاقَطَتْ  
أَمَلُ الْعُقُولِ مُحَاوَرٌ هَمَجِيَّةِ  
عَزَوْا ، الْحَنِيفَةَ فِي طَعْنِ مَاجِدِ  
أَمَّا الْحَنِيفَةُ فَالْإِلَهِ حَسْبُهَا  
جَادَ الْمَلِيكُ عَلِيٌّ (أَبِي حَفْصٍ) فَعَشَى  
وَكَأَنِّي (فَارُوقُ) يَوْمِي بَعْدَهُ

## التمييز طريق النصر

(لما تميزت المدرسة الوطنية وتفوقت بين المدارس ، ونالت الاعتماد الأكاديمي وبعده التميز التربوي ، تحركت قشعريرة الشعر في قلبي ، ووجدتني أتأمل التميز ، فوجدته في كل شيء! والحقيقة أن الذي ينظر فيما خصنا الله به يجدنا قد تميزنا عن الناس من حولنا في أمور كثيرة جعلنا في الصدارة! وهذا من فضل الله علينا. فنحن ننتسب إلى أمة متميزة هي أمة الإسلام. وندين بدين متميز لا يقبل الله سواه هو دين الإسلام. ونقتدي ونتأسى بنبي عظيم الجناح هو رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم -. ونتبع منهجاً وسطاً متميزاً ليس فيه إفراط ولا تفريط. ونتخلق بأخلاق متميزة. والتعليم في مدرستنا متميز ، فقد خصت بصفوة متميزة من المعلمين والمعلمات. والتربية في مدرستنا تغلب جانب القيم ، فليس عندنا ما تعجّ به المدارس الأخرى من حولنا من الأمراض والأوبئة السلوكية والفكرية! كما وأن المدرسة قد حققت نجاحات كثيرة في مجالات عديدة: في اليولة كمنشآت تراثي وفي أولمبياد العلوم وحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقطار المعرفة والخطابة والقصة القصيرة وغير ذلك الكثير مما لا يحضرني ذكره. وتحت عنوان: (حرب النجاح) يقول الأستاذ عبد الله بن سليمان العتيق: مبيناً أن "ثقافة الفوز أن تنظر إلى القوة لا الضعف" ، ويضيف ما نصه: (الإنسان يطمح للغلبة والانتصار على الآخرين في أي مجال في حياته ، فلا يرضى أن يكون غيره أعلى منه ، كما أنه لا يحب أن يغلبه أحد في ساحات العراك والتصارع التنافسي نحو الأعلى والأسمى في الحياة. لذا كان الأهم لديه أن يكون متأهباً لكل حالة يكون فيها صراع وتنافس نحو الكمال ، ولا يكون متأهباً ما لم يكن ناظراً بدقة في مكان قوته وأسلحة المعركة ، فالحياة ليست إلا سلاحاً ، والنجاح له أسلحة كثيرة ، وقيمة السلاح في قوته وجودته ، وإن لم يكن كذلك فليس إلا اسماً معاراً يجلب عاراً. وإذن فسلح النجاح هي القوة المختزنة لدى الإنسان ، وهي الذاتية العظيمة التي تجعله يسير في طلب الشيء بيقين البلوغ والتحصيل له ، وهي أشياء لها حقيقتها وأثرها في واقع حياته ، وإن لم يكن لها أثر في واقعه فليست إلا أوهام والـ "وهم سيبرته النسيان يوماً" ، ولا تبقى إلا الحقائق ، كما أنه لا يصح إلا الصحيح. والبحث عن تلك الأشياء التي هي أسلحة السعي للنجاح خطوة أولى وهي من الأهمية بمكان ، فيبحث عن نقاط قوته في كل شيء ، فيتلمس ذات أنحاء عالمه ليحصل عليها ، وبقدر البحث يكون البعث ، فإن أكثر البحث والتفتيح وجد كثيراً ، وإن قلّ البحث قلّ الموجود. محالّ القوة عند الإنسان موزعة في كيانه كله ، ولكل جزء منه شيء من القوة ، فلديه في: العقل كثير من صور القوة والعقل أقوى قوة يمتلكها الإنسان ، حتى لو فقد بقية الكيان القائم به الجسم ، ففيه التفكير والتدبير والإدارة والقيادة والتأمل والتخيّل ، وأشياء لا تنتهي حصراً لعجزه وقصر نظره ، وقوة العقل في المعارف التي يحتويها ، والمعرفة قوة بذاتها. ولديه الجسد ، فكله قوة موزعة ، وكل جزء منه قوة بنفسه ، ولو دقق نظره في أجزاء جسده ، وخاصة حواسه الخمس ، لأدرك أسراراً خافية عنه تمتلك قوة تسحر ، ولكن أخفاها التغافل والتجاهل. ولديه العاطفة ، فهي قوة متى استثويت واستثيرت ، أقلّ أحوالها أنها إذا تحركت حرّكت العقل فتحرّك له الجسد. إن القوى تلك التي يملكها الإنسان هي التي يجب أن يكون نظره عليها ، نظر المفترخ بها ، المعتمد عليها ، المتمثل بها شهادة زمنية حياتية ، وتلك القوى لا ينظر إليها إلا من ارتقى سماء النجاح ، ولا يمدح الإنسان بها إلا من حصل عليها ولقي أثرها ، وأما من انحط إلى حضيض الفشل فإنه يبحث في الضعف ويهمل القوة. متى التفت الإنسان في ساحة حرب النجاح إلى خلل سلاحه فقد

استلقت انتباه المنافس فأتاه من تلك ، ولو ضعف سلاح الإنسان استبدله بأخر ، فالاحتياط في حرب الحياة كالأساس). هـ. وأشكر للكاتب هذه الفيوضات الغالية! أنشدت هذه القصيدة مشيداً بذلك كله.

من أمة نحن تهوى العز والظفرا  
قد خصنا الله - بالأمجاد - لابساً  
من المحيط إلى الخليج سابقاً  
ونسأل الله أن يقيـل عثرتها  
ونعبدُ الله رباً واحداً أحداً  
جل المهيم من رب تدين له  
وبعد نتبع النبي دون هوى  
ووفق سُننته نبدي تميزنا  
ومنهج الحق شمس في ديارنا  
إننا نراه يقيناً مذهباً وسطاً  
وإن سألت عن الأخلاق طيبة  
والجرف تشهد ما (الوطنية) ابتكرت  
طلابنا - بسنا الأخلاق - نشملهم  
ولا نمل من الأفكار ننشرها  
نريدُهم سادة ، بالعلم قد رفعوا  
ولا نسفه ما يروون من قصص  
ونجتبيهم - ببذل النصح - تربية  
والقائمون - على التعليم - كوكبة  
معلمون لهم في العلم خبرتهم  
وحق للفن أن يهوى ، ويفتخرا  
ثوب الفخر ، ومن يقرأ فسوف يرى!  
كل الأنام ، فلا رجعى لأي ورا  
أرى المليك - على ما قلت - مقتدرا  
من التراب جميع العالمين برا  
خيرُ الخلاق ، تستهدي بما أمرا  
كذلك نتبع المنهاج والأثرا  
طوبى لمن بلباس السنة انتزرا!  
وقد غدا كل من يحيا به قمرا  
ونرتجي - من ورا تطبقه - الظفرا  
وجدت معدنها في ساحنا نضرا  
من القواعد ، هيا استقرئوا الخبرا  
طال الزمان بنا في الدرس ، أو قصرا  
فوق الرؤوس ، كمثل الغيث منهما  
هام الكرام ، تزف الخير والبشرا  
إن لم تكن تحوي ذكري ولا عبرا  
لقد يقدم هذا النصح مزدجرا  
على الشروح عظام ليس مقتصرا  
يجدون الروى والفكر والنظرا!

رضا الإله ، وأمسى الأمرُ مُشْتَهراً  
وَمِنَ لَمَّا بَذَلُوا مِن مِّنحة شِكرًا  
تأثيرُها - في ضيا تدريسنا - ظهرا  
لَكم روت ألسنٌ - عن حزمهم - سيرا!  
هَمَّ التميز يفرى الجهدَ والسهرا  
هم الصرامة تحوي اللينَ والسَمرا!  
ثم اتفقنا ، وبات الكسر مُنجبرا  
ويشتهي أن يرى الأداء مزدهرا  
والله ناصر مَن بأمره انتمرا  
أحلى الجهود ، فهُم مِن أكرم النصرا  
إني لأحسبهم - على الهدى - زمرا  
و(الاعتماد) دليلٌ فوق ما ذكرا  
على الجميع ، وعاد الصرخُ منتصرا  
أبناؤنا بعدما تسنموا الخطرا  
مَن غاب عنهم ومن عن رغبةٍ حضرا  
شأن الذي - عن بلوغ القمّة - اعتذرا  
يفوخُ منه عبيرُ الورد إن نثرا  
وخصّهم بالعطال لم يؤتته بشرا

لا يسأمون من التدريس ، مَطْمَحُهُم  
سِيانَ عندهم مَن صدّ منحتهم  
وللريادة - في التوجيه - فلسفة  
وَمِن يُضاهي - بما أروي - أساتذة  
ونحن نبذل - عن حب - نشاركهم  
وَمِن يُضارغ - في التنويع - مَنهجهم  
كم اختلفنا ، ولم تذهب أخوتنا  
كلّ يريدُ - لهذا الصرح - رفعتَه  
هذا التفاني - لأجل الله - نبذناه!  
وكم بدت (هيئة التدريس) باذلة  
ولا أزكي - على الرحمن - من أحدٍ  
بهم جميعاً سمت في (الجرف) مدرسة  
وب- (التميز) حُرنا خيرَ جائزةٍ  
(أولمبياد العلوم) اجتاز سُلمه  
وحققوا الفوز في (القرآن) يغبطهم  
وفي (حديث رسول الله) ما انهزموا  
وفي (الخطابة) نالوا مركزا عبقاً  
تقبّل الله منهم كل ما بذلوا



## البكائية النحوية

(لقد رثيت الكثيرين بشعري هذا. غير أنني أرثي الدكتور عدنان النحوي بشعري وشعوري وعاطفتي وإحساسني. فلقد كان يُمثل لي الكثير. ولقد امتدّت علاقتي به على مدي عقدين ونصف ، تبادلنا القصائد. والتقيت به في عجمان وصلينا معاً ، وتبادلنا الرسائل وتجاذبنا أطراف الحديث معاً. والعجيب في هذه القصيدة الرثائية أنني بعد إتمامي لها ، ألفتني قد كتبت خمسين بيتاً ، تماماً كما كانت قصيدة والدي علي سليمان عبد الرحيم! وعلى نفس عدة قصيدي في رثاء أمي! فكانه مقام الوالدية يا دكتور عدنان! الغائب الحاضر الدكتور الأديب الشاعر الوالد عدنان علي رضا النحوي (1346هـ / 1928م - 21 ربيع الأول 1436هـ / 12 يناير 2015م) ، الأديب والناقد والنحوي الفلسطيني السعودي ، ولد بفلسطين وحصل على بكالوريوس في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين ، وبكالوريوس في هندسة الاتصالات الكبرائية من مصر والماجستير والدكتوراة في نفس التخصص من أمريكا. عمل مدرساً في سوريا والكويت وفي مجال الإعلام الإذاعي في سوريا والسعودية. أسس دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض ، وأصدر من خلالها مؤلفاته. له عضوية في عدد من الجهات الأدبية والثقافية والمهنية مثل معهد المهندسين الكهربائيين في إنجلترا ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في عمان ، وعضو مؤسس في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة. عدنان النحوي الرجل الذي كان يعيش بجوارحه ومشاعره وعواطفه وأحاسيسه أكثر من أن يعيش بجسمه بيننا. عدنان النحوي الذي ذكرني في أشعاره ، وسطر فيّ وفي شعري القصائد ، فمن أنا؟ ومن عدنان؟ أين الثرى من الثريا؟ أين القزم من العلم؟ عندما ذكرته في شعري ، لم ينله كبير شرف. لكنه عندما ذكرني في شعره نالني الشرف الكبير ، حيث قدمني للجمهور وللناس وللشعراء في وقت مبكر. فجزاه الله عني خيراً كثيراً. وهذا منه تواضع كبير جداً أسأل الله أن يأجره عليه الجنة. ثم إنه تفضل بعد ذلك بمراجعة دواويني ، وترك تعليقاته وتعديلاته وصولاً بها إلى القمة. وكان في غاية التفاهم ومراجعة النفس. أذكر أنه حمل على الأستاذ المودودي في بعض مقالاته. وكنت قد استهجنّت ذلك ، فكتبت له رأيي موثقاً بالأدلة والبراهين ، فما هو إلا أن قام بالردّ عليّ والاعتذار للأستاذ المودودي. وكانت هذه بداية تعارفنا ومراسلاتنا منذ عام 1993م ، حتى ذهب إلى الله شهيداً مجاهداً. عدنان النحوي الذي عزمّت على أن أترجم له في مستهل قصيدي هذي ترجمة مستفيضة تفي بحقه. أسطرها اليوم من باب ردّ التحية التي تفضل بها شعراً من ذي قبل. ألا وإن مصاب الأمة في النحوي لجلل. وإن مصاب الشعراء المؤمنين في عدنان لا يوصف! ولقد تحدّث كثيرون عنه. ولكن الذي استرعى انتباهي ما سطره الأستاذ عبد العزيز العسكر عنه. والذي سوف أقتطف بعض الفقرات من ترجمته عن الدكتور عدنان ، لأنها تكاد تكون أدق ترجمة له وأوفاهما فيما طالعتُ ودرست. نعم تحدث الكاتب السعودي الكبير الأستاذ عبدالعزيز بن صالح العسكر - في ترجمة مستفيضة عن الدكتور عدنان النحوي ، نقتطف من أزهار بساتينها هذه الكلمات. يقول: (كانت بلدة صدف في فلسطين نقطة انطلاق لشاعرنا ، فعلى أرضها وُلد ، وفي قلعتها تربى ، وبين بساتينها الوارفة نشأ من أسرة كريمة ، تنتسب إلى عالم جليل ، اشتهر بين الناس بصفته العلمية وعرف بالنحوي. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في صدف ، وحصل على دبلوم دار المعلمين عام 1948م من الكلية العربية في بيت المقدس ، وبعد نكبة عام 1948م هاجر هو وأهله وأبناء بلده ، فاستقر به المقام في دمشق ، فعمل في التدريس فيها خمس سنوات ، ثم انتقل إلى القاهرة ، ودرس الهندسة في جامعة القاهرة وحصل على شهادتها سنة 1961م ، ثم حصل على الماجستير ، ثم الدكتوراة في مجال الاتصالات الكهربائية من أميركا

عام 1985م. والناظر في تخصص الدكتور عدنان الدراسي ، يجده بعيداً كل البعد عن الأدب ؛ وأنا أجزم أنه لا رابط بين الهندسة وبين الأدب ، وبخاصة الشعر! لكن الأمر عند شاعرنا ، كما وصفه الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمه الله في قوله في مقدمة ديوان: «الأرض المباركة» للنحوي ، الذي صدرت طبعته الأولى عام 1396هـ - 1976م: «وما من شك في أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة في كل أوار حياته ، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة ، فالشعرُ عنده ليس مُعانة احتراف ، ولا محاولة لإثبات وجود في كل مناسبة تسنح ، وليس مطية ذلولاً يتسلى بركوبها في رحلة الحياة ، وإنما هو نبض وجدانه ، ومعاناة عاطفته ، وفيض مشاعره وذوب فكره. إنه يسري في جسده مسرى نفسه ، فليس عنه غناء ، وليس منه بُد. إن همّ التفكير في الأمة والدعوة إلى العمل لحاضرهما لمستقبلها ، وإنهاض الهمم لا يفارق شاعرنا برهة من الزمن ؛ فها هو على سرير المرض في لندن لإجراء عملية في القلب عام 1402هـ ، وعاد ابنه بلال إلى الرياض ، فنظم قصيدة منها قوله:

ذكرناك ما بين المروج ورفقة	من الأهل والأصحاب والخلصاءِ
وأنداء أنسام وحلو غرائس	وخفق ضلوع في صفي دعاء
ومن يصدق الرحمن ينح لمرتقى	عزيز وعقبى نعمة وجزاء
ألهو وفي لبنان هول مجازر	وصرخة أيتام ورجع نداء؟
ومكرّ (لريجان) و(بيجن) عاصفٌ	ليحصد من أهل ومن ضعفاء؟

كان نعم الصديق. شاعر طبع له أكثر من عشرة دواوين شعرية ، وأكثر من ثمانين كتاباً في الأدب والنقد ، وجمع رصيماً ضخماً من التجارب في الحياة ؛ فابتلي بالطرده من الوطن ، وبفقد الولد ، وعاش آلام أمته ، وأعداؤها ينهشون جسدها قطعة قطعة ، وعمل في التدريس زمناً. أديب وناقد بهذه القامة لا يمكن أن تفويه حقه وحق أدبه ، سطورٌ قليلة كهذه! بقي أن أشير إلى أن «موكب النور» ، الذي أكملتُ به عنوان هذا المقال ، مستعارٌ من اسم أحد دواوين شاعرنا ، ولقد وجدت أن أصدق عنوان لطريق شاعرنا الذي سلكه وسار فيه حاملاً لرسالته هو موكب النور ، وفي ذلك الموكب انطلق من «الأرض المباركة» ، وقد واجه في طريقه «جراحاً على الدرب» ، وكان يرى في الأحداث التي تمر بأتمته ووطنه «حرقاً ألم وإشراقاً أمل» ، وفيها «عبر وعبرات». وكان من نتيجة معاناته واستجابته للواجب الذي يحمله بصفته أديباً وشاعراً مسلماً أن نظم أكثر من عشر ملاحم شعرية مطبوعة. عدنان بن علي رضا بن محمد بن عبد الغني ، ويمتد النسب بعد ذلك إلى الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجي. فقد الكثير بعد الخروج من فلسطين وفقد تراث العائلة كالمكتبة وغيرها. أما لقب (النحوي) ، فقد أطلقه والي عكا حين مرّ بها أحد أجداده قادماً من القاهرة ، متخرجاً من الأزهر ، لا يتكلم إلا العربية الفصحى ، فسمّاه النحوي وولاه القضاء في صغد. وأما والده فهو المجاهد والسياسي علي رضا النحوي ، وأجداده وأعمامه علماء وقضاة ، ومفتون ورجال قانون وإدارة ، وأدباء وشعراء. فنشأ ينهل من هذا الجو الغني منذ طفولته ، وينهل كذلك من مكتبة آل النحوي التي تحدّث عنها (محمد علي كرد) في كتابه "خطط الشام" ، والتي زارها عدد من رجال العرب من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها مثل: أحمد زكي باشا ، محمد علي كرد ، توفيق دياب ، وعدد من رجال الصحافة وآخرون وكذلك كان ينهل من أجواء الضيوف الوافدين على عائلته من العلماء والأدباء ورجال السياسة

ومن مجالسهم الغنيّة. وفي هذا الجو نشأ نشأة الإيمان والعلم والأدب ، وتزوّد بزادٍ كريم ، أطلق مع الأيام مواهبه وقدراته ، فنظم الشعر سنة 1942م ، كما يظهر في دواوينه ، وبرز في حياته الدراسية والعلمية ، وجاءت مؤلفاته زاخرة بثمار ذلك الزاد وحصاد مسيرته كلها. يضاف إلى ذلك مدينة "صفد" نفسها وتاريخها العريق ، والعلماء الأفاضل الذين ظهروا فيها مثل "صلاح الدين الصفدي" ، والجدّ الأوّل لآل النحوي في "صفد": "شهاب الدين أحمد بن موسى بن خفاجي الصفدي" المتوفى فيها سنة 750هـ ، والذي له مسجد في "صفد" يُسمّى باسمه: "جامع الخفاجي". وغيرهما من العلماء. يضاف إلى ذلك جمال مدينة "صفد" ، والمناظر الطبيعية الخلابة التي تحيط بها مثل جبال الجليل وأعلاها جبل الجرمق ، وجبال سوريا ولبنان المجلوة أمام العين ، وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا ونهر الأردن والسهول المحيطة بأوانها الرائعة المختلفة المتموجة ، هذه المواقع كلها تحمل جزءاً غير يسير من عظمة تاريخ الإسلام ومعاركه الفاصلة في التاريخ ، ومن مسيرة الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – في تاريخ حافل جعل فلسطين كلها هذه البيئة الغنية ، والمناظر البهيّة ، وجمالها الساحر ، وهي تسبّح خاشعة إلى ربها وخالقها ، تدفع الإنسان إلى النظر في آيات الله ، والتأمل في المربع والآفاق ، فتغرس في النفس حبّ الجمال الطاهر ، وتهب القلب صفاء الفكر والتصور ، وإذا التأمّل والصفاء يبعث في القلب نهجاً جلياً في الحياة ، يقوم على صدق الرأي ووضوحه ، وقوة الفكر والتأمّل ، وأمانة الكلمة والفكرة ، وثبات الموقف على الحق ، واستقامة المسيرة والنهج ، على إيمان وتوحيد بفضل من الله وهداية منه. وقد رافقت هذه النشأة الثورات المتتالية في فلسطين منذ مرحلة الطفولة الباكرة ، مما كان يلهب المشاعر ويمتزج مع ما كان يزوده به الأهل والبيئة ، ليكون حافظاً إلى الجدّ والعمل ، وإلى التزوّد والإعداد. وساهم منذ طفولته كما ساهم أطفال فلسطين بالتصدّي للإنجليز واليهود ولو بالحجارة. ورافق هذه الثورات والأوضاع المضطربة ضرورة التنقل وعدم الاستقرار. وأورث هذا كله وعياً سياسياً مبكراً ، وفهماً واضحاً للعدوّ وأساليبه ، وإدراكاً لضعف القوة المتوافرة عند المسلمين آنذاك ، مع بقاء الأمل مشرقاً في النفس. والبحث المستمر عن طريق النجاة للأمة. ولعله كان هو وزملاؤه الأطفال أول من حمل الحجارة و"المقلاع" و"بارودة السيخ" وغيرها من أسلحة الأطفال المعروفة آنذاك في تصيد الدبابات والدراجات البريطانية ، ثم تبدأ المطاردات حتى يحتّموا بأول بيت يلقونه لقد وهبت هذه النشأة الدكتور النحوي زاداً غنياً ندياً ، ظل يروي مسيرته كلها في مراحلها المختلفة: إيماناً وعلماً ونهجاً وعطاءً. أنهى دراسته الابتدائية والثانوية بين صفد وعكا ، ثم اختير ليتمّ دراسته في دار المعلمين بالقدس (الكلية العربية) ، والتي كان يُختار لها الأوائل من كل مدينة في فلسطين. وفي دار المعلمين تعدّدت أبواب الدراسة: علوم التربية وأصول التدريس وعلم النفس ، وعلوم الرياضيات وتاريخها والفيزياء والكيمياء ، واللغة العربية وفقه اللغة ، ونحوها وصرفها ، والبلاغة والعروض ، والأدب العربيّ في عصوره المختلفة ابتداء من العصر الجاهلي ، وقليل من اللغة اللاتينية ، والمنطق ، وتاريخ اليونان والرومان بتفصيل واسع وتاريخ أوروبا ، ثم تاريخ إنكلترا بصورة موسعة ومفصلة كثيراً ، واللغة الإنكليزية وتاريخها وآدابها ومذاهبها الأدبية بصورة موسّعة جداً. وكان في الكنيّة العربية مكتبة غنية ، فحبّبت إليه المطالعة ، فعكف على مطالعة أهم الروايات العالمية ، وأهم الكتب الفكرية والأدبية والتاريخية ، يملأ بها وقت فراغه بصورة موجزة في المدارس ، التي كان يقرر مناهجها الانتداب البريطاني المحتلّ ، المكلف بإكمال خيوط المؤامرة على فلسطين. ولكن البيت والأهل كانوا يسدّون جزءاً غير قليل من هذا النقص في دراسة الإسلام في المعاهد الرسمية الحكومية ومن خلال هذه النشأة ومسيرة الحياة والعوامل المؤثرة كلها حفظ القرآن الكريم ودرس تفسيره وتجوّده وعلومه. ودرس السنّة

من الصحاح والسنن والمسانيد ، ومصطلح الحديث. كما درس الفقه من كثير من كتبه في المذاهب المختلفة ، وأصول الفقه ، وتابع دراسة اللغة العربية وآدابها. وظلت الدراسة الجادة جزءاً رئيسياً في حياته في مختلف العلوم ، تخضع إلى منهج محدد يمضي عليه حياته كلها ، وكذلك أسرته وكل من رغب في النهج والتزمه. ذلك هو المنهج الفردي الذي هو جزء من النهج العام الذي يدعو إليه: "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن". ونال البكالوريوس في الهندسة الكهربائية قسم الاتصالات بدرجة جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية من مصر ، ودرجة الماجستير والدكتوراة في نفس الاختصاص العلمي من أمريكا ، ودرجة الزمالة من إنكلترا. كما أخذ دورات تدريبية في هذا التخصص في فرنسا لدى أكبر شركاتها المتخصصة ، ودورة تدريبية في الدراسات العليا في الهندسة الكهربائية في جامعة الملك سعود. ودرس اللغة الفرنسية في دورة عامة في جامعة بيزانسون في فرنسا ومع مسيرة الحياة ، كان يتابع دراسة الواقع والأحداث السياسية ، كجزء رئيس من المنهج الثابت الذي يمضي عليه في حياته. وكانت دراسة الواقع والفكر السياسي عنده تتم من خلال أهم الكتب التي تصدر باللغتين العربية والإنكليزية ، والمجلات المتخصصة في أبحاثها ، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة ، وبالإضافة إلى الصلات التي توفرها له بيئته وأهله ، والنشاط الذي يتبع ذلك. ونمت هذه الدراسات وأخذت ميادين متعددة حين انطلق في الدعوة الإسلامية في باكورة شبابه ، ونمت معها الخبرة ونما الزاد من العلوم المختلفة. كما زادت مهنة التدريس ثم عمله في الحقل الهندسي ومسؤولياته الكبيرة ، ثم العمل في المؤسسات التي أنشأها مرحلياً ، والرحلات والسفر إلى بعض بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا ، والندوات والمؤتمرات ، هذه كلها زادت خبرة وعلماً. وكان النزوح الأول عن فلسطين بحدود سنة 1937م إلى دمشق ، ليلحق هو ووالدته وإخوته بوالده الذي سبق أن خرج مع أعضاء اللجنة المركزية التي تقود ثورة سنة 1936م ، اللجنة التي كان الإنكليز يطاردون رجالها لإجهاض الثورة. وكانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي آنذاك. وكان الانتداب الفرنسي يضيق مجال التحرك على أعضاء اللجنة ، ولا يسمح لهم بالإقامة في مدينة واحدة ، مع المراقبة اليومية. وكانت الحياة صعبة مع هذه الظروف . ولكنها سمحت لداعتنا بالتعرف على المجاهدين وعلى رجالات الثورة ، ومتابعة الأخبار. ولما توقفت الثورة عاد إلى صفا ، دون أن يُسمح لوالده بالعودة. وكان الإنكليز قد نسفوا بيتهم الكبير في وسط مدينة صفا في موقع يشرف على جبل الجرمق ومواقع جميلة أخرى. وظل فيه جدار واحد قائماً. والحجارة التي انهارت ظلت على الأرض إلى تاريخ النزوح الثاني ، شاهدة على جريمة المعتدين الظالمين. ولكن اليهود أزالوا بعد احتلالهم آثار الجريمة ، وأقاموا مكانها عمائرهم. وقد أقام هو ووالدته وإخوته في بيت العائلة ، بيت الأجداد ، البيت الذي كان يُسمى "بيت القضاء" لأن أجداده القضاة كانوا يقيمون فيه. وكان يتم فيه دروس دينية للراغبين ، دروس منهجية يخرج منها الطالب ليزاول عملاً شرعياً. وعندما سُمح لوالده بالعودة ، انتقلت العائلة إلى مدينة عكا ، حيث أصبح والده مدير أوقاف اللواء الشمالي. وهناك بدأ نشاط داعيتنا الاجتماعي والسياسي في النوادي الثقافية ، ومع الطلاب والشباب المتعلمين وهو في سن مبكر ، بدأ نشاطه ونشاط إخوته كذلك. كَوْن مع بعض الطلاب من مدن فلسطين المختلفة اتحاداً للطلاب ، ليجمعوا الصفوف لمقاومة الإنكليز واليهود ، وكان من بواكير أعمالهم المظاهرة الكبيرة في القدس ، المظاهرة التي ضمت مختلف كليات القدس. وطافت المظاهرة شوارع القدس ، وانتهت في باحة المسجد الأقصى ، حيث ألقى داعيتنا خطبة في الطلاب والجماهير المحتشدة ، ونجد بعض الصور لهذه المظاهرة في كتابه "على أبواب القدس". وعاصر في القدس أحداثاً جساماً قامت بها الثورة آنذاك يقودها المجاهد عبد القادر الحسيني رحمه الله. وبعد التخرج



توجه إلى عكا عبر طرق خطيرة ، حيث كانت الثورة قد اشتعلت. وتعرض هو ومن معه لحادث نجاهم الله منه ، ومن عكا كان النزوح الثاني إلى دمشق ليرافق والدته المريضة التي توفيت بعد ذلك بسنة تقريباً يرحمها الله ، وبقي والده وأخواه في عكا ، حتى سقوط مدينة عكا ، فغادروا المدينة في اللحظات الأخيرة ، وأخذت المدن تتساقط واحدة بعد الأخرى ، والأفواج المتلاحقة من أهل فلسطين يلجؤون إلى سوريا ولبنان وغيرهما. ولم يكن يدري النازحون أنه لا عودة لهم بعد هذا النزوح ، وأن الأعداء يسيرون على خطة واضحة لديهم ينفذونها ، وأن المسلمين في الأرض لا خطة لهم. وكان من أخطر ما اكتشفه هو وغيره أن المسلمين في الأرض خارج فلسطين لا يدركون أن فلسطين هي أرضهم شأنها شأن أوطانهم وأنها مسؤوليتهم ، وأن كل مسلم محاسب يوم القيامة عن ضياع فلسطين. وكان ما يسمى بجيش الإنقاذ من كل البلاد العربية قد دخل فلسطين لينقذها ، كما كان يقال آنذاك ، ولكن الأمر كان غير ذلك. وجرّد أهل فلسطين من السلاح ، وسقطت المدن كأنها مدن مفتوحة إلا بقايا مقاومة ضعيفة. وسقوط كل مدينة قصّة ومأساة ، وحيرة وتساؤل وذهول. وزاد احتكاك داعيتنا مع رجالات فلسطين من خلال نشاط والده علي رضا النحوي الذي كان يبذل الجهد مع إخوانه لإيقاظ الأمة وتنبئها إلى حقيقة الخطر الذي يهدّد العالم الإسلامي كله ، الخطر الذي يحمله اليهود المنتفون كلهم حول الصهيونية والذين تدعمهم السياسة الدولية كلها. وانتقل بعد ذلك داعيتنا إلى الكويت. وهناك نما نشاطه السياسي والفكري ، وتحدّد اتجاهه الإسلامي بشكل واضح ناضج ، واستمر منهجه الدراسي. وكان يلقى محاضرة كل أسبوع عن الإسلام أو العمل الإسلامي ، أو قضاياها ، مثل قضية فلسطين ، وغيرها. ومن أجل دخول الجامعة في مصر لدراسة الهندسة لم تكن تقبل شهاداته التي مرّ عليها أكثر من سنتين. فتقدّم لامتحان التوجيهية الكويتية ونال المرتبة الأولى بمعدل غير مسبوق ، مما سهل دخوله الجامعة مع إعفائه من الرسوم بسبب معدّله العالي ، وانتقل إلى القاهرة ودخل الجامعة وحافظ على تفوقه فيها. وتابع نشاطه الإسلامي. وفي هذه المرحلة أخذ يدرك بصورة أوضح المخاطر أمام العمل الإسلامي وأمام المسلمين جميعاً. قدّم نهجاً بالنسبة لقضية فلسطين ، ليتولاه صفّاً صامد واحد للمؤمنين المتقين ، لأنهم هم أول المسؤولين والمحاسبين عن فلسطين ، في الدنيا والآخرة. وهل يعقل للحظة أن يكون أحد أكثر مسؤولية من المسلمين المؤمنين المتّقين؟! ولكنها كانت صيحة غابت وراء الأفاق ، وأجهض النهج والتصور كلّهُ ، وقامت أنشطة أخرى ملأت الساحة آنذاك وطغت عليها ، ونالت الدعم كله! وكانت هذه الفترة مليئة بالنشاط ، وكان الأمل ينمو بأن يهتدي المسلمون إلى الطريق المستقيم الأمثل لمجابهة الأحداث. وكانت الفرصة مواتية للانطلاق بصورة واعية تجمع القلوب والسواعد ، ولكن يبدو أن عوامل التمزيق كانت أقوى. وانتقل داعيتنا بعد ذلك إلى سوريا. وبدأت حياته الزوجية مع انتقاله إلى حمص ، حيث عمل مهندساً ثم مديراً للإذاعة التي كانت في مرحلة الإنشاء. وتعرض لمتاعب متنوعة ، كان من أهمها الغارات الجوية التي تنهال على الإذاعة مع كل انقلاب ، والتي نجاه الله منها برحمته ، ومتاعب أخرى متعددة ، وانتقل إلى السعودية حيث عمل في وزارة الإعلام في الرياض مسؤولاً عن محطات الإرسال ، ثم أنشأ أول استوديو في إذاعة الرياض افتتح في أول شهر رمضان المبارك سنة 1384هـ. ثم أصبح مسؤولاً عن المشروع الأول الكبير ، مشروع محطة إرسال الميجا واط ، ثم سائر مشاريع محطات الإرسال الإذاعي الكبيرة التي جعلت إذاعة المملكة من أقوى الإذاعات. وأصبحت مسؤولية كبيرة لضخامة المشاريع ، ودخل مع الشركات المنفّذة في خلافات حادة في النواحي الفنية والمالية والقانونية ، وكوّنت من أجل ذلك لجان تحقيق رسمية ، وكانت نتيجة ذلك أن أعانه الله على حفظ المشاريع من الناحية الفنية وإجبار الشركات على إصلاح العيوب والأخطاء ، وعلى حفظ أموال الدولة ، واستعادة

الدولة حقوقها المالية من الشركات. وأصبح موضع تقدير الشركات نفسها واحترامها ، لدقته العلمية وقوته ، ولنزاهته وعدالته. ولقد مرّ داعتنا من خلال ذلك بمواقف وتحديات كثيرة وكبيرة ، تحديات علمية وفنية ، وقانونية ومالية وغير ذلك ، أمام كبار مهندسي الشركات وخبرائها الفنيين والقانونيين والماليين! فمن الله عليه بفضل ، فحقّق نصراً كريماً نال به احترام الجميع. لا مجال هنا لذكر جميع هذه المواقف والتحديات على أهميتها وطول امتدادها قرابة خمسة عشر عاماً ، إلا أننا نكتفي بذكر موقفين اثنين: فبعد الانتهاء من إحدى المفاوضات الطويلة مع إحدى الشركات وخبرائها ، وبعد أن أقرت الشركة بكلّ ما بين لهم داعتنا ما وقعوا فيه من أخطاء ومخالفات في التنفيذ ، ووافقوا على دفع التعويضات المالية للدولة وإجراء الإصلاحات اللازمة ، وبعد أن أقرّوا بذلك كلّهم ووقعوا عليه ، قام رئيس وفد الشركة بالمفاوض وصافحه وخاطبه بالإنكليزية ما معناه: "إننا نحترم المبادئ التي حاربتنا بها ، واعتبر شركتنا مفتوحة لك في أي وقت وفي أي مركز ترغبه. أنت أهل لكلّ احترام". فردّ عليه بقوله: "أنا لم أحاربكم ولكن بيّنت لكم عملياً ما هو الإسلام. هذا ما لقيته من غير المسلمين الذين كشف لهم أخطأهم ورفض إغراءاتهم ، ورأوا منه نهجاً سليماً ، وموقفاً صلباً. وعند الله خيرٌ من ذلك كله إن شاء الله. لقد كان الفضل كله لله إذ أعانه على أن يقم الإسلام لهؤلاء بالموقف والسلوك ، والانتصار على كلّ الإغراءات وأبواب الفتنة ، وبالثبات على الحق ، وتحمل النتائج التي كانت أوّل الأمر إيذاءً شديداً وإرهاقاً وظلماً ، ثم انقلبت إلى راحة نفسية ، وإدراك أوسع لهداية الله وفضله. وموقف آخر: فقد رفعت لجنة فنية كوّنت من ثلاثة في نفس اختصاصه الهندسي تقريراً فنياً عن المشروع المشار إليه أعلاه ، تقريراً مخالفاً لما ورد في دراساته وتقاريره الفنية. فجمعت لجنة التحقيق بهم ليدور حوار علمي على مسمع من جميع أعضاء اللجنة. وبدأ الحوار وامتدّ حتى ظهر الحق فيما عرض من حجّة وعلم ، فأسقط في أيديهم واحمرّ وجه رئيس اللجنة الفنية خجلاً ، ثم وقف وقال: لم يعد من حاجة لوجودي وانسحب مع زميليه. ويقول داعتنا عن هذه المواقف: "هذه مواقف وتحديات كان الفضل فيها لله ، فهو الذي هداني وعصمني وأعانني ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، بعد أن كانت الفتن والإغراءات من كلّ لون وبكلّ أسلوب تتدافع من كلّ ناحية من الصعب أن توصف شدة الإيذاء الذي عانى منه ، من هنا ومن هناك ومن مصادر متعددة ولمدّة طويلة نسبياً. ولكنّه خرج من ذلك كله بفضل من الله: هداه الله وعصمه وحفظه ، وحسب المؤمن أن ينال ذلك. وكان من بين مسؤولياته في وزارة الإعلام أن كان المستشار الفني لوكالة الأنباء الإسلامية. وشارك في وضع أسسها الفنية ومواصفاتها الرئيسية ودراسة العروض التي قدمتها شركات عالمية. وكان هذا العمل الطويل صورة عملية لممارسة نهجه وإيمانه وعلمه. ولكنه كلفه الكثير من صحته. فخرج من العمل لتجرى له أول عملية مفتوحة بالقلب ، ثم الثانية ، ثم الثالثة بالبالون ، ثم السكري والربو ، مع آلام في فقرات الظهر والرقبة ، والركبتين ، وغير ذلك ومازال تحت العلاج حتى اليوم. ويقول داعتنا: "ولقد كان لهذا البلد المسلم الذي أصبحت مواطناً فيه فضل عليّ كبير. ففيه كان كلّ عطائي الفكري والأدبي والدعوي. ومن هنا نمت خبرتي ونما علمي. ومن خلال عملي زرت عدّة بلدان وحضرت عدّة مؤتمرات. وأرجو أن أكون قد قدّمت خلال إقامتي هنا ما يرضي الله سبحانه وتعالى في أكثر من ميدان. ومهما قدّم المسلم لأمته ودينه فيظلّ مقصراً في حقّ أمته ودينه. والواجب كبير والمسؤولية كبيرة. "أما المعاناة والآلام والإيذاء الشديد فذلك ينسى مع الأيام. وأصبح يقيم في السعودية مواطناً فأقام أولاً مؤسسة البشريّات ، ثم دار النحوي للنشر والتوزيع. ولكنّ التحديات لم تتركه ، وظلّ ماضياً على نهجه ، صابراً على ما يلاقه في ميادين جديدة. ولقد رأى أن الاعتكاف على الكتابة والتأليف ووضع خلاصة تجربته في الحياة وفي العمل الإسلامي الطويل ، أنقى وخير

له في دينه ودينه ، معتزلاً ميادين التنافس على الدنيا وزخارفها ، التنافس الدنيوي والجري اللاهث وراء زخارفها الكاذبة ، التنافس الذي مزق المسلمين ، وفتح فيهم ثغرات واسعة يدلف منها الأعداء ، ليلهبوا الفتنة ، ويزيدوا التمزيق ، ويوهنوا القوى. هذا وقد جمع مكتبة علمية تضم شتى أنواع المعرفة من هندسة وعلوم أخرى ، وأدب وفكر ، ودين ، دراسة الواقع ومذاهب وغير ذلك ، وتضمّ بحدود عشرة آلاف كتاب تقريباً. زار خلال هذه المسيرة أقطاراً متعددة في العالم من خلال نشاط علمي أو دعوي أو فكري ، أو أدبي وحضر مؤتمرات متعدّدة. ومن أهم الأقطار التي زارها: سويسرا ، ألمانيا ، إنكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، السويد ، إيطاليا ، اليونان ، كندا ، أمريكا ، الكويت ، قطر ، البحرين ، الإمارات العربية المتحدة ، العراق ، الهند ، باكستان ، تركيا ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وغيرها. قضى في هذا الميدان قرابة ستين عاماً ، ينهل ويعطي ، ولقد تعهّد أجيالاً وربى ناشئة ، واكتسب من خلال ذلك خبرة تنضم إلى دراسته في التربية وعلم النفس وممارسته التدريس ثماني سنوات ، وسائر خبراته التي عرضناها لا يخفى على أحد ما لاقاه العمل الإسلامي خلال هذا القرن ، وبصورة خاصة في النصف الثاني منه ، وما كان فيه من ابتلاء وتمحيص ، وعقبات ومشكلات ، وفتن ونكبات ، سواء أكان ذلك في الصف الداخلي أم من الخارج! ولقد قدّم نصحه بصورة مستمرة من خلال دراسات وأبحاث ، مع توافر الحجة والبيّنة من الكتاب والسنة. وتكوّن لديه من خلال ذلك تصور واضح رأى ضرورة عرضه بصورة جادة حازمة. فكان المنهج الذي يدعو إليه كلّ مسلم وكلّ أسرة وكلّ جماعة ولكل داعية وعالم: نهج يحمل النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والدراسات التفصيلية لبنودها وعناصرها ، والمناهج التطبيقية ، والنماذج العملية ، والدراسات الأدبية والملاحم والقصائد ، ودراسات موسعة في قضايا الواقع من خلال منهاج الله ، والنظام الإداري ، وتحديد الأهداف الربانية الثابتة ، والأهداف المرحلية ، ليكون كلّ نابعاً من الكتاب والسنة ، ملبياً لحاجة الواقع ، معيناً للمسلم على النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة ، وعلى المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية الثابتة في الحياة الدنيا ، والمضي على صراط مستقيم ، ذلك كله بمشيئة الله وفضله ، لمن صدقت نيّته وصحّت عزيمته. ولقد واجه داعيتنا الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي تحديات كثيرة في ميدان الحياة ، مما يمكن أن يوقع الإنسان في فتن ومحن. ولكن فضل الله كان كبيراً عليه ، حين عصمه من الدخول في أي فتنة أو الخروج على منهاج الله ، أو عدم ردّ الأمور صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله. فظل خلال مسيرته كلها: صادق الرأي واضح الحجة والبيّنة ، أميناً في موقفه ثابتاً يرجو طاعة الله ورحمته ، مستقيماً في مسيرته على صراط مستقيم. متجاوزاً القيل والقال وترّهات الأمور. لقد قدّم دراسات لمن يعينهم الأمر عن نواحي الخلل والضعف في واقع الدعوة الإسلامية ، دون أن يلجأ إلى نشر ذلك في وسائل الإعلام ، كما فعل الكثيرون. ولقد لاقى داعيتنا من التحديات مثل ما لاقاه في ميادين أخرى ، وقد كان لدراسته صدق طيب لدى المؤمنين الصادقين ، وكانت عاملاً مساعداً لتقارب النفوس والقلوب بفضل الله. ولقد قدّم في ميدان الدعوة الإسلامية وقضاياها وقضايا العالم الإسلامي دراسات جادة مفصّلة في كتب بحدود مائة وأربعة وعشرين كتاباً ، تمثل كلها مع كتب الأدب والشعر والملاحم النهج الذي أشير إليه أعلاه. وقدّم من خلاله نظريات متعددة مثل: النظرية العامة للدعوة الإسلامية أي: نظرية المعرفة في الإسلام لتقابل نظرية المعرفة لدى الغرب ، وقانون الفطرة ، ونظرية النهج الإيماني للتفكير ، ونظرية التربية في الإسلام ومناهجها ، نظرية الوسع الصادق والوسع الكاذب ، وقدّم تجديداً في الفكر الإسلامي وتطبيقه في الواقع وفي الدعوة الإسلامية ، وغيرها. ليكون كلّ نابعاً من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ومن مدرسة الدعوة النبوة الخاتمة ، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله. وهذا النهج يأتي



بعنوان: "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ليكون أساس لقاء المؤمنين وبناء الأمة المسلمة الواحدة". وسُمي مدرسة لتجنب التصور الحزبي والعمل السري. لقد كان لداعيتنا د. عدنان النحوي رؤية واضحة لقضية فلسطين منذ أول شبابه ولسائر قضايا العالم الإسلامي. كان يرى أنه لا بد من الجيل المؤمن المتراص صفًا واحداً بعيداً عن جميع مظاهر العصبية الجاهلية التي حرّمها الإسلام ، ولا بد من النهج الواعي الحق المدروس ، والخطة الوافية الآمينة ، ولا بد من إعداد القوة كما أمر الله ، فذلك أقرب للتقوى وإلى طاعة الله ، وإلى أن ينزل الله نصره. وكان هناك فسحة من الوقت آنذاك. وكان المؤمنون في الأرض حشداً كافياً. ومضت السنون والمسلمون لم يعدوا العدة ولا النهج ، وأكثروا من الشعارات والتمزق ، حتى أخذت الفرص تضيق ، واليهود تنمو قواهم وخطتهم ، وعدتهم وسلاحهم ، ويزداد كسبهم على الأرض جولة بعد جولة. لقد حملت قضية فلسطين الإسلام شعاراً ، وأخذت في الميدان صورة إقليمية أو قومية ، وجاءت النتائج كما هي ظاهرة اليوم للعيان. وكان يرى في جملة ما يراه عدم قبول دولة فلسطينية مجردة من كل أسباب القوة ، وعدم جواز التنازل عن أي جزء من أرض الإسلام وبخاصة أرض فلسطين وأن قضية فلسطين وغيرها من ديار الإسلام هي مسؤولية كلّ مسلم والأمة المسلمة كلها. ولذلك لا بد من جمع القوى وبناء الصف المؤمن الواحد كالبنيان المرصوص على أساس من منهاج الله ، ونزع العصبية الجاهلية وجميع أسباب الفرقة والتمزق. لقد كان الأدب من أهم ميادين نشاطه منذ صباه. وقد جمع قصائده الأولى في "ديوان الأرض المباركة" ، ثم توالى دواوينه وملاحمه الشعرية ، ثم امتدّ نشاطه الأدبي في ما قدّمه من دراسات ومقالات نشرتها صحف متعدّدة ومجلات في العالم العربي والإسلامي ، وفي كتب ومؤلفات تجاوزت تسعة دواوين شعرية ، وأربع عشرة ملحمة ، وفق النظرية التي يعرضها للملحمة الإسلامية ، تتناول بعض قضايا العالم الإسلامي. وفي هذه الدراسات قدّم نظرية الأدب الملتزم بالإسلام ، ونظرية النقد الذي اقترح تسميته بـ "النصح الأدبي" ، ونظرية الجمال في الإسلام ، ونظرية الملحمة في الأدب الملتزم بالإسلام لتفارق التصور الوثني اليوناني ، ونظرية تولد النص الأدبي ، وغير ذلك من الدراسات النامية المتطورة على أسس ثابتة راسخة وجذور ممتدّة. وردّ على المذاهب الأدبية الغربية: كالحداثة والبنوية والتفكيكية والأسلوبية ، وغيرها. ودرس موضوع الشعر المتفكّلت بين النثر والتفعية ، وبيّن رأيه بوضوح الحجة والبيّنة برفض هذا النوع من الكلام في ساحة الشعر ، فحسنة نثر لا صلة له ولا نسب مع الشعر ، وذلك في عدد من كتبه: النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، الحداثة في منظور إيماني ، الشعر المتفكّلت بين النثر والتفعية وخطره ، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، وبيّن خطر ذلك على اللغة العربية. وارتبطت دراساته هذه مع دراساته للمذاهب الفكرية والسياسية الغربية وردّه عليها ، مثل: الاشتراكية والديمقراطية والرأسمالية والعلمانية والعولمة وغيرها ، وبيّن عظمة النهج الإسلامي وحاجة البشرية كلها إليه ، وإعجاز المنهاج الرباني - قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً - ، وقدرته على تلبية حاجة الإنسان في جميع العصور وجميع الميادين وجميع الأماكن والأحوال. ففي جميع ما كتب من مؤلفاته التي بلغت حتى الآن مئة وأربعة وعشرين كتاباً في موضوعات فكرية وفقهية وتربوية وسياسية وأدبية ودراسة أحداث الواقع ، كانت حجّته وبيّنته من الكتاب والسنة ، ومن الواقع الذي يرده إلى الكتاب والسنة رداً أميناً ، فجاءت كتبه تمثّل نهجاً واحداً متماسكاً ، وفقهاً ممتدّاً يقوم على الركنين الأساسيين: المنهاج الرباني والواقع. ولقد كان من أوائل من ساهم في نشاط الدعوة إلى الأدب الملتزم بالإسلام. فقد حضر الندوة الأولى للأدب الإسلامي في لكنؤ - الهند - برعاية ندوة العلماء سنة 1401هـ ، وقدّم فيها بحثه: "الخصائص الإيمانية في الأدب الإسلامي" وقصيدته: "عرانس وجواهر - هدية الشعر". وكان من

المؤسسين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مؤتمرها الذي عقد في لكنؤ - الهند - برعاية ندوة العلماء ورئيسها الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله. وقدم في هذا المؤتمر بحثه المتميز "الموضوع الأدبي وولادة النص الأدبي" ، ودرّته الشعرية عن الأدب الإسلامي "مهرجان القصيد". وفي هذا المؤتمر وُضِع النظام الأساسي للرابطة. وأصبح داعيتنا عضواً مؤسساً وعضواً في مجلس الأمناء ، ونائب رئيس مكتب البلاد العربية. ولأسباب متعدّدة اعتزل ذلك في وقت لاحق ، وتفرّغ للدراسة والإنتاج ، وقدم ذخائر من الفكر والشعر. تبلغ مؤلفاته حتى الآن (ربيع الآخر 1433هـ) مئة واثنين وثلاثين كتاباً ، ترجم بعضها إلى الإنجليزية والتركية والأوردية منها: ستة وثلاثون كتاباً في الدعوة وفكرها ومناهجها ، والتربية والبناء ومناهجها ، والفقّه في الدعوة وامتداده في الحياة والإدارة ، وتسعة كتب في التوحيد وموضوعاته الإيمانية ومناهج تطبيقها ، وثمانية وثلاثون كتاباً في دراسة قضايا الواقع الفكرية وأحداثه ، اثنا عشر كتاباً في الأدب الملتمزم بالإسلام ، وخمسة كتب في الرد على المذاهب الأدبية الغربية ، وعشرة دواوين شعرية ، وخمس عشرة ملحمة شعرية ، وثلاثة كتب باللغة الإنكليزية ، وأربعة كتب مترجمة إلى لغات أخرى. هذه الدراسات والمؤلفات في موضوعاتها المختلفة تمثل عصارة علم المؤلف الداعية وتجربته خلال أكثر من نصف قرن ، صاغها على صورة نظرية عامة للدعوة الإسلامية بمعناها العام ، تقوم على قواعد الإيمان والتوحيد ، الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان ، وعلى المنهاج الرباني ، ودراسة الواقع من خلاله ، ثم تأتي بنود النظرية وعناصرها ، ونهج مفصل لبعض ميادين النشاط ونظام إداري ، ومناهج تطبيقية ونماذج علمية ، للفرد والجماعة والأمة ، للدلالة على أنّ المنهاج الرباني - قرآناً وسنةً ولغة عربية - صالح لكلّ زمان ومكان حتى قيام الساعة. هذا بالإضافة إلى مقالاته في معظم مجلات العالم العربي والإسلامي وصحفه ، مما يؤلف إنتاجاً فكرياً كبيراً ، بالإضافة إلى مساهماته في المؤتمرات والندوات الفكرية والأدبية والعلمية. لقد قدم داعيتنا في دراساته موضوعات جديدة في الدعوة والفكر والأدب. وكذلك كان شعره يمثل نهجاً متماسكاً مترابطاً مع سائر ما يقدمه من موضوعات ، لتؤلف كلها منهجاً جديداً متميزاً في واقعنا اليوم ، نابغاً من الكتاب والسنة ، لقد كتب عنه عدد غير قليل من الأدباء والمفكرين في صحفٍ ومجلاتٍ في العالم الإسلامي ، وأحاديث في بعض الإذاعات ، كما تحدّث عنه مفكّرون وأدباء في كتبهم ومؤلفاتهم ، وفي المواقع الإسلامية على الإنترنت. ومن هؤلاء: د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. محمد مصطفى هدارة ، د. محمد جابر قميحة ، د. أحمد كمال زكي ، د. سعد أبو الرضا ، د. صالح عبد الله ، د. مأمون جرار ، د. موسى إبراهيم أبو دية ، د. محمود السيد الدخيم ، د. محمد عادل الهاشمي ، د. محمود الربداوي ، د. محمد بن سعد بن حسين ، د. محمد لطفي الصباغ ، د. محمد بن عزوز د. عبد الرحمن عبد الوافي ، والأستاذ عبد العليم القباني ، والأستاذ أحمد مبارك ، والأستاذ يحيى بشير الحاج يحيى ، والأستاذ عبد الله خليل شبيب ، والأستاذ محمد شلال الحناحنة ، والأستاذ حسني أدهم جرار ، والأستاذ أحمد الجدع ، والأستاذ محمد أبو صوفة ، والأستاذ حلمي الأسمر ، والأستاذ محمد أحمد الرواشدة والأستاذ ماجد رسلان ، والأستاذ محمد صالح! وقد نُشرت مقالاته في بعض صحف ومجلات المملكة العربية السعودية ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، ودولة قطر ، واليمن ، والأردن ، والجزائر ، ومصر والسودان ، والمغرب ، أفغانستان ، وكشمير ، الهند ، لبنان ، فلسطين ، إنجلترا... الخ. هذا وقد قدم د. نعيم كامل شبير دراسة عن الدكتور النحوي في كتاب خاص بذلك بعنوان: (صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان). هـ. أشكر للأستاذ العسكر ما تفضل به من ترجمة الدكتور عدنان النحوي حفظه الله. وأدع الدكتور عدنان النحوي يقدم نفسه بنفسه هكذا مستخدماً تاء الفاعل من خلال لقاء صحفي معه! وهذا اللقاء مع

فضيلة الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي. العَلَمُ العالم العلامة الداعية المفكر الشاعر الأديب الناقد الناصح ، المجاهد بقلمه ، نحاوَر فيه الكاتب ، المؤلف ، والمبدع. ولا يخفى أن الذي أجرى الحوار مع الدكتور عدنان هو الأستاذ عبد الحافظ شمروخ ، والحوار موجود كاملاً في موقع: (قصة الإسلام). \*\* بداية نشكر فضيلتكم على إتاحة الفرصة للقراء للتعرف عليكم وعلى تجربتكم في الكتابة والتأليف. فما هو ومتى كان أول كتاب تولفته؟ وما هي قصته؟ - لقد بدأت الكتابة ولم أبلغ الرابعة عشرة من عمري. كنتُ أكتب الشعر ولم أكن درستُ العروض ولا عرفته. وكنتُ أكتب أبحاثاً في موضوعات شتى ، وكان بعض أساتذتي في الصفوف الثانوية يُسَرِّون بها ، ويطلبون مني قراءتها على الطلاب في الفصل. وبدأتُ أكتب بعض الخواطر كتابية خاصة لي ، لم أكن أفكر في النشر أو الإعلام ، وهذا كله فُقد مع النزوح. أول كتاب تم جمعه وطبعه ونشره كان ديوان الأرض المباركة ، وقصته أنني كنتُ قد جمعتُ كل ما لدي من قصائد ، فأطُغ عليها بعض الأصدقاء في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية ، إلى أن وصلتُ إلى الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمه الله ، فاتصل بي ودعاني إلى زيارته ، وذهبتُ إليه مع بعض الأصدقاء ، وفوجئتُ بأنه أعدَّ مقدمة للقصائد التي اطَّعَ عليها ، وشجعتني على طبعه ونشره. وكان من بين الحضور صاحب دار نشر ، فعرض طباعة الديوان ونشره. وقبل أن تبدأ طباعته كتب عنه كذلك الأستاذ الشاعر الأديب عبد العليم القباني ، والأستاذ الأديب الدكتور أحمد كمال زكي ، والأستاذ زهير مرديني ، وتحدث عنه في إذاعة الرياض الدكتور محمد لطفي الصَّبَّاح ، ثم كتب عنه في جريدة اللواء الأردنية الأستاذ أحمد عوض النشاش ، ثم توالَت الكتابات عنه بعد طباعته ونشره ، والشكر والتقدير لجميع الأخوة الأدباء والشعراء الذين تفضلوا وكتبوا. وكانت الطبعة الأولى سنة 1398هـ / 1978م ، ثم توالَت الدواوين حتى بلغت الآن تسعة ، والملاحم الشعرية أربع عشرة ملحمة. وقد تم إصدار ديوان الأرض المباركة في ست طبعات متتالية بحمد الله تعالى ومنه وفضله. \*\* عندما كتبت أول كتاب ، هل كان لديك فكرة أنك ستقوم بتأليف هذا العدد الكبير والمتنوع من الكتب القيمة؟ - كان أول كتاب من غير الشعر ، هو كتاب "دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية". لقد بدأتُ في التفكير في تأليفه وأنا في قلب العمل الإسلامي أرقب ما يعانیه العمل الإسلامي من تحديات ومشكلات وأخطاء ونواحي ضعف وخلل ، دون وجود أي محاولة في حدود علمي للمعالجة والإصلاح. وعندما يسرَّ الله لي الوقت للتفرغ لتأليف هذا الكتاب ، كانت تجمعت لديَّ عدة قضايا شعرت بالواجب أن أكتبها وأدرسها وأعرضها. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني ما تركت كتاباً لداعية إسلامي عربي أو غير عربي إلا درستُه ، ويُضاف إلى ذلك أنه في مسيرة حياتي درستُ علومًا متعددة ، خلاف ما ندرسه في المرحلة الثانوية ؛ ففي الكلية العربية في القدس كان الزاد الذي أخذته كبيراً إلا مادة الإسلام ، فدراستها كانت جهداً شخصياً وتوجيهاً بيتياً. فقد درستُ التربية وعلم النفس وأصول التدريس واللغة العربية وأدبها وشعرها ، واللغة الإنجليزية وأدبها وتاريخها وشعرها مع النقد الأدبي ، واللغة اللاتينية لبضعة أشهر ، والرياضيات وتاريخها ، والطبيعيات والكيمياء ، تاريخ اليونان بتفصيل مملّ وتاريخ أوروبا ، تاريخ إنجلترا كذلك بتفصيل واسع ، تاريخ الرومان ، المنطق ، وعلومًا أخرى. وتابعت دراسة الإسلام وتاريخه بجهد شخصي! ثم حفظت كتاب الله ، وكان هذا أكبر زاد حملته. وخلال هذه المسيرة قرأت قراءة خاصة لمعظم الكتاب المشهورين في العالم العربي مثل طه حسين ، وجورجي زيدان ، ومصطفى صادق الرافعي. وقرأت لمعظم الشعراء الكبار في مرحلة شبابي مثل محمود سامي باشا البارودي ، وشوقي ، وحافظ إبراهيم ، والأخطل الصغير ، وأحمد محرم ، وبدوي الجبل ، قراءةً وحفظاً على قدر ما أستطيع ، يُضاف إلى ذلك ما درسناه في الدراسة الثانوية ، والكلية العربية من شعراء العصر

الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والعهد الأموي ، والعهد العباسي ، دراسة مفصلة مع التحليل والنقد. ولقد استفدت كثيراً من مكتبة الكلية العربية المليئة بالمراجع في مختلف العلوم ، وكان من أكثر ما قرأت منها القصص العالمي. هذا بعض الزاد الذي حملته في مرحلة شبابي ، ثم جاء الزاد الكبير من الإسلام ومن فترة وجودي في الميدان. وعندما قدمت الكتاب للفسح جاءني خطاب شكر وتقدير على هذا الكتاب الذي اعتبروه مفيداً للشباب والعالم ، وأشعر أن كل كلمة فيه خرجت من صميم فؤادي ودمي وعروقي. كان هذا الكتاب أول ثمرة لمسيرة حياتي ، لم أكتبه للشهرة ولا للسمعة ولا للتجارة ، ولكنني شعرت بأن واقع المسلمين بحاجة إلى ما في هذا الكتاب بعد أن أخذ الناس يبتعدون عن تدبر كتاب الله ، وأخذوا يزدادون جهلاً باللغة العربية ، وأخذت الشعارات يزيد ضجيجها ، والعلم الحق يبهت ويغيب. وبعد جلسات كثيرة ومناصحة وحوار اقتنعت أن تفرق المسلمين وتمزقهم ناتج عن خلل في الإيمان والتوحيد ، وضعف كبير في دراسة وتدبر منهاج الله ، وغلبة الشعارات ، وغيب النهج والتخطيط. لذلك رأيت أن أبدأ بوضع نهج وخطة للدعوة الإسلامية! فكان باكورة النهج والخطة هذا الكتاب: "دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية". ولم يكن لدي فكرة كم كتاباً سأؤلف ، ولم أكن أفكر في ذلك أبداً ، وكان كل فكري محصوراً في قضية واحدة رئيسة ، كيف يمكن أن نضع نهجاً ومنهجاً تطبيقيين للدعوة الإسلامية ؛ ليكون هذا النهج هو الأساس الذي يلتقي عليه المؤمنون. كان هذا الذي يشغل فكري ويطلق عزيمتي ، متوجهاً إلى الله تعالى ، راجياً أن يكون العمل كله لله لا تفسده الدنيا ، والبحث عن السمعة أو المال أو أي كسب مادي دنيوي آخر. كنت أتوقع أن أرسم النهج كله في خمسة كتب أو عشرة كتب ، ولكن تبين لي مع المسيرة أن النهج يجب أن يقدم حلولاً تطبيقية عملية لما يدور في الميدان من خلل أو أحداث أو قضايا تحتاج إلى دراسة وإجابة وحلول. وكلما ألفت كتاباً فتح الكتاب أمامي موضوعات جديدة ، مهمة وضرورية ليشكل النهج خطوطه وملامحه وموضوعاته ، ولتتكامل على صورة منهجية. أما سبب تنوع الكتب على هذا النحو الذي بلغته اليوم ، فلذلك سببان: أولاً إن نهج الدعوة الذي أسعى إلى وضعه يجب أن يعالج مشكلات الواقع المتجددة في مختلف مجالاتها. وثانياً: أن دراساتي كانت متنوعة جداً ، سواء في ذلك دراساتي الجامعية ودراساتي الخاصة التي كان من طبيعتها أنها دراسة منهجية تطرق أبواب الفكر وميادينه والواقع وأحداثه. \*\* لماذا تكتب؟ - أكتب لأنني صاحب رسالة عظيمة أعيش لها ، وقضية أداغ عنها. أريد أن ثبغ رسالة الله كما أنزلت على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، إلى الناس كافة تبليغاً منهجياً صافياً ، وتعهدهم عليها تعهداً منهجياً صافياً ، والمضي على ذلك حتى تكون كلمة الله هي العليا. وهي ليست مسئوليتي وحدي ، لكنها مسئولية كل مسلم وداعية وعالم. ومن أجل ذلك أضغ نهجاً ليسهل على المسلم والداعية التزود بالزاد الحق ، وليسهل عليه الوفاء بعهده مع الله ، وليسهل عليه تبليغ الرسالة والدعوة ، ويكون هذا النهج أساس لقاء المؤمنين في الأرض أمة واحدة ، لا تفرقها الحزبية ولا العصبية الجاهلية ، ولا تنافس الدنيا. \*\* لمن تكتب؟ من هي الشريحة التي تكتب لها؟ - أكتب للناس كافة: أولاً للمسلم العادي ، للداعية ، للعالم ، ولكل من يعرف العربية ؛ لأدعوه إلى الإسلام دعوة صافية بعيدة عن التصور الحزبي أو العمل السري. \*\* ما هو الموضوع الذي تود أن تكتب فيه ولكنك لم تفعل؟ ولماذا؟ - هي موضوعات كثيرة نبعت مما كتبت حتى الآن ، يوحى بها متطلبات الرسالة التي أدعو لها ، وأنا ماض في ذلك حتى ألقى الله. فبعض هذه الموضوعات أكتب فيها وبعضها لم يأت دورها. إنها خط ممتد مع امتداد الواقع والرسالة. \*\* ماذا تعلمت من تجربة الكتابة؟ - تعلمت الكثير الكثير وأول ما تعلمته هو أنني كلما تعلمت شيئاً وكتبت فيه ، تفتحت أمامي آفاق جديدة منه حتى أشعر بأنه ما زال أمامي الكثير ، وأن بحر العلم لا شاطئ له ، وكأني كلما ازدت علماً ازدت معرفة بأن ميدان العلم أوسع.



والدرس الثاني أنه لا قيمة للعلم إلا حين يتمثله الإنسان إيماناً وممارسةً إيمانية ، ونهجاً في الحياة ، وخلقاً . ثم تعلمتُ درس الإيمان والتوحيد وأساسه ، وتعلمت مجاهدة النفس ، وأن العلم يحتاج إلى العمل والسعي والبيان والتبليغ ، وأن هذا كله يحتاج إلى نهج وخطة تحمل النية والدرب والهدف. تعلمتُ النهج الإيماني للتفكير لأدعو إليه بعد أن ألتزمه أنا ، تعلمت الكثير والكثير وأنا أتلو كتاب الله وأتدبره وأحفظه. \*\* ما هي العقبات والصعوبات والعوائق التي واجهتك خلال تجربتك في الكتابة والتأليف والنشر والتوزيع؟ - الصعوبات كثيرة ، ولكن أهمها النشر والتوزيع ، فهي صعوبات متلاحقة تحتاج إلى صبر. ومما سهل الأمر عليّ أنني لا أسعى لشيء من الدنيا إلا أن يتقبل الله عملي خالصاً لوجهه الكريم. وكنت أشعر أن الله تعالى يمدني بعونه ، ولو بالصبر والجلد...! لأن أمتنا لا تقرأ إلا القليل منها. \*\* الكتاب للقراءة. بعبارة أخرى ، أن الكتاب يُكتب ليقرأ. ما هو رضاك عن أمة "اقرأ"؟ - أمة "اقرأ" لا تقرأ! \*\* ماذا تقرأ؟ وبأي اللغات؟ وفي أي الموضوعات؟ - أقرأ كل شيء في كل موضوع طيب نظيف يعينني في رسالتي وهدفي. وأقرأ باللغة العربية والإنجليزية ، والموضوعات شتى ؛ الفكر الإسلامي ، الدعوة الإسلامية ، الفقه ، التوحيد وموضوعاته المتنوعة ، أحداث الواقع وقضاياه ، والأحداث الدولية ، وقضايا العالم الفكرية كالمسيحية والمادية التاريخية والمادية الجدلية ، والديمقراطية ، والحداثة ، والبنوية والتفكيكية والأسلوبية ، والعلمانية ، والعولمة ، والإدارة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والموضوعات الأدبية ، والنصح (النقد) ، والتاريخ والشعر ، وغير ذلك. وأهم من هذا كله الدراسات القرآنية ، وكتب السنة والسيرة ، والفقه ، واللغة العربية وقواعدها وآدابها. \*\* لمن من الكتاب المعاصرين تقرأ؟ - لعدد كبير جداً وفي الموضوعات التي سبق بيانها ، ويصعب تعدادهم ، وهذه مكتبتي يزيد عدد الكتب فيها عن اثني عشر ألفاً. \*\* كم تقرأ في اليوم أو في الأسبوع؟ - أقرأ يومياً جزءاً من القرآن الكريم ، وعدداً لا يقل عن عشر صفحات من أحد الكتب الصحاح والسنن ووفق منهج محدد ، ثم أقرأ ما لا يقل عن خمسين صفحة من أحد الكتب مما ذكرت أعلاه ، ثم أفرغ للكتابة وإدارة العمل واستقبال الضيوف. \*\* كم مرجعاً تستخدم للكتابة في الموضوع الواحد؟ - عندما أحدد الموضوع الذي أريد أن أكتب فيه ، مثلاً الشورى ، أبحث عن كل ما أستطيع الحصول عليه ممن سبقوا وكتبوا في الموضوع ، فأدرسها ، فإذا وجدت أنه لا شيء جديد لديّ في الموضوع تركته ولا أكتب فيه ، وأعتبر أنه ما دام ما كُتِبَ كان كافياً فلا حاجة أن أكتب فيه ، وإن وجدت أن لدي شيئاً جديداً وأفكاراً لم يطرقتها الآخرون ، وأن الأفكار هذه مرتبطة بالنهج الذي أدعو إليه ، أبدأ بالكتابة والإعداد ، وهناك موضوعات لا حاجة لمراجع غير الكتاب والسنة. \*\* الكتابة تعكس فكر الكاتب وأفكاره. ما هو الفكر الذي تريد إيصاله للقراء؟ - كما سبق أن قلت في الإجابة على السؤال الأول ، فإن لي رسالة أكتب فيها وأريد تبليغها إلى أكبر عدد ممكن ؛ لأدكر المسلم بالتكاليف الربانية التي وضعها الله في عنقه ، والتي أخذ الله العهد عليها ، والتي سيحاسبه الله عليها يوم القيامة ، والتي غفل عنها كثير من المسلمين. وأكتب كذلك لأبين نواحي الخلل في واقعنا الإسلامي وسبل معالجتها ، ولأنصح قدر جهدي وأحاسب نفسي على أسس ربانية. \*\* ما هو الموضوع الذي تعكف على الكتابة فيه حالياً؟ - حالياً ، أكتب في موضوع مهم: "التجديد في الفكر الإسلامي" ، وكذلك في موضوع آخر: "لتكون كلمة الله هي العليا". \*\* ما هو موضوع الكتاب القادم؟ - هناك عدة موضوعات ما زال "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن" يحتاجها! وهل يكتب الله لي أن أعيش حتى أتابع الكتابة عبادة لله وطاعة له؟! وكل أمر في وقته حسن ، والله يقضي ما يشاء ، فله الحمد كله وإليه يرجع الأمر كله. \*\* هل الكتابة مهنة ، موهبة ، علم ، فن؟ أم أنها مهارة يمكن اكتسابها وتنميتها وتطويرها؟ - الكتابة علم وموهبة ، ويجب أن تنطلق من حاجة ملحة لتحقيق هدفاً ربانياً

يريد الكاتب أن يعبد الله بالكتابة فيه. ولذلك أرى أن تكون الكتابة منهجية واضحة الأهداف والوسائل والأساليب ، تنطلق كلها من نية خالصة لله. ويمكن أن تصبح الكتابة مع الممارسة فناً ومهارة. \*\* كيف ترى صناعة الكتاب في العالم العربي؟ - هناك كتب تدعو إلى الفتنة والفساد ، وكتب تدعو إلى الحداثة أو العلمانية أو الديمقراطية أو... وهناك كتب إسلامية تدعو إلى الإسلام. أتحدث عن هذه الكتب الإسلامية ، فإنها أنواع كل نوع يمثل حزباً أو حركة لا تتفق مع الأخرى ، فيفقد الكتاب بذلك قوة من قواه ، لا تتوافر هذه القوة إلا حين يكون المسلمون صفًا واحدًا ، ونهجًا واحدًا ، وكل كتاب يدعم الكتاب الآخر. والمأخذ الثاني أنها ليست كلها منهجية ، فلا ترتبط كلها بنهج واحد وخطة واحدة. ولكن تظل الكتب الإسلامية تحمل الخير وتحيي الأمة ، ونظل ندعو الله أن يجمع المؤمنين في الأرض جميعاً على نهج واحد ومناهج محددة وخطة شاملة جامعة ؛ فالله واحد ، والدين واحد ، والأمة يجب أن تكون واحدة ؛ ومن ثمّ فالدعوة الإسلامية يجب أن تكون دعوة واحدة في الأرض كلها ، لها نهج واحد ، ومناهج واحدة. \*\* كيف تكتب؟ ما هي الخطوات التي تتبعها في كتابة موضوع معين ابتداءً من الفكرة مروراً بتجميع المراجع والمعلومات وانتهاءً بإخراج الكتاب ونشره وتوزيعه؟ - إذا تحددت الفكرة في ذهني أعرضها أولاً على منهاج الله حتى أطمئن إلى أنها فكرة إيمانية ، ثم أدرس كم حاجة واقعا إلى هذه الفكرة ، وبعد ذلك أدرس مدى ارتباطها بنهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن. فإذا اطمأنت نفسي إلى ذلك أبدأ ، أحاسب نيتي لماذا أكتب: للشهرة والسمعة والدنيا أم بنية خالصة لله ورغبة في الدار الآخرة وإيثارها على الدنيا؟ فإذا اطمأنت نفسي إلى إخلاص النية ، أبدأ بجمع المعلومات وكل ما كتب حول هذه الفكرة ، فإذا وجدت أن ما كتب لا يوجد لدي شيء أضيفه عليه ، اكتفيت بما كتب. وإذا وجدت أن لدي شيئاً جديداً أضيفه ، وأنه في نظري مهم ، أبدأ بالكتابة بعد أن أكون درست كل ما جمعته ، أبدأ بوضع خطة الكتاب ، خطة عامة ، ثم أبدأ بالكتابة في الموضوع ، وقد وضحت الفكرة والخطة والمراجع. حتى إذا انتهيت أخذت بمراجعته ومعالجة ما فيه من أخطاء إذا وجدت ، فإذا اطمأنت دفعت الكتاب لزوجتي لمراجعته ومناقشتي فيه. فإذا انتهت هذه المرحلة ، أعرضه على ثلاثة أشخاص من الإخوة في مدرسة لقاء المؤمنين أو أكثر من ثلاثة. وبعد ذلك تبدأ مرحلة تقديمه للجهات المختصة للفسح ثم للطباعة ثم للنشر والتوزيع والإهداء. \*\* من يساعدك في مراحل إعداد وتأليف الكتاب وتجهيزه؟ - أولاً تساعدني زوجتي في المرحلة التي ذكرتها ، ثم في الطباعة على الحاسوب يساعدني الموظفون في مكتب دار النشر. وإذا احتجت إلى مساعدة ، فأستعين ببعض أبناء مدرسة لقاء المؤمنين. \*\* هل تكتب عن أشخاص معينين؟ من هم؟ ولماذا كتبت عنهم؟ - لم أكتب كتباً عن أشخاص معينين ، إلا قصائد رثاء لمن يتوفاه الله من الأقرباء أو الأصدقاء ، وقصائد مودة ومحبة مع بعض الأصدقاء. وكذلك كتبت مقالات عن بعض الرموز بناء على ظروف استدعت الكتابة عنها ، مثل أبي الأعلى المودودي ، أبي الحسن الندوي ، عمر بهاء الأميري ، مصطفى صادق الرافعي ، عبد العزيز الرفاعي ، وغيرهم. \*\* ما هي نصيحتك للكتاب المبتدئين؟ - أول نصيحة: أن يتقن اللغة العربية ، ويدرّس كتاب الله ويحفظ منه ما يستطيع ، ويدرّس ما يستطيع من كتب الحديث ومن سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتظل دراسة القرآن الكريم والسنة واللغة العربية ، دراسة منهجية صحبة عمر وحياة. والنصيحة الثانية: أن لا يكتب للدنيا والسمعة وطلب الشهرة ، وأن يتأكد من نيته وصدقه. والنصيحة الثالثة: أن لا يكتب إلا بعد أن يقرأ كل ما كتب عن موضوعه ؛ حتى يشعر أن لديه شيئاً جديداً ، وإلا فليبحث عن موضوع جديد يبدع فيه بأفكار جديدة. والنصيحة الرابعة: أن يهتم بالكتابة إذا كانت له رسالة في الحياة يكتب فيها ومن أجلها ، مع استيفاء الشروط السابقة).هـ. والحقيقة أنني أشكر الأستاذ شمروخ ذلك المحاور اللبق الذي

استطاع أن يأخذ من الدكتور عدنان ما وراء نصوصه وما هو مخزون في جعبته! فله لولا هذه الأسئلة المتفرّدة الدقيقة الذكية العبقريّة لما استمتعنا بهذه المعلومات القيّمة! ولقد تذهب هذه المعلومات مع الدكتور عدنان في قبره وتدفن معه فلا ينتفع بها أحد! وما قرأت حواراً مع كاتب أو شاعر وتمنيت أن يطول مثل هذا الحوار الجيد النافع! وإنني إذ أرثي وأنعي وأبكي الدكتور عدنان فهذا واجبي حياله ، واجب الابن على أبيه ، وواجب الطالب على مدرّسه ، وواجب الصديق على صديقه! ولو أنني مت في حياة الدكتور عدنان ، وعلم بذلك لما كان منه إلا أن يصوغ قصيدة رثائية لا عجة المعاني والألفاظ ، عني وعن أشعاري وعن صداقتي به وأخوتي له وتلمذتي على يديه! وإذن فالشيء بالشيء يذكر! وذلك أكتبه قياساً على ما كان بيننا من رسائل وبريد! لقد كنا نسترشد بك في كل الذي نكتبه يا دكتور عدنان! فنكتب ما نشتهي موقنين أنك ستفنده وستغربله وستخله! فلنا الله من بعدك. أسأل الله أن يرحمك رحمة واسعة وأن يتجاوز عنك ويغفر لك ذنوبك ويتجاوز عن سيئاتك وأن لا يحرمننا أجرك وأن لا يفتننا بعدك! والآن لنطالع ماذا قلت في البكائية النحوية ، في رثاء الدكتور النحوي ونعيه للأمة المسلمة وللشعراء المؤمنين.)

الكل يفنى ، ثم يبقى الباري	والمُلكُ - كل الملك - للقيار
كتب الفناء على الخلائق كلها	والكل رهْنُ مشيئة الجبار
وتنوعت صور الخُتوف لحكمة	عند المهيمن عالم الأسرار
فاختر لنفسك أي دار تشتهي؟	داران: فانية ، ودار قـرار
هذي الحياة بقضها وقضيضها	ما قد بدا للناس والمتوارى
ستزول مهمات طال مرّ زمانها	وتبيث - رغم الأنف - كالأثار
هذي الطبيعة سوف يضرّبها الفنا	ما عن زوال الكون أي خيار
لكنما ألم الفراق هو الذي	يُدّمي القلوب بطائف التذكار
يا أمة الإسلام جُرحك راعني	ودهى احتمالي سيئ الأخبار
(عدنان) فارق قومه ودياره	ليبيت عند الغيب الحضار
زهد الحياة ، فلم يكن كلفاً بها	من بعد ما انزلت إلى الأخطار
وأراه آثر أن يموت مجاهداً	مستبسلاً بعزيمة الثوار
كم ردّ كيد المعتدين بفكره	ولقد تكون الحرب بالأفكار



ورمى العدا بسهامه ورماحه  
وتتبع المتغربين ، وصادهم  
وانحاز نحو الخيرين يقودهم  
وتحمل (النحوي) في تفيده  
كم عاش بالمرصاد يرقب هزلهم!  
ما قال: وحدي ، والجوع غفيرة  
ما قال: هذي فتنة مسعورة  
ما قال: تلفخي الدغول جمّة  
ما قال: تمتحن الشدائد قدرتي  
ما قال: ريح الشر تقتلع الهدى  
ما قال: حل الشيب ، يخني هامتي  
ما قال: قد أديت جُل رسالتي  
بل عاش يدعو - للفضائل - موقناً  
مُتحملاً مكر العتاة وبطشهم  
متأولاً - بالنقد - ما كتب الغثا  
ومحطماً صنم العمالة والهوى  
واستقرئ الأنبياء من طلابه  
فاسترشدوا بعلومه وقريضه  
وأعازهم قنديله ليتمموا  
وليقتفوا آثاره في عالم

وشواهدني في طيب الأسفار  
صدّ الذي - في الحق - ليس يُماري  
والفوز عُقبى صُحبة الأخيار  
شُبه الضلال تغتت الأشرار  
ويبيده بالنثر ، والأشعار  
فتقبوا يا قومنا أعذاري  
وأنا الذي - حتماً - سألزم داري  
إن بخت بالخاجات والأسرار  
والظلم يُوهن همّتي ووقاري  
من بعد أن قهر الطغاة دياري  
حتى أويّد من بغى ، وأجاري!  
وبذلت عن عزم ، وعن إصرار  
مستعصماً بالسلم والآثار  
مع قلّة الأعوان والأنصار  
من جوقّة الهتافة التجار  
بعزيمةٍ وتعففٍ وفخار  
من خصّهم (عدنان) بالإيثار  
كالنحل يلثم طيب الأزهار  
بين الأنعام مسيرة الأنوار  
أمسى يبوء بخيبةٍ وخسار

وليعلموا أن الحياة قصيرة  
(عدنان) أديت الأمانة مُخلصاً  
والشعرُ - في يُمناك - أشرسُ حربيةٍ  
هذي القصائدُ ذرةٌ نحوية  
كم حَبْر (النحوي) عاطرَ نظمها!  
لم يألُ جهداً كي يُنقحَ نصّها  
لَمَّا يطوِّعُ للطواغي شِعْره  
لكنه لزمَ المواجهة التي  
ما انفكَّ ينشدُ فرصة ليخوضها  
وأذاقَ طابورَ العمالة بأسه  
حتى قضى (النحوي) جُلَّ حياته  
فعليه رحمة ربنا ما شقشقت  
وليغفر الرحمن كل ذنوبه  
وليهلك الـديان كل عداته  
وصلاة ربي والسلام على الذي  
وعلى جميع الآل والصحب الألى

والموت يقطفُ زهرة الأعمار  
وكشفت كل مخاتل ديار  
بأذى يُخصّ - غريمها - وضرار  
أبياتها من فضة ونضار  
حتى بدت بسريها المعطار  
ليكون منسأباً كنهـر جـار!  
وأراه لـم يسـبـخ مع التيار  
ثقلت على من عاش للدينار  
حرباً ضروساً بعد الاستنفار  
كيلا تكون بقيّة استهتار!  
في دفع صائل جوقة الفجار  
قمرية ، وأتى الدجى بنهار  
مَن يغفر السواى سوى الغفار؟  
مِن أعبد تُزري - به - ، وجوار!  
هو مرسلٌ من ربّه الستار  
قد هاجروا والسادة الأنصار

## عودة طيبة وجمع كريم

(ما أن عاد طلابي إلى المدرسة. وبعضهم ولا شك له بي علاقة وثيقة طيبة ، وتربطني به أوامر المودة والإخاء. وكذلك زملاء الأعزاء ، من غاب منهم ومن حضر ، من انتقل إلى مدرسة أخرى ومن بقي معنا. وهناك في (مجلة المعرفة - 18 - 8 - 2013م) كانت هناك مجموعة من النصائح الموجّهة للطلاب مع بداية العام الدراسي ، نقتبس منها: (إنه لمن المهم لكل طالب أن يواجه أول أيام الدراسة بالابتسام ، والتحلي بانطباع إيجابي تجاه سنة دراسية جديدة في عمره. وسواء كان الطالب في مدرسة تأسيسية أو ثانوية ، أو جامعية ، أو كان يقوم بعمل دراسات عليا ، فإن اليوم الأول في الدراسة دائماً ما يكون بمثابة مناسبة مثيرة ، تحمل قدرًا من الرهبة ، وإن لم تخل من الأمل. فهذا اليوم أشبه بالصفحة البيضاء التي تتيح الفرصة لبداية جديدة ، بل وتعطي المجال لإعادة تهيئة النفس ، وإعادة اكتشاف قدراتها الكامنة. لذا فالتجهيز والاستعداد لليوم الأول يعتبر خطوة محورية حاسمة لبداية العام الدراسي بشكل صحيح ، وهناك سبع طرائق لإتمام هذه الخطوة. \* أولاً: ابدأ بضبط نومك! من المعروف أنك مازلت في أجواء إجازة الصيف ، المشهورة بالسهرة مع الأصدقاء حتى وقت متأخر من الليل ، والاستيقاظ في الرابعة عصراً كل يوم. لذا يجب عليك توخي الحذر لأنه تبعاً لجدولك الدراسي لن يكون هذا النظام ذا جدوى ، حيث إنك لن تنال ما تستحقه من ساعات النوم الكافية ، التي من شأنها أن تساعدك عند بدء الدراسة. لذلك قبل أيام من بدء الدراسة ، يجب أن تقوم بضبط الساعة البيولوجية لجسدك ، من خلال تنظيم ساعات نومك بحيث تتوافق مع جدول الحصص عند بدء الدراسة. فالفصول الصباحية شيء مشترك لكل من طلاب المدرسة والكلية ، مما يعني أنه من الضروري النوم مبكراً ؛ لكي تستطيع الحصول على الطاقة اللازمة للنهوض من السرير بمجرد شروق الشمس. ولأننا نعيش في عصر الهواتف الذكية فهناك الكثير من التطبيقات أو البرامج التي تحتوي عليها هذه الهواتف التي تستطيع مساعدتك في مثل هذا الأمر. فعلى سبيل المثال ، يقوم تطبيق جدول النوم بإخبارك بالوقت المناسب للنوم إذا أردت الحصول على عدد الساعات الكافية من النوم. فكل ما ينبغي عليك هو تحديد الوقت المراد للاستيقاظ فيه ، وسيقوم هذا التطبيق بحساب الوقت المناسب للخلود إلى النوم. \* ثانياً: لا تشتت كل الأغراض الخاصة بالمدرسة دفعة واحدة! نعم ، لا مانع أن تقوم بشراء أغراض العام الدراسية جملة واحدة ، ولكن لا تقدم على فعل مثل هذا الشيء قبل انصرام اليوم الأول ، حيث يقوم المعلمون أو الأساتذة بتدوين ما ستتطلبه مادتهم من احتياجات. ونظراً لأن قائمة المتطلبات تختلف من معلم لآخر ، يمكنك الانتظار حتى تقوم بمقابلة جميع المعلمين. \* ثالثاً: تعرف على معلميك! وتمثل هذه الخطوة أهمية كبيرة خاصة لطلاب المدرسة والكلية ؛ لأنهم أكثر عرضة من غيرهم لمواجهة أو الالتقاء بأساتذة غير متوقعين وغريب الأطوار. فلا مانع من بعض التطفل ؛ للتعرف على أساتذتك لهذا الفصل الدراسي ، لمعرفة شخصياتهم وكيفية التعامل معهم. قم بسؤال من هم أقدم منك دراسياً عن طباع معلميك الجدد ودرجاتهم ، أو مقدار العمل الذي سيلقى على كاهلك في الصف. فهذه الاستفسارات بمقدورها أن تساعدك في تجهيز نفسك من البداية ، وتوقع كل ما هو أسوأ ، فإذا قام أساتذك بالقيام بتقييم مفاجئ في اليوم الأول ؛ لن تشعر بالمفاجأة على الإطلاق ، بل وستكون على أهبة الاستعداد لأي مفاجأة أو حدث غير متوقع. \* رابعاً: اتبع نظام تدوين الملاحظات! إن تدوين الملاحظات ، خصوصاً لهؤلاء الذين يعانون من التشتت ، يمكن أن يكون أمراً منقداً لهم ، للحصول على الدرجات التي يرجونها. فتدوين الملاحظات هو فن ومهارة ، يمكن مضاعفتها أو الوصول بها إلى أعلى معدلاتها عن

طريق اتباع نظام كفاء ومنظم بدرجة كبيرة. وبدلاً من تدوين كل ما يقوله الأستاذ ، بإمكانك تحديد المواضيع الهامة ، واختيار أي التفاصيل الهامة لتحديدها ، ثم قم بكتابتها في شكل عبارات موجزة ، بدلاً من اللجوء للجمل الطويلة. قم باستخدام طريقتك الخاصة في التدوين ؛ لتساعدك على الإمام بما تدرسه ، فربما تكون من هذه النوعية التي تفضل الإمام بالمعلومات عن طريق الصور والرسومات أكثر من الكلمات المكتوبة ، فكل منا لديه طريقتة الخاصة للتعلم ، والتي يمكن تحسينها عن طريق تكميلها بطريقتك الشخصية لتدوين الملاحظات. لذا قبل بدء أول الحصص الدراسية ، يجب عليك أن تقوم بصياغة أو وضع نظام يسمح لك بالاستفادة إلى أبعد الحدود من أية «شخبطة» تدونها على أي ورقة في دفتر الملاحظات.

\* خامساً: احتفظ دوماً بجدول الحصص في جيبك! إذ لا شيء أسوأ من تفويت حصة ما في أول يوم دراسي لمجرد أنك نسيت الموعد المحدد له. لذلك، قم بالتخطيط لمنع وقوع أي حادث مؤسف يحول دون ذلك ، عن طريق إعداد جدول سهل الفهم ، أو مخطط يوضح الجدول الزمني لكامل الفصل الدراسي. ولتنفيذ ذلك يمكنك أيضاً طباعته بحجم المحفظة ، أو حافظة النقود لكي تتمكن من حمله إلى أي مكان تذهب إليه ، بل إن البعض يقوم بتجليده للحفاظ عليه ضد الماء. حيازتك لهذا الجدول سيساعدك على التذكر دائماً طوال أيام الدراسة ، والجميل في هذا أنك لن تصبح بحاجة ماسة إلى هذه الورقة بعد قليل من الوقت. \* سادساً: احتفظ بقائمة للمهام الواجب القيام بها! فبالنسبة للأشخاص الذين يجدون صعوبة في تعقب واستذكار جميع أعمالهم التي عليهم فعلها ، قد يكون من المفيد لهم أن يقتنوا قائمة بالمهام التي عليهم إجراؤها لتسهيل أدائها. ولا داعي للاعتماد على فكرة أعمال باهظة الثمن ، حيث يمكن لمفكرة خفيفة أن تفي بالغرض. قم بتعيين صفحة لكل يوم ، وابدأ بتسجيل واجباتك ولقاءاتك التي تنوي عقدها. إن احتفاظك بمثل هذه المفكرة سيساعدك بشكل كبير في تخطيط يومك ، وتصفية ذهنك من أي ضغوط إضافية قد تصيبك. عند محاولتك تذكر ما تنوي فعله ، وهذا الأمر سيجعلك قادراً على التركيز بشكل أكبر في الفصل. \* سابعاً وأخيراً: حدد أهدافك! هل ترغب في دخول قائمة الطلاب المتفوقين علمياً في هذا الفصل الدراسي؟ هل تريد الانضمام إلى منظمة متسلي الجبال الشاهقة مثلاً؟ هل تريد كسب المزيد من الأصدقاء؟ هل تريد أن تتعلم الخط الصيني مثلاً؟ إذا ما قررت إنجاز شيء ما هذا العام ، فأنت بالفعل قد اتخذت الخطوة الأولى لتحقيقه. فتحديد الأهداف يضعك في مزاج مناسب ، وانطباع جيد يحقق للمرء الاستفادة القصوى من السنة الدراسية. وإذا كنت في حاجة لتذكير لطيف كل يوم بهذه الأهداف ، يمكنك أن تسجل قائمة بها في مفكرة الخطط والمهام ، أو حتى بجانب الجدول الزمني الخاص بك ، ولا مانع أن تشرك أصدقائك فيها ، وزملاء الدراسة وزملاء السكن الذين قد يكونون قادرين على مساعدتك في تحقيقها). هـ. أيها الطلاب الأجلاء: دار خلاف بين أهل العلم قديماً: هل العلم أفضل أم الأعمال الصالحة؟ فإذا بالعلم يكسب الجولة ويكون الأفضل! فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة ، وهو من أجل العبادات ، عبادات التطوع ، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله. ومن الأحاديث التي حثت على طلب العلم: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير. وكان منها أجاب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى. إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). أخرجه البخاري. وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). أخرجه البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة). أخرجه مسلم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع). أخرجه البخاري. وإذا طلبتم العلم أيها الطلاب الأعزاء فاطلبوه بصدق مع الله حتى يعلمكم ما لم تعلموا! وكم سمعناكم تطلقون عبارات تحتوي على ألفاظ الطموح والعزم وبدء صفحة جديدة! كم من الصدق في تلك العبارات؟ وكم منا يؤمن بها؟ لا يسعى للنجاح من لا يملك طموحاً. ولذلك كان الطموح هو الكنز الذي لا يفنى. فكن طموحاً وانظر إلى المعالي. هذا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين يقول معبراً عن طموحه: "إن لي نفساً تواقة، تمننت الإمارة فنالتها، وتمنت الخلافة فنالتها، وأنا الآن أتوق إلى الجنة وأرجو أن أنالها". وعموما العطاء يساوي الأخذ: (النجاح عمل وجد وتضحية وصبر. ومن منح طموحه صبراً وعملاً وجداً حصداً نجاحاً وثماراً. فاعمل واجتهد وابدل الجهد لتحقيق النجاح والطموح والهدف. فمن جد وجد ومن زرع حصد). وقل من جد في أمر يحاوله، واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر. والمطلوب منك أن تغير رأيك في نفسك: (الإنسان يملك طاقات كبيرة وقوى خفية يحتاج أن يزيل عنها غبار التقصير والكسل. فأنت أقدر مما تتصور وأقوى مما تتخيل وأذكى بكثير مما تعتقد. اشطب كل الكلمات السلبية عن نفسك من مثل: "لا أستطيع - أنا عاجز" وردد باستمرار: "أنا أستحق الأفضل - أنا مبدع - أنا ممتاز - أنا قادر". ومن هذا المنطلق أردت أن أوجه نصيحة شعرية مخلصية طيبة وفيه لكلا الطرفين: الطلاب والمعلمين كلهم. فأنشدت في بداية العام الدراسي مرحباً بهم جميعاً مغرداً بهذه الأبيات).

العَوْدُ أَحْمَدُ إِنْ كُنْتُمْ مُطِيعِينَ	وَالجَمْعُ يَرْتَصِدُّ الصَّفَاءَ وَاللِّينَا
يَا مَنْ نَرِيدُ - لَهُمْ - مُسْتَقْبَلًا غَرْدًا	قِوَامُهُ الْعِلْمُ، يَحْمِي الدَّارَ وَالِدِينَا!
يَا مَنْ نَحْبُ لَهُمْ بِلُوعِ قَمَتِهِمْ	وَكَمْ أَقْمَنَا - عَلَى الْجُهْدِ - الْبِرَاهِينَا!
وَلَمْ نُؤْخَرْ جَهْودًا عَزَّ مَطْلِبُهَا	حَتَّى تَكُونُوا مَغَاوِيرًا مَيَامِينَا
وَاسْتَقْرَنُوا سِنَوَاتِ الْعُمَرِ حِينَ مَضَتْ	لِنَقْطِفُوا - مِنْ حَنَائِيهَا - الرِّيَاحِينَا
كُنْتُمْ صَغَارًا، فَكَانَ الْعَذْرُ مُلْتَمَسًا	وَالْيَوْمَ صَرْتُمْ كِبَارًا، فَاقْدُرُوا الْحِينَا
وَسَاعَدُونَا عَلَى الصَّغَارِ - إِنَّ لَهُمْ	حَقًّا عَلَيْنَا - نَكُنْ خَيْرَ الْمُؤَدِينَا
وَلَا تَكُونُوا - إِذَنْ - عِبْنًا يُعْرَقَانَا	عَنِ النَّهْوِضِ، وَقَدْ كُنَّا أَسَاطِينَا
مَنْ أَحْسَنَ الْبَدْعِ، كَانَ النَّصْرُ خَاتِمَةً	وَقَدْ أَبْنَا شُرُوطَ النَّصْرِ تَبْيِينَا
فَذَاكُرُوا الدَّرْسَ الْقَاهُ مُعْلَمَكُمْ	وَحَسَّنُوا حِفْظَهُ - فِي الْبَيْتِ - تَحْسِينَا
وَحَاذِرُوا الْغِشَّ، إِنْ لَمْ يَحْرَمْهُ	وَالْغِشَّ يَغْمُرُ عَيْشَ الْمَرْءِ تَوْهِينَا

فأخلصوا القصد ، واجتثوا الأظانينا  
كـيلا تكونوا بتقصير مُدانينا  
بات المعلم - بالأخطار - مرهونا  
فسئى القول يستهوي الشياطينا  
أمسى الدعاء - بحسن الظن - مقرونا  
أن تبذلوا حسبة جهد المريننا  
وأصلوا - في التلاميذ - المضاميننا  
بل ناصحوه يعش - بالنصح - ممنونا!  
تفوق في القطع - والله - السكاكينا  
وكم تُنحّي البذاءات الموازيننا  
مهما يكن بعضكم - في الناس - مغبونا  
من البطولة تجتال الدهاقينا  
أضحى لقاء الأذى - بالخير - مأمونا  
إني أتمن ما تاتون تمنيانا!  
ونحن نوسعكم مدحاً وتدشينا  
من المليك رضا أراه مضمونا  
في غربّة جعلت منكم مساكينا  
ولا يكن قواكم بالهزاء مدهونا  
جوزيتم الخير ، يُجزاه المطيعونا

عُدتُم وعُدنا إلى رحاب مدرسة  
وصاحبوا كل مقدام ومنتبه  
وجنبونا سلوكاً لا يليق بنا  
ولا تقولوا من الألفاظ سيئها  
والله أسأل أن يُقبل عثررتكم  
معلمونا أوصّيكُم ، وأنصحكم  
ورسّخوا قيم الإسلام واضحة  
لا تضربوا النشأ ضرباً لا يؤدبه  
ولا تكيلوا من الألفاظ جارحة  
ولا تسبّوا ، فإن السبّ مخبثة  
وحافظوا - دائماً - على كرامتكم  
وصابروا ، إنما التدريس ملحمة  
وقابلوا السوء بالإحسان تنتصروا  
وأنتم القدوة المثلى ، فلا تهنوا  
وأنتم المثّل الأعلى لمن درسوا  
فاسفتحوا عامكم بالخير يُدرُكم  
كلّ تغرب يبغى العيش محترماً!  
طلابنا الغرّ لا تؤذوا معلمكم  
فالله يُحصي الذي تاتون من عمل

## غرفة الدروس

(اعتدتُ أن أدرّس بعض الأبناء دروساً في اللغة الإنجليزية. واستمرّ الأمرُ لسنواتٍ حوثٍ من الذكريات ما لا يمكن أن يُنسى بسهولة! وكانت لهم أسئلةٌ تتعلق بالدرس وأخرى لا تتعلق به. وكان لزاماً عليّ أن أجيب متى كنت أعلم. وأوجّل البعض لِقابل الأيام. مما جعلها ذكريات تبقى مدى الأيام! فليس يسيراً عليّ أن أنسى أبناء الحاج صبري عبد اللطيف أبو خليل (محمد - عبد اللطيف - مؤمنة - شيماء - غيداء)! عن أبي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار). أخرجه الترمذي وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه: ( فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم). أخرجه البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بلغوا عني ولو آية. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). أخرجه البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلماً). أخرجه الترمذي. وعن أبي امامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). ثم قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير). أخرجه أبو داود. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها). أخرجه البخاري. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً). أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا). أخرجه البخاري. لقد كان الحاج صبري عبد اللطيف أبو خليل مثل أبنائي تماماً بتمام! وذات يوم طلب مني أحد الأبناء وهو عبد اللطيف أن أسطر قصيدة في غرفة الدروس هذي مستلهماً تلك الذكريات ، فوعده وكنث سريع الوفاء. ورحتُ أتذكر جدهم واجتهادهم مع مزلقهم وأخطاءهم! واحترتُ بأيهما أبدأ؟ هل أبدأ وأستهل قصيدتي بذكر الجانب الإيجابي؟ أم أبدأها بالجانب السلبي؟ واخترتُ العنوان الذي اختاره ذلك الابن نزولاً على رغبته المُلحّة! وألهمني الله هذه الأبيات في الردّ على الفتى. وحاولتُ جاهداً استرجاع الذكريات الجميلة مع الأبناء! تلك التي لا أنساها ما حييت! فأنشدتُ أقول:

بهدّي الغرفة احتفالاً خُطايَا	ونال بها تلاميذتي رضايَا
درسنا العلمَ مُؤتلقاً مفيداً	وخب العلم من أذكى السجايَا
وكم كانت لنا في كل درس	مواظظ ، أو نصائح ، أو حكايا!
وكم طرقنا مسائل ناصعات!	وكم تركنا - بلا درس - قضايَا!
وكم عننا لـ (مؤمنة) أمورٌ	يَحارُ العقولُ فيها والطوايَا



مناقشة سبرت بها الخفايا  
برئ ندد عن حُسن النوايا!  
عبيراً في الجوانب والزوايا!  
يُجنبه المزالق والبلايا  
وبينت العيوب من المزايا  
لأن الخط يُوردنا الخطايا  
يزين حياءها بين الصبايا!  
وتعتبر الرسوب من الدنيا  
وتنجح إن هي اتبعت هدايا  
كراء النفس في صافي المرايا  
كان الهزل يسري في الخلايا  
وذعت خصالهم بين البرايا  
فأكرم، ثم أنعم بالهدايا!  
وشعري الغض من أحلى العطايا!  
وكم أسهمت في حل الشكايا!  
أخاف عليهم مُر الرزايا  
بأي الذكر تسكن في الحنايا  
بأن لا يُرزقوا شر البلايا!  
وجنبهم وإيانا الخزايا!

فناقشت الأمور بكل صدق  
ولـ (لشيماء) ياكم من سؤال  
وكم طرحت من الأفكار فاحت  
وكم لـ (محمد) عبّدتُ درباً  
وذلت العلوّم له احتساباً  
ولفتت الحقائق دون خلط  
وفي (الغيداء) كم أنستُ رُشداً  
تحاول أن يكون لها اجتهاد  
رسمت لها - إلى التطوير - نهجاً  
وفي (عبد اللطيف) رأيت نفسي  
ولكن هزله فاق احتمالي  
جعلتهم كأبنائي، وأغلى  
وأهديت القصيدة لهم وفاء  
وإن تحية الشعراء شِعراً  
ولم أبخل بعارفة عليهم  
وكم حذرتهم من كل سوء!  
وكم ناولت نصحي مُستعينا!  
وكم أرسلت في السحر ابتهالي  
وقاهم ربنا درب المخازي

## مستهترة أنت يا هند!

(زيدٌ وهندٌ ابتليا كزوجين بأن قبلت هند بأن تكون صورها عند الآخرين! الأمر الذي أغضب عليها زوجها الغيور زيد! فذكرها بالله وخوفها بالنار وقدم الدليل تلو الدليل على حرمة ذلك ، فما استكانت هندٌ لربها وما تضرعت ، بل جادلت بالباطل لتدحض به الحق! فتخيلت زيدا يعظها بالحق فكانت قصيدة: (مستهترة أنت يا هند) ، وتخيلت هنداً يرد عليه بالباطل فكانت القصيدة التي تليها وهي: (بل أنت المستهتر يا زيد)! ونقدم بين يدي القصيدتين ببيان حرمة الصور والتصوير إلا من ضرورة! لقد كانت الصور للضرورة في الأوراق الرسمية. وعشنا وعاش معنا المسلمون الآخرون على هذا الأساس. وكان الأساس في ذلك حرمة التصوير. ومع التقنيات الحديثة كان على كل مسلم ومسلمة الاحتياط والحذر من الوقوع في فخ التصوير. فكم من صورة خربت بيتا عامراً! وكم من صورة كانت طريقاً مههداً لجريمة قتل! وكم من صورة أفسدت ذات بين قبيلتين وأكثر. ومنذ سنين عدداً كتبتُ قصيدة بعنوان: (عفواً أرسلتُ صورتها فقط!) تضرِب على ذات الوتر. واليوم أعيش مع ذكريات (هند) تلك الزوجة المستهترة التي كانت على الجادة من أمر الدين ، وكان لها لون اجتهادٍ في الإسلام. فإذا بها تنتكسُ وتخربُ بيتها بيدها ، وتهملُ شعائر دينها وطاعة زوجها الذي لطالما كان حريصاً على أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر. وكان قد حذرنا من التصوير وبين لها حرمة غير مرة. ولأنها أصبحت بعد التردي الخطير الذي آلت إليه تغلب حب الناس على حب الإسلام كتاباً وسنة ، أقبلتُ بشراهةٍ على الصور وأباحت لنفسها التقاطها. فأخذ الجميعُ يصورونها ويحتفظون بالصور. وبعد حين علم زوجها الذي كان يعاملها بحسن النية بأن لها صوراً هنا وهناك. ولم يكن مانع أن تصل الصور إلى غرمانه الثلاثة عليها. أولئك الذين احتالوا كل الحيل للزواج منها. ومسكين جداً ذلك العريس الذي يكون له على عروسه غريم وغريمان وثلاثة. وأخذ الزوج البائسُ يرسل إلى الكل بالبراعة من الصور ولزم الدعاء عليهم وأعلن ذلك لهم وأشهره سيقاً في وجوههم. ولكن دون جدوى ، كأن الصور أحب إليهم من الله الذي يزعمون أنهم يعبدونه. ووقف الزوج المسكين حائراً في الأمر: ما هل عساه يفعل؟ أيطلقها بعد أن اشتهرت الصور عند القاصي والداني من المحارم ومن غير المحارم؟ أيبقي عليها ويتزوج أخرى لئلا يبدأ من جديد بزوجةٍ جديدةٍ وعُرسٍ جديد؟ ولا تزال الكُرة في أرجل الاعيين والله أعلم بالنتيجة! وقد جاء في حكم اقتناء الصور للذكرى في فتاوى اللجنة الدائمة 456/1-457 ما نصه: (الأصل في تصوير كل ما فيه روح من الإنسان وسائر الحيوانات ، أنه حرام ، سواء كانت الصور مُجَسِّمة أم مَرَسُوماً على ورقة أو قماش أو جدران ونحوها ، أم كانت صوراً شَمْسِيَّة (ملتقطه بالكاميرا) ، لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من النهي عن ذلك ، وتوعد فاعله بالعذاب الأليم ، ولأنها عهد جنسها ، أنه ذريعة إلى الشرك بالله بالمتَّوَل أمامها ، والخضوع لها ، والتقرب إليها وإعظامها إعظاماً لا يليق إلا بالله تعالى ، ولما فيه من مضاهاة خلق الله ، ولما في بعضها من الفتن ، كصَوَرِ المُمَثَّلَات والنِّسَاء العاريات ، ومن يُسَمِّين ملكات جمال. ومن الأحاديث التي وردت في تحريمها وذلك أنها من الكبائر حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من صَوَّرَ صورة في الدنيا ، كُفِّ أن يُنْفَخَ فيها الرُّوح يوم القيامة وليس بنافخ). رواه البخاري ومسلم وحديثه أيضاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كل مُصَوِّر في النار ، يُجْعَل له بكل صورة صَوَّرَها نفساً فَنُعَذِّبُه في جهنم). قال ابن عباس: "فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشَّجَر وما لا نفس له". رواه البخاري ومسلم. فدللت عموم الأحاديث على تحريم تصوير كل ما فيه روح مطلقاً). هـ. قال ابن عثيمين لما سُئل عن الصُّوَر: النَّصْوِير لهذا الغرض مُحَرَّم ولا يجوز ، وذلك

لأنَّ اقْتِنَاءَ الصُّورِ لِلذَّكْرِ حَرَامٌ ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ ). رواه البخاري ، وما لا تدخله الملائكة لا خير فيه. وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْنَا أَنْ الْمَحْرَمَ مِنَ الصُّورِ هُوَ الْمَجْسَمُ ، وَأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ غَيْرُ حَرَامٍ ؛ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَيْنَا ، ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة ، سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار ، وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكور أو غيرها ، إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه ، مثل التابعية والرخصة. والله الموفق " .هـ. ثم أضاف الشيخ في فتوى أخرى لصحفي: "ولكن ينبغي أن يقال: ما هو الغرض من هذا العمل؟ إذا كان الغرض شيئاً مباحاً ؛ صار هذا العمل مباحاً بإباحة الغرض المقصود منه ، وإذا كان الغرض غير مباح ؛ صار هذا العمل حراماً ، لا لأنه من التصوير ، ولكن لأنه قصد به شيء حرام. وتصوير النساء على صفحات الجرائد والمجلات ، ولم أستطرد بذكر الأمثلة اكتفاءً بالقاعدة الأنفة الذكر ، وهي أنه متى كان الغرض مباحاً كان هذا العمل مباحاً ، ومتى كان الغرض غير مباح كان هذا العمل حراماً. وأذكر الآن من الأمثلة المباحة: أن يقصد بهذا التصوير ما تدعو الحاجة إلى إثباته كإثبات الشخصية ، والحادثة المرورية والجناحية ، والتنفيذية ، مثل أن يطلب منه تنفيذ شيء فيقوم بهذا التصوير لإثباته. ومن الأمثلة المحرمة: - التصوير للذكور ، كتصوير الأصدقاء ، وحفلات الزواج ونحوها ؛ لأن ذلك يستلزم اقتناء الصور بلا حاجة وهو حرام ؛ لأنه ثبت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة. ومن ذلك أن يحتفظ بصورة ميت حبيب إليه كأبيه وأمه وأخيه يطالعها بين الحين والآخر ؛ لأن ذلك يجدد الأحزان عليه ، ويوجب تعلق قلبه بالميت. 2-

التصوير للتمتع النفسي أو التلذذ الجنسي بروية الصورة ؛ لأن ذلك يجر إلى سوء الفاحشة. والواجب على من عنده شيء من هذه الصور لهذه الأغراض ، أن يقوم بإتلافها لنلا يلحقه الإثم باقتنائها. ومن أعطاه الله فهماً فسوف يتمكن من تطبيق بقية الصور على هذه القاعدة " .هـ. وسئل رحمه الله عن حكم لبس الثياب التي فيها صورة حيوان أو إنسان؟ فأجاب بقوله: لا يجوز للإنسان أن يلبس ثياباً فيها صورة حيوان أو إنسان ، ولا يجوز أيضاً أن يلبس غترة أو شماغاً أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان ، وذلك لأن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثبت عنه أنه قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ». ولهذا لا نرى لأحد أن يقتني الصور للذكور كما يقولون ، وأن من عنده صور للذكور فإن الواجب عليه أن يتلفها ؛ سواء كان قد وضعها على الجدار ، أو وضعها في ألبوم ، أو في غير ذلك ؛ لأن بقاءها يقتضي حرمان أهل البيت من دخول الملائكة بيوتهم. وهذا الحديث الذي أشرت إليه قد صح عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " .هـ. وسئل رحمه الله عن نشر صور المشوّهين؟ فأجاب رحمه الله بقوله: نشر صور المشوّهين المسلمين مصلحة في الحقيقة ، وهي أنها توجب اندفاع الناس بالتبرع لهم ، لكن أقول: إن هذا قد يحصل بدون نشر هذه الأشياء ، أو ربما يمكن أن نضع شيئاً على الوجه بحيث لا يتبين الرأس ؛ لأن الرأس إذا قطع لا تبقى صورة ، كما جاء في الحديث «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا [مُشْرِقًا] إِلَّا سَوَّيْتَهُ» ، وهذا ظاهره أن المراد بالصورة حتى صورة التلوين وإن لم يكن لها ظل ؛ لأنه لم يقل: إلا كسرتها! والطمس إنما يكون لما كان ملوناً. وكذلك أيضاً حديث عائشة - رضي الله عنها - في البخاري حينما دخل - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فوجد نمرقة فيها صورة ، فوقف على الباب ، وعرفت في وجهه الكراهية ، وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : «إِنَّ أَصْحَابَ هَؤُلَاءِ الصُّورِ يُعَذِّبُونَ» ، فهذا دليل على أنه يشمل الصورة التي لها ظل والتي ليس لها ظل ، وهذا هو الصحيح " .هـ. وأضاف في الرد على الإثم الذي يلحق المرء إذا فعل ذلك أهله: ولا إثم على السائل في حال احتفاظ أخواته وعماته بهذه الصور ، والواجب عليه بيان الحكم الشرعي لهم ، ونصحهم بالتخلص منها ، وطلب الصور التي تخصك منهم ، فإن أبوا فلا شيء عليك. وأما الصور التي على الجوال وفي

أجهزة الحاسب ، وما يصور بالفيديو ، لا تأخذ حكم الصور الفوتوغرافية ، لعدم ثباتها ، وبقائها ، إلا أن تُخرج وتطبع ، وعليه فلا حرج في الاحتفاظ بها على الجوال ، ما لم تكن مشتملة على شيء محرّم ، كما لو كانت صوراً لنساء. والحقيقة أن شيوع صور زوجة ما بين المحارم وغير المحارم يعد نوعاً من أنواع الخيانة الزوجية! ومن تتصور اليوم أن الخيانة فقط تكون في العِرض فلا شك أنها جاهلة ، وإن كانت الصور لون من ألوان خيانة العِرض! في صفحة (نحن العرب) جاء بشأن أنواع الخيانة الزوجية ما نصه بتصرف: (الخيانة قد تكون في إفشاء السر ، وقد تكون في المال ، وقد تكون في الأولاد ، وقد تكون خيانة في الجسد. أما خيانة إفشاء السر: فقد حذر منه رسول الله بقوله: [إن من شر الناس الرجل يُفسي إلى المرأة وتفسي إليه ثم ينشر سرها]. فقالت إحدى النساء: يا رسول الله بعضهن تفعل! "أي تفشي سر زوجها لصديقتها" ، فقال: [إنما مثلها كمثّل رجل واقع امرأته على قارعة الطريق وجعل الناس ينظرون إليهما] ، وأقل خيانة في هذا النوع: أن تتحدث المرأة (أو الرجل) عن زوجها في غيبته بسخرية أو تسبه أو تسكت عن ذمّه ولا ترد غيبته. وأما خيانة المال: فقد حذر منه النبي أيضاً فلا يجوز للمرأة أن تعطي لأهلها من مال زوجها أو تتصدق منه إلا بإذنه. وأما الخيانة في الأولاد: ونقصد به إهمال تربيتهم أو السكوت والتستر على أخطائهم. وقد تكون الخيانة قُبلات أو لقاءات ، وقد تكون خيانة الزنا كما في الحديث: [كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا لا محالة ، فالعين تزني وزناها النظر ، والأذن تزني وزناها السمع ، واليد تزني وزناها البطش ، والقلب يشتهي ويتمنى ، والفرج يصدق هذا أو يكذبه]. رواه أصحاب السنن. وعموماً فالمرأة أشد مادة امتحانية في دنيا الرجل ، وكما أهلكت الشهوة الجنسية أمماً سابقة وممالك كانت زاهرة ، وأسقطت ملوكاً وأباطرة ، وفيها قال رسول الله في الحديث المتفق عليه: [ما تركت فتنة بعدي أضّر على الرجال من النساء]. هـ. والذي أراه بعد هذه الاستشهادات أن صورها عند اللآخرين بعلمها يعد هذا من قبيل خيانتها وعدم حفظها لنفسها عندما غاب عنها زوجها (وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله)! إذ لو كان حاضراً ما كان ذلك! تخيلت ذلك الزوج يُعاتب هنذاً زوجته ، ويوبخها على الذي أتت ، فأنشدت من شعري هذه القصيدة.

وأوقدتِ ناراً هاج - من جوفها - الصهدُ	هدمتِ الذي - بيني وبينك - يا (هندُ)
وقد كان مأموناً ، يُخبئهُ الغمد	وأشهرتِ سيفاً ، ليس يُدفعُ ضربهُ
ووادٍ شُمُخي بعد أن نجح الكيد	وراهنتِ أعدائي على قتل عزتي
وكان على حُسادنا الكيِّ والفصد	وأسرفتِ في كيّل الأذى دون رحمةٍ
إلى أن دهَى النفسَ المجدلةَ الوجد	وأمعنت - في الإذلال - دون هوادهٍ
تطوّل وتستشري ، فليس لها حد	وأدخلتني حرباً ثم زق مُهجتي
وبات غُبابُ الماء - من فوقنا - يعدو	وأغرقتني في بحر تيبهٍ وحيرةٍ
ومن بعدها - من فوره - انهدمَ الطود	وألقيتني والبيتَ والطفلَ من عل

وتشجيه فحواها ، وفي حُسنها يشدو  
على طبق التسريب هينة تبدو  
بعرض تملئ الشيب سلواه والمُرد!  
لربّة حُسن ، لم يَزُرْ عقلها الرشدا!  
رخيصاً بلا جهدٍ ، وأنى - له - الجهد  
وللهاتف المستلمح الشكرُ والحمد!  
على عادة ريانةٍ ، وجهها يشدو  
علينا صباها كم يروح ، وكم يغدو!  
لمن يشتهي ، أو للذي - عنده - نقد  
تدنسه فوضى ، العزيز - بها - عبد  
فما استمعت - للنصح بُحث به - (هند)!  
ولا زابت مكرراً يموج ، ويمتد  
ولا سربلتها - في النزال - الفتا المُلد!  
قد اعتبرت بالضنك ، يورثه العند  
لتكشفه هندٌ ، فيبصره الوغد؟!  
من الظهر ، إن ظلت بذلك تعتد!  
وليس الذي تقصيه عن شرعه (دعد)!  
وليس الذي يفري مشاعره قد!  
وليس الذي يكبو ، فيصرعه نهد!  
وجملها الوجه الصبوح ، أو الزند

غريمي عليك اليوم يخالو بصورةٍ  
ويطرب أن جاءته أندى غنيمه  
يُكحل عيني جانع ، ليس يستحي  
ويوسع أنف الوغد شماً يشوقه  
ويسعد بالحُسن اشتهاه فنالاه  
ويفرح أن صارت أمانيه واقعاً  
ويدعو رفاق الدرب كي يتفرجوا  
يقول: هلموا شرفتنا صبية  
وقد يرسل الألبوم دون تورع  
إذا لم يصن حُرّ - من الوحل - عرضه  
وكم قلت: يا (هند) استفيقي ، وحاذري  
ولا أنصتت للوعظ ، يحمي صيانها  
ولا أذعنت للحق ، يُصلح شأنها  
فيا ليتها إذ أبدت الوجه للورى  
وهل هان وجه زين الستر حُسنه  
ألا إن بطن الأرض أولى بزوجهها  
فليس بديوثٍ ، وليس بهازل  
وليس الذي تغريه ساقطة النساء  
ولا تجتني أنثى جباه بميسها  
وليس الذي تُغويه حسنا تغنجت

لئس عفتنا - بالرشد - خالقتا الفرد؟  
ووقرنا (عمرؤ) ، وشاد بنا (زيد)؟  
وكان - لنا - عزم يؤيده عهد؟!  
وقربى إلى المولى ، وكان - لنا - جهد؟  
فأشرفت التقوى ، وداعبنا السعد؟  
وكانت لنا رداءً ، ونحن لها جند؟  
فقد عمت البلوى ، وضائق بنا البلد؟  
فما دمعت عين ، ولا خيم الوجد؟  
وتلك مساعينا تسنمها المجد؟  
لقانون أقوام هي الشرط والقيد؟  
ومفلسة تهذي ، وماذا هو القصد؟!  
خُساماً - على وحي السما - سله الغمد؟  
وهل مخلص - نحو الترهل - يرتد؟  
ليغدو بيتاً - للعباقرة - اللحد!  
تجاوزت التصوير يغبطها المجد  
تخللها النسرين والفل والورد  
ونحيا كرام الشأن ، تشهدنا الأسند  
كبحر يُداوي سُقمه الجزر والمد  
معيناً يُزكي ، ليس - عن طريقه - بُد  
تعلمنا أن البلاء - له - حد

ألم نتفق يا هند أن ننصر الهدى  
ألم نلتزم بالحق والعدل جُهدنا  
وكننا - لأهلينا - مثلاً وقُدوة  
ألم ندرس الدين الحنيف محبة  
ألم نقرأ القرآن غضاً مُرتلاً  
ألم نفتخر رِداً بسُننة (أحمد)  
ألم نغترِب عن دارنا وديارنا  
وعشنا بلاءات ، وخضنا غمارها  
وكانت لنا - في المدلهمات - عزة  
لماذا التدني بالتصاوير ، لم تكن  
تقولين: للذكرى! فقلت: سفاهة  
وما الذكريات الهوج إن أشهر الخطا  
وهل ذكريات تستهين بديننا؟  
وكم صورة أودت ببيت أشاوس  
والذكريات الغر أنوع جمّة  
فمنها كليمات تُصحّح دربنا!  
ومنها تجاريب تُنقى مسارنا  
ومنها دروس - في الحياة - كريمة  
ومنها يواقيت المواعظ تحتوي  
ومن بينها أندى المواقف كالسنا

بها الشبّة الرعاء يدمغها الرد  
معالم درب فوق ربوتة البند  
تدثر فيها الجسم ، والرسم ، والقـد!  
قماشاً وتفصيلاً ، وقد سترَ الجلد!  
أجيبوا على سؤلي ، وفي صدقكم فيـد  
لثشبع ألباباً يشثتها الميـد؟  
وتعشّقها عشقاً يُصاحبُه الوـد  
كنار تلظى - في سُرادقها - الصهد  
بها زكّت الألوان ، وانجسَ الشهد؟  
يُصيبُ فواداً بالتولاه كم يحـدو!  
يُطيغُ بلا رأي ، فالخنوغ له بُرد!  
وللصب وجة - من مساويه - مُسود!  
ويشقى به الإحساس ، والقلب ، والكبد  
فقبلته الأولى - لها - الميـل يشثد  
وكم يقتل الولهان - إما غلا - العمـد  
وإن ملأت أرحاب منزله الولد!  
فيسترق الأنظار ، إن ظهرت (هند)!  
ويبكي بدمع ليس يُنكره الخـد  
كان عشيقاً هدّه الحب والفـد  
صواباً وعقلاً منه ، جُن بها القرد!

ومن بينها بعضُ الكتابات سُطرت  
ومن بينها بعضُ الرسائل بيّنت  
ومنها عيئات لكل حشيمة  
ومنها فساتين على شرط ديننا  
فهل عوضت - عن كل ذلك - صورة؟  
أثغني عيوناً صورة إذ تشوفها  
ولكنها تشجى قلوباً تريدها  
ويشوي سعيـر العشق سِر وجودها  
وهل تشبع النفس الدنيئة صورة  
جديم هو العشق المتيمّ عندما  
ويبقى مدى الأيام عبداً لمن هوى  
ويجتزّ ذل الحب في كل لحظة  
ويقتات أم الهيام مريـرة  
وإن كان - للملتاع - زوج وضرة  
تعمد أن لا يطرح العشق جانباً  
وإن كان - للهيمان - بيت وأسرة  
فليس بناس ربّة الحُسن والصبا!  
ويرمقها بالعين ، يتبع ظلها  
ويأسى إذا غابت ، ويرثي لفـدها  
فلما أتت للنذل صورتها سبـت



ويخلو بحمقا ، مالها - في الغبا - ند!  
وتجعلاه يقلو الووداد ، ويحتد  
وتقبل بالتصوير ، مارسه وفد  
وتفتح باباً للمرا ، ليس ينسد!  
وتهدم صرحاً ، لم يكن قبل ينهد  
وتأتي خطايا كالغشا ، مالها عد  
وتمزح - في أمر - يُعضدُه الجد  
ألا خيب الميثاق ، واندر الوعد!  
لها - بين أيدي الناس - بالطوع من بعد  
وقد جمع الألبوم ، وانتصر الحقد؟  
إلى أن أتت قوماً يُدَمِّهم الخرد!  
على راقع ، فميم التلاوم والنقد؟!  
جناها غريم - في خصومته - جلد  
فإن الذي أحيا لمُستبشع إد!  
له الشكر مني ، والثناءات والحمد

ولست ألوُم الكلب يلهث سالياً  
ولكن ألوُم الزوج تُزري ببعلها  
وتهدر حق الزوج في عُرداره!  
وتركل - بالنعلين - صوناً وغيرة  
وتغرس سكيناً بأعلى مروعة  
وتثنهر سيفاً يستبيح شهامة  
تقول: تصاوير - لذكرى - التقطها  
وتلقي بوعد - في النقاش - وموثق  
بأن لا تكون - الدهر - أية صورة  
فقلت: وهل - بعد التداول - مصرف  
تصاوير أهداها الجناة لبعضهم  
قد اتسع الخرق الممزق ثوبنا  
أمور تعدت كل باع وقدره  
ليطف بي الرحمن فيما أصابني  
ليرزقني الوهاب خير تصبير

## بل أنت المستهترُ يا زيد!

(هناك ارتباط وثيق بين هذه القصيدة ، والقصيدة السابقة لها مباشرة: (مستهتره أنت يا هند!) ففيها ردّ هند على زوجها بالباطل! وكنتُ قد جعلتُ القصيدتين على ذات البحر الطويل وذات القافية الدالية للإمتاع بالشعر وللفادة منه! إنه لمن المتصور أنّ الذي يوعظ وتأتيه موعظة ونصيحة على طبق من ذهب ، أنّ يستجيب ويدع عن الأمر الله ورسوله. أما العناد والجدال بالباطل والمكابرة ، فليست لمن ينصح ولا لمن يعظ ، إنما هذا كله سببه الجهل بأمر الله وحكمه. وكان زيد (زوج هند) قد وعظها في القصيدة السابقة والتي عنونا لها بـ: (مستهتره أنت يا هند!) ، وساق الرجل من أدلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يجعل هنداً بمنأى عن المواخذة واللوم ، حرصاً عليها وعلى أبنائها وبيتها. ولكنها أعرضت ونأت بجانبها. وساق الرجل الحل الوحيد من الإقرار بالذنب أمام الله وعدم العودة إليه والندم على الإفراط والتفريط الذين في ظلها كان التصوير ، ومحو الصور وإزالتها من هواتف الناس وحواسيبهم ، وإشهاد الله وملائكته أنها بريئة من كل من يشاهد صورها ، أويحتفظ بها بأي وسيلة كانت ، أو يروج لها هنا وهناك. ولكن لأن الأهل أغلى عند هند من الله ورسوله والإسلام ، راحت تعاند وتردّ في عجرفةٍ وعُجبيةٍ قائلة: بل أنت المستهتر يا زيد! فواعجباً من منهنما المستهتر؟ الرجلُ يحافظ على أهل بيته ويصون عرضه من أن تلوكه الألسنة الحداد ، بعد تداول التصاوير في كل صُقع وأمام كل عين. أم المرأة المفرطة التي سمحت بتصويرها دون إكراه ودون ضرورة لتداول الصور والفيديوهات بعد ذلك؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم؟ وهل من أدب الخلاف والاختلاف أن تغرق هند بيتها وتشغل القوم حولها بالجدل المقيت الذي يرد الحق كتاباً وسنة؟ تحت عنوان: (كفوا عن الجدل) يقسم الأستاذ محمد سلامة الغنيمي الجدل إلى محبوب ومذموم ، فأما المحبوب فسُنضرب عنه الذكر صفحاً ، ونقتبس منه الجدل المذموم ، يقول ما نصه: (والجدال المذموم يغلب على أصحابه حب النفس واتباع الهوى من أجل إشباع عريضة الحاجة الى الظهور والتميز عن الآخرين ، فيغلب عليهم التعصب الأعمى وسيطر عليهم الغضب ، مما يفضي في النهاية إلى المنازعة والمخاصمة ، وربما أدى إلى أسوأ من ذلك. ويشيع هذا النوع بين عامة الناس وبسطانهم الذين لم يحصلوا قدراً كافياً من العلم والثقافة ، فما أن يطرح أحدهم موضوعاً ما ، إلا ويسارع المحيطين بإدلاء آرائهم وطرح أفكارهم ، وبنفس السرعة يتحول الحضور إلى فريقين مؤيد ومعارض ، ويسير الجدل في مثل هذه الظروف في عدة مراحل من السيئ إلى الأسوأ: \* يحاول كل طرف أن يثبت تفوقه وأن رأيه صواب لا يحتمل الخطأ وأن رأى الطرف الآخر خطأ لا يحتمل الصواب. \* إن كان في الجلسة أكثر من اثنين تحول الأمر إلى فوضى ، كما لو كانت سوقاً مملوءاً بالصخب والضجيج ، حيث يتسابق الجميع إلى الكلام ومن ثم تملأ الأصوات وتتداخل. \* إن لاح لأحد الطرفين أن نظيره أقوى حجة منه وأبين دليلاً منه سارع بالنيل من الآخر والتجريح في شخصه والتقليل من شأنه بسخرية واستهزاء ، محاولاً صرف الأنظار بعيداً عن الموضوع حتى يتسنى له الظهور عليه. \* أما الطرف المستهان به فلن يرضخ لمثل ذلك ، فتراه تارة يدفع عن نفسه وأخرى يهاجم الآخر بمثل صنيعه. وقد ذكر الإمام النووي بعض صور الجدل المذموم التي ربما تغيب عن أذهان البعض ، حيث قال: فإن قلت: لا بد للإنسان من الخصومة لاستبقاء حقوقه. فالجواب ما أجاب به الإمام الغزالي: أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم ، كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم. ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه ، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب للإبذاء والتسليط على خصمه ، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي ،

وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه ، وكذلك من يحملة على الخصومة محض العناد لقهركم وكسره فهذا هو المذموم ، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعله هذا ليس حراماً ، ولكن الأولى له تركه ما وجد إليه سبيلاً ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما ، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيه اشتغال القلب حتى إنه يكون في صلواته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة فلا يبقى حاله على الاستقامة. ومن ثم فإن الجدل على النحو مجلبة للعداوة وذريعة للكذب وباباً من أبواب الفتنة واتباع الهوى وسبباً من اسباب التفكك الإجتماعي من جراء التعصب الذي يؤول إلى التنابز والتنافر وتنامي الحقد والكراهية. ومن آثاره أيضاً تغليف القلب بالقسوة ونزوع الخشية وكراهية الحق في جانب المغلوب ، وتنامي الغرور والكبر في جانب الغالب ، فضلاً عما يجلبه للنفس من هم وغم ، من حيث أنه شهوة للنفس إذا ثارت لا بد من إشباعها ، وإلا أصابت صاحبها بالتوتر والقلق اللذان يؤولان إلى الكدر والحزن. قال النووي - رحمه الله- : قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروعة ، ولا أضيع للذة ، ولا أثقل للقلب من الخصومة. وقال عبد الله بن حسين بن علي - رضي الله عنهم -: (المراء راند الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب). وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجدل علامة الضلال بعد الهداية ، ومؤشر الانحراف عن الجادة ، لما يترتب عليه من آثار موبقة ونتاج مهلكة ، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون». وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك الرجل الذي لا تهدأ عنده غريزة الجدل ، بل تظل ثائرة لأتفه الأمور ويشند في خصومته ، ويجادل حتى يهزم خصمه ويقهره بأنه والعياذ بالله الأبعض إلى الله ، فعن عائشة رضي الله عنها: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أبعض الرجال إلى الله الألد الخصم». وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الصنف - الذي يصير على الجدل في الباطل رغم علمه به - بقوله: «ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع» ، ويدخل في الوعيد المحامي الذي ينوب عن المبطل وهو يعلم أنه مبطل. وإن المراء من دواعي الفطرة ، بإذ يثقل على النفس تركه ، كذلك جاء الترغيب في تركه من باب أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، ولأنه يعلم أنه صنو الضلال والانحراف ، قال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً» ، قدم النبي صلى الله عليه وسلم الوقاية على العلاج ، واستأصل الداء قبل نشوئه ، وحل المشكلة قبل وقوعها). هـ. وأسلافنا الكرام ما كانوا يحبون الجدل بالباطل مطلقاً! وقرأت أنهم كانوا يكرهون المراء والجدال في الحق! \* فعن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: 'ياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة ، والصيام ، والحلال والحرام ، ويتكلمون في ربهم عز وجل ، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: يهرب بقلبه ودينه ولا يجالس أحداً من أهل البدع'. \* وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً). \* وقال ابن عباس لمعاوية - رضي الله عنهما -: (هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابي؟ قال: وما تصنع بذلك؟ أشعب بك وتشعب بي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرك). \*

وقال الحسن - إذ سمع قوماً يتجادلون - (هؤلاء ملوا العبادة! وخف عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا). \*  
وقال ابن أبي الزناد: (ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدلٌ مثله). \* وقال الأوزاعي: (إذا أراد الله بقوم شراً أزمهم الجدل ، ومنعهم العمل). \* وقال الأصمعي: (سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته ، ومن أكثر من شيء عُرِف به). \* وأخرج الأجرى بسنده عن مسلم بن يسار - رحمه الله - أنه قال: (إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته). \* وأخرج الأجرى أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل). \* كان أبو قلابة يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ؟ فإني لا آمن أن يغسوكم في الضلالة ، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم). \* وقال ابن تيمية: ومن تبين له الحق ثم عَدَّ عنه فهو ظالم معاند يستحق العقوبة! وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، (فإن الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة ، فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة ، لا يجب الاقتصار معه على التي هي أحسن ، بخلاف من لم يظلم ، فإنه لا يجادل إلا بالتي هي أحسن... ، والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق واتباع ما تبين له أنه باطل ، والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فَعَدَّ عنه كان ظالماً). \* وجاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد ، تعال حتى أخاصمك في الدين ، فقال الحسن: (أما أنا فقد أبصرت ديني ، فإن كنت أضلت دينك فالتمسه). \* وقال عمران القصير: (إياكم والمنازعة والخصومة ، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: رأيت رأيت). \* ودخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر ، نحدثك بحديث؟ قال: لا ، قال: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا ، لتقومن عني أو لأقومنه! \* وعن عمر بن الأشج أن عمر - رضي الله عنه - قال: 'سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل'. \* وقال علي - رضي الله عنه -: 'سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله'. \* وعن مسلم بن يسار أنه كان يقول: (إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته. والمهم هنا أنني تخيلت هدناً ترد على زوجها وتجادله بالباطل ، محاولة طمس الحقائق! فأشدت من شعري حكاية عنها أقول:)

أثوسِغني نصحاً ، وفي القول تحتد؟  
وتجرخ إحساسي - بشعرك - يا زيد؟  
وتكوي بألفاظٍ تعذبُ مهجتي  
كأن بهان ناراً يوججها الوقيد؟  
وتشعل حرباً لا يكف أوارها  
ضحايا بها: الخيل المغيرات ، والجند؟  
أتجعل - من كيل الوعيد - تشفياً  
وسيلة ضغطٍ بعدها الشرط والقيد؟  
أتضرب - بالسيف المبيير - تعففي  
وقد عاش - عن عينيك - يسترهُ الغمد؟  
أتصطنع الأوهام ، نحن رصيدها  
لتأكل ما في القلب خلفه الوجد؟!  
أتكسر قلبي في البرايا ، وخاطري  
وتفتخ باباً للجوى ، ليس ينسد؟  
أيمناً تجرعت الأسى منك عاتياً!  
حياتك بحر سامة الجرور والمد

تداهمني منك العذابات والكيد؟  
لبعض تصاوير؟ فأين مضى الرشد؟  
بُعِيضِ انتباهٍ ، ثم ألمني العمد  
فرفقاً ، ألم يجرح مشاعرك النقد؟  
تُعاني ، أما أزرى بك القصّ والسرد؟  
فما أجرموا - فيما أتوه - ولا ارتدوا!  
وأشمتُ فيّ الحاقدين ، فما القصد؟  
لماذا تُغالي في الأمور ، وتحتد؟  
وتبني جسوراً - بالمودة - تمتد!  
بها كل مُشتاق بمحبوبه يشدو  
على من قضاوا ، واستأسرَ خاطرَ الفقد  
وقد غُيبوا قسراً ، وأخفاهمُ اللحد  
عن البعد عنهم ، قوتلَ النفي والبعد!  
فيا ليتهم وفوا لينتصر العهد!  
ويرعوا شرافاتي ، فما حُقق الوعد!  
على أجنبي ، أين - يا عترتي - العقد؟  
فصيدتُ ، ألا خاب الدهاقين والصّيد!  
أهجو قراباتي؟ وماذا هو الفيء؟  
لكي يُشهدوا الدنيا ، لقد ذهبتُ (هند)؟  
وأوهنُ إيلاماً ، وليس كما يبدو

أفي صَوْرٍ شاعت ، وراج حديثها  
وهل عاقلٌ يُودي ببيتِ زوجةٍ  
عمدتُ إلى إقناع مَنْ لا يعيرني  
ألا إنني لم أقترفُ أي مآثمٍ  
حنائيك ، لا تسردُ حكاية زوجةٍ  
وهبْ أن قومي صوّروني تودداً  
تريثُ ، فإن الشعرَ جأى فضيحتي  
ألسنُ ترى التصويرَ في الناس شائعاً؟  
تُعلقُ في جُل البيوت ، تزينها  
وتبعثُ ذكرى لا يغيّب حنينها  
يُرَجِّعُ ذكرى ليس يخبو نحيبها  
يعيش مع السلوى ، وينعي صاحبها  
تصوّرتُ أرجو أن أعوّض عترتي  
وعاهدتهم أن لا يكون تداولٌ  
وأعطوا وعوداً أن يصونوا كرامتي  
وأبرمَ عقداً أن تحرم صورتني  
فخانوا ، ولاك الكل عرضَ شريفةٍ  
فماذا عليّ اليوم؟ قلها صراحة  
أهجر أهلي في تصاوير عندهم  
فهون عليك ، الأمرُ أهونُ رتبة

وأخذ خلافاتٍ يسعّرها العند  
ولا يعتريك الوهم يوماً ولا الحقد  
تأملن تراهم ، جوقة رأسهم وغدا!  
وكنّ ليناً أرجى بضاعته الود  
ويُدمي ضميرَ الوصل - في قلبك - الحرد؟  
لبعض تصاويرٍ يعطرها الند؟  
وملحمةٍ فيها المضا والقتا المُلد؟!  
ويلفح أهلي - من حرانقك - الصهد  
وتمسي قريّرَ البال ، ديدنك السعد  
وفي دربه الإرمال - يحدوك - والوخذ  
ومثلك أحرى أن بأمجادهم يحدو!  
وكان عليك الشكرُ والمَدحُ والحمد؟  
ربببة حُسن عطره العودُ والرند  
وسيماءٍ يهواها الرجالاتُ والمُرد  
وأوهى حيائي الطولُ ، والعرضُ ، والقدا!  
فلا عبلة حازتُه - كلا - ولا دعد!  
ولا الهندُ تأوي مثل هذي ، ولا السندا!  
فما العينُ والرمشُ والأهدابُ والخذ!  
سائلة أحساب ، وأنت لها عبدا!  
فأخفض جواراً دونه البرقُ والرعد

ودع صوري عند الأقارب ، وانسها  
وصن بيتاً يا صاح عن كل فتنةٍ  
وكن خذراً من كل نذل وشامتٍ  
فلا تُعطهم سيفاً به يقتلوننا  
لماذا تُهيجُ النفسَ والروحَ غيرة  
لماذا تُضحّي بالديارِ وأهلها  
لماذا تُوافيني بأنك نبيرةٍ  
تغارُ على زوج ، فتحرقُ أنسها  
وترمي - بالاستخفاف - بعضَ تصرفي  
وأنت - بالاستهتار - أولى سجية  
أتأخذ من أهلي المغاوير موقفاً؟  
ألم تذكر في صُنعهم وجميلهم  
تزوجت منهم يا مغالط غادة  
قوامٌ وسامتٌ واحتشامٌ وعِفة  
ولولا حيائي - من إلهي - وصفتها  
مليكة حُسن لا يُبارى جمالها  
وما بلغت (جولبيت) خصلة شعرها  
ولا ضاهات (إيلي) طلاوة وجهها  
وأنت - من الحسناء - أدنى مكانة  
ألا إن أهلي ليس يُنكر فضلهم!

وهل حَبِّبَ - يوماً إلى الضرع - يرتد؟  
تروح تصاويري - على الأهل - أو تغدو  
وجسُرُ تلاقينا بما جئت ينهد  
فبُشراك يا قلبي ، قد انكسر القيد  
لماذا كما تهوى البعولة والولد؟!  
كما العُزْبُ والأعجامُ والتركُ والكُرد!  
وأحيا تُدميني العذابات والسهد  
وبعدُ جَدَّتَ الفضلُ ، لا حبذا الجحد!  
بلاءً ، وهان الكي بالنار والفصد  
شقاء وأهوالاً ، وأن لي الحصد  
عسى الزوجة الأخرى يكون لها وُجد  
وفي حِضن كلِّ تعمُر المنزل الأسد  
وبيني وبين المفتري يحكم الفرد

ولا تفتكرُ حيناً بإرجاع صورةٍ  
ومالك من شأن بشئ يخصني  
ألا واقض ما تقضي ، فلست تخيفني  
مَلَلتُ مِنَ العيش القيوُدُ تحوطه  
حياتي كما أهوى ، وعيشي كما أرى  
كمثل جميع الناس أحياء طليقة  
يعيشون في نعمى ويسر وغبطة  
ألا ارحل ، ودعني أنت دمرت مطمحي  
تشددت في كل الأمور ، فزدتني  
زرعت الرزايا في طريقي ، فأثمرت  
تزوج ، ولن آسى عليك لحيطرة  
تطيعك في كل الأمور ، فتهنتني  
وأختم - بالتسليم - يُطري رسالتني



## مهرجان القبل

(في عالم الديانة ومستنقع الوحل ومهوى الانحطاط ودرك السفول وقاع الإسفاف ، تنحدر فطرة بعض الآدميين إلى مستوى هو أدنى من مستوى الحيوانات العجاوية والسوائم البهيمية! وتكون الشهوات طريقاً للموبقات. وتتنازل الذكور الآدمية (لا أقول: الرجال) عن دورها في الحفاظ على فطرة آدم الأب والرجل قبل كونه النبي والرسول. فتسلم هذه الذكور إناثها لذكور أخرى ، ويتبادل الجميع القبل لتكون بمثابة عربون للتدني. ولن يكون شافعاً لهم جميعاً أن كانت هذه القبل والتحرشات البهيمية في احتفال أو مناسبة من المناسبات! بل تظل تلك القبل - التي رآها ويرأها وسوف يراها العالم كله - دليلاً واضحاً على فساد الفطرة قبل فساد العقيدة. إذ لا يمكن أبداً لرجال يعتقدون العقيدة الصحيحة ويدينون الله بالتوحيد الخالص والمتابعة الكاملة المطلقة للنبي الرسول- صلى الله عليه وسلم - أن يفرطوا ذلك التفريط المقيت البغيض بحق نسانهم وبناتهم على النحو الذي رأينا وعلمنا وسمعنا. ولقد عاش أسلافنا يعظمون شأن العرض والشرف! ففي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لصربته بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأننا أغير منه ، والله أغير مني) ، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة. قال ابن القيم رحمه الله: فجمع هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها ، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان. فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته ، ومن وافق الله في صفة من صفاته قاده تلك الصفة إليه بزمامه وأدخلته على ربه ، وأدنته منه وقربته من رحمته ، وصيرته محبوباً له. انتهى.

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة قد حرم الله - تبارك وتعالى - عليهم الجنة: مُدْمِنُ الخمر ، والعاقد ، والديوث الذي يُقِرُّ في أهله الخُبث. رواه أحمد والنسائي. والديوث قد فسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث بأنه الذي يُقِرُّ الخُبث في أهله ، سواء في زوجته أو أخته أو ابنته ونحوهن. والخُبث المقصود به الزنا ، وبواعثه ودواعيه وأسبابه من خلوة ونحوها. قال علي رضي الله عنه: أما تغارون أن تخرج نساؤكم؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن الغلوج. رواه الإمام أحمد. ولذلك جاز القول عندنا بأن غياب الفطرة وفسادها ، كان مسبوقاً بالضرورة وبداهة العقل ومنطق الفهم والوعي ، بغياب العقيدة والتوحيد. ولذا كان خلل السلوك عَرَضاً لمرض أكبر وأخطر وهو غياب العقيدة أو فسادها. لهذا كتبت قصيدتي (مهرجان القبل) بشيراً ونذيراً. وهي من باب الإعذار إلى الله - عز وجل - وأوجهها لقوم يحسبون أنهم مسلمون ، ثم هم شاركوا ببناتهم ونسائهم في تلك الفتنة العمياء الصماء الدهياع. وما يكون لي أن أتوجه بها لقوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ذلك أنهم - وحالهم هكذا - ليس بعد كفرهم ذنب يلامون عليه أو يؤاخذون به! أما ما هو المهرجان؟ وما اسمه؟ وأين عقد؟ ومتى عقد؟ فكلها أسئلة الجواب عليها لا يفيد كثيراً لأن أغلب المهرجانات الجاهلية يغلب عليها ذلك الطابع الذي ذكرت وأكثر. ولا أركز في هذه القصيدة ولا في غيرها على المسميات بقدر ما أركز على الجوهر الذي من أجله صغت هذه القصيدة. ولتستوعب - في مستقبل الأيام وعلى كَرِّ الدهور وتعاقب العصور ومرور السنين - كل مهرجان تنتهك فيه محارم الله وتحفه الشياطين من كل جانب ويجاهر الله الجبار المنتقم بما لم

يشرع لعباده المؤمنين. وعزاؤنا وقد عجزت أيدينا وقصرت حيلنا ، أن الله يسمع ويعلم ويرى! ونسأل الله أن يحفظ ديننا وأعراضنا ، وأن يجعلنا رعاة أوفياء وحُماة أتقياء لذلك الدين ولتلك الأعراض حتى نلقاه!

أشعلوا الشـهوة ناراً بالقبـل  
لم يعدُ - بين المطايا - من رَجُلٍ  
ماتت النخوة ، واغتيل الحيا  
وجُموعُ القوم غاصت في الوَحَل  
عربدَ الكل ، وباتت فتنة  
ونساءُ العير ودَعن الخجل!  
مهرجانٌ ضمَّ أربابَ الهوى  
وتيوسَ الفسق من أهل السفل  
لم يُراعوا حُرمة فيما أتوا  
بل تردّوا في التدني والضلل  
وغدا الإفلاسُ غنواناً لهم  
من رآهم قال: أصحابُ الدجل!  
فتنة سادت ، فلو قيل احكموا  
قلت: بهم - بالتعري - تحتفل  
لعنة - في الغرب - شبت نارها!  
بظاها يضربُ الناسُ المثل  
كل ديوثٍ يُدسي زوجَه  
وعلى الوجنة آلافُ القبـل  
ثم يُولي غيرها ما تشتهي  
ليس - عن درب الدنيا - من جـول  
رخصَ العِرضُ ، وراجت سُوقه  
نقداً البيـعُ ، وإلا بالأجل!  
كل نخاس بيمناهُ عصاً  
تجعل السـوق تماماً يعتدل!  
والذكور - اليوم - حاصوا حَيْصَة  
ينشدون النـزوة من بعد الغزل  
وإمساء الحفل لبين النداء  
طامحاتٍ - في التلاقي - للخبـل!  
مثل نـوقٍ عـدمت بعـانها!  
أو كشاةٍ مزقت أرسـانها  
ثم شـقت دربها نحو الوـعل  
هبط الإنسان من عليانه  
تفتنُ الناقـة إن غاب الجـمل!  
ربّ سلم من ضياع شـومُه  
ثم يزل - في كل صقع - يشـتل!

## منصة الشعر

(صمم أحد معارفي كرسياً يليق بالشعراء إذ يُلقون أشعارهم وهم جالسون عليه. وأراني ابني عبدُ الله ذلك التصميم ، وقد أعجبنى جداً طرازه ونقوشه وطلاؤه. وطلب عبد الله مني أن أصف شعوري شعراً عن هذا المقعد ، وعن الانطباعات التي تركتها صورته في نفسي ، فكانت هذه القصيدة ترجمة لطلبه! ولكن بعد حين ، حيث إنني لم أخف إعجابي بالكرسي واعتبرته منصة الشعراء ، ولكن كما قلنا من قبل ونكرر: الشعر شعور! وكتب الدكتور حامد طاهر تحت عنوان: (الشاعر والناظم) مبيناً الفرق بينهما ، يقول وبالنص: (الشاعر يكتب قصيدته بعفوية بالغة ، فتخرج من بين يديه كأنها جميلاً يبكي ويضحك ، وربما طار وزقزق. ولذلك فهي أشبه بالمولود الذي لا يخرج إلى الحياة إلا بعد أن يكون قد اكتملت أعضاؤه ، وأصبح قادراً على تنفس الهواء خارج بطن أمه. وليس معنى هذا أن الشاعر لا يعاني ، بل إنه مثل تلك الأم التي لا تلد إلا بعد أن تمر بفترة طويلة من الحمل الثقيل الذي يرهقها وأحياناً يوجعها. وقد يتصور البعض أن الشاعر الموهوب لا يقرأ ولا يغوص في بطون الكتب ، على العكس إنه قارئ نهم للتراث الشعري المكتوب بلغته ، وكذلك بلغات الأمم الأخرى. إن الشاعر الموهوب يدرك بالفطرة أنه حلقة في سلسلة التراث الشعري العالمي ، وأن هذه الحلقة متصلة بما قبلها ، كما أنها ممهدة لما يأتي بعدها ، ولذلك فإنه يكون دائماً إضافة وليس تكراراً ، صوتاً متميزاً وليس ضجيجاً أجوف. وهناك فارق آخر أساسي بين الشاعر والناظم يتمثل في أن الشاعر صاحب رسالة يقوم بتبليغها للناس في عصره ، وربما تجاوزهم إلى العصور اللاحقة. وهذه الرسالة قد تكون وجدانية أو وطنية أو إنسانية! أما الناظم فإنه يظل أسير الشكل الشعري الذي يرهق نفسه في إقامته وتجويده ، في حين أنه يخلو من أي هدف حقيقي أو رسالة يمكن تبليغها للناس. والخطورة هنا أن يعلو صوت الناظم على صوت الشاعر ، وفي هذه الحالة قد ينشغل الناس بدعايته ، وأساليب عرضه البلهوانية فيتجمعون حوله ، بينما يهملون الشاعر الحقيقي ولا يلتفتون إليه إلا بعد فوات الأوان. ومن الغريب أن الناظمين يعرفون أنفسهم جيداً ، كما يعرفون الشاعر الحقيقي ، فيعملون بكل الوسائل على إخماد صوته ، والتعظيم عليه بضجيجهم العالي ، إلى أن يأتي يوم ينتبه فيه المجتمع إليه ويكتشف أنه قد أضاع وقته في الإصغاء إلى هؤلاء الأذعيا بدون طائل! ويبقى أن النقاد الحقيقيين ، وليس المزيفين أيضاً ، هم الذين يأخذون بأيدي المجتمع لتمييز الشاعر الموهوب من الناظم المُحاكي ، وبيان قيمة الصوت الحقيقي من أصوات الطبول الجوفاء).هـ. ويسأل الأستاذ مهند طالب هاشم عن الفرق بين الشاعر والناظم ، ثم يجيب وبالنص: (إن الفرق بينهما فرق انزياحي المصدر فنجد الشاعر يقدم نصاً من خلال تكوين المضمون عنده واكتمال الرؤى ، فينصب النص متدفقاً في وجدان الشاعر بدون توقف ، فتكون الموسيقى مناسبة بحلاوتها وطراوة الألفاظ ورتابة التشكيل اللغوي والإيقاع الشعري ، فيخرج النص كأنه ماء صب في قده ، فيكون النص قادماً لا شعورياً خارج الوعي ، ينثال ويولد حسب الحال الواقع عليه ، معبراً عن قريحة شعرية مختلجة في وجدان الشاعر ، بعد أن كانت تجري تفاعلاً حسيماً وفوراناً صورياً متراكماً في ذات الشاعر ، يتميز الشعر عن النظم بأنه يمتلئ بروح حية تسري فيه ، فيخرج النص كالطفل من رحم أمه كاملاً مكماً ، يخرج قصيدة حاضرة وجاهزة بدون تنظيم ، أو ترتيب أو ترصيف ، إذ هي خرجت جسداً متكاملًا. أما الناظم فهو كاتب يتمعن ويتفكر في اختيار جملة ومفرداته ، ونرى النص كأنه مقيد بالحبال إذ يخرج متكلفاً ، وموسيقاه محصورة إما بالقافية وإما في مفردات وجمل معينة ، وهذا يجعلنا أمام قصيدة مخنوقة حتى وإن توفّر الجمال فيها ، فهي في حد ذاتها ترصيفية تجميعية

وتكوينها تطلب استعانة وصبراً وانتظراً وبحثاً! إن الناظم يصنع النص من خلال الرغبة بوجود الوعي ، على عكس الشاعر فالناظم يختار جسداً لقصيدته ، ولو اعتبرنا النص جسداً آدمياً فالناظم يختار لهذا الجسد أيادي وأقداماً ورأساً وملامح حسبما يراه مناسباً للنص. هنا نستطيع أن نميز بين الناظم والشاعر في تلقائية النص ، فالناظم متكلف ، والشاعر تلقائي ، والفرق بذلك يُكوّن لدينا عنصر الأصالة ، حيث إن الشاعر يكون كمن ينتظر الإيحاء والإلهام ليتكلم ، بينما الناظم يكون كالحرفي الذي يستعمل مادة خامة ليصقلها بذوقه ويخرجها تحفة معينة غايتها الزينة ، وهذا يعطينا مدلولاً واضحاً جداً بينهما: أن الشاعر شخص مميز جداً ، كأنه ينطق بوجودية النص بكونه قائماً أي يُطلقه فحسب. وعليه فإن الشاعر فنان بطبعه ، وأما الناظم فهو “صناعي” لا يجيد سوى التقليد والتصليح وإخراج القصيدة على نحو ما يفعل الشاعر من حيث الظاهر).هـ. وتحت عنوان: (ويبقى الإحساس شاعراً) ، يرى الأستاذ عبد العزيز الصعب أننا (ندرك تماماً أن الشعر هو ذلك الإحساس الذي يجول في داخل الشعراء ، وكذلك فإن الإحساس هو بالتالي شعر يتكئ على جنبات الشعر ، ومن هنا فالعلاقة بين الشعر والإحساس مرتبطة تماماً إذ لا شعر بلا إحساس والعكس صحيح. وقديماً كان إحساس الشاعر بمنزلة الصورة الحقيقية لإنتاج القصيدة من خلال صدق الشاعر في إحساسه أولاً ثم في قصيدته ثانياً ومن هنا وجدنا قصائدهم أكثر رقة وأعذب إحساساً ، حتى أننا عند قراءتنا لتلك القصائد نجد فيها روح الجمال وصدق المعاناة وتصويرها. ونحن عندما نربط الشعر بالإحساس فإننا بذلك نريد الوصول إلى حقيقة الشعر الذي هو في الأصل إحساس! ولا نتخيل أن نقرأ ولو لمرة واحدة قصيدة تخلو من إحساس شاعرها ولعلنا هنا نقول إن الشاعر سُمي شاعراً لأنه هو من يشعر بخصوصيته التي لا يشعر بها غيره ، كما قال ابن رشيق: (إن الشاعر سُمي شاعراً لأنه لا يشعر بما لا يشعر به غيره).هـ. أشكر لمن شاركونا في أن الشعر شعور وإحساس يدفعان لنص يخلج في القلب!)

منصّة الشعر تسهوي المُجيدينا	وتسـتجيشُ أحاسيسَ المُحبينـا
وتبذر الشعر - في الآفاق - مُؤتلقاً	فينبثُ الشعرُ رِيحاناً ونسرينا
ويعبقُ الجو من أزهار روضته	شذىً يضمخ من يأتي البساتينا
وتبسّم الضاد ، أن عادت نضارتها	حتى تهني فحواها الأساطينا
فبارك الله من أرسى قوائمهـا	ووقف الشّعرا ، كي ينصروا الدينا
من كل حُر أبي ثائرٍ حـرب	يؤيدُ الحقّ ، لا يهوى التداشينا!
يُسخرُ الشِعـرَ - في الطاعات - مُحْتسباً	وفي اتباع الهُدى لا يعرف اللينا
وكم يذود - عن الأخلاق - تُعجبه!	وكم يُبين عُقبى الخير تبيننا!
وكم يُفند - للغالين - من شُبه	يُقيم - عبر ثناياها - البراهينا!

وَأُذْهِبَ سَبَبَ التَّدْمِيرِ وَالْهُونَا  
مِنَ الرَّعَاعِ الْأَلْيِ فَاقْوَا الشَّيَاطِينَا!  
وَخَبْرَةَ نَسْتَقِي مِنْهَا الْمَوَازِينَا!  
وَاسْأَلْ عَنِ النُّورِ ، إِنْ شِئْتَ الدَّوَاوِينَا  
يَقْرَأُ قَطُوفاً سَيَسْتَمْلِي الْمَضَامِينَا  
فَلَا تَرَاهُ - بِدُنْيَا النَّاسِ - مَفْتُونَا  
يُطْرِي - بِهَا وَبِفَحْوَاهَا - الْفِرَاعِينَا  
مَنْ يَمْلِكُونَ - بِدُنْيَانَا - الْمَلَائِينَا  
تَحْتَاجُ جَرَساً وَأَنْغَاماً وَتَلْحِينَا  
يَكِيلُهَا جَهْلٌ يُزْجِي الْقَرَابِينَا  
أَلَمْ نَقُلْ أَنَّهَا تَهْوِي الْمِيَامِينَا؟  
فَلِيَأْتِ بِالشَّعْرِ مِفْصَاحاً وَمَوْزُونَا  
لِيُصْبِحَ الشَّعْرُ - بِالْإِحْسَاسِ - مَقْرُونَا  
لَأَمْسِيَاتِ شَدَّوْنَا فِيهَا مُلْبِينَا  
سَاقُوا الْمَحَبَّةَ وَالْإِعْجَابَ عُرْبُونَا!  
حَتَّى يَبِيَّتْ لَهَا - بِالْفَضْلِ - مَمْنُونَا!  
إِمَّا هَجَرْنَا - عَلَى الدَّرْبِ - الْأَوَاوِينَا!

وَكَمْ يُؤَصِّلُ لِلْقِيمِ التِّي وَئِدَتْ!  
وَكَمْ يَذَبُّ - عَنِ الْإِسْلَامِ - كَوَكْبَةٌ  
وَكَمْ يَسْوِقُ تَجَارِيِباً وَأَقْيَسَةً  
وَكَمْ يُؤَلِّفُ - مِنْ أَشْعَارِهِ - دُرُراً!  
وَكَمْ يُسَطِّرُ أَلْوَانَ الْبِيَانِ! فَمَنْ  
لَأَنَّهُ فَطِنٌ ، يَدْرِي رِسَالَتَهُ  
وَلَا يُطْوِعُ أَشْعَاراً يُنْقِضُهَا  
وَلَيْسَ يَكْتُبُ لِلْأَمْوَالِ يَعْرِضُهَا  
وَلَمْ يُؤَلِّفْ - لِأَهْلِ الْفَنِّ - أَغْنِيَةً  
وَلَيْسَ يَنْشُدُ أَمْداحاً مُرْصَعَةً  
(مِنْصَةَ الشَّعْرِ) مَأْوَاهُ وَمَنْبَرُهُ  
إِنْ كَانَ مِنْهُمْ ، فَقَدْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدًا  
وَلِيُلْقِ - مِنْ فَوْرِهِ - شِعراً يَلِيْقُ بِهَا  
وَكِي يَنْفَسَ مَنْ جَاؤُوا وَمَنْ حَضَرُوا  
وَكِي يُمَتِّعَ أَضْيَافاً عَبَاقِرَةً  
هِيَ الْمِنْصَةُ تُهْدِي الشَّعْرَ زَائِرَهَا  
أَدَامَهَا اللَّهُ إِيوَاناً نَتِيئَةً بِهِ

## فاختر لنفسك

(في أبيات لي أنشدتها لطلابي المتفوقين ، خصصت المديرَ بنصف بيت ، وكنتُ أود وأتوقع ردّ هذه المدحة بشيء من الابتسام ، فضلاً عن الكلام أو ما يتعين بذله لمادح مخلص ، بل كان الأمر كأن لم أمدح. وهل إذا ذممتُ يكون الأمر هكذا؟ بالطبع لا! فلماذا لا يعتدل الناس في عواطفهم؟ فلما قضي الأمر التقيتُ المدير ، فقلت له: أنا عاتبٌ عليك. فقال: ولم. فذكرتُ له ما سطرته آنفاً ، وزدتُ عندما سألتني: أوضَح ، فلم أستوعب المسألة. فأوضحتُ وأفصحت. فسأل: وماذا تنتظرُ مني؟ فقلتُ: عادة الناس الذين يُمدحون أن يردوا على مادحيهم إما بمدح أفضل منه أو بمثله وأحياناً بالمال. والمدحُ تحية. والله يقول: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها). فإن كان هؤلاء الممدوحون شعراء ، فإن تحية الشعراء يجب أن تكون شعراً. وإن كانوا كُتاباً تكون تحيتهم وردهم للمدح نثراً بليغاً بضوابط وشروط النثر في الجمال والطلاوة! وإن كان الممدوحون ملوكاً أو أمراء كالرشيد والمنصور والمأمون والهادي والمعتصم ، كان رد المدح الدينارَ والدرهم وإجزال العطاء. وإن كان الممدوحون تجاراً كان رد المدح ذهباً أو فضة. وإن كانوا أنبياء لم يكن ردهم شيئاً من ذلك ، فليس لهم أن يكونوا شعراء لأن مقام النبوة أسمى من كل مقام سبق. وإذن فيكون ردهم بالدعاء ، كدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لحسان بن ثابت: (لا فض فوك يا حسان!) وسنّ الصديق أبو بكر - رضي الله عنه - لنا سنة حسنة له أجراها وأجرها من عمل بها إلى يوم القيامة ، عندما اعتاد أن يقول لمادحه بعد أن يشكره ، فإنه يتوجه إلى الله بالدعاء قائلاً: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تفتني بما يقولون). فإن كان المادح قد مدح نفاقاً ورياءً وسُعة ، فالسنة هي حثو التراب في وجهه ، عملاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (احتوا في وجوه المذاحين التراب)! ونبي الله يوسف - عليه الصلاة والسلام - عندما أثنى عليه إخوته معترفين له بالفضل ومُقرّين على أنفسهم بالإثم والذنب والخطيئة: (تالله لقد آثرك الله علينا ، وإن كنا لخاطئين) ، توجه يوسف بالدعاء بعد أن طمأنهم على سلامتهم من عقوبته وانتقامه منهم: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ، ثم توجه إلى الله بالدعاء قائلاً: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقتني بالصالحين). وكذلك فعل الشافعي الإمام - رحمه الله - ، عندما مدحه الناس ، خاطب ربه قائلاً: يظن الناس بي خيراً وإني لنشر الناس إن لم ترض عني). لقد اعتاد مديرنا أن يكون ديكتاتوراً لا شورى عنده ولا احترام لآراء الآخرين! واعتاد على التكبر والأنفة والغرور والصلف! وألف فقدان السيطرة على مشاعره وأحاسيسه خاصة عندما يخطئ أحد موظفيه! وليس له أدنى تواصل مع الهيئة التدريسية خارج - فضلاً عن داخل - المدرسة! فكيف بي أن أحمله على خياراتي تلك؟! وهذي رابطة كتاب وزبي تزي معنى أن (الإدارة هي عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل ، لذلك على أي شخص يوضع لمنصب المدير أن يتعلم هذا الفن ليستطيع إنجاز العمل الذي يديره). هـ. وحسب رأي الرابطة فإن: (أبرز صفات المدير الفاشل: \* التكبر والغرور ، فالمدير الفاشل هو من يجلس في مكتبه ويغلق على نفسه الباب ويحيط به حاشية يمنعون أحداً من الوصول إليه مهما كانت الأسباب. \* فقدان السيطرة على الأعصاب والمشاعر ، وخصوصاً عند وقوع أحد الموظفين في خطأ ما ، وتراه أيضاً لا يفرق بين من يغلط مرةً ومن يكرر الخطأ مراراً وتكراراً ، فيعاقب كليهما بنفس المستوى. \* لوم الآخرين على أخطائهم ، فيعتاد على إيجاد المبررات لأخطائه وتقصيره هو ، ويلوم الموظفين وكل من يعمل معه. \* ضعف التخطيط ، فتكون مؤسسة المدير الفاشل غير قادرة على مواكبة التطورات ويحدث



ففيها الكثير من الأخطاء والنزلات نظراً للتخطيط الغير جيد والخاطئ. \* فقدان القدرة على التواصل مع الآخرين وخاصة المرؤوسون ، وتراه يتعامل مع مرؤوسيه على أنهم أدوات لا يمتلكون أي مشاعر أو أحاسيس. \* التفرد بالرأي ، فالمدير الفاشل هو من يظن نفسه أنه على حق دائماً ولا يمكن أن يخطئ ، وسظن أن المدير هو أفهم من المرؤوسين دائماً ، لذلك يلجأ دائماً لاتخاذ القرارات وحده ، فهو لا يؤمن بفكرة اللامركزية التي تقود إلى توزيع الجهود بين الموظفين في المؤسسة ، وتلغي فكرة التفرد بالرأي).هـ. وأنا إذ مدحتك فأريد رد تحيتي الشعرية! فاختر لنفسك أيها المدير فوراً أي خيار من الذين رويث لك من أخبارهم! فاختر الدعاء على استحياء ، فأمنتُ وأنشدتُ من شعري في ذلك:

مدحتك ، لا أرجو على مدحتي نعمى	وأمتك إذ أهملتني عامداً لوما
وعشت أخال المدح نقصاً وخيبة	إذا عدد المدح في الآي والأسما
ويُزري كثيرُ المدح من يحتفي به	إذا شابت المدح المبالغة العظمى
وصُغت امتداحي - للمدير - تماهياً	مع الوضع ، لا زلفى ، ولا خانفاً سهما
ولا أبتغي - بالمدح - أسمى مكانة	على عادة المُطربين إذ أتقنوا اللوما
وما دمتُ قد أطرَيْتُ طلابَ حَفنا	بأبياتٍ شعرٍ تُسمعُ البُله والصُما!
فكان لزاماً أن أخصّ مُديرهم	بنصفِ بييتٍ يُبعدُ الشك والزعما
وياليتُه ردّ امتداحي ببسمة!	لقلتُ: هو الشكرُ المُكافيء قد تمّا!
وياليتُه ردّ الجميل بمثاله	فألقي عباراتٍ تلي الشعر والنظما
وياليتُه وافى رفاقي بمدحة!	لكي يعرفوا قذري ، فلا أشتكى هُضما
وياليتُه جازى ببعض تفضلي	ليُكرمني ، حتى أباهي به القوما!
ولكنه جافى ، ولم يك مُنصفاً	وكال - لغيري - المدح والفخر والنعمى
وتابعه الأقوام في الجهر والخفا	وأصبحتُ وحدي الندف في الحفل والخصما
لي الله إمام عقتي الصحب كلهم	ومن خالقي أستلهم الصبر والعزما!



## لماذا المغالطة؟

(روى البزار بإسناد جيد أن رجلاً دخل مع ابنته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن ابنتي هذه أبت أن تتزوج. فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أطيعي أبك. قالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ قال: حق الزوج على زوجته لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة ثم استقبلته ، فلحسته ما أدت حقه). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة). وقال: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله من زوجة صالحة إذا أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته. وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله). وقال: (لو كنتُ امرأةً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها). وذات يوم قال ابن القرية للحجاج بن يوسف الثقفي: وجدتُ أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشاً وأبقاهم سروراً وأرخاهم بالأوأشبهم شباباً ، من رزقه الله تعالى زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ، إن انتمناها زوجها وجدها أمينة ، وإن قتر عليها وجدها قانعة ، وإن غاب عنها كانت له حافظة ، تجد زوجها أبداً ناعماً ، وجارها سالماً ، وصبيها طاهراً ، قد ستر حلمها جهلها ، وزين دينها عقلها ، فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها ، وكاللؤلؤة التي لم تتقب ، قوامة صوامة ، ضاحكة بسامة ، إن أيسرت شكرت ، وإن أعسرت صبرت ، فأفلق من رزقه الله مثل هذه). وما أرى ابن القرية إلا صدق. وإذن فكما على الزوج واجبات ، فلهن حقوق. وشريعتنا كتاباً وسنة عظمت حق الزوج كما رأينا وعلمنا. ومن هنا رحمت أوجه اللوم القاسي والعتاب الشديد اللهجة لامرأة أساءت الجوار وأنكرت الجميل ، وأهدرت الفضل وأبليت في العناد أسوأ البلاء! وأجادت النشوز بكل صورته حتى بات مصيرها مهدداً بالطلاق!)

لم هذي السواى؟ وفيم الجفاء؟	والتجني من بعد ، والإدعاء؟!
كل يوم أخذ وردّ وبلوى!	هل سلام تأتي به الهيجاء؟
زوجة مثل البحر مَداً وجزراً	يُمقت المَدّ والرياح رُخاء!
والمنايا تجتأح بيتاً وأهلاً	والخلاف يشدو به الأعداء
إن كُفر العشير يُورث بُغضاً	هل زواج تسمو به البغضاء؟
كيف قامت سوق الشقاق ، وراجت	ثم زالت - بشؤمها - النعماء؟!
إن للزوج جُملة من حقوق	خَدتها الشريعة الغراء
عنيك غابت ، فصرت أتعس حظاً!	واعترتُك البأساء والضراء!
والعناد أودى بعذب السجايا	لم يعد يبقَى رونق ، أو بهاء

للتردّي حيث البلى والفناء  
لسقوط تقوى به الشحاء!  
طوقته الأسقام والأرزاء  
لم تقولي: لكل إنني الفداء!  
سأمته التقوى والعطا والوفاء؟  
إنما بالتقصير يأتي الشقاء  
مُسْتَرِحاً لَمَّا أتاه القضاء  
مئتما يحيى السادة النجباء  
وحياة بسأمتها يُستضاء  
في يديها ما تشتهي وتشاء  
زوجة فضلى مُبتغاهما الصفاء  
ليس يعنيهما - في الحياة - الثراء  
ما الحياة إن غاب عنها الإباء؟!  
واسعدت حتى يحيى لقاء  
هل تُذريها العاصفات والأثواء؟!  
لمليكٍ منه الرخا والحباء!  
فاصطباراً يجلى به الابتلاء!  
ما استمرت أرضٌ ، ودامت سماء!

ليت شعري ، كيف انطلقت سراعاً!  
إذ عصيت الحليل ، وانصعت طوعاً  
أنت زكيت النار تحرق بيتاً  
كيف ضحيت بالعيال انتقاماً؟  
كيف أشهرت السيف في وجه زوج  
لم يقصر في الواجبات أنيطت  
مستعيناً بالله في كل أمر  
بازلاً في الحياة كل الغوالي  
كي تكوني - بين النساء - في نعيم  
زوجة عزت ، واستمت في البرايا  
أسعد الناس في الحياة حليل  
عذبة اللقيا ، لا تُعنف زوجاً  
والإباء سَأمت به تتغنى  
إن يفارق صانته ، لا لم تفرط  
مثل هذي ريحانة لا تُبارى  
إن يكن يُسرّ ، فابتهالٍ وشُكر  
وإذا الدنيا مَحَصتها بعسر  
فسلام مني على كل فضلى

## مروعة لا أحلى ولا أجمل!

(في أحد المطارات ، وقفت هذه المرأة حائرة! وذلك بعد أن قال لها موظف الحجز والتدقيق والوزن بأن تذكرتها وتذاكر أبنائها الثلاثة لم تعد صالحة ، حيث إنهم أتوا متأخرين عن موعد طائرتهم نصف ساعة! الأمر الذي جعلهم يأخذون بديلاً عنهم من قائمة الانتظار. وإذن فماذا تفعل هذه البائسة وقد ودعت أهلها وودعوها والأبناء؟ ويزيد الأمر صعوبة أن ليس معها نقود أخرى لتحجز بها تذاكر بديلة! فاتجهت إلى الله ووجدت في الدعاء بصالح أعمالها ، فقيض الله لها رجل أعمال علم بقصتها ، فبادر إلى حجز التذاكر من ماله الخاص لها ولأبنائها ، ابتغاء مرضاة الله عز وجل! ولكن المرأة رفضت وأصرّت على عدم قبول التذاكر إلا بشرط أن يعلمهم مكانه في بلد الوصول مادام مسافراً على ذات الطائرة بهدف إرجاع ذلك المال! فوافق وأضمر نية الهرب حتى لا تراه المرأة أو أحد أبنائها! فلما هبطت الطائرة لاذ بالفرار ، ولم يترك رقم تليفونه لأنه أراد بذلك وجه الله. فكانت مروعة لا أحلى ولا أكمل ولا أجمل! ولولا أن راوي القصة ثقة لما صدقت أن يجترئ رجل على مثل هذا الصنيع اليوم والذي تكلفته 10000 جنيه مصري بهذه السهولة! فهنيئاً لك أيها المحتسب الجواد الكريم! ربح البيع وصدق الاحتساب! والله در من قال: (إن المحيط الصغير الذي تعيش فيه سيكتسب منك هذا الخلق الحسن - الاحتساب - لأنهم سيشعرون به ويعايشونه واقعاً حياً أمامهم مما يجعل له أثراً عميقاً في أنفسهم ، وأقصد هنا أهلك وزوجتك وأولادك وغيرهم ممن تحتك بهم احتكاً مباشراً ومستمراً كمحيط العمل مثلاً. فتكون بذلك دعوت عملياً إلى هدى ، فلك أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة بإذن الله. ومن فوائد هذا الاحتساب التي تجنيها في الدنيا مع ما يدخر لك من الثواب في الآخرة ، أنك إذا جعلت همك رضا الله والتقرب إليه باحتساب العبادات المختلفة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... ومن كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتبت له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، وجعل الله غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة". وما ظنك بمن يحتسب الأجر من الله في كل شيء أليست ممن كانت الآخرة نيته؟ وإن لم يكن هو فمن؟! إنه قلب عاش وتنفس يستشعر العبادة في جميع سكناته وحركاته يطلب ثوابها من الله فسره وشرحه من خلقه ويسر له أمر دنياه وأخراه. فاجعل الآخرة همك. تصبح وتمسي تفكر: كيف أرضي ربي؟ ماذا سأفعل اليوم؟ الاحتساب يزيدك رفعة عند خالقك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص " إنك لن تخلف فتعمل عملاً تتبغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة". وعندما تعتاد المداومة على احتساب العمل الصالح فسوف تربح مثل أجور أعمالك عندما لا يمكنك القيام بها لعذر شرعي. لا تتعجب! فإن فضل الله واسع. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً". قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أيها الناس احتسبوا أعمالكم ، فإن من احتسب عمله ، كتب له أجر عمله وأجر حسبه". وأنا بدوري أجعل قصيدي هذي جزءاً من شكر هذا المحسن الجواد الكريم ، كما أجعلها من عاجل بشرائه في الدنيا ، حاضاً ومحفزاً ذوي الأموال من الموسرين أن يجودوا على الناس ابتغاء مرضاة الله تعالى ، إن أرادوا البركة لأموالهم ، ولا يبخلوا! وأسأل الله لهذا المحسن أن يبارك له في ماله! وفي الحديث قال - صلى الله عليه وسلم -: (من أتى إليكم معروفاً ، فكافئوه ، فإن لم تجدوا ، فادعوا له). وكذلك: (من أعطى شيئاً فوجد ، فليجز به ، ومن لم يجد ، فليئين به ، فإن أتى به ، فقد شكره ، وإن كتّمه ، فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط ، فإنه كلابس ثوبي زور). وأيضاً: (من أولي معروفاً ، فليذكره ، فمن ذكره ، فقد شكره ، ومن كتّمه ، فقد كفره). (من صنع إليه معروف ،

فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ). قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: "لَوْ عَلِمَ الشَّيْطَانُ أَنَّ طَرِيقًا تُوصِلُ إِلَى اللهِ أَفْضَلَ مِنَ الشُّكْرِ ، لَوَقَّفَ فِيهَا ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: (ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، وَلَمْ يَقُلْ: وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ صَابِرِينَ ، أَوْ نَحْوَهُ. وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ - أَبُو الْفَيْضِ -: "الشُّكْرُ لِمَنْ فَوْقَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَلِنَظِيرِكَ بِالْمُكَافَأَةِ ، وَلِمَنْ دُونَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ". وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ أُسْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، أَنْ يَشْكُرَهُ بِأَفْضَلِ مِنْهُ أَوْ مِثْلِهِ ؛ لِأَنَّ الْإِفْضَالَ عَلَى الْمَعْرُوفِ فِي الشُّكْرِ ، لَا يَقُومُ مَقَامَ ابْتِدَائِهِ وَإِنْ قَلَّ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ، فَلْيُثْنِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الثَّنَاءَ عِنْدَ الْعَدَمِ ، يَقُومُ مَقَامَ الشُّكْرِ لِلْمَعْرُوفِ ، وَمَا اسْتَعْنَى أَحَدٌ عَنْ شُكْرِ النَّاسِ " ، وَقَالَ أَيْضًا: "الْحَرُّ لَا يَكْفُرُ النِّعْمَةَ وَلَا يَتَسَخَّطُ الْمَصِيبَةَ ، بَلْ عِنْدَ النِّعْمِ يَشْكُرُ ، وَعِنْدَ الْمَصَائِبِ يَصْبِرُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِقَلِيلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُ وَقَعَّ وَأَوْشَكَ أَلَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ مِنْهُ ، وَالنِّعْمَ لَا تُسْتَجَلَبُ زِيَادَتُهَا ، وَلَا تُدْفَعُ الْآفَاتُ عَنْهَا ، إِلَّا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَلِمَنْ أُسْدَاهَا إِلَيْهِ". وَإِنَّهُ لَمِنْ الْمَوَافِقَاتِ الْجَمِيلَةِ الطَّيِّبَةِ أَنْ نَجِدَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ الْيَوْمَ مِنْ يَعْطِي بِلَا مَقَابِلٍ ، وَيَهَبُ بِلَا قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ اللَّهْمُ إِلَّا الْإِشْتِرَاطَ عَلَى اللهِ بِالْقَبُولِ وَمُضَاعَفَةَ الْأَجْرِ! وَأَجْمَلُ مِنْ هَذَا أَنْ نَجِدَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ مِنْ يَذْكُرُنَا بِحَدِيثِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الَّذِينَ دَعَا اللهُ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ! وَأَعْنِي أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِي كَانَ لَهُ ابْنَةٌ عَمَّ يَحِبُّهَا وَتَزَوَّجَتْ سِوَاهُ وَكَانَتْ عِنْدَهَا ظُرُوفٌ وَاحْتِاجَتْ لِلْمَالِ ، وَجَاءَتْهُ تَطَلُّبُ الْمَالِ فَاشْتَرَطَ أَنْ تَمَكِّنَهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا هَمَّ بِالْأَمْرِ عَتَبَتْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُفْضِ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ! فَانصَرَفَ عَنْهَا وَأَعْطَاهَا بِلَا مَقَابِلٍ! وَأَعْطَانَا دَرْسًا فِي الْإِحْتِسَابِ!

تَفَرَّدَتْ بِالْجُودِ بَيْنَ الْوَرَى	وَأَقْدَمْتُ إِذْ رَجَعُوا الْقَهْقَرَى!
وَأَنْفَقَتْ مَالًا مَسْتَغْنِيًا	تَرِيذُ بَفْضِكَ أَنْ تَوْجِرَا
عَظِيمٍ مِنَ النَّفْسِ أَنْ تَسْتَمِي	بِمَنْ هُوَ - فِي قَيْدِهَا - حُرِرَا
هُوَ الْبِذَلُ سُلْمٌ مَنْ يَرْتَقِي	لِنَيْلِ الْكِرَامَاتِ مُسْتَبِشِرَا
وَالْمَجْدُ - وَاللَّهُ - أَرْبَابُهُ	وَمَجْهُوْدُهُمْ قَدْ غَدَا مُتْمِرَا
وَكَمْ قَتَلَ الشَّحَّ أَصْحَابَهُ	وَقَمَّأَهُمْ فِي جَمِيعِ الْقَرَى
يَعِيشُ الْبَخِيلُ لِيَرَى نَفْسَهُ	وَمَنْ حَوْلَهُ - عَامِدًا - لَا يَرَى
فَلَيْسَ يَجُودُ عَلَى غَيْرِهِ	وَحُوقَ لِنَهْ الْيَوْمِ أَنْ يُزْدَرَى
قَالَهُ الْأَنْسَامُ لِأَمْسَاكِهِ	وَسُومَعْتَهُ اخْتَلَطَتْ بِالْثَرَى
صَغِيرًا يَعِيشُ ، وَيَمْضِي كَذَا	وَأَنْسَى لِمَا كَانَ أَنْ يَكْبُرَا؟!!
وَكَمْ يَحَقُّرُ الْخُلُقُ تَقْتِيَرَهُ	وَكَمْ مَاتَ - بِالْحَرَصِ - مَنْ قَتُرَا!

يموت ، ويأخذ أمواله  
كفياً يُنال بلا محنة  
وأما الكريم لفرط العطا  
ويذكر بالخير ليس سوى  
ويثني الأنام على جوده  
يجود ، فتكثر أمواله  
ونص الحديث لـدى (مسلم)  
ألا كل يوم يباصباحه  
ملاك يخاطب رب السما  
وأخري يدعو على ممسك  
فيما من دفعت لمحتارة  
وأعطاك ربك من خيره  
وبارك في المال ما أغدقت  
مروعتك استشرفت خاطري  
لذا صغت شعري ، أطري السخا  
وأحسبك اليوم أسخى يداً  
وآفك العشر ما ضيعت  
ولست أزكي على الله من

وريث - بما ناله - استبشرا  
كما يرث النشأ من عمرا!  
تراه المجل بين الورى  
وحق لهذا بأن يذكر  
وقد بلغ اليوم فيه النرى  
وأحرى بها جد أن تثمرا  
رواه يفة مستبصرا  
ملاك من ربنا أحضرا  
بأن يرزق المنفق الخيرا  
بأن يتلف الله ما ادخرا  
نقود التذاكر نلت الثرا  
ومثلك - في ذي الدنا - كثرا  
يـداك لتستنفذ المغسرا  
وقلبي الجدير بأن يشعرا  
وأزجي الثناء به مـهرا  
وربي الشهيذ على ما جرى  
سيعطيك رب الورى أعشرا  
مخالقة منه منقأ مأكثرا

## حامل المسك

(اعتاد أن يشفع أجر كل حصّة لأبنائه بقنينة عطر. الأمر الذي لم نعتد عليه من أغلب أولياء الأمور الذين نصل لنصف حقنا منهم بالكاد. وأردّة أن أرد تحية المسك شعراً ، واحترتُ فيم أكتب؟ هل في جمال التصرف أم في عذوبة العطر أم في أناقة القنينة؟ ولي حق في حيرتي ، لأنه اعتاد أن ينتقي العطور النادرة التي لا نجدّها في السوق! وعلمتُ ذلك عندما انتهت الحصص ، وأردتُ شراء الأنواع ذاتها فلم أجد! وعلمت أنه كان يخلط العطور ويهجنها مما جعلها نادرة! لذا استقرّ الرأي على جعل حامل المسك على حدّ تعبير النبي - صلى الله عليه وسلم - في تشبيهه الجليس الصالح ، أو باذل العطر على حدّ تعبيره كمعلم اعتاد أن يأخذ الأجر مشفوعاً بالعطر من الرجل! واستقرّ الرأي على جعله مثلاً يُقتدى به وأسوة يُحتذى بها في الناس. وخاصة من يأكلون حقوق المعلم أو يُماطلون في الدفع. أقول: مادام المعلم قد بذل وأعطى ، فلينل حقه بكل أريحية ورضا! وتلك قيم إسلامية غابت للأسف عن عالمنا! وحول ترسيخ مفهوم القيم الإسلامية الأصيلة ووصف السبيل لإعادتها واقعاً يتجسد يقول الأستاذ سعد عبد الله الحميد وتحت عنوان: (قيم إسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ما نصه: (إن الإسلام دينٌ شامل لكل مجالات الحياة ، ودين صالح لكل زمان ومكان ، ولم يكتسب ديننا الحنيف هاتين الصفتين الرئيسيتين ، إلا بسبب وجود المرونة بين ما هو ثابت في هذا الدين ، وما هو متغير بتغير الأحوال والأزمان ، وبسبب وجود ما هو كليات عامة ، وضعها القرآن والسنة في تعاملات معينة في مجال من المجالات ، وبين دقائق وتفصيلات دقيقة لمجال آخر. لقد شرع الإسلام من الشعائر التعبدية ما يطهر روح الفرد وروح الجماعة المسلمة ، ومن التشريعات الاجتماعية ما ينظم روابط المجتمع ، ويشد بنيانه ، ويقعد القواعد للعلاقات بين أفرادها ، ومن التشريعات الدولية ما ينظم علاقة دولة الإسلام بغيرها من الأمم إلى جانب التشريعات التي تحل وتحرّم ألواناً من المآكل والمشرب ، والمعاملات والأنكحة ، أو ألواناً من المسالك والأعمال ، ورغب بالعلم وفضل العلماء على غيرهم ، ولم يحارب اختراعاً نافعاً ، أو وسيلة مفيدة ، فهو منهج حياة شامل متفرد ، أودع الله فيه من الأحكام والأصول والخصائص ما يكفل السعادة والطمأنينة والحياة الطيبة للفرد وللأسرة وللمجتمع وللعالم كله ، لو التزم الناس بمنهجه واهتدوا بهداه. لا شك أن التصور الذي يحمله الإنسان، ونظام القيم الذي يرتبط به يترك أثره في سلوكه سلبيًا أو إيجابيًا ، وينعكس ذلك الأثر - بطبيعة الحال - على سير المجتمع وبناء الحضارة برمته ، وللقيم الإسلامية آثار في بناء الشخصية وبناء المجتمع ، وأول هذه الآثار هو تقوية صلة الإنسان المسلم بالله - عز وجل - إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن ، في كل حركاته وسكناته ، فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقارًا ، ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه يستشعر الخشية والخوف منه ، في نفس الوقت الذي يتوجه إليه بالرجاء ، كما تبدو أهمية القيم الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع واضحة ؛ لأنها تمثل ركنًا أساسيًا في تكوين العلاقات بين الناس ، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم ، إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافًا تنظم سلوك الفرد والجماعة). هـ. وعلى كلام الأستاذ سعد الحميد يمكن لهذه القيم أن تعود للواقع! وشكر المعلم من شكر الله تعالى! وهذه ثقافة يجب أن نتحلى بها: أن نشكر للمعلم! وتحت عنوان: (شكر الناس) يقول الدكتور خالد النجار ما نصه: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللَّهَ). كم فرقتنا النعرات المُنْتِنَة ، وجمَعنا الإسلام ، وكَم وَعَدُونَا فِي ظِلِّ اللَّيْبِرِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وَالْبُعْيِيَّةِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ ، بِالرِّخَاءِ وَالْوَحْدَةِ ، وَالْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالرَّفْعَةِ ، فَإِذَا الْأَمْرُ سَرَابٌ مَحْضٌ ، وَإِذَا

التجربة المريرة تثبت أنهم شتتونا أكثر مما جمّعونا ، وأخافونا أكثر مما آمنونا ، وأذلّونا أكثر مما أعزّونا ، وإذا قول الله الحق يعلو على كل هذا الركام ، وإذا خير الهدى هدي خير الأنام ، وأعطر التاريخ تاريخ السلف الكرام ، وإذا بصوت الضمير يقول: حين شقائي حين جهلْتُ طريق إلهي ، حين تركتُ سيرة أجدادي وآبائي ، حين تصوّرت الدنيا حسبي وغذائي وكسائي. (من لا يشكر الناس ، لا يشكر الله) ، قال القاضي: "وهذا إمّا لأنّ شكره تعالى ، إنّما يتمّ بمطاوعته وامتنال أمره وأنّ ممّا أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه ، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤدياً شكر نعمه ، أو لأنّ من أحلّ بشكر من أسدى نعمة من الناس ، مع ما يرى من حرصه على حبّ الثناء والشكر على النعماء ، وتأديه بالإعراض والكفران - كان أولى بأنّ يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكر والكفران". وفي رواية لهذا الحديث: (أشكرُ الناس لله ، أشكرُهم للناس). قال المناوي: "أشكرُ الناس لله تعالى أي: من أكثرهم شكرًا له ، (أشكرهم للناس) ؛ لأنّه - سبحانه - جعل للنعم وسائط منهم ، وأوجب شكر من جعله سببًا لإفاضتها كالأنبياء والصحابة والعلماء ، فزيادة العبد في شكرهم ، زيادة في شكر ربّه ؛ إذ هو المنعم في الحقيقة ، فشكرهم شكره ، ونعم الله منها بغير واسطة كأصل خلقته ، ومنها بواسطة ، وهي ما على أيدي الناس ، فتتقيّد بشكرهم ومكافأتهم ؛ ففي الحقيقة قد شكر المنعم بإيجاد أصل النعمة ، ثم بتسخير الوسائط).هـ.

يا حامل المسك عنا مسكك ارتحلا	والجسم حنّ له ، والثوب عنه خلا
وجرت بين حوانيت به امثلات	فلم أجده ، فهل عاف الحمى ، وقلا؟
أم أن صانعه أولاك بالبيع لم	يقصد سواك ، وعن عطا الهواة سلا؟
الجود بالعطر يغري أنف عاشقه	وللشذى عبق - للمشتهين - خلا
مازلت تتحفنا بالأعطيات سمت	وذكرها يبعث التوقير والأملا
سكنت سنة النفوس تعشقها	وسوف تُصبح - في حياتنا - مثلا
واخترت قنينة تختال مائسة	ويح الدلال قلا الملال والخزلا!
والغلق أحكم ، والأناقة اجتمعت	والشكل يسبي النهى ، يُودي بمن عقلا
لولا الحياء طلبنا منك نالثة	لكن عزة نفسي تعشق الخجلا
والعطر فاق عطور الأرض قاطبة	هي النفاف ، وهذا أصبح الهالا
وكنث أعطيت من حولي ليدهنوا	والكل أثنى ، وفي أمداحه ارتجلا
يا ليت كل ذوي الطلاب يتخذو	ن الجود قاعدة ، إنني اكتفيت بلا!



حتى يكفوا الأذى والشحّ والجَدَلا  
كأنه لم يكن يوماً بها عملاً  
لا طابَ للسارق المُحتال ما أكلا!  
هل ابتغى - بالحلال الطيب - البَدَلا؟  
يأتون من حِيَل تستوجب الزعلا  
من بعد ما استبعد الخمول والكسلا؟  
كي يمحوا العجز والتهويل والفشلا؟!  
أكان يفعل هذا الشئ إن جهلا؟  
حتى رأوا خَلها - في لحظةٍ - سَهَلا؟  
بها أزاح الأذى ، والشين ، والخلا؟  
بالعلم - عن زهرة الحياة - قد شُغلا؟  
أم كان - باللهو عبرَ الدرس - مُحْتَفَلا؟  
والعرض أذهب ضيقَ النفس والمَلا؟  
حتى غدا جمعُهم - بالعلم - مُشْتَمَلا؟  
وإن يكن خطأ ، والله ما انفعلا!  
والرُشدُ عما ارتأى الأستاذ ما ارتحلا  
بهضم حق على أيديكم سُجَلا؟  
ولا تحيكونا الأسباب والعِلا  
وذا المعلم - بالتعليم - ما بخلا  
سيُخلف الله ديناراً - له - بُذَلا!

متى يُحسّون بالمجهود نبذاه  
يؤخرون عن الأستاذ أجرته  
والبعض ينكرها عمداً ليأكلها  
أيسر تحل حراماً نهبُهُ جُرمٌ؟  
أمسى المعلم مهضومَ الحقوق بما  
ألم يُدرّس - بإخلاص - مناهجه  
ألم يُنق - من الإرجاف - حصته  
ألم يقدّم - إلى الأولاد - ما جهلوا؟  
ألم يُعينهم على عويص مسألةٍ  
ألم يكن ناصحاً طابِت نصائحه  
ألم يكن ناشراً أحلى بضاعته  
ألم يواظب - على الدروس - مُحْتَسِباً؟  
ألم يُفدّهم بما أملاه من زبدٍ  
ألم يُعزّهم - من العلوم - أشرفها  
ولم يضمنَ على شِبل بعارفةٍ  
بل عالج الأمر مُنصاعاً لحِكمته  
أبعد هذا تعوقون انطلاقته  
من حامل المسك هيا استلهموا عبراً  
أعطاكم الله رزقاً واسعاً غدياً  
فناولوه حقوقاً تُسحق له

## الخطيئة (إمام الهجائين)

(إنه أبو مليكة جروول بن أوس بن مالك العبسي ، والذي عُرف بالخطيئة بعد ذلك. ويعتبر أحد الشعراء المخضرمين (أي أدرك الجاهلية شاعراً ، وأسلم في زمن أبي بكر). وكانت ولادته في بني عبس من أمة اسمها: (الضراء) دعياً لا يعرف أحد له نسباً. وبالطبع أنه مادام ذلك كذلك فقد شب محروماً مظلوماً لا يجد أي مدد من أهل ولا سند من قوم. فاضطر إلى أن يتكسب بالشعر. فاعتاد أن ينشد الشعر ليقنات وليقوت من يعول ، وكذلك ليدفع به العدوان ، وينتقم به من بيئته يزعم أنها ظلمته وجنت عليه. ويمكننا القول بأن هذا هو السبب الذي يكمن وراء كونه أشد الناس هجاء. ولم يكن يسلم من لسانه أحد حتى أباه وأمه ، وقد هجا نفسه ، فصار بذلك إمام الهجائين! \* حبسه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوم جاءه الزبرقان بن بدر التميمي الذي هو سيد قومه ، وكان قد عمل للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -. فكان يجمع زكاة قومه ويؤمها لهم جميعاً. اشتكى من هجاء الخطيئة له. فسأله عمر: وماذا قال لك يا ابن بدر؟ قال: (دع المكارم لا ترحل لبغيتها \*\* واقعد ، فإنك أنت الطاعم الكاسي). وهنا قاطع عمر معلقاً فقال: إن هذا عتاب وليس بهجاء! فقال الزبرقان بن بدر: أولاً تبلغ مروعتي إلا أن أكل وألبس ، والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت ببيت شعر قط أشد عليّ من هذا. فدعا حسان بن ثابت الأنصاري ، وسأله أترأه هجاه يا حسان؟ فقال حسان: نعم وسلخ عليه! (سلخ أي تبرز!) وهنا وبعد التحقق والتثبت حبس عمر - رضي الله تعالى عنه - الخطيئة. فراح يستعطف عمر بأبيات منها قوله مسترحماً:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح	زغب الحواصل لا ماءً ولا شجر؟
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة	فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه	ألقى إليك مقاليد النهي بشر
لم يوثروك بها ، إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم	بين الأباطح إذ ألقى بهم قدر
نفسى فداؤك كم بيني وبينهم	من عرض وادية يعمى بها الخبر!

وهنا قال عمر: إن فعلت فأياك والمقذع من القول. فقال الخطيئة: وما المقذع من القول؟ قال عمر: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان. قال الخطيئة: فأنت والله أهجى مني! ثم قال له عمر: والله لولا أن تكون سنة لقطع لسانك. وكان أن اشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم! وأخذ عليه عهد الله وميثاقه أن لا يهجو أحداً. ولكن حدث أهل السير أنه عاد إلى الهجاء بعد وفاة عمر - رضي الله تعالى عنه -. ولقد تتبعت أقوال سلفنا الكرام والمحترمين من الأدباء والشعراء والكتاب من المسلمين ومن غيرهم يعظمون شأن الكلمة ويدعون إلى حفظ الألسنة عن الاستطالة في الأعراض! وما كانت دعوة لإطلاق الألسنة في أعراض الناس قط! قال سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى: (الكلام فيما يعينك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعينك خير من الكلام فيما

يَضْرُكُ). وقيل في المعنى نفسه: (قال الحسن رحمه الله تعالى: إِمْلَأْ الْخَيْرَ خَيْرَ مِنَ الصَّمْتِ ، وَالصَّمْتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ). وقال علي بن بكار رحمه الله تعالى: (جعل الله تعالى لِكُلِّ شَيْءٍ بَابِينَ ، وَجَعَلَ لِللسَانِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ: فَالشفَتَانِ مِصْرَاعَانِ ، وَالأسْنَانُ مِصْرَاعَانِ). وقال بعض الحكماء: (إِنَّمَا خُلِقَ لِلإنسَانِ لِسَانٌ وَاحِدٌ ، وَعَيْنَانِ وَأُذُنَانِ لِيَسْمَعَ وَيُبْصِرَ أَكْثَرَ مِمَّا يَقُولُ). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إِذَا تَمَّ العَقْلُ وَكَمُلَ نَقْصُ الكَلَامِ). وقال رجل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى: (بَلِّغْنِي أَنَّكَ ذَكَرْتَنِي بِسُوءٍ ، قَالَ: أَنْتَ إِذْنُ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، إِنِّي إِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَهْدَيْتُ لَكَ حَسَنَاتِي). وقال الزهري رحمه الله تعالى: (إِذَا طَالَ المَجْلِسُ كَانَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ). وقال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا لِسَانُهُ مِنْهُ عَلَى بَالٍ إِلَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ ، وَلَا فَسَدَ مَنْطِقِ رَجُلٍ قَطُّ إِلَّا عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ). وقال حكيم: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَصَابُ البِرِّ: السَّخَاءُ وَالصَّبْرُ عَلَى الأَذَى وَطِيبُ الكَلَامِ). وكان مالك بن أنس رحمه الله تعالى يعيب كثرة الكلام ويذمه ويقول: (كَثْرَةُ الكَلَامِ لَا تُوجَدُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ وَالضُّعْفَاءِ). وقال الحكماء: (خَيْرُ الكَلَامِ مَا دَلَّ عَلَى هُدًى ، أَوْ نَهَى عَنِ رَدًى). وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه: (يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَيَمْفُتُوكَ ، وَلَا بِكَلَامٍ مَنْ هُوَ دُونَكَ فَيَزِدُّوكَ). وقال لقمان رحمه الله تعالى: (إِنَّ مِنَ الكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الحَجَرِ فِي وَقْعِهِ ، وَأَنْفَذُ مِنَ وَخْزِ الإِبْرِ ، وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، وَأَحْرُّ مِنَ الجَمْرِ). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَاتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ). وقال وهب بن الورد رحمه الله تعالى: (بَلِّغْنَا أَنَّ الحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ ، وَالعَاشِرُ فِي عَزَلَةِ النَّاسِ). وقال بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: (الصَّبْرُ هُوَ الصَّمْتُ ، وَالصَّمْتُ مِنَ الصَّبْرِ ، وَلَا يَكُونُ المُنْتَكَمُ أَوْرَعًا مِنَ الصَّمَاتِ ، إِلَّا رَجُلٌ عَالِمٌ يَتَكَلَّمُ فِي مَوْضِعِهِ وَيَسْكُتُ فِي مَوْضِعِهِ). وقال السلف: (كَانَ الرِّبِيعُ بِنَ حُنَيْنٍ يَكْتُبُ كَلَامَهُ مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ ، فَإِنْ وَجَدَ حَسَنَةً حَمِدَ اللهَ ، وَإِنْ وَجَدَ سَيِّئَةً اسْتَغْفَرَ). وقال الفضيل رحمه الله تعالى: (مَا مِنْ مُضْغَعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ اللِّسَانِ إِذَا كَانَ صَدُوقًا ، وَلَا مُضْغَعَةٍ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ اللِّسَانِ إِذَا كَانَ كَذُوبًا). وقال بعض البلغاء: (عَيَّ تَسَلَّمَ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقِ تَنَدَّمَ عَلَيْهِ فَاقْتَصِرْ مِنَ الكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُبَلِّغُ حَاجَتَكَ ، وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِيلُ القَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ). وقال الأدباء: (الابْتِسَامَةُ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ بغيرِ حُرُوفٍ). وقال الحكماء: (مَنْ قَالَ مَا لَا يَنْبَغِي ، سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي). وقال العلماء: (إِذَا جَالَسْتَ الجَهَالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ ، وَإِذَا جَالَسْتَ الحِكْمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ ، فَإِنَّ فِي إِنْصَاتِكَ لِلجَهَالِ زِيَادَةً فِي الحِلْمِ ، وَفِي إِنْصَاتِكَ لِلحِكْمَاءِ زِيَادَةً فِي العِلْمِ). وخلصتان تقسيان القلب: (كَثْرَةُ الأَكْلِ وَكَثْرَةُ الكَلَامِ). وقال العلماء: (كَمْ مِنْ وَجْهِ مَلِيحٍ صَبِيحٍ وَلسَانٍ فَصِيحٍ عَدَا يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ النَّارِ يَصِيحُ!). وقال الحكماء: (لَا شَيْءٌ يَخْتَرِقُ القُلُوبَ كَلُطْفِ العِبَارَةِ وَبِذَلِ الابْتِسَامَةِ وَلِينِ الكَلَامِ وَسَلَامَةِ القَصْدِ وَنِقَاءِ القَلْبِ وَغَضُّ الطَّرْفِ عَنِ الرِّلَّاتِ). وقال بعض البلغاء: (الزَّمِ الصَّمْتَ فَإِنَّهُ يُكْسِبُكَ صَفْوَةَ المَحَبَّةِ ، وَيُؤْمِنُكَ سُوءَ المَعْبَةِ ، وَيُلْبِسُكَ ثُوبَ الوَقَارِ ، وَيَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ الإِعْتِدَارِ). وقال بعض الفصحاء: (اعْقِلْ لِسَانَكَ إِلَّا عَنِ حَقِّ تَوْضِيحِهِ ، أَوْ بَاطِلِ تَلْحِظِهِ ، أَوْ حِكْمَةِ تَنْشُرْهَا ، أَوْ نِعْمَةِ تَذَكَّرْهَا). فأين الحطينة من هذه الأخلاق وتلك الوصايا؟! والحقيقة أن الحطينة لم يسلم من لسانه أحد قط لا مربي ولا أم ولا نفس فمثلاً قال يهجو أمه الضراء:

تتحني ، فاجلسني عني بعيدا أراح الله منك العالمين

ألم أوضح لك البغضاء مني ولكن لا أخالك تعقليني

أغرباً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدين!

جـزَاكِ اللهُ شـرّاً مـن عـجـوز  
وَلقَاكِ العـقـوقَ مـن البـنـيـنَا  
حـيَاكِ مـا عـلـمـتُ حـيَاةَ سُـوءِ  
ومـوتـكِ كـم يـسـرّ الصـالـحـيـنَا!

وأُنشد شعراً يهجو فيه مولاه الذي رعاه ورباه وأحسن إليه ، ومنه قوله:

فـنـعم الشـيـخ أنـت لـدى المـخـازـي!  
وبـئـس الشـيـخ أنـت لـدى المـعـالـي!  
جـمـعـت اللـؤـم لا حـيـاكِ رـبـي  
وأبـواب السـفـاهة والضـلـال

وحتى نفسه التي بين جنبيه لم تسلم من لسانه! فلقد أنشد أبياتٍ يهجو فيها نفسه ، منها:

أبـت شـفـتاي الـيـوم إلا تـكـلـمـا  
بـهـجـو ، فـما أدري لـمـن أنا قائله؟  
أرى الـيـوم وجـهـاً قـبـحَ اللهُ خـلـقـه  
فـقـبـحَ مـن وجـهـه ، وقـبـحَ حـاملـه!

وإذ مات أوصى بوضع هذا على كفيه! فيا للعجب في تفكير هذا الشاعر! ولذلك كانت جُل قصائده في ديوانه عن الهجاء والسب والشتم واللعن!

أبـا مـلـيـكة ثـارَ الشـعـرُ والأدبُ  
عـلـى هـجـائـك إذ ضـاقت بـه العـربُ!  
هـجـوتَ حـتى طغى الهـجـاءُ مُكـتـسـحاً  
شـمَّ الغـطـاريف مـن نأوا ومـن قـرّبوا!  
سـل القـبائـلَ قـد أودى الهـجـاءُ بـها  
ثـم احتوتـه لـقـوم بـعـدهم كـتب  
سـل الكـرام ، وقـد أزرى القـريـضُ بـهم  
مـن بـعد أن سـجـلتُ ما يـحـمـل الخـطب  
سـل الأماجـدَ عـمـانـال سُوددَهم  
مـضى العـمـارُ ، وجـاء العـارِضُ الخـرب  
سـل الـديـارَ عـفتُ مـن بـعد رـفـعـتـها  
كـيف النـمـاءُ زوى ، فاجتالـها الجـدب  
سـل القـصـائدَ كـالنـيران حـامـيـة  
فـي كـل بـيتٍ يـفورُ الجـمـرُ واللـهب  
سـل الشـتائمَ ما اعتـز القـريـضُ بـها  
بـل مـجَّهـا ، فـغـدثُ بالخـزي تـخـتـصـب  
سـل المـطـاعنَ فـي الـديـوان شـاهـدة  
أـن (الخـطـيئة) لـيـتُ - فـي الهـجـا - حـرب

قلوبَ مَنْ قرأوا - ما خط - أو كتبوا  
باتت رصيذاً لأهل البغي يُطلب  
أنشدت من نزق يُزوى ويضطرب؟  
من الهجاء إلى السُفول ينتسب؟  
بما انبريت له يقودك الغضب؟  
يوماً ، ولم يحتمل عزيها الأدب؟  
بين القبائل ، والميزان منقلب  
وما تقبلها الأشاوس النجب  
وشابه الغش والتدليس والكذب؟  
ما الشعر إن كان في الفوضى له الغلب؟  
يدود عنها ، ويُغليها ويحتسب؟!  
كان اقتداءً بما أتوه أو قرُب  
ألم تكن لكلام الله تنجذب؟  
نفس سقاها الصدود اللهُو واللعب؟  
ألم يقْدك إليه الشوق والرغب؟  
من بعدها نصب الأصنام تجتنب؟  
في الناس ، روجهما جل الألى كذبوا؟  
ساداته من أسى تطبيقها خشب؟  
عقل اللبيب ، وأوهى فكره العجب؟!

سل البذاعات في أشعاره فجعت  
سل السخافات أملاها وصدرها  
(أبا مليكة) هل نلت الفخار بما  
وهل بلغت الذرى بما جهرت به  
وهل تفيات مجداً كنت تنشده  
من القصائد ما دف القريض لها  
(عيس) تشهد ما أنشدت تحرجها  
لما تكسبت بالأشعار ما ارتفعت  
ما الشعر إن أصبح الدينار سيده  
ما الشعر إن كيل بالأمداح ترجحه؟  
ما الشعر إن لم تكن ترقى به قيم  
أبا مليكة عاصرت الكرام فما  
وعشت عصر نبي الله دون هدى  
ألم تحدثك بالإيمان عن رشدي  
ألم يُسامرك طيفاً نحو (أحمدنا)؟  
أما اعتبرت بما قد حل من نذر  
أما تساءلت عما ساد من شبيه  
أما تفكرت في عادات مجتمع  
أما تأملت في الأعراف ضاق بها

## فليكرم ضيفه

(لم أشأ أن أنشد هذه القصيدة في مبتدأ أمرها! حيث إن موضوعها غريب بعض الشيء. وما أكثر ما مدح الشعراء به ذوي الكرم والمروءة عبر التاريخ! لكن أبا كريم الأستاذ (محمود عبد المنعم السيد قنديل) كان قد غلبني بذوقه ومعروفه ونجدته! فرُحْتُ أشيد بهذا الخلق العجيب النادر في زماننا. فلقد طلب إلي الرجل أن أعلم ابنه اللغة الإنجليزية. واعتاد أن يضع أجر كل حصة إلى جوار الشاي والحلوى ومعمول التمر ، على صينية واحدة! وكأنه يريد أن يقول: هذا أجرك لا قبل أن يجف عرقك ، بل قبل أن تعرق ابتداءً! واستعرضت آخرين معهم مئات الآلاف ، وثرواتهم تقدر بأضعاف ما عند أبي كريم ، ولقد يتجول المرء في بيت أحدهم بسيارته ، وقد فتح الله عليهم من زهرة الحياة الدنيا ، فأغناهم من فضله سبحانه وتعالى بالقدر الذي يجعلهم لا ينتظرون نوال أحد ولا فضله ، ولكنهم يؤخرون ويماطلون ويسوفون! وبعضهم يأكل أجر المعلم للأسف ، راضياً بما يصنع ، قانعاً بما يقترف! وكأنما بات المعلم حلال الدم! وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: (ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغنى غنى النفس!) ، فأُنشِدْتُ أدعو لأبي كريم بالبركة والنماء والإخلاف ، وأهمس في آذان الآخرين أن يصنعوا صنيعه ، ويتعلموا منه! فلقد أثر الإيفاء بأجر المعلم على طعمة أهل بيته بل وكل متعلقاته وحقوقه المالية الأخرى! إنه الإيثار بكل ما تعنيه الكلمة من معان! وإنه التفضيل بكل ما تحمله الكلمة من مدلولات! وعن الإيثار كتبت الأستاذة صفات سلامة ، وهي كاتبة وباحثة في الشؤون العلمية ، تقول تحت عنوان: (الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين هل افتقدناه؟) ما نصه بتصرف يسير: (ما أجمل أن يتصف المرء بالإيثار والعطاء وحب الخير للآخرين ، وما أقبح أن يتصف بالأثرة والأنانية وحب النفس. والإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين من أسمى المراتب والأخلاق الكريمة التي رغبنا وحثت عليها مختلف الثقافات ، حرصاً على العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية بين الأفراد ، ولضمان تماسك المجتمعات وسعادة البشرية. والإيثار هو تقديم الغير على النفس أي يقدم المرء حاجة غيره على حاجته ، على الرغم من احتياجه لها ، ومساعدة وعمل الخير للآخرين من دون مقابل ، وهو عكس الأثرة والأنانية ، أي حب الذات أو النفس وتفضيلها على الآخرين ، وتقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة. وقد أكد ديننا الإسلامي ورغب وحث على ممارسة وإحياء فضائل الإيثار والعطاء والتفضل والإحساس بالآخرين ، بمختلف الوسائل ، سواء بالمال أو الوقت أو قضاء حوائج الناس ، وأمر بتعميقها في نفوس وقلوب الأفراد ، للحصول على الثواب الدنيوي والأخروي ، ولضمان تماسك المجتمع وتقدمه. كما أجريت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية عن طبيعة الإيثار وأهم منبئاته وارتباطاته ، وأكدت نتائجها على الفوائد الصحية الجسمية والنفسية والاجتماعية الكثيرة التي يجنيها الفرد والمجتمع من ممارسة سلوك الإيثار والعطاء وحب مساعدة الآخرين ، سواء بالمال أو بالكلمات الطيبة المشجعة ، واكتشف العلماء أن هناك منطقة في المخ مسؤولة عن سلوك الإيثار وترتبط زيادة وشدة نشاطها مباشرة بدرجة الإيثارية لدى كل فرد. ولكن السؤال المهم المطروح هو: هل افتقد مجتمعنا فضائل الإيثار والتفضل والعطاء والإحساس بالآخرين؟ وكيف يمكن إحيائها من أجل نهضة وتماسك أمتنا وحماية بيوتنا وأسرنا ومجتمعاتنا؟ والحقيقة أن الإيثار والعطاء وتعدي الخير للغير ، نزعة وشعور داخلي موجود في نفس كل فرد منا ، ولكن يحتاج لمن يثيره ويخرجه ويحوّله إلى سلوك واقعي عملي ، بالكثير من الأساليب والطرق المبتكرة ، وتتسم الشخصية العربية والإسلامية بسمة الإيثار والعطاء وحب مساعدة الآخرين مستمدة ذلك من ديننا الإسلامي الحنيف وحضارتنا الإسلامية العريقة. فقد أكد القرآن



الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بالكثير من الآيات والأحاديث ، وكذلك الصحابة والسلف الصالح على خلق الإيثار والعطاء ، فقال تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» ، والخصاصة شدة الحاجة ، وجاء في سبب نزول هذه الآية: أن رجلاً جاعاً جاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد ، وطلب منه طعاماً ، فأرسل - صلى الله عليه وسلم - ليبحث عن طعام في أبياته ، فلم يجد إلا الماء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من يضيف هذا الليلة؟) ، فقال رجل من الأنصار (أبو طلحة الأنصاري) ، أنا يا رسول الله ، وأخذ الضيف إلى بيته ، ثم قال لامرأته (أم سُلَيْمٍ): هل عندك شيء؟ فقالت: لا ، إلا قوت صبياني ، فلم يكن عندها إلا طعامٌ يكفي أولادها الصغار ، فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتنوّمهم ، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج (المصباح) وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف ، ووضع الأنصاري الطعام للضيف ، وجلس معه في الظلام ، حتى يشعر بأنه يأكل معه ، وأكل الضيف حتى شبع وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين ، وفي الصباح ذهب الرجل وضيفه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - للرجل: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة!) (رواه مسلم). "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة". وهذا خاتم النبيين وإمام المرسلين الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - جاءته امرأة ، وأعطته بردة هدية فلبسها - صلى الله عليه وسلم - وكان محتاجاً إليها ، ورآه أحد الصحابة ، فطلبها منه وقال: ما أحسن هذه ، أكسنيها ، فخلعها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأعطها إياه فقال الصحابة للرجل: ما أحسنت ، لبسها الرسول - صلوات الله عليه وتسليماته - محتاجاً إليها ، ثم سألتها إياها ، وقد علمت أنه لا يرد أحداً ، فقال الرجل: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. (رواه البخاري). واحتفظ الرجل بثوب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكان كفته. (أهداها له النبي مع كونها هدية! نقول ذلك لمن يتشدقون بأن الهدية لا تهدى ولا تباع!) وصورة أخرى من صور الإيثار ، أنه ورد في "شعب الإيمان" أن الصحابي الجليل أبو جهم بن حذيفة العدوي ، انطلق يوم معركة اليرموك ، يبحث عن ابن عم له ومعه شربة ماء ، وبعد أن وجده جريحاً قال له: أسقيك؟ فأشار إليه بالموافقة ، وقبل أن يسقيه سمعا رجلاً يقول: آه ، فأشار ابن عم حذيفة إليه ليذهب بشربة الماء إلى الرجل الذي يتألم ، فذهب إليه حذيفة فوجده هشام بن العاص ، ولما أراد أن يسقيه سمعا رجلاً آخر يقول: آه ، فأشار هشام لينطلق إليه حذيفة بالماء ، فذهب إليه حذيفة فوجده قد مات ، فرجع بالماء إلى هشام فوجده قد مات ، فرجع إلى ابن عمه فوجده قد مات ، لقد فضل كل واحد منهم أخاه وآثره على نفسه بشربة ماء. وقد قسم الإمام ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، خلق الإيثار إلى منزلتين: الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما يرضي الله ورسوله ، وهذه درجات المؤمنين من الخلق والمحبين من خالص الله عز وجل ، والثانية: إثارة رضاء الله على رضاء غيره ، وإن عظمت فيه المحن ولو أغضب الخلق ، وهي درجة الأنبياء وأعلام الرسل ، عليهم صلوات الله وسلامه. هذه الصور والنماذج المشرفة للإيثار والعطاء تجعلنا ولدنا الكثير من الأثرياء ورجال الأعمال الناجحين ، أن نتساءل عن كيفية إحياء وتشجيع أخلاق وفضائل الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين وقضاء حوائج المحتاجين ، والوعي بقيمة المال والعمل والتنافس المشروع على كسبه بين أفراد مجتمعنا ، للتخفيف من معاناة وآلام المحتاجين والمحرومين ، وقد تسببت الأثرة والأنانية في عداوات وخلافات بين كثير من الأفراد ، وفي هدم كثير من البيوت وتشريد الكثير من الأسر والمجتمعات ، وأن نفكر في كيفية تنشئة أبنائنا على هذه الفضائل والأخلاق ، لتصبح سلوكاً فعلياً ونمطاً للحياة بين أفرادنا وداخل مجتمعاتنا ، والتفكير في أساليب وطرق مبتكرة أفضل للعطاء والاستثمار وصرف وتوظيف أموال أثريائنا وأصحاب رؤوس الأموال العرب



والمسلمين ، وأهمية غرس ثقافة تبرع الأثرياء ومسئوليتهم الاجتماعية تجاه مجتمعهم ، للعمل على نهضة وتقدم أمتنا ، وليكن لنا في ديننا وتراثنا الإسلامي دروس ونماذج وعبر للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة. لقد أصبحت هناك أهمية لتنمية وتربية أبنائنا على مفاهيم وقواعد وسلوكيات الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين ، وغيرها من الأخلاقيات والقيم الإنسانية والمجتمعية النبيلة ، ومنذ مراحل النمو الأولى ، وذلك من خلال مفردات الخطاب الديني ، وأساليب التنشئة الاجتماعية ، وبخاصة في الأسرة والمدرسة ، التي يمكن أن تساهم جميعها في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية ، وتماسك وترابط الأفراد والمجتمعات).هـ. وفي صحيح البخاري - رحمه الله - عن مُجَاهِدٍ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى ، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِ ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «الْحَقُّ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ ، فَدَخَلَ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلَ ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَ عِنْدِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا ، فَأِذَا جَاءَ أَمْرِي ، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدًّا ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا ، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «بَقِيَتْ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «إِفْعُدْ فَأَشْرَبْ» فَعَدَدْتُ فَشَرِبْتُ ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَسَمَى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ". أي ما تبقى عن أهل الصُّفَّةِ ، فإي إيثار أعظم من هذا؟ روى مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، يقول: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ نَحْلًا ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرِخَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، فَلَمَّا أَنْزَلَتْ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرِخَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِحْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَفْرَبِينَ» قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَفَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ. ومن ساحة الصحابة الكرام إلى ساحة بعض الغربيين النصراني المنصفين المحليين! وذلك على المذهب الذي قررناه غير مرة من أن الأخلاق والمعايير الإنسانية لا دين لها! فقد تصدر من المسلم لأن دينه أمره بها وحضه عليها! وقد تصدر من غير المسلم لأن نفسه وجبلته

وفطرته السوية دعتة إليها. فهذا عالم نفس أميركي يدرس طبيعة الإيثار وخصائص الأشخاص الذين يتصفون به ، وغلاف الكتاب الذي ألفه كان عنوانه: «الإيثار عند البشر» لمؤلفه: دانيال باتسون. واهتم بشأن الكتاب وعرض أفكاره بإيجاز الأستاذة صفات سلامة فقالت بتصرف يسير منا ما نصه: (وجد العلماء أن الإيثار يرتبط بالسعادة والصحة الجسمية والنفسية للفرد ، حيث يقلل الضغوط النفسية والتوتر ، ويزيد إفراز مسكنات الألم الطبيعية (الإندورفينات). ومن بين الكتب المهمة الصادرة حديثاً حول موضوع الإيثار ، كتاب «الإيثار عند البشر» ، من تأليف عالم النفس الأميركي دانيال باتسون أستاذ علم النفس الاجتماعي التجريبي في جامعة كانساس الأميركية ، وأحد أبرز المتخصصين في مجال الإيثار ، فقد ركزت أبحاثه على مدى 30 عاماً على دافعية الإيثار ، ونشر أكثر من 100 بحث وفصل حول هذا الموضوع ، وله نظرية «التعاطف يؤدي إلى الإيثار» ، والتي أسهمت بشكل كبير في فهم طبيعة الإيثار والدوافع المحيطة به. ويعد كتاب باتسون مراجعة شاملة للكثير من الدراسات والنظريات والتجارب العملية المتعلقة بالإيثار والتي أجريت على مدى 35 عاماً الماضية ، كما يعرض بالتفصيل لنظرية الدافع للإيثار والبحوث ذات الصلة بعلم الأعصاب. وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ، حيث يتناول في الجزء الأول نظرية الدافع للإيثار ، والجزء الثاني للأدلة التجريبية ، أما الجزء الثالث فيتناول فوائد الإيثار ومسؤولياته في المجتمع البشري. وتتخلص فروض نظرية باتسون «التعاطف يؤدي إلى الإيثار» في أن البشر قادرين على إبداء التعاطف ، الذي يمكن تعريفه على أنه ملاحظة أن هناك شخصاً ما في حاجة والاهتمام به ورعايته ، أو القدرة على قراءة مشاعر الأشخاص الآخرين ، أو أن تضع نفسك مكان شخص آخر ، وهذا التعاطف يؤدي إلى الإيثار، الذي يمكن تعريفه على أنه حالة دافعية هدفها الأساسي زيادة سعادة ورفاهية الأشخاص الآخرين. يقول عالم النفس «دانيال ستيرن» ، إن التعاطف يبني على أساس الوعي بالذات ، فبقدر ما نكون قادرين على تقبل وإدراك مشاعرنا ، نكون قادرين على قراءة والتعرف على مشاعر الآخرين. فجدور الرعاية والاهتمام بالآخرين تنبع من القدرة على التعاطف ، وانعدام أو النقص في مشاعر التعاطف مع الآخرين يؤدي للكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكيات والانحرافات الاجتماعية غير المقبولة. ومن خلال دراسات علماء علم نفس النمو على التعاطف وجدوا أن جذور التعاطف يمكن غرسها في الإنسان منذ مرحلة الطفولة ، فالأطفال منذ اليوم الأول لولادتهم يشعرون بالاضطراب والتوتر عند سماع طفل آخر يبكي ، ومثال ذلك ما جاء في دراسة عالم النفس مارتن هوفمان ، المختص في التعاطف بأن طفلاً عمره عام قام بجذب أمه نحو صديقه الطفل الذي يبكي لتواسيه وتخفف عنه ، متجاهلاً أم صديقه الطفل الموجودة بالحجرة. وطفلة أخرى عمرها عام تضع إصبعها في فمها إذا جرحت إصبع طفلة أخرى ، لتتبين هي أيضاً إن كانت ستشعر بالألم والأسى أم لا. ويرى هوفمان أن جذور الفضيلة أو الأخلاق موجودة في القدرة على إبداء مشاعر التعاطف ، بمعنى أن تتصور نفسك في مكان الآخرين ، وهذه القدرة هي التي تدفع الأفراد لمشاركة الآخرين في محنتهم والتحرك لفعل أي أشياء لمساعدتهم. ويرى هوفمان أن التعاطف مع الآخرين ينمو بشكل طبيعي منذ السنوات الأولى لمرحلة الطفولة ويستمر مع امتداد العمر. وقد بينت دراسات ماريان راديك يارو وكارولين زان وإكسلر من المعهد القومي الأميركي للصحة النفسية ، أن جزءاً كبيراً من اختلاف الأطفال في درجة التعاطف مع الآخرين يرجع إلى كيفية تدريب الآباء لأطفالهم ، فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعاطفاً مع الآخرين هم من تضمن تدريبهم لفت انتباههم بشدة لما يسببه تصرفهم من آلام لشخص آخر ، مثال أن يقال لهم «انظر كيف جعلتها تشعر بالحزن» بدلاً من «كان سلوكك سيئاً وفيه شقاوة» ، كما تبين أيضاً أن تعاطف الأطفال مع الآخرين يتشكل مع رؤيتهم لردود فعل الآخرين مع شخص يشعر بالألم والأسى ، فمع

محاكاتهم لما يرونه ، ينمو معهم مخزون من استجابات التعاطف. ويبيدي باتسون في كتابه اهتماماً كثيراً بما إذا كان التعاطف يؤدي فعلاً إلى سلوك الإيثار لدى البشر أم لا ، كما يؤكد على أهمية وجود قاعدة عاطفية قوية لدينا لتحقيق سلوك الإيثار ، فهذه القاعدة هي التي تحتنا على رعاية وتحقيق السعادة للآخرين ، ويشير إلى أن مشاعر التعاطف ومساعدة الآخرين تؤدي على ما يبدو إلى مزيد من المشاعر الإيجابية في أنفسنا. ويرى أن جذور السلوك الإيثاري تكمن في كيفية رعاية واهتمام الوالدين بتنشئة أطفالهما عليه والذي سيؤدي لميل وانخراط أطفالهم في أعمال الإيثار. وخلاصة القول ، أن الإيثار من الأخلاق والسلوكيات الحميدة التي أكدت عليها مختلف الأديان والثقافات. وحتى لا تصبح حياتنا صحراء قاحلة من المشاعر والأحاسيس وحتى لا نفقد إنسانيتنا ولا نعيش لأنفسنا فقط ، ومن أجل دوام علاقات الألفة والمحبة بين البشر ، علينا إحياء الإيثار من خلال مفردات الخطاب الديني ، كما يمكن من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية وبخاصة في الأسرة والمدرسة ، ومنذ المراحل الأولى لنمو الطفل ، أن ننمي لدى أجيالنا الناشئة سلوك الإيثار والتعاطف وغيرهما من مشاعر وسمات إنسانية إيجابية يمكن أن تساعدنا على فهم أنفسنا وإدراك مشاعرنا ومشاعر الآخرين ، وأن نضع أنفسنا مكانهم ونتبنى مشاعرهم وأحاسيسهم وألامهم ، ومساعدتهم والتعاون معهم على وقف شعورهم بالألم ، بهدف تحسين العلاقات الاجتماعية وحل الصراعات بين البشر والإسهام في اعتدال موازين المجتمعات).هـ. ونعود لأبي كريم فننشد على الكامل والقافية البانية:

أعطاك ربك ما تريد وترغب	وحباك - من خيراته - ما تطلب
ورزقت حكمة من يعيش لغيره	وبكل ملتجئ إليه يرحب
ووقاك ربك شح نفسك والهوى	وسما بك الجود الأصيل الطيب
إن العطاء يزيّن من يحيابه	ويبيث - في أرج الرضا - يتقلب
وصنائع المعروف تزدرد البلبا	وعن اللظى ذو العرف قطعاً يحجب
ولكم عجبث من اللطيفة جنتها	متفرداً ، وسواي قد يتعجب
تضع النقود - على الخوان - تفضلاً	وشروقها - للعين - برق خاب!
وثقذر المجهود جء لبذله	أستاذ شبك ، والجميل المكسب
وتثمن الإتيان يمنح حسبة	إن احتساب المرء طبع يحسب
هذي النقود غداً ستربح أجرها	والربح عند الله ، نعم المأرب!
لم يبق إلا العطر يمنحها الشذى	لتجفف العرق الذي يتصبب

مَن ذا رأيت إذا سعى لا يتعب؟  
وتراه مِن تبيينها لا ينصب؟  
لك يا جواد نبض قلبي تُكْتَب!  
والمدح - بالخلق المُشَرَّف - يذهب  
لتصير عرفاناً - إليك - يُقَرَّب  
والودُ أذكى ما يُعارُ ويوهَب  
وبلغت منزلة تُرامُ وترغب  
واليومَ ولى ، ثم ولى المذهب!  
وكأنه - فينا - الغمامُ الصَّيِّب  
ولذا يُعلم طفله ، ويؤدب  
وإذا رأى منه احتراماً يَطرب  
آتاهم المولى ، لذاك تهربوا  
وإذا اشتكى افتعلوا الأمورَ ، وقلبوا  
والبعضُ يخترعُ الزيوفَ ، ويكذب  
ويُعد ما يُعطي ، ودوماً يحسب  
عجباً ، وهل عَرَقُ المعلم يُنهب؟!  
إن المعلم - في حقيقته - أب  
حَق المعلم عندهم لا يذهب  
ضاق المقامُ ، لذا تراني أكتب  
ليقرها شرعاً - هنا - أو مذهب!

عَرَقُ المجرى لَحَيِّكم ولداركم  
ومَن الذي يُزجي العَومَ مُبيناً  
أكرمتَ ضيفك ، والدليلُ قصيدي  
ويلفها سيفُ الحياء تكلفاً  
وأنا لشخصك - بالوفاء - نظمتها  
ووهبتها لك حسبة ، تزكي الإخا  
أبَا كريم حُزتَ - بالجود - العُلا  
ذُكرتني بأبي وعذب خِلاله!  
كم عاش يشمئ - بالعطاء - مُعلمي  
يُعطيه ما اتفقوا عليه مُسبقاً  
ويوقر الأستاذ ، يرفعُ شأنه  
أبَا كريم قل لمن بخلوا بما  
منعوا المعلم حقه ، وتعللوا  
ولقد يُسوفُ بعضهم في وعده  
والبعضُ يختصرُ الحقَّ وقَّ جهالة  
والبعضُ يأكلُ حصةً من حقه  
والبعضُ يحقرُ ما يُقدِّم ساخراً  
أبَا كريم قل لهم في عِزة:  
أبَا كريم لو سردتُ تجاربي  
كم ضقتُ ذرعاً بالمقالِب ، لم تكن

يزهو وبها خب يغش ويتصّب!  
وغدا فوادي لا عجباً يتلهّب!  
آسى على نذل غدا - بي - يلعب  
وببرهم كفّ العطاء أخضب  
والزهّد فيما يدفعون أغلب  
فخرأ ، ولست من الحقيقة أهرب  
أنا لا أزكي ، بل أراني أحسب  
عن فرط إعجابي وخبي أعرب  
وأنا - بهذا الشعر - لا أتكسب  
ربي ، وإن أخطأت إنني المذنب  
أخطأت ، إنني عفو ربي أطلب

وكم اشتكيت من المعاملة التي  
وكم اكتويت بأكل حقي جهرة  
أنا لست أعبأ بالدرهم ، إنما  
أنا أعذر الفقراء ، إن لم يدفعوا  
وأجيرهم - من فقرهم - بتعففي!  
أنا كنت يوماً مثلم ، وأقولها  
أبنا كريم كنت (قنديل) السخا  
والله حسبك من ثنائي ، إنني  
والله يشهد أن شعري منصف  
إن كنت قد وفقت هذا من عطا  
وبرئ الرحمن من خطي الذي

## وما يفعلوا من خير فلن يكفروه!

(أحد شباب الجامعة الأتقياء الصالحين ، نحسبه هكذا ، والله حسيبه ، كان له ولع بالبادية ، فاعتاد أن يجالس أهلها ولو لم يعرفهم! كما اعتاد أن يتحسس أحوالهم ويتلمس أوضاعهم. واستمر على ذلك سنين عدداً. وذات يوم تعرف على عجوز في حُجيرة لها متواضعة في ناحية ، ولها غنيمات و عنيزات. ومكث عندها دقائق يسألها عن أحوالها ، وعن أهلها وأقربائها. فأخبرته بأن ليس لها أقارب ولا عشيرة ولا أهل! فأراد أن يبرها ويخدمها في أي شئ لا تستطيعه ، فسألها ألك رغبة في عمل أعمله ، أو خدمة أؤديها لك ابتغاء وجه الله؟ فقالت: لا أشتهي من الدنيا شيئاً سوى أن أحج البيت! فقال لها الشاب: أنت من أهل الأعذار في مثل هذه السن ، كما أنه لا محرم لك. فقالت: لقد سألتني عما أرغب وأشتهي ، وقد أجبته بكل صراحة وصدق ، فهل أنت قادر على تحقيق هذه الرغبة؟ فقال: لا ، حتى أبحث لك عن حل إن شاء الله. وأخذ الشاب يبحث عن حل لها عند أولي العلم والفقهاء. فأشار عليه أحد القضاة الشرعيين أن يعقد عليها ، وبهذا يصير لها محرماً! ويستطيع ساعته أن يسافر معها للحج. فتملأ الشاب في البداية ، ثم استشار بعض أهل العلم فأيدوا ، واستخار الله فأنشرح خاطره ، وتم العقد على بركة الله تعالى. وحبّت العجوز مع محرماً! ثم بدا للشباب أن يستأذنها في أن يطلقها ، ليفسخ ذلك العقد بعد أن تم لها ما تريد وهو الحج! فأشارت عليه أن يُبقية ، ذلك أنه عقدٌ صوريٌ ولا ضرر على الطرفين منه! كما أنه يُجيز له زيارتها في شرعية تامة! فانشغل بدراسته وفارقها ونسي الموضوع. وبعد الامتحانات زار البادية. وهناك أراد أن يزور العجوز ويتفقد أحوالها على عادته. فأخبر أنها ماتت منذ فترة وجيزة. فذهب إلى حُجيرتها ليبيكي على الأطلال ويسترجع الذكريات! فوجد مكلمتها والحناء والمشاطة ، ثم عثر على صندوق خشبي صغير كان قد وضع في كوة ، فقاده فضوله لأن يفتح الصندوق ففعل وعثر فيه على صك ملكية موثق يثبت ملكية العجوز لقطعة أرض على شارعين في مكان راق يساوي ثمانية ملايين ريال سعودي ونصف! وبما أنه الوريث الوحيد بموجب عقد الزوجية ، ذهب على الفور إلى المحكمة الشرعية وهناك أبرز صك الملكية وحاز إرثه في زوجته العجوز! والحقيقة أن المعروف لا يضيع أجره عند الله أبداً. والله تعالى ذم قوماً يمتنعون عن معاونة الناس ومد يد الإحسان لهم. وجاءت بذلك آيات ورويت به أحاديث. قال الله تعالى: {قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراعون ويمنعون الماعون}. وذم قوماً لم يطعموا المسكين فحكى عنهم: {ما سللكم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين}. وقال: {ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين}. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم). فذكر منهم (ورجل منع فضل ماء فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك). رواه البخاري. وعن أنس قال توفي رجل من أصحابه فقال: يعني رجلاً أبشر بالجنة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولا تدري ، فقله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه). رواه الترمذي. وروى مالك أن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعة ، تشرب به أولاً وآخرأ ولا يضرك ، فأبى محمد ، فكلّم فيه الضحاك عمر بن الخطاب ، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، فأمره أن يخلي سبيله فقال محمد: لا. فقال عمر: (لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع ، تسقي به أولاً وآخرأ وهو لا يضرك؟) فقال محمد: لا والله. فقال عمر: (والله ليمرن به ولو على بطنك) فأمره عمر أن يمر به ففعل الضحاك. [الموطأ]. وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي



الأعمال أفضل؟ قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا ، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق ، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك). رواه البخاري ومسلم. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل معروف صدقة). رواه البخاري ومسلم. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك). رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. إنه لا شك في أن بطل قصيدتنا أثر مصلحة عروسه العجوز على مصلحته! وكان لا يدري ماذا تخبيء له المقادير! إن الإيثار بات غريباً اليوم ، بل بات خلقاً مستهجنًا عند كثير من الناس! تقول الأستاذة سحر يسري تحت عنوان: (الإيثار خلق النفوس الكبيرة) ما نصه: (واليك ثماره اليانعة: أولاً: انتشار التعاون والتعاقد بين المسلمين ، وشعور الفرد خاصة المحتاج أن المسلمين أحمة واحدة وكيان واحد ، وهذا الكلام ينطبق تمامًا على الأسرة إذا مارس أفرادها هذا الخلق العظيم ؛ فإنه ولا بد سيزيد من الترابط بينهم. وثانياً: تحقيق الكفاية المادية في المجتمع ، وهو أمر مقصود شرعاً ، حتى لا يعود بين المسلمين فوارق شاسعة في المستويات المادية الأمر الذي يولد الحقد والحسد والطمع في نفس الفقير ، ويولد الأثرة والأنانية في نفس الغني ، وكلها أخلاق رذيلة فجة مفسدة على مستوى الفرد والجماعة. وثالثاً: بتحقيق الإيثار يتحقق الكمال الإيماني في النفس ، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). [رواه البخاري]. ونسأل: كيف نكتسب خلق الإيثار؟ قد نتأثر بهذا الكلام عن خلق الإيثار ونتمنى أن يكون من أخلاقنا ، وذلك لن يتم لنا إلا بالممارسة العملية لهذا الخلق ، وهكذا تكتسب الأخلاق الحسنة حتى تصير من سجايا المرء وطبائعه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله). [رواه البخاري] ، يعني أن من تكأف هذه الفضائل ، وحرص عليها ، وتعاطاها: حصل له مقصوده من التخلق بها ، حتى تصبح جزءاً طبيعياً راسخاً في كيانه وشخصيته. ويكاد يُجمع رجال التربية على أن الملكات الخلقية – مهما كانت قناعة الإنسان بها – لا تحصل له إلا من خلال اعتياد ممارستها ، والمواظبة عليها ، وفي هذا المعنى يقول الإمام الماوردي: (الأدب مكتسب بالتجربة ، أو مستحسن بالعادة. وكل ذلك لا يُنال بتوفيق العقل ، ولا بالانقياد للطبع ، حتى يُكتسب بالتجربة والمعاناة ، ويُستفاد بالدربة والمعاطاة). بمعنى أن الخلق – حتى وإن كان فطرياً – لا بد له من التدريب والتعويد حتى يرسخ ، وتتشربه النفس ، وفي هذا المعنى أيضاً يؤكد الراغب الأصفهاني فيقول: (كل متعاطٍ لفعل من الأفعال النفسية فإنه يتقوى فيه بالازدياد منه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها ، وباحتمال كبارها يستحق الحمد). ومصدق هذا الفهم كوسيلة لترسيخ الخلق في النفس. وأخيراً لنبدأ من الآن مسيرة عطاء لا ينضب ، وإيثار لكل محتاج على أنفسنا ، وسنجد في العطاء حلاوة تفوق بكثير حلاوة الأخذ. حلاوة تحسُّ ولا توصف بالكلمات. إنها قوة وإرادة يقذفها الله في قلوب عباده الذين وسَّع عليهم في رزقهم ونصيبهم من الخلق الحسن). هـ. وصدق الله: (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه). ومن هنا جعلت هذا النص القرآني عنواناً لهذه القصيدة!

ما كنتُ يوماً - بما أسديه - منانا وما انتظرتُ - لفعل الخير - عرفانا

وكم بذلتُ مـرـوءاتٍ أردتُ بها من المليك فيوضاتٍ ورضوانا!



وما ارتقيت على المعروف شكرانا!  
وسقت وعظي على الإخلاص برهاننا!  
عن الشفاعة لما وقتها حانا!  
كيلا يُقال: غدا بالجوذ منانا!  
وبالتراحم يغدو الناس إخواننا!  
فالله يـأجرُ معطاءً ومعاوننا  
مَن عال - بالأمس - أطفالاً ونسواننا!  
فخرأً وكانوا - على الخيرات - أعواننا!  
وبت - بالنجدة الزهراء - رياننا!  
جبرأً لخطاهم ، حبأً وإيماننا!  
مِن بعد أن لم يجد - للغوث - آذاننا!  
وكم نصبت - لما عاينت - ميزاننا!  
وكم نشرت - لما أنويه - ديواننا  
وكان - من أمرها العجيب - ما كانا  
والشيبُ كم يدعُ الحليم حيراننا!  
وحصلت - في كرام الناس - سلواننا  
صاروا - لها - رحماً تُؤوي ، وجيراننا  
بقربها ، فغدوا - بالوصل - خلاننا  
حتى تخاطب طول الدهر حيطاننا  
وإن بينهما شـتـان شـتـاننا!

وكم تفضلت في سر وفي علن  
وكم نصحت مُعيراً كل تجربتي  
وكم شفعت لمن أشياغه عجزوا  
وكم ترفعت عن سُوأى معايرة  
وكم كسبت موداتٍ بمرحمةٍ  
وكم أمطت أذىً عن درب سابلةٍ!  
وكم منحت رياتي لمن عدموا  
وكم صحت رجالاتٍ أتية بهم  
وكم أغثت أناساً نجدتي طلبوا  
وكم أعنت الألى - في شدةٍ - ضغفوا  
وكم سمعت ندا المهوف محتسباً  
وكم تفرست في الأحوال أدرسها!  
وكم طرقت - لبذل الخير - بادية!  
حتى التقيت عجزاً في قرينتها  
يا قاعداً نخر المشيب أعظمها  
مَن أنت؟ قالت: عجز لا قريب لها  
والله أبدلها - من أهلها - زمراً!  
كلُّ يُبادلها شـعورَ محتفلٍ  
وكنت أشفقت أن تحيا بمفردها  
وكنت قارنت ما أحيا بعيشتها

فقلتُ: بالله هل دورٌ أقومُ به!  
أو خدمة لا تفوقُ الآن مقدراتي  
قالت: رعاك مليكُ الناس ، مسألتي  
إنني تمنيتُ حجَّ البيت عن رغبٍ  
والكل حوليَّ حجَّوا البيت ، واعتمروا  
حاولتُ لكنْ خبتُ فحوى محاولتي  
فقلتُ: أسألُ كيف الحل ، فانتظري  
إن شاء ربي أنا - على الوفاء بما  
حتى ظفرتُ بقاض - بالرشاد - سما  
فقال: إن الذي تنويه يا ولدي  
شيقٌ يخصّك أن تكون منقبّة  
وشيق حائرة ، أعوامها انصرفت  
تريدُ حجّاً ، ولا تلقى محارمها  
فاعقدُ عليها ، ستغدو محرماً! وكفى  
فقلتُ: هذي إذن أعتى مخاطرةٍ  
فقال: لا تستشِر ، واسمع لمقترحي  
والعقدُ ليس هنا على حقيقته  
فانصعتُ للأمر لما حان موعده  
وسرتُ - للحج - منقاداً لرغبتها  
أما العجوز فقد أدتُ مناسكها

إليه - بين الوري - نديتُ إنساناً؟  
أسوقها لك - دون الغير - مجاناً؟  
قد أعجزتُ ، ونعتُ شيباً وشباناً  
لكنْ حرمتُ الذي أردتُ حرماناً  
وما استطعتُ - لهذا البيت - عمراناً!  
فلم أحج ، لذا أخافُ خسراناً  
وسوف أرجع - بالجواب - جزلاناً  
وعدتُ - ملتزمٌ ، أرجوه تحناناً  
والله آتاه - في التحكيم - سلطاناً  
خيرٌ ستُجزى على شقيقه إحساناً!  
والله يجزيك تثبيتاً وغفراناً!  
والشيبُ داهمٌ عمراً ، كان مزداناً  
وليس تملكُ أخوالاً وولداناً  
ربي جميع الوري بغياً وُعدواناً!  
سأستشيرُ قراباتٍ وأقراناً  
ولا تحدثُ به أهلاً وندماناً  
لكنها حياةٌ تُعطيكَ إمكاناً  
وكنتُ أمعنثُ - في عقباه - إمعاناً  
وكنتُ لبيتٍ إقراراً وإذعاناً  
وأكملتُ خمسةً للسلم أركاناً

وبعدُ عادت معي إلى قريّتها  
فقلتُ: ماذا إذا الطلاق فرّقنا  
قلت: بُني ، فأبقِ العقد ، وامض به  
فلم أطلاقُ بتاتاً زوجة فرضت  
ثم انشغلتُ بمشوارِي وجامعتي  
وعدتُ بعدُ إلى زوجي وموطنها  
فزرتُ غرفتها ، أبكي على طللٍ  
وفجأة أمسكتُ كفي وثانقتها  
ملكية لأراضٍ صيرتُ وارثها  
والعقدُ أثبت حقي في مورثتي  
أردتُ خيراً ، وربُّ الناس باركّه

وعدتُ للأهل ، إذ جاوزتُ بلدانا  
إنني أراه - لهذا العقد - فرقانا  
فلن أعيش - وقد عمّرت - أزمانا  
وطال بُعدي ، وحبيلُ الودّ ما هانا  
حتى رُزقتُ لَمّا قارفتُ نسيانا  
فقبل: قد فارقنتُ دُوراً وأوطانا  
وبعدُ طالعتُ أثوابا وجدرانا!  
وإذ بواحدةٍ تفوقُ أثماننا  
بلا شريكٍ! فَمَن ذا مثلي الآن؟!  
أنا الذي كنتُ - مِن بلواه - غضبانا  
وقال أهلي: لقد أصبحتُ أغنانا!

## الشقيقتان

(عاشوا إخوة وأخوات أشقاء من أب واحد وأم واحدة ، في بيت واحد! لهم ذات الآمال ونفس الطموحات وعين الأمنيات! ووحد الفقر بينهم ، فكانوا غصبة على من سواهم. وكان الناس يعجبون من أين يأتي أبو الأطفال الستة في مختلف مراحل العمر بالطعام والشراب والغطاء والدواء والإيجار والماء والكهرباء والدروس الخصوصية والتعليم والترفيه؟! وإنما إرادة الله تعالى أنه ذات يوم يسافر أحد الأبناء ، وفيما يبدو كان أخلصهم وأوفاهم ، ولم يكن أحسنهم ولا أحقرهم ولا أنذلهم! وكان فاتحة خير عليهم جميعاً! وما زال يذكر وصية أبيه على محطة القطار: (لا تتركني ، لا تنسني ، إخوتك لا يزالون صغاراً ، وخصّ بالذكر الشقيقتين اللتين هما موضوع القصيدة). فبدأ الابن المسافر في انتشار هؤلاء الأبناء جميعاً ، وأخذ على عاتقه كسر فقر العائلة المنكوبة البانسة في فترة وجيزة ، وكان ذلك كله على حسابه هو! وضخى بالكثير الكثير من ماله وجهده ووقته ومزاجه وحقوق أسرته (زوجه وولده)! وتغير حال الأسرة فأصبحت تتكلم في البنايات والعقارات التي كانت ترى صورها في الجرائد والمجلات فقط! أو تراها في أيدي ملاك آخرين من أهل القرية! وبدأ الجميع بأخذ الثأر من رجل هو ابن من أبنائهم وأخ من إخوتهم: فمن سارق لأرضه بالحيلة ومدلس في عقد الشراء الذي كان ينبغي أن يكون باسمه ، فإذا هو محرر باسم سواه! وتلك أمانة يسأل فيها وعنها الأب حيث كان كل شيء قد عهد إليه فيه ، وأخذت مشورته كذلك فيه ، وبوصفه طرفاً وشاهداً ومتعهداً في نفس الوقت بارجاع المال لصاحبه أو صيانتها على الوجه الأمثل! وأخ آخر كان قد سرق كتب أخيه ومراجعته وأشرطته جميعاً ، كأن أخاه هذا قد مات وورثه ذلك الأخ فقط! علماً بأنها كانت أمانة عند الجميع! وتشمتم العائلة بأسرها في ذلك المحسن الشهم ، كأنهم يقولون له: لم أحسنت إلينا؟ لم اهتمت بنا؟ لم أصلحت شأننا؟ لماذا كنت شهماً محسناً معنا؟ أما كان الأخرى بك أن تكون نذلاً أنانياً تعيش لنفسك فقط؟ أما كان أولى بك أن تكون وبشاً منحطاً وضيعاً لا يمتد خيره إلى غيره؟ والحمد لله أنه كان ينتظر الأجر من الله أولاً وآخراً! ولكنه كان يتوقع أنهم عندما يُغنيهم الله من فضله ، فسوف يعودون عليه بشيء من رد الجميل ، إن لم يكن كأخ لهم يحمل اسمهم وينتسب إليهم ، فكغريب سخره الله تعالى لهم ، فاهتم بهم ، واعتنى بشؤونهم ، حتى أدركوا ما هم فيه! وتناقش الشهم المحسن معهم ، وحذرهم من سوء العاقبة وشر المال ، ولكن كل فرد فيهم صغيراً كان أم كبيراً كان يُنصبه العداء ، وكان الرؤوس قد تساوت! وكان المقادير قد سقطت! وبالطبع لم تكن أوراق تثبت هذه الحقوق ، فضاع كل شيء! وإذا بقطار الأخوة والقرباة يتجاوزهم جميعاً ، فما هؤلاء بالأخوة ولا هم بالقرباة ولا بالمعارف فضلاً عن أن يكونوا أصدقاء! وبرئت منهم الأخوة والقرباة كما برئت المعرفة والرفقة والصدقة! واتسع الخرق على الراقع ، حيث أنكر كل طرف الحق ، وتكر للحقيقة التي إن ضاعت عند الناس ، فلن تضيع عند الله تعالى رب الناس! إن الحال الذي وصل إليه هؤلاء الأشقاء مع شقيقهم أنهم من غير أصحاب المروءة والنبيل! كما أنهم من غير أصحاب الاجتهاد في الدين! إن المروءة وحدها حريّة بأن تقيم مجتمع الكفاية والعدل! فإذا وجد معها التوحيد والعقيدة ، كان ذلك المجتمع مجتمعاً إيمانياً متكافلاً متضامناً متكاملماً! وكان طبيعياً أن تصل العلاقة إلى هذه النهاية بينهم ، لأنهم للأسف يجمعون إلى صفات الخسة والنذالة كراهية الالتزام بالإسلام كما أسلفنا ، فالدين عندهم حفنة من المناسك وليس له علاقة بالحياة ولا الأحياء بعد ذلك! والتوحيد عندهم هو الربوبية فقط! وإذن فليس لهم لون اجتهاد في الإسلام! وهذا الذي أجهز على العلاقة من طرف أخيهم الشهم ذي المروءة! فالعلاقة من طرفهم انقطعت لأن أخاهم ليس على ما هم عليه من جاهلية وانحراف

وبعد عن الدين وجهل بأحكامه المعلوم منها بالضرورة وغير المعلوم! ويضاف إلى ذلك ثافية الأثافي أنهم يقيسون أخاهم بما يملك! لأنهم يملكون وقد أغناهم الله من فضله! وذلك بالقدر الذي أصبح أخاهم فيه أدنى درجة: مالا وجاهاً وعقاراً وبنيات! وإذن فطبقتهم لم تعد مثل طبقتهم! وزاد حبات الطين بلة أنهم ربوا أبناءهم وبناتهم على ذلك! فشب الأبناء والبنات يكرهون عمهم! أما من ناحيته فليس يرى شيئاً من ذلك! فقط يريد التوحيد والعقيدة ويصالح ويسامح ويعطي ويمنع ويكره ويحب على أساسهما! ذلك لأن المؤمن قد يكون جباناً ، فليس عنده من الشجاعة القدر الذي يستطيع معه نصره أخيه! وقد يكون المؤمن بخيلاً ، فليس عنده من المروءة والشهامة والنجدة ما يجعله يتجاوز بأخيه فقره وعوزه وحاجته ابتغاء مرضاة الله! ولكن هل يكون المؤمن جاهلياً معرضاً لا يعرف الفرق بين الإسلام والإيمان؟ ولا بين الإله والرب؟ ولا بين الدين والعبادة؟ ولا يعرف من لا إله إلا الله إلا الحروف ، ولا يحقق مضمونها ولا يطبق شروطها فضلاً عن أن يعرفها؟ هذا ليس وارداً على المؤمن أبداً! هل يستوفي المؤمن حياة الجاهلية ويعجب بها ويسترسل في عبادتها من دون الله! ويخاصم ويصالح ويحب ويكره على أساسها؟ ماذا بقي له من الإسلام سوى الانتساب الأجوف الباهت الهزيل الذي ليس له رصيد من الواقع! إنه لا خير في رجل كان جهال المشركين الأوائل أعلم منه بلا إله إلا الله ولذلك أبوا أن يقولوها! فلا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بمروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون أجويد ذوو شهامة ومروءة ونجدة! ولا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بدون مروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون موحدون بخلاء جبناء ، فهم مقبولون لإيمانهم وتوحيدهم وعقيدتهم أساساً! ولا هم بعد ذلك إخوة ذوو معايير إنسانية بصرف النظر عن التوحيد والعقيدة ، فهم مقبولون في مضمار البر العام والإقسط العام الذي أمر الإسلام بهما مع غير المسلمين! أما إخوة بلا توحيد ولا عقيدة ولا لون اجتهاد في الإسلام ، وبخلاء أشحة أنذال أوباش أنانيون ، فعلى أي منهج نلتقي؟ وفي أي مضمار يمكن أن نتأدر؟ إنها علاقة وندت يوم ولدت! كالتي كان الواحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – يجهر بها لقربته من غير ملته: (إليك عني يا أبتاه – إليك عني يا زوجتاه – إليك عني يا إخواناه ، فرق بيني وبينكم دين محمد – صلى الله عليه وسلم –!) يقول الدكتور / خالد الغامدي متحدثاً عن المروءة وأصحابها: (إن من أعظم مقاصد بعثة المصطفى – صلى الله عليه وآله وأصحابه جميعاً وسلم – أن يتمم مكارم الأخلاق وصالح الآداب ، وينشئ في الأمة النماذج الأخلاقية الراقية ، والمثل والآداب السامية التي تكفل الحياة الكريمة والسعادة ، والعزة للفرد والجماعة. وإن فروع هذه الأخلاق الإسلامية الراقية كثيرة ومتشعبة ، ولكنها تجتمع كلها في أصول عظيمة ، وأركان متينة ، تلتقي فيها كل الآداب النبوية والأخلاق المصطفوية ، وما تعارفت عليه العقول الصحيحة والعادات الحسنة. هذا وإن من أعظم هذه الأصول الجامعة المانعة: أصلاً عظيمًا يجتمع تحته ما تفرق ، وينتظم في سلكه ما تشعب ، ألا وهو: المروءة. وما أدراك ما المروءة؟! إنها منبع الخيرات ، وملتقى الآداب ، وعماد الحياة الشريفة الحرة ، وجماع المحاسن والكمالات ، وأساس الإنسانية ، وكمال الرجولية. بها يتفاضل الرجال والنساء ، حتى عد ألف بواحد ، والناس كمعادن الذهب والفضة ، وكابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة إلا من كمل نفسه بأخلاق المروءة التي تحبها النفوس الكبار ، ويهيم بها العظماء والنبلأء ، ويرتفع بها العبد في قلوب الناس وإن كان أقل منهم مالا وجاهاً. وتلك فطرة الله تعالى التي فطر الناس على حب المروءة ، والاتصاف بها ، ورفع شأن المتحليين بها ، لا تبديل لخلق الله. فطرة مركوزة في الخليفة والبشرية ، حتى إن النفس لتنتشي فرحاً حينما توصف بأنها من أهل المروءات ، أو ترى أفعالهم. وقال – عليه الصلاة والسلام –: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ،

وَأَنْ تَنَاصِحُوا مَنْ وَّلَاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» ؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَقَدْ لَزِمَ هَذَا السَّنَنَ النَّبَوِيَّ الرَّفِيعَ صَحَابَتَهُ الْكِرَامَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ ، وَأَوْرَثُوهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالتَّبَلَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي ذَلِكَ الرِّسَالِ وَالْكَتُبِ الَّتِي تُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آدَابَ الْمُرُوءَةِ وَخِصَالَهَا ، حَتَّى إِنَّهُمْ جَعَلُوا مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ رَاوِيِ الْحَدِيثِ وَمَنْ تَطَلَّبَ مِنْهُ الشَّهَادَةَ فِي الْأَقْضِيَّاتِ أَنْ يَكُونَ مُتَحَلِّيًّا بِآدَابِ الْمُرُوءَةِ ، مُجْتَنِبًا خَوَارِمَهَا وَمُفْسِدَاتِهَا. بَلْ قَدْ حَثَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى التَّسَامُحِ مَعَ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ ، وَالْعَفْوِ عَنْ خَطِيئَتِهِمْ وَعَثْرَاتِ أَقْدَامِهِمْ ؛ لِمُرُوءَتِهِمْ وَتُبْلِهِمْ ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «تَجَافَوْا عَنْ عُقُوبَةِ ذَوِي الْمُرُوءَةِ» ؛ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. وَقَالَ أَيْضًا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْخُدُودَ» ؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَأَهْلُ الْمُرُوءَاتِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَصَالِحِي الْمُسْلِمِينَ ، لَهُمْ فَضْلُهُمْ وَمَكَانَتُهُمْ وَمَنْزِلَتُهُمْ ، وَلَا يَجُوزُ أَبَدًا أَنْ تُهْدَرَ فُضَائِلُهُمْ ، أَوْ تُطْمَسَ مَنَاقِبُهُمْ لَزَلَةً قَدِيمًا أَوْ كِبُورَةً جَوَادٍ ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِشَرَفِ الْمُرُوءَةِ وَعُلُوِّ كَعْبِهَا ، وَالتِّي تَحْمِلُ صَاحِبَهَا وَتَرْفَعُهُ وَتُرَكِّبُهُ ، وَإِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قَلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبْثَ. وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَدْ احْتَمَلَ لِكَلِيمِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - احْتِمَالًا لَهُ إِفْقَاءَهُ أَلْوَاخِ التَّوْرَةِ ، وَأَخَذَهُ بِلَحِيَةِ أَخِيهِ هَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَجْرُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ نَبِيٌّ. وَإِنَّ الْمُرُوءَةَ خُلُقٌ عَظِيمٌ ، وَإِذَا نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أَثْمَرَتْ وَطَابَتْ بِهَا الْحَيَاةُ ، وَسَعِدَتْ الْأَرْوَاحُ وَهَدَّبَتْ مَا فِي النُّفُوسِ مِنْ أَفَاتِ الشُّحِّ الْمُطَاعِ ، وَالهَوَى الْمُنْتَبِعِ ، وَإِعْجَابِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ. وَلَا تَكَادُ تَجْدُ امْرَأَةً قَدْ تَمَكَّنَتْ الْمُرُوءَةَ مِنْ قَلْبِهِ وَرَسَخَتْ إِلَّا كَانَ لِلَّهِ عَامِلًا عَابِدًا مُطِيعًا ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ارْتِكَابَ الْمُحْرَمَاتِ ، وَالتَّسَاهُلَ فِي الْمُنْكَرَاتِ وَالرِّضَا بِهَا مِنْ أخطرِ خَوَارِشِمِ الْمُرُوءَةِ وَمُفْسِدَاتِهَا. ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ أَصْحَابَ هِمٍّ عَالِيَةٍ ، وَإِرَادَاتٍ حَازِمَةٍ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ أَعْدَدَ عَنِ الْمَكْرَمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهَمِّ ، فَلِذَلِكَ تَجْدُهُمْ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ خَيْرٍ بَسْمَهُمْ ، وَيُسَابِقُونَ فِي وَجْهِ الْإِحْسَانِ ، وَهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ حُسْنَ الْأَدَبِ وَالتَّخَلُّقِ الْحَسَنِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فِي الْجِدِّ وَالْمِزَاحِ ، فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، فِي الْحَبِّ وَالْكَرْهِ ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِلَّا جَمِيلُ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). وَمِنْ تُبْلِهِمْ وَمُرُوءَتِهِمْ: أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِحَوَائِجِهِمْ وَحَوَائِجِ أَهْلِيهِمْ وَمَنْ يَعُولُونَ ، فَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُضَيِّعَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَعِيَالَهُ ، وَلَا أَنْ يَجْعَلَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَيَسْأَلُونَهُمْ. وَلِذَلِكَ فَهْمٌ يَحْرِصُونَ عَلَى إِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَتَوَوَّنُونَ فِي ذَلِكَ نِيَّةً طَيِّبَةً مِنَ الْعَفَافِ وَالتَّسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ ، وَنِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ. وَمِنْ أَجْمَلِ صِفَاتِ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ: الْحِلْمُ وَالتَّرْزَانَةُ ، وَالتَّثَبُّتُ وَالتَّنَاقُطُ وَالتَّهَدُّوهُ ، وَالتَّبَعْدُ عَنِ الطَّيِّشِ وَالتَّعَجُّلَةِ وَالتَّنَزُّقِ وَالتَّهَوُّرِ ، وَخَفَةِ الْعَقْلِ عِنْدَ حُلُولِ الْحَوَادِثِ وَالتَّوَابِتِ. وَإِنَّ مِنْ خَوَارِمِ الْمُرُوءَةِ: أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ دَاعِيَةً شَرًّا وَإِرْهَابًا وَفَوْضَى وَفَسَادًا ، أَوْ يَكُونَ مِنَ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعَ كُلِّ نَاعِقٍ ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَالتَّحْكَمَةِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ مِنَ الْحُكَمَاءِ الْخُلَمَاءِ ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَمَرْنَا رَبَّنَا - سُبْحَانَهُ - أَنْ نُرَدِّ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ. وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ ذَوِي الْمُرُوءَةِ وَالتَّبَلِّغِ وَالْعَقْلِ وَالتَّحْكَمَةِ وَالتَّبَعْدُ عَنِ مُجَالَسَةِ الْخُبَّاءِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ سَقَطَتْ مُرُوءَاتُهُمْ فِي تَوَجُّهَاتٍ مُنْحَرِفَةٍ. وَمِنْ أَنْبَلِ خِلَالِ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ: أَنَّهُمْ يُعَامِلُونَ النَّاسَ بِصِدْقِ قَلْبٍ ، وَصَفَاءِ نَفْسٍ ، بِعِيدُونَ عَنِ النِّفَاقِ وَالتَّلَوُّنِ ، يُحِبُّونَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّونَ لِنَفْسِهِمْ ، وَلَا يَحْمِلُونَ غَلًّا وَلَا حَسَدًا وَلَا حَقْدًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، فَلِذَلِكَ يُوفِّقُهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - ، فَيُنَجِّيهِمْ مِنْ مَوَاطِنِ الذَّمِّ وَالتَّعْيِبِ وَالتَّلَوُّمِ. وَالتَّحَمُّلِ صَاحِبَهَا عَلَى صِيَانَةِ نَفْسِهِ وَحِمَايَتِهَا مِنْ كُلِّ مَا يَعْيبُهَا ، وَيُزِرُّ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَتَعْلُو هِمَّتُهُ ، وَيَصْلُبُ عَزْمُهُ وَحِزْمُهُ ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ كُلِّ مَا يَخْدِشُ الْإِيمَانَ وَالتَّحْيَاءَ مِنَ الدُّنْيَا وَالتَّرْزَايَا. وَإِنَّ



من أدب أهل المروءات: أنهم يراعون الأعراف والعادات الطيبة الحسنة عند الناس ، ولا يشهرون أنفسهم بلباس أو مظهر أو أمر يخالفون به أعراف الناس الطيبة التي تخالف الشرع ؛ لأن مجارة العرف الحسن من الأمور المعتبرة شرعاً ، خاصة إذا ترتب على المخالفة مفسد ، فإنهم – أعني: أهل المروءات – من أحرص الناس على تأليف القلوب ، وتطبيب النفوس ، ومدِّ بساط الأخوة والمحبة ، وتلك شيم الكرام أهل المروءات والنبل). هـ. ولا شك في أن الناس يحبون أصحاب المروءات لكرمهم عليهم ورفقهم بهم وإحسانهم إليهم! إن أهل المروءة قد غزوا قلوب الناس بهذه المروءة وبذلك الإحسان! ولا يدرك ذلك ولا شيئاً من ذلك الأراذل الأوباش الوضعاء الأذال الأتانيون ، الذين شعارهم نفسي نفسي! أو نفسي ومن بعدي الطوفان! تعساً لهم ولما ارتأوا من القيم الوضيعة الهزيلة التي تُزري بأصحابها إن كان عند الواحد منهم دم أو شعور! والشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبتي يقول في المروءة: (إن المسلمين قد اختلطوا بغيرهم من الأمم ، وتداخل الناس حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ، مما أثر سلباً على كثير من أخلاق المسلمين ، وجعل كثيراً منهم يتحللون ويتخففون من كثير من المون التي من شأنها أن يرتفع بها الإنسان ويسمو ، ويكون على حالة مرضية من الأخلاق ، ومقومات الإنسانية ، فهم قد اختلطوا بأقوام لا خلاق لهم ، ولا يرفعون للمروءة رأساً ، ولا شك أن هذه الخلطة تؤثر أبلغ تأثير. والأمر الآخر: وهو ما حصل من غلبة المادة على كثير من المسلمين ، فصار هم كثير منهم أن يحصل بغيته ومطامعه ، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وشيمته ومرتبته عند الله - عز وجل - وعند خلقه ، فإذا تهافت الناس على هذه المادة ، وصارت شغلاً لهم ، وصارت هي غاية مطلوبهم ، فإنهم بعد ذلك قد لا يرفعون رأساً لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات. وهناك أمر ثالث: وهو أن الإنسان مدني بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقربان ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أصداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. الإنسان مدني جداً بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقربان ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أصداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. وأنت تسير في الطريق لربما ألقى عليك إنسان لا يحسب حساباً للكلام لا تليق ، فماذا تصنع؟ هل تنزل فتكون مساوياً لهذا الإنسان في أخلاقه ودنائه وتقاصره عن المطالب العالية ، وبالتالي تكون قد ساوَيْته. وأنت تتحدث في الهاتف لربما أخطأت الرقم المطلوب ، وابتليت بمن لا خلاق له فسمعت منه ما لا يرضيك ، فهل تتطاول مع هذا الإنسان بالسباب والمشاتمة؟ تكون إذن قد ساوَيْته. لربما ترتبط مع إنسان في عقود ، أو في عهود أو في مبيعات ومعاملات أو شراكة أو غير ذلك ، فتري من ألوان المظل والظلم وأكل حقوق الناس والكذب وإخلاف المواعيد ، فكيف تستخلص حقك؟ وكيف تحرز نفسك من ظلم هؤلاء الذين لا يعباون بحق ، ولا يراعون ذمة ولا عهداً ، فهل تبقى معهم في حال من المهارشة تنزل فيها عن مستواك الرفيع فتصل إلى دركات هابطة من أجل أن تستخلص هذا الحق ولو كان حقيراً؟ فأقول: الإنسان بحاجة إلى أن يضبط نفسه في مثل هذه المقامات جميعاً ، فهذا أمر لا بد من معالجته. نحن نرى في كثير من الأحيان والأحوال ، خللاً في مظاهر المروءة في حياة الناس ، في اجتماعاتهم ، وفي معاملاتهم ، وفي مناسباتهم وفي غير ذلك مما يتعاطونه ، فإذا ترك الناس ولم تصوب أفعالهم ، ولم يحصل التواصي الذي أمر الله - عز



وجل - به ، فإن الناس يسرق بعضهم أخلاق بعض ويتأثرون ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، وكما قيل: الطبع سراق ، والناس كأسراب القطا جبلوا على تشبه بعضهم ببعض ، فإذا تركت هذه المظاهر من غير معالجة ، فإن ذلك لا يلبث أن يتحول إلى خلق لعامة الناس ، ويصير فيه أصحاب المروءات غرباء كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود. والمروءة: مأخوذة من لفظ المرء كما تقول: الفتوة من الفتى ، والإنسانية من الإنسان ، والرجولة من الرجل. وحقيقة هذه المروءة هي أن يتصف الإنسان بصفات الإنسان الحقيقية ، التي يفترق بها عن الحيوان وعن الشيطان ، إذ أن النفس تشتمل على دواع شتى ، في النفس ما يدعو إلى أخلاق الشيطان ، والشيطان يدعو إلى ذلك من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش وفي النفس ما يدعو إلى الأخلاق البهيمية بالجري خلف الغرائز البهيمية ، والبحث عن الذات ، كما أن في النفس ما يدعوها إلى أخلاق الملك من العلم والإحسان والنصح والبر والطاعة. فإذا استطاع الإنسان أن يتجرد من داعي الهوء والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تتلاءم مع إنسانيته فينزع إلى أخلاق الملك ، كما قال بعض السلف - رضي الله تعالى عنهم - فإنه يكون بذلك أسمى وأعلى. وهذا السمو الذي حصله والعلو الذي حققه هو حقيقة المروءة ، ولذا فعلى الإنسان أن يسمو عن الأخلاق الهابطة المشينة ، التي لا تليق بالإنسان ؛ ولذا قيل: المروءة هي غلبة العقل على الشهوة ، أي: أن تزم الشهوة بزمام العقل. إن المروءة هي كمال الإنسانية ، وهي الرجولة الكاملة ، وهي ما يسميه العامة في عصرنا الحاضر وبلغتهم الدارجة هي المراحل ، هي ما يقولون عنه ويعبرون حينما ينشئون الصغار ، هي درب الطيب ، هي المكارم ، هي السمو والرفعة والعلو ، في الأخلاق ، هي أن يترفع الإنسان ويتكرم وأن يعلو بنفسه عن أخلاق السفلة ، وعن أخلاق البهائم حيث تتهارش على شهواتها ورغباتها. البهائم جعلها الله - عز وجل - بشهوات من غير عقول ، وجعل الله - عز وجل - الملائكة موصوفين بالعلم من غير غرائز ولا شهوات ، وركب الله - عز وجل - الإنسان فجعل فيه ما ينزع إلى الشهوات وما ينزع إلى العلم والضبط والعقل والإدراك والمعرفة ، فهو بحسب ما غلب عليه. المروءة هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، هي كمال النفس بصونها عما يوجب ذمها عرفاً ، ولو مباحاً ، مما يستقبح ويستهن من أمثاله. المروءة: أن تستعمل ما يملكك ويزينك وأن تجتنب ما يدنسك ويشينك ، فهي كيفية نفسانية تحمل المرء على ملازمة التقوى وترك الرذائل. هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، إنها رعيّ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر ، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس ، وكل شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث عن شرف الممات والمحيا ، يدخل تحت هذه المروءة التي تحدثنا عنها. قيل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو من السلف الأكابر - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فهل وجدت المروءة فيه؟ فقال: "نعم ، في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، يقول: ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: خُذِ الْعَفْوَ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، وذلك في قوله: خُذِ الْعَفْوَ ، ودخل في قوله: وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الحظ عن التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. وأما صاحب المروءة فهو من صان نفسه عن الأدناس ، وما شأنها عند الناس ، فحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق ، وأدى حقوق الله - عز وجل - وحقوق المخلوقين ، واجتنب ما يدنس عرضه وشرفه من كل قول وفعل ومقام ، وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن

المراتب العالية).هـ. وكنت قد تأخرت في الكتابة عن هذا الموضوع ثلاثة عقود لشيء يريد الله تعالى! وقلت: لعل كل واحد منهم يتذكر أو يخشى! يتذكر الجميل والمعروف ، ويخشى سوء العاقبة التي إن لم تلحقه في الدنيا فوالله سوف تلحقه في القيامة! يوم يقول الله للمظلوم تقدم ويقول للظالم: لا تتكلم! وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً! ومن مات فقد قامت قيامته ، والقبر أول منزل من منازل الآخرة! وعند الله الجبار المنتقم القهار الغالب القدير العزيز القادر تجتمع الخصوم! ولكن لما بلغ الأمر منتهاه ، وبلغ السيل الزبي ، ولم أعد أحتمل تطاول أبناء الأبناء الذين لم يشهدوا شيئاً ، فإذا بهم يقطعون بأشياء وأشياء! وكنت أعذرهم صغاراً لأنهم لا يدركون! أما وقد أصبحوا كباراً راشدين يعقلون ويدركون ، فإن الأمر يحتاج إلى مُعلقة عصماء تعيد الحق إلى نصابه ، وتعطي القوس لباريها! وعنوانت لها ب: (الشقيقتان) فكأنني خصصت ولم أعمم! وهذا لأنني وجدت الشقيقتين أشد ضراوة في الحرب الملعونة الشعواء! فلقد قادتا حرباً ضد أخيهما الأكبر للأسف ، استمرت ثلاثة عقود! وعندهما من الأسرار والكلام والأباطيل والخطط والتلفيقات ما الله به عليم! ولا شأن لنا بشيء من ذلك! إنما العبرة بالأفعال الظاهرة والمآلات الواضحة! والأنثى جبلها الله على الرحمة والشفقة والعطف والحنان واللين ، إلا هاتين الشقيقتين! حيث كانتا في الخصومة ألد ، وفي العداء أشد ، وفي الحرب أعتى ، وفي الانتقام أنكى! وأسأل: لماذا؟ أما كان أحرى بكما التلطيف وبعث روح التفاهم والصلح؟ وأسأل أين حق أخيكما الذي آثركما عن نفسه يوماً ما؟ والعجيب في الأمر أنه كما يقول المثل العربي: (الطيور على أشكالها تقع)! حيث تزوجت كل شقيقة نذلاً لا يساوي في سوق الرجال قميصاً يلبسه أو لباساً يستر به عورته! والأصل أن يقوم زوج البنت بإصلاح ما يتدهور من العلاقات بينها وبين أهلها! هذا إذا كان ابن ناس بالمعنى الشائع المتداول! أما إذا كان وبشاً نما وترعرع في أسرة وضيفة ساقطة من سوق الأسر ، والقيم والأخلاق منها برينة براءة الذنب من دم يوسف بن يعقوب عليه صلوات الله وتسليماته – فإن الأمر يختلف! حيث يجد ذلك النذل الوضيع الحقير في الخلافات فرصة سانحة ليستأثر بها فريسة وضيفة حقيرة مثله! على أن المثل السيار يقول: (الذي ليس له كبير فليشتر له كبيراً)! إلا أننا نجد الحال قد اختلف مع هاتين الشقيقتين العجيبتين! الكبير موجود فلن يُشترى ومع ذلك كانت البراءة منه! الله أكبر! فأنشدت هذه القصيدة حكاية على لسان ذلك الشقيق الأكبر المظلوم ظلماً بيناً لا سبيل لإنكاره! وأعلم أنها لن توتي ثمارها عند قساة القلوب الأجلاف غلاظ الطباع من الآباء والأمهات! ولكن ربما كان الأمر على العكس ، عند الأبناء والبنات ممن يريدون الحق! ولربما استفاد منها الآخرون ، حيث تحمل هذه القصيدة من الدروس والعبر والمواعظ الشيء الكثير! وعموماً بذل المعروف من شيم الكرام! والاعتراف بالحق والإشادة بأهل الخير من طبائع ذوي القيم! والأستاذ الفاضل منقذ بن محمود السقار يتحدث عن: (معنى المعروف وأهمية هذه العبادة) فيقول ما نصه: (المعروف المقصود هنا هو فعل الخير وإسداؤه للعباد ، سواء كان هذا الخير مالياً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون ، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه ، أو علماً ، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس ، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وإغاثة الملهوف وعبادة المرضى. أما أدلة صناعة المعروف من القرآن الكريم: يقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}. فقوله: {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير ، لأنها نكرة في سياق العموم كما يقول النحاة ، وقال تعالى {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} ، {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}. وأما أدلة صناعة المعروف وتعدد صورته من السنة النبوية: فمن صور صناعته صلى الله عليه وسلم للمعروف ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى

النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيبه وتُذنبه). أبو داود. ومنه أيضاً شفاعته لمغيث عند زوجته السابقة بريرة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفيه أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كآني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعته قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه). البخاري. وأما صناعة المعروف عند السلف: فلقد كان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله ، ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمّهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ومنه أيضاً صنيع أبي بكر الصديق حين ولي الخلافة ، فكان في كل يوم يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء ، فينضح لها طعامها ، ويكنس لها بيتها ، وهي لا تعلم من هو ، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. أسد الغابة. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين ، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون ، يتضاغون من الجوع ، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين ، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضج لهم طعامهم ، فما زال بهم حتى أكلوا وضكوا. الرياض النضرة. ومن صناعة المعروف أيضاً ما ذكر عن علي زين العابدين ، فقد كان أناس من أهل المدينة ، لا يدرون من أين معاشهم ، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يوتون بالليل. ولما غسلوه رحمه الله وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرامل. سير أعلام النبلاء. وهذا عبد الله بن المبارك كان ينفق من ماله على الفقهاء ، وكان من أراد الحج من أهل مرو إنما يحج من نفقة ابن المبارك ، كما كان يؤدي عن المديون دينه ويشترط على الدائن أن لا يخبر مدينه باسمه. سير أعلام النبلاء). هـ. وعلى وجه العموم تعتبر خصال الخير من الأخلاق التي جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليتممها! وكلنا يذكر قوله – صلى الله عليه وسلم –: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وتحت عنوان: (مكارم الأخلاق) يقول الأستاذ محمد مروان ما نصه: (تعتبر الأخلاق هي الضامن الوحيد لاستمرارية الحياة على سطح الكرة الأرضية بسلام ومودة ومحبة ، وهي الضامن أيضاً لاستمرار النهضة. فانهدامها يعني الدمار والخيبة والخسران ، ليس على الإنسان فقط ، بل تنعكس آثارها السلبية على المجتمع ، بل تؤدي إلى تضرر جميع المخلوقات والكائنات وأشكال الحياة أيضاً ، وهي عملية تراكمية بامتياز ، متنوّعة مصادرها ، فقد يستمد الناس أخلاقهم من العادات والتقاليد والأعراف المتبعة ، وقد يقوم الدين أخلاق الناس ، من خلال إضافة الأخلاق الحميدة ، ومحو الأخلاق السيئة التي نشأوا عليها ، لهذا فالأديان ضرورية جداً للنواحي الأخلاقية ، إضافة إلى وظيفتها الرئيسية الأخرى ، والمتحورة حول تعريف الناس بخالفهم وربهم المعبود ، وكذلك فإنّ التّفاوت الأخلاقي بين الناس موجود ، نظراً لاختلاف البيئات التي ترعرعوا فيها ، ونظراً أيضاً لاختلاف أهميتها عند الناس ، فبعض الناس يضربون بها عرض الحائط ويعتبرونها معيقاً للطموح والتقدم والنجاح ، فهم بذلك يدوسون على إنسانيتهم وعلى من حولهم ، حتى يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم الدنيئة الرخيصة ، والتي ستسبب لهم ولمن حولهم الهلاك والخسران. ولطالما عانت الحضارات والبشرية والدول والشعوب من انعدام الأخلاق عند ساستها وقائديها ، ومن يتولون أمورها ويديرونها ، فقد أدى ذلك إلى طحن العديد من البشر برحى الموت ، وآخرها ومن أكبرها ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، من دمار وخراب اجتاح العالم أجمع ، وقضى بسببه ملايين الناس والبشر). هـ. أيتها الشقيقتان الأنايتان الندلتان ينبغي أن تعلمنا أن

شقيقكما الأكبر قد بذل الكثير من أجل تربيتهما ، وضحى بالكثير من أجل راحتكما! ولا يصح أبداً أن تقولوا: (إنما كان يساعد أباه!) لأن أباه لم يكن بحاجة إليه! إنما بكما كان ذا حاجة بسبب مطالبكما التي أثقلت كاهله! فكيف يدفع ذلك الأخ الأكبر ثمن مروءته اليوم خذلاناً؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ لقد حملكما في جملة من حمل بالأمس لتحملوه جميعاً اليوم! ولو كان الرجل يدري نذالتكم وخستكم جميعاً لانشغل بنفسه ومن يعول ، وأعد نفسه ومن يعول لذلك اليوم الذي يكون فيه بحاجة لكم! فهنيئاً للشقيقتين النذلتين الأنانيتين! وأنا لنرى انتصار الله منكما حيث تزوجتما بنذلين حقيرين لا أخلاق عند أحدهما! ولقد تسلط كل منهما على زوجته وأخذ ما أخذ وانتفع على حساب رد جميل الشقيق الأكبر! إن هذه القصيدة قد لا يكون لها صدى عند قلوب يعبد أصحابها المال من دون الله تعالى! كما لن يكون لها تأثير عند قوم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة! يا ناس إن خلل التوحيد والعقيدة يؤدي لأكثر من هذا ، حيث لا يعرف المعرض - عن تعلم التوحيد والعقيدة - مولاه الحق! ومن هنا تنتكس الموازين عنده! ولذا فخلل المناسك التعبدية يجبره التوحيد الحق والعقيدة الصحيحة! بينما خلل التوحيد لا تجبره صحة المناسك التعبدية ولو أداها صاحبها على الوجه الأكمل! وقد أعذرنا إلى الله بالكتاب وبالشريط وبالقصيدة! وأهديناكم كل الشعر! ولكن لا حياة لمن تنادي لأن الوقار في قلوب هؤلاء المعرضين ليس لله بل للدرهم والدينار! نسأل الله العافية والسلامة!

ولذعت أسراراً بدون حياء!	لولا الإخاء لزدت في استهزائي
بنتاكم أسوا من الأبناء	لولا محبة والدي لقلتهما:
لوصفت ما يجري من الأرزاء	لولا احتمال التوب يدرك من غوى
لقبياتي البدوية العصماء	لولا مخافة أن أصير ملاعناً
وختالة الأئمة ذال والحقراء	لولا التحفظ في مخاطبة السورى
في شأن قريبي المرء والغرباء	لولا التاطف شرعتي أمرت به
لجهرت - بين الناس - باستهزائي	لولا احتياطي أن أكون مغالطاً
للجهر - رغم الأنف - بالأسواء!	وأنا ظلمت ، وذاك يكفي وحده
فالنفس كم تلقى من البأساء!	لما يكن سوءاً يمر ويتقى
متغافلاً ، يرنو إلى العلياء!	والقلب كم يلقي الأذى صابراً
وتلوك ما يبقى على استحياء	والروح تزدرد العذاب رضية
يرديه لوم العاتب المسطاء	لما يكن ما جنتماه بهين

وأحيط بالإهلاك والضراء  
من أن تمس عقيدتي وإبائي  
ما فيه من حقدٍ ولا شحناء؟  
ونرى كمالأ عيشة الصالحاء  
عيش الكفاف تطلع العقلاء!  
بعضاً ، ففي التفريق شر شقاء!  
أعناقنا من شدة البلواء؟  
كبطون أهل الحاجة الفقراء؟  
إذ لم تجد - يا ناس - أي دواء؟  
والفضل فضل الله ذي النعماء  
لثقل عثرتكم بدون عناء  
نجع اغتراب خفف بالأعداء  
بين الألى كادوا له بعطاء  
حتى حباكم ماله بسخاء  
من دائن هو أخبث السفهاء  
وكأنه أمسى من الأمراء!  
عدم الصدام يقوده لتتائي  
بل قال: أهلي كلهم ندمائي  
فالخير للأمتات والآبَاء  
حتى يعيش الكل في استغناء

لكنه البأساء صُـب سـعيرها  
وأعاني المولى عليه ، وصانني  
أولم نكن أبناء بيت واحدٍ  
أماننا - بين الجميع - توحدت  
وعلى الكفاف توجهت أحلامنا  
وظموحنا أن لا يفارق بعضنا  
أولم نعان الفقر يقطع سيفه  
أولم تجع يا مفترون بطوننا  
أولم تدم أسقامنا ، فتذكروا  
وأراد رب العالمين نجساتكم  
واختار من أبناءكم عبداً له  
وحماه في سفر ، وفي حضر ، وفي  
فأتى ، ومكّنه الإله ، وخصه  
لم ينصرم شهرٌ عليه بطوله  
لما يسدد دينه مسأذناً  
إذ لم يزل في شأنه متحكماً  
وتحمل الشهم التحكم مؤثراً  
ما قال: نفسي والوحيدة زوجتي  
وأبي وأمي قبل أي قرابةٍ  
ولإخوتي من بعدهم فضل العطا

لا يطلبون الناس فضلة زادهم  
لم يتخرّ وسعاً لكي تتنعموا  
هو خصكم بالمكرّمات جميعها  
ما كان أسهل أن يعيش لنفسه  
وأتى ببعض عيالكم عوناً له  
وهناك قسّم داره ونقّوده  
وبكفّه صنع السرير تكلفاً  
لا (متر) لا (شنيور) ، لا (منشار) أو  
حتى خيوط الفجر أجهّد صانع  
صلى صلاة الفجر في محرابه  
حتى أتمّ صلاته وختامها  
وأنت إلى الدار الخدولة زوجّه  
ولتحرق الدار الحصينة نارها  
أنا ما اعتديت لكي ألقى غدركم  
وجزاء إحساني استحال عداوة  
ولقيت حق مروءتي وشهامتي  
والأرض قد غصبت ، ودأس عقدها  
ما ذنب هذي الأرض تُغصبُ عنوة  
والغاصب المحتال يضحك سافراً  
وشقيقه سرّق المراجع عامداً

دينّ عليّ لهم ، وذاك وفائي  
دوماً بأكرم حالةٍ وثواء  
حتى تعيشوا عيشة السعداء  
متعالياً في غلظةٍ وجفاء  
وأجاب عاجل أمركم ونداء  
متفضلاً بتوددٍ وإخاء  
وبرغم ضيق الجهد والآناء  
(إزميل) ، أو حتى بُعِيضُ غراء!  
وأصيب - بعد الصنع - بالإعياء  
متدثراً بالكمد والإغماء  
ومضى لنوم بعد طول بلاء  
لتعيش دور الحيلة الرقطاء  
ويصاب حيّ عامراً بفناء  
يا شرّاً أهل فوق ذي الغبراء  
والغدراً أصبِح والنكال جزائي  
كيداً تدثر - في الدجى - بخفاء  
ودفاعنا المصدوق محض هُراء  
ليقام - فوق الأرض - شر بناء؟  
إذ بات ذا بحبوحهٍ وثراء  
بتحاييل ، وتلصص ، ودهاء



وشـ قـيـقـتـاهـ شـرـيـكـتـاـ عـدـوانـهـ  
فـأـخـ يُـقـرِّبـ رـغـمـ ظـلـمـ شـقـيـقـهـ  
كـلـتـاهـمـاـ تـطـغـى ، و تـمـعـنـ فـيـ العـدا  
إـنـيـ أسـأـئـلـ أيـنـ حـقـيـ يـاـ غـثـا؟  
مـهـمـاـ كـذـبـتـم ، وادـعـيـتـمـ خـلـتـي  
أعـطـيـتُ - بـالـأـمـسـ القـرـيـب - مـقـايـضـاً  
لـمـ أعـطـ ما أعـطـيـتـهـ مُـسـتـغـنـياً  
والـلـهـ و سـتـعـ يـاـ غـثـا أـرـزـاقـكـم  
كـانـتـ يـدـيـ الطـولـى ، فـلـمـ أـكـ بـاـخـلاً  
عـجـز ، و لـيـسـ لـكـمـ كـبـيـرٌ يُـحـتـفـى  
أيسـرـكـمـ حـالـيـ و ضـيـقـ مـعـيـشـتـي  
هـذا لـأنـيـ فـيـ الـوـرـى ضـيـعـتـهـم  
حـتـى عـلا بـُنـيـانـكـم فـيـ ذـيـ الـدـنا  
مـا عـذـرـكـم أـلـا تـقـيـلـوا عـثـرتـي  
وشـ قـيـقـتـاي الـيـوم أـرـذـل شـامـتِ  
أخـطـأتُ إذ بـيـتُ حُـسـن طـوـيـتي  
لأخـيـتـيـن إـخـاء كـل خـنـجـرٍ  
فإـلى المـهـيـمـن مـنـهـمـا أنا أشـتـكـي  
بـيـنـي و بـيـنـهـمـا سـيـقـضـي رـبـنا  
رـبـاه أنـت الحـق ، فـأـحـكـم بـيـنـنا

فـي الـدـس ، و الإـدـنـاء ، و الإـقـصـاء  
و أخ يُجـنـدُ فـي قـلـبـي و جـفـاء  
أفـلا يُطـاق العـيـشُ دـون عـداء؟!  
أنتـم و ربـ الـنـاس شـر غـثـاء  
مـا - لادـعـاء البـلـه - أي بـقـاء  
حـتـى يُـرـدَ إلـيـ بـعـض عـطـائـي  
أنى لـمـثـلـي جـودُ الـاسـتـغـناء؟!  
لـم شـحـمـ يـا أـتـعـس البـخـلاء؟  
مـتـحـدثـاً بـعـطـاء ذـي النـعـماء  
بـكـلامـه ، و لـهـ كـبـيـرٌ و لـاء  
و تـعـسـرٌ بـلـيـتُ بـهـ أبنـائـي؟  
لـمـا اتـجـهـتُ لـقـومـي الجـبـنـاء  
مـاذا تُفـيـد لـجـوقـةٍ و ضـعـاء؟  
كـي لا تـثـيـروا وازع البـغـضـاء؟  
عـن سـخـطـةٍ ، و تـعـنـتٍ ، و غـبـاء  
و شـرـعـتُ فـي مـدحـي ، و كـيـل ثـنـائـي  
فـي القـلـب يـسـبـحُ فـي زكـي دـمـاء  
و أزيـد فـي مـرثـيـتـي و دـعـائـي  
و قـضـاء ربـ الـنـاس خـيـرُ قـضـاء  
فـي هـذه الـدـنـيا و يـومَ جـزـاء!



## بخواتيمها الأعمال

(إن حكاية جبلة ابن الأيهم مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لتدل دلالة واقعية على أن الأعمال بخواتيمها. قال أحمد بن عمر الكوفي بأن جبلة بن الأيهم (آخر ملوك الغساسنة الذي شارك الروم في معركة دومة الجندل واليرموك ، أسلم في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ارتدّ وقصد القسطنطينية وفيها توفي) كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يطلب إذنه في القدوم عليه مُسَلِّماً ، فسُرَّ عمر بذلك وكتب إليه أن يُقَدِّم ويُسَلِّم وله ما لنا وعليه ما علينا. فخرج جبلة في جمع كثير من سائر العرب ، فلما قرب من المدينة ألبس القوم خُللاً من الذهب ومطارق مَوْشَاة ، وجَلَل الخيل بجلاجل الأطلس ، ولبس جبلة تاجاً نفيساً ، وفرح المسلمون بإسلامه وقدمه ، وكان يوماً مشهوداً ، فدخل المدينة وأسلم ، وأقام بالمدينة المنورة ، وتعلم شرائع الإسلام. فلما كان أوّل الموسم خرج عمر - رضي الله عنه - إلى الحج ، وخرج جبلة معه يريد مكة والوقوف بعرفة ، فبينما جبلة بن الأيهم يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فحله ، فالتفت جبلة إلى الرجل فطمه لطمه هشم بها أنفه ، فاستعدى الفزاري عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأرسل عمر إلى جبله فأحضره ، فحضر إليه فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا الرجل الفزاري؟! قال: لأنه وطئ على إزاري فحلّه ، ولولا حُرمة هذا البيت لأطحت برأسه ، قال له عمر: أما أنت فقد أقررت بفعلتك فإما أن ترضيه وإما القصاص ، قال: أوتقتصّ له مني وهو وسوقة وأنا جبلة بن الأيهم ملك غسان؟ قال له عمر - رضي الله عنه -: إنه قد جمعك وإياه الإسلام فلا فضل لك عليه في القصاص. قال جبلة: لقد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية! قال له عمر: دع عنك ذلك. قال: إذن أنتصر! فقال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك. قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة: أخرجني إلى غد يا أمير المؤمنين! قال له عمر: لك ذلك. فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة والمدينة ، فلم يزالوا حتى دخلوا القسطنطينية على "هرقل" فتنصروا جميعاً ، فأقطعه من الأراضي وأوقف عليه من الرباع ، قال: وبعث عمر - رضي الله عنه - إلى هرقل يدعوهُ إلى الإسلام ، فأجابهُ إلى المصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب لعمر جوابه قال للرسول: اذهب إلى جبلة بن الأيهم الذي أتانا من عندهم وتنصّر ، قال: فذهب إليه الرسول ، فإذا على رأسه من القهارمة (جمع قهرمان وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه) والحجاب والحفدة (جمع حافد وهو الخادم) ما لا يوصف. فاستأذن عليه ودخل إليه ، فإذا هو على سرير من بلور قوائمه من ذهب ، فلما رأي عرني وأدناي وأجلسني إلى جانبه وأخذ يسألني عن المسلمين واحداً بعد واحد ورجلاً رجلاً فأقول له بخير تركتهم ، قال: وكيف تركت عمر؟! قلت بخير ، ثم نزلت عن السرير ، فلما نزلت قال لي: لم تأبى الكرامة التي أكرمتك بها؟! فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن مثل ذلك الصنيع. قال: نعم ﷺ ، ولكن ثق بنبيك ، واجلس على ما شئت ، قال الرسول: فلما سمعته يصلي على النبي ﷺ طمعت في إسلامه وقلت له: يا جبلة هل لك في الإسلام والرجوع إليه؟! قال: أبعد ما كان مني؟! قلت: نعم! وقد فعل رجل قبلك من بني فزارة أكثر مما فعلت! ارتدّ عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم عاد إلى الإسلام وقُبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً وهو فلان بن فلان ، قال جبلة: لا أعود إلا أن يزوجني عمر ابنته ويولينني العهد ، قال الرسول: فضمنت له التزويج ولم أضمن له الخلافة. ثم دعا بموائد الطعام فأحضرت أطباق من فضة وصحاف من ذهب فيها الطعام ، فقال لي كُل ، فقبضت يدي وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في

مثل ذلك ، فقال: نعم صلى الله عليه وسلم ودعا بقصعة من خننج (شجر وهو معرب كما جاء في القاموس) فأكلت فيها ، وكان بحضرته جوار يُغنين من الشعر وبأيديهن العُود والأراغل (جمع أرغول) فقال لي: أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: لا ، قال إن هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري كيف حاله يا ترى؟ فقلت له: قد كف بصره ، قال: فأمر لي بكسوةٍ ومال ونوق موفورة ، ثم قال لي: خذ هذه فإن وجدت حسناً حياً فسلمها إليه ، وإن وجدته ميتاً فادفع المال لأهله ، وانحر النوق على قبره وقل:

تنصرت الأشراف من عار لطميةٍ      وما كان فيها لو صبرت لها ضرر!  
تكنفي فيها الحاج - ونخوة      وبعث لها العين الصحيحة بالعور  
فيا ليت أمي لم تلدني! وليتني      رجعت إلى القول الذي قال لي عمر!  
ويا ليتني أرعى المَخاض بقفرةٍ      وكنت أميراً في ربيعة أو مضر

قال الرسول: فأخذت الهدية ورجعت إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبرته بصورة الأمر! وقال: هلا ضمنت له ذلك؟! فإذا فاء إلى الإسلام وتأس به قضى الله بحكم فينا وفيه ، ثم ذكر له هدية حسان فأنفذ عمر إلى حسان قال: يا أمير المؤمنين إني لأجد ريح غسان ، قال: نعم ، هذا رجل قدم علينا من عندهم ، قال: هات يا ابن أخي ما معك ، فقال الرسول: ومن أعلمك أن معي هدية؟ قال: يا ابن أخي إن جبلة كريم من عصابة كرام مدحتهم في الجاهلية فأعطاني وحلف أن لا يلقي أحداً يعرفه بمكاني إلا سير معي هدية ، قال فدفعت له المال والإبل ، ثم أعادني عمر إلى القسطنطينية لأضمن لجبلة التزويج والأمر ، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فأعلمت أن الشقاء قد غلب عليه في أم الكتاب.هـ.  
(المختار من نواذر الأخبار 78 - 76). وعموماً الهداية من الله نعمة كبيرة ، ونعمة أكبر منها الثبات على ذلك الحق حتى لقاء الله تعالى! وتحت عنوان: (الثبات على الحق) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه:  
(كثرت حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى بر آمن. ارتباط الموضوع بالقلب ؛ الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه: «لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلباً». رواه أحمد ، والحاكم ، وهو في السلسلة الصحيحة. ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول: «إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن». رواه أحمد ، وهو في صحيح الجامع. فتثبيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها. ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة للثبات. أولاً: الإقبال على القرآن. القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى ، وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في معرض الرد على شبه الكفار: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}. وعلى

رأسها الصبر ، ففي حديث الصحيحين: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر». (رواه البخاري في كتاب الزكاة - باب الاستغفار عن المسألة ، ومسلم في كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر). وأشد الصبر عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عدم الصبر. تأمل فيما قاله ابن الجوزي رحمه الله: "رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته ، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولدًا". (الثبات عند الممات لابن الجوزي ص34) - تعالى الله عن قوله علواً كبيراً - . ولما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء: {أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}. ماذا حصل من عند أنفسكم؟ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا. وقال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: "صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا. فقال للجمال: على رسلك. ثم قال: يا هذا ، ما عليك أن تقتلها هنا ، وتدخل الجنة ، ثم قال: أستودعك الله ، ومضى. فسألت عنه ، فقيل لي هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له: جابر بن عامر يُذكر بخير". (سير أعلام النبلاء). وفي البداية والنهاية: أن أعرابي قال للإمام أحمد: "يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله ، فاصبر على ما أنت فيه ، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل" ، قال الإمام أحمد: وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه. (البداية والنهاية). وفي رواية أن الإمام أحمد قال: "ما سمعت كلمة وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق وهي بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً. فقوي قلبي". ويقول الإمام أحمد عن مرافقة الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة: "ما رأيت أحداً - على حداثة سنه ، وقدر علمه - أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إنني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم: "يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك ، لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله. فماتت وصليت عليه ودفنته". (سير أعلام النبلاء). وحتى أهل السجن الذين كان يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيد ، قد ساهموا في تثبيته. فقد قال الإمام أحمد مرة في الحبس: "لست أبالي بالحبس - ما هو ومنزلي إلا واحد - ولا قتلاً بالسيف ، وإنما أخاف فتنة السوط". فسمعه بعض أهل الحبس فقال: "لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي". فكأنه سرّي عنه (سير أعلام النبلاء). فاحرص أيها الأخ الكريم على طلب الوصية من الصالحين وأعقلها إذا تليت عليك. واطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه ، واطلبها أثناء ابتلاء ، أو قبل محنة متوقعة ، واطلبها إذا عُينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى ، وثبت نفسك ، وثبت غيرك والله ولي المؤمنين). هـ. وإذن فجبلة بن الأيهم لو سأل الله تعالى التثبيت لثبته الله ، ولكنه أخذ إلى الأرض ، واتبع هواه ، فحُرم التثبيت ، وذاق لذة المعصية!

أَوْجَدت وَعَدَ اللهُ رَبِّي الْأَكْرَمَ      حقاً - بدار الصدق - يا ابن الأيهم؟

إذ غَرَكَ الْمَلِكُ الَّذِي هُوَ زَائِلٌ      فأدرت - للإسلام - مقلعة غيِّم

أرسلت للفاروق تطلبُ إذنه  
فاستبشّر الفاروق دون تردّدٍ  
وإليك خط كتابه يرجو اللقا  
كم تسعد الفاروق توبة تائب  
ولك الذي - للمسلمين - جميعهم  
وعليك طبعاً ما عليهم في الورى  
فخرجت في جمع تعاضم كثرة  
ودخلتم حرم المدينة موكباً  
خلّ - من الذهب السبيك - نفيسة  
ومطارق الأقوام يلمع وشئها  
والخيل - في سُرج الجلاجل - جالّت  
وعليك تاج الملك يستلب النهى  
والمسلمون اسـتقبلوك بفرحةٍ  
حتى النساء خرجن يشهدن اللقا  
كل القبائل شاركن من (خزرج)  
وأقمت بالزهراء خير إقامةٍ  
وكذا تعلمت العقيدة والهوى  
وحجبت بيت الله ، تحدوك المنى  
فإذا بمن وطى الإزار تنالنه  
فشكى الفزاري المظالم واثقاً

ففي أن تجيئ عليك هيبة مسلم  
فلعل عبداً - بالحنيفة - يستمي  
بمؤخّداً لقياه أربح مغنم  
أمسى - لدين الله - صدقاً ينتمي!  
وبكل عدل دون أي تكرم  
فإن الله أكرمهم بشرع مُحكم  
وأتيّت ترأس جمعهم كالضغيم  
بدت الخلي عليه مثل الأنجم  
ولهها بريق ساطع كالغندم  
وكنما هذي جافل (رستم)  
ولهها صهيل يغتذي بتحمم  
ويذكر الأصحاب بابن الأصحم  
وحفاوة ، وتفـاول ، وتبسّم  
والصبيبة انطلقوا بكل ترنم  
و(خزاعة) - في ذا اللقاء - و(ضجعم)  
وعليك صبّ الله أعظم أنعم  
وشريعة الديان خير تعلم  
بالأجر عند المستعان المنعم  
كفّت تخلت - في الشجار - بماطم  
من نصرة الفاروق دون توهم

مُتَطَاوِل ، مُتَعَجَّرِفٍ ، مُتَجَهَّم  
بِالذَّل مِنْكَ ، بِدُونِ أَيِّ تَبَرِّمٍ  
فِي كَسْرِ أَنْفِ الْجَائِرِ (ابْنِ الْأَيْهَمِ)  
أَوَّلَيْسَ ذَا نَصِّ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ؟  
مَلِكٌ تَرَفَّعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَمِي  
بَيْنِ الْأَكَارِمِ فِي الْوَشَائِحِ وَالْدَمِ  
أَبْنَسُ بِمَا وَافَى بِهِ أَشَقَى فَمِ!  
وَمَكَانَةٌ ، يَا لِلنَّفَاقِ الْمُبْرَمِ!  
مِنْ صَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمُرِيبِ الْمُبِيهِمِ  
كَيْلَا أَسْوَى بِالْعَبِيدِ الْعُدَمِ  
ضَرْباً بِسَيْفٍ مِنْ أَمِيرِ مَسْلَمِ  
وَالْكَلِّ أَطْرَقَ فِي خِضَمِّ الْمَازِمِ  
حَتَّى خَرَجْتَ بِجَنَاحِ لَيْلِ مُظْلَمِ  
أَعْطَاكَ إِعْطَاءَ الْجَوَادِ الْمُكْرَمِ  
يَدْعُوكَ لِلْإِسْلَامِ قَبْلَ الْمَنَدِ  
وَقَطَعْتَ - بِالْأَلْفِ - دُونَ تَفْهَمِ  
وَكَأَنَّهُ شَرْطُ اللَّيْبِ الْمُهْمِ!  
هَذَا شَرْطًا هَذَا مُتَبْرَمِ  
وَافَتْ مَنِيَّةُ فَاقِدِ التَّقْوَى عَمِي

فَالْأَنْفُ قَدْ كُسِرَتْ بِطَمَّةِ ظَالِمِ  
فَقَضَى لَهُ الْفَارُوقُ إِمَامًا بِالرِّضَا  
فَإِذَا أَبَى كَانَ الْقِصَاصُ شَرِيعَةً  
فَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ ، الشَّرِيعَةُ هَكَذَا  
فَجَهَرْتَ أَنْكَ - فِي الْغَسَّاسِنِ - سَيْدُ  
فَأَجَابَكَ الْفَارُوقُ: قَدْ سَوَى الْهُدَى  
فَإِذَا بِإِفْصَاحِ ، يَزِيدُكَ خِيسَةً  
إِذْ كُنْتَ - فِي الْإِسْلَامِ - تَنْشُدُ عِزَّةً  
فَأَجَابَكَ الْفَارُوقُ: دَعُ مَا تَدْعِي  
فَأَجَبْتَ: إِنِّي - بَعْدَهَا - مُتَنَصِّرٌ  
فَعَلِمْتَ أَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَمِيَّتٌ  
وَبِنُو (فَزَارَةُ) يَنْشُدُونَ قِصَاصَهُمْ  
فَجَارَتْ أَمَهْلُ يَا أَمِيرُ إِلَى غَدِ  
وَدَخَلْتَ (قِسْطَنْطِينِيَّةَ) ، وَهَرَقَلَهَا  
وَأَتَاكَ مِنْ عَمْرِ رَسُولٌ مَخْلَصٌ  
حَتَّى اشْتَرَطْتَ مِنَ الشَّرْطِ عَسِيرَهَا  
تُجْرِي عَلَى الْفَارُوقِ شَرْطَكَ عَابَثًا  
تَتَزَوَّجُ ابْنَتَهُ ، وَبَعْدُ خِلَافَةً  
وَأَجَابَكَ الْفَارُوقُ لَكِنْ بَعْدَمَا

## بل حرام يا مرتزق

(الأصل أن الذي يتصدر للفتوى يجب أن يكون عالماً عاملاً ورعاً تقياً ، يخاف الله تعالى ، يدعم فتواه بالدليل ، ويحترم اجتهاد المخالف إن كانت القضية خلافية. لكل دليله فيها من كتاب الله ورسوله وإجماع المسلمين. أما أن يتصدر الفتوى الجهلاء والمرتزقة وقارعو الطبول وحارقو البخور وضاربو الودع وقارني الكفوف من فريق الطابور الخامس ، من الذين يأكلون بلا إله إلا الله ويطوعون النصوص ويحرفونها عن مواضعها ، فإن هذا مؤشر خطير يجب التنبه إليه وإلى آثاره. وهذا أحدهم – وما أكثرهم ، لا كثرهم الله – راح يسوق الأدلة الواهية والمنكرة على حل الغناء ، وراح يطعن في الأدلة الصحيحة الصريحة التي تحرمه ويسفّه أصحابها. وإذا أردت الاستفاضة في الرد عليه فإن ذلك يستغرق كتاباً بأكمله ، ولكن يكفي هنا أن أشير إلى رؤس أقلام أورد فيها الأدلة على التحريم لأبرهن للمرتزق أنه قد تجاوز حدود الله وظلم نفسه وقال على الله ورسوله بغير علم. والله يقول في كتابه: "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم". ويقول: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون". وإذن فالقول على الله بغير علم قرين الشرك والإثم والبغي بغير الحق والفواحش ، هذا إن كان القول بغير علم ، فما بالناس إن كان القول بعلم وبتحريف للدليل الصريح الصحيح وتقوية الادعاءات والموضوعات والافتراءات الواهية؟ والآن نبداً في إيراد الأدلة اليقينية على تحريم الغناء وتجريم المغنين ومستمعي الغناء:- \* أولاً: أدلة القرآن:

1- قوله تعالى يخاطب إبليس: (واستغزز من استطعت منهم بصوتك). ذهب جمهور المفسرين إلى أن صوت إبليس في هذه الآية الغناء واللهو واللعب. وكتب المفسرين موجودة يمكن الرجوع إليها في هذه الآية. 2 – قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك في عذاب مهين). أغلب المفسرين على أن المقصود بلهو الحديث الغناء ، وعلى رأسهم الطبري والقرطبي. 3 – قول الله تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون). في التفسير: (وأنتم سامدون) أي تغنون وتسمعون للغناء. والسمود في اللغة الغناء والاستماع إليه وترجيعة. 4 – قول الله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) فالمكاء الصغير ، والتصدية التصفيق ، ومعلوم أن الغناء قرين هذين. وهذا مستقراً بالواقع المعاش ، إذ ما من أغنية تخلو من الصغير أو التصفيق أو التهريج! \* ثانياً أدلة السنة:- 1- حديث البخاري ، قال النبي ﷺ: (ليكون في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم (أي جبل) يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً فيبهتهم الله ويضع العلم عليهم ، ويمسخ آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة). ولقد طعن ابن حزم في هذا الحديث وحكم بأنه منقطع وردّ عليه العلماء من عهد ابن الصلاح وابن حجر – رحمهما الله. والمعازف تشمل جميع آلات اللهو والطرب من طبل ومزمار وطنبور وعود وكوبة وربابة. فمعنى أن يقول الرسول يستحلون إذن فهي حرام. وهذا يفهم بالبديهة اللفظية والعقلية معاً ، ولو كانت مباحة لما قال كذلك. ولقد قال بهذا القول كثيرون من قبل.

2 – ما رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال: (يبئ قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون وقد مسخوا قرده وخنازير. وليصيبنهم خسف وقذف ، حتى يصبح الناس فيقولون: خسف الليلة



ببني فلان وبني فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواص ، وليرسلن عليهم حاصباً (حجارة من السماء) كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور ، وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً ، على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم). وهذا الأمر ليس بعيداً عن أشباههم من المعاصرين أمثالهم!

3 - حديث البخاري الذي يعرف بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان بغناء بعاث والرسول يسمع. فلما دخل أبو بكر قال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ! فأقبل عليه الرسول ، وقال: دعهما. وإذن فتسمية أبي بكر غناء الجاريتين بمزمار الشيطان دليل تحريم. 4 - ما رواه ابن ماجة في سننه (ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنزير. \* ثالثاً: أقوال سلفنا الكريم: وهذي طائفة منها: - القاسم بن محمد: الغناء باطل ، والباطل في النار. - الفضيل بن عياض: الغناء راند الفجور. - يزيد بن الوليد بن عبد الملك: إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعليه فجنوبه النساء فإن الغناء داعية الزنا. - الحُطينة: عندما نزل برجل من العرب ومعه ابنته ، فلما جنّ الليل سمع غناء ، فقال لصاحب المنزل: كُف عني هذا. فقال: وما تكره من ذلك؟ قال: قال إن الغناء راند من رادة الفجور ، ولا أحب أن تسمعه ابنتي ، فإن كفته عني وإلا خرجتُ عنك. - سليمان بن عبد الملك: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة ، وإن الفحل ليهدر فتصنع له الناقّة ، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز ، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة. - الإمام الجليل أحمد بن حنبل: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. - مالك بن أنس: إنما يفعله عندنا الفساق. - مكحول: من مات وعنده مغنية لا يصلى عليه. - الشافعي: إن الغناء لهو ومكروه ويشبه الباطل والمحال ومن استكثر منه فهو فاسق تردّ شهادته. - أبو إسحق قال في التنبيه: ولا تصح الإجارة على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر. - في فقه الحنابلة: باب الإجازة من زاد المستنقع: (فلا تصحّ الإباحة في العين على نفع محرم كالزنا والزمر والغناء وجعل داره كنيسة أو لبيع الخمر). هـ. والغناء في القرآن والسنة على ما ذكر صاحب (ففرؤا إلى الله صد 97) له أسماء منفرة (اللهو - اللغو - الباطل - الزور - المكاء - التصديةة - رقية الزنا - قرآن الشيطان - منبت النفاق - الصوت الأحمق - الصوت الفاجر - صوت الشيطان - مزمار الشيطان - السمود). فأنشدت هذه القصيدة أطلب من المرتزق فيها أن يقرأ ويطلع قبل أن يفتي الناس ويقطع في المسائل لا لشيئ إلا ليرخص للناس في الحرام ، وليربت على شهوات الناس ولينزل لهم على شهواتهم!

ألا إن ارتزاقك مســـــــترب	وليس له - من التقوى - نصيب
جرئاً أنت في كـيـل التجني	بأسلوب تشييعه الذنوب
وترتجل التطلّـول بافتعال	فيندلع التخاصم والحروب
وبالتحريف تطلق شرّ فتيا	وفي يمناك - للاحى - عسيب
فهل صادرت حريّات قوم	لذلك ما استطاعوا أن يعيبيوا؟



هراءك أيها الخب الكذوب؟  
لنفتع مَن لهزلك يس تجيب؟  
وهل يرضى بما تهذي اللبيب؟  
أتبكيها كما يبكي الرقوب؟  
فإن الله يقبل مَن يتوب  
بفتوى تقشعر لها القلوب؟  
بآيات تلاوتها تطيب  
بها يستبشر القلب الكئيب  
لنفتي بالإباحة يا خطيب؟  
وبالأنغام تفتتن الشعوب!  
وبالأحمان يستعر الهيب  
أتحسب أنه غاب الرقيب؟  
ووجهك سوف يغشاه الشحوب  
ويخنقك التفجع والنحيب  
وما استويا المفراط والمئيب!

وهل كملت أفواهاً تجالي  
وهل أشهرت ثرثرة التحدي  
رويدك ، لا تبغ ديناً بديننا  
ولا تغررك دنيا سوف تفني  
وتب يا صاح مما قلت ، واندم  
أبالإسلام ترتزق احتيئالاً  
وتحريريم الغناء له دليل  
وأخبار عن المختار تترى  
وكيف رأيت خيراً في الأغاني  
أليست تنشر الفحشا جهاراً؟  
وترشد للردائل والدنيا  
وتأتي تطلق الفتوى جزافاً  
ستلقى الله يوم الحشر فرداً  
ويفضحك المهيمن في البرايا  
فبادر بالمتوبة ، واغتمها

## لماذا التجني على العثمانيين؟

(أورد أصحاب (موسوعة التاريخ الإسلامي الميسرة) دفاعاً فذاً منصفاً عن العثمانيين. وأضّم صوتي إلى صوتهم بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور علي الصلابي في كتابه: (الدولة العثمانية) وهو يتبنى ذات الرأي في الدفاع عن آل عثمان. ظل العثمانيون في حروب وجهاد ضد أعداء الإسلام أكثر من ستة قرون ، ويكفيهم فخراً أنهم فتحوا القسطنطينية بعد أن عجز من سبقهم عن فتحها ، واستطاعوا أن يفتحوا بلاداً لم يطأها أحد من المسلمين قبلهم وامتدت فتوحاتهم إلى قلب أوروبا ، ففتحوا اليونان ويوغسلافيا (الصرب والجبل الأسود الآن) والبوسنة والهرسك وألبانيا ومقدونيا وبلغاريا والمجر ورومانيا والمجر وبساربيا (ملديفيا) وأوكرانيا وقبرص وأجزاء واسعة من روسيا والنمسا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا كما أنهم فتحوا ما بقي من آسيا الصغرى: (تركيا حالياً) وأرمينيا وجورجيا وكافة بلاد القوقاز ، وتوقفت فتوحاتهم عند أسوار فيينا. والحقيقة أن الدولة العثمانية ظهرت منذ عام 699هـ ، ولكنها لم تتسلم مقاليد الخلافة إلا في عام 923هـ لتتحول من مجرد دولة إسلامية إلى مقر للخلافة الإسلامية وحامي حمى الإسلام ، حتى انطوت صفحاتها في عام 1337هـ. وبرغم أنها لم تشمل كل الأمصار الإسلامية ، لكنها ضمت أكثرها وكانت محطاً لأنظار المسلمين في الأمصار التي تخرج عن نطاقها بصفتها مقراً للخلافة ، وبصفة أن حاكمها خليفة للمسلمين ، وأيضاً لكونها دولة من الدول العظمى آنذاك في العالم إن لم تكن أعظمها. ولعل من أهم أهداف هذا الجزء بعد معرفة هذه الفترة الزمنية الهامة من تاريخ المسلمين هو إزالة التشويه الكبير الذي لحق بالخلافة العثمانية ، والذي درج عليه أعداء الإسلام في أوروبا النصرانية بدافع من حقدهم الصليبي الشديد على الإسلام ، وللأسف الشديد تبعهم الكثير من مؤرخي المسلمين بدعوى التقليد الأعمى لأوروبا باعتبارها رمز الحضارة العصرية وتقدمها في مختلف علوم المعرفة: (والله لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم). وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو: لماذا بالذات هذا الكم الكبير في التشويه في حق الخلافة العثمانية مقارنة بأي خلافة أخرى في تاريخ المسلمين؟ لقد كان العثمانيون يقاتلون أوروبا حتى قيل إنهم كانوا يحاربون في الأربع جهات الأصلية في سبيل الإسلام في وقت واحد ، فمن الغرب يقاتلون إمبراطورية النمسا والأسبان في المغرب العربي ، ومن الجنوب يقفون في وجه البرتغاليين في الجزيرة العربية ويضغطون على الروس من الشمال ليخففوا من وطأتهم على النتر والشراكسة المسلمين ، ومن الشرق يحاربون الشيعة الذين عقدوا حلفاً مع الصليبيين لمحاربة أهل السنة والجماعة بصفة عامة والخلافة العثمانية السنية بصفة خاصة. فماذا ننظر من نصارى أوروبا إلا التشويه للخلافة العثمانية ، لقد سجّلوا كل سلبية لها وبالغوا فيها ، وجاعوا بكثير من الافتراءات ، وتجاهلوا تماماً إيجابياتها ، بل وعدّوا الحكم العثماني استعماراً دخل بلاد المسلمين بالقوة والقهر لكي يحدثوا الفتنة بين المسلمين ويفرقوا شملهم ، وأثاروا العرب خاصة إلى مناهضة العثمانيين. فالخلافة حسب دعواهم يجب أن تكون محصورة في العرب ، ونسي بعض العرب قول الرسول ﷺ (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى). وأخذ الأوروبيون يُصوّرون كل حركة ضد العثمانيين نصراً سواً كان للمسلمين أو النصارى ، ويصفون القائم بها بالإخلاص والوطنية حتى لو كان القائمون بها من قطاع الطرق. وجاء الأوروبيون بأفكار القومية ليشتموا ويفرقوا المسلمين حتى يتكون المناخ الملائم لأوروبا لكي تلتهم الأمصار الإسلامية واحدة تلو الأخرى ، وبسبب النجاح الكبير الذي حققته أوروبا في تفريق المسلمين والوصول بهم لحالة من التأخر والتخلف اتجهت

أنظار كثير من المسلمين إلى أوروبا كنموذج للتقدم والازدهار ، وأقبل عليها الكثيرون من طلبة العلم من بلاد المسلمين الذين يجهلون الكثير من أمور دينهم ، فنقلوا ما تعلموه من ضلال وتشويه حرفياً ، وكتبوا المناهج الدراسية والتاريخ بما أملاه عليهم أعداء الإسلام ، فكانت النتيجة أن هيمنت فكرة سينة على كثير من المسلمين ، وهي أن الخلافة العثمانية هي المسؤولة كلية عما وصل إليه المسلمون من تخلف وضياع ، وأن الوسيلة الوحيدة للنهوض بالأمة الإسلامية هو التقليد الأعمى لأوروبا لكي تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم وازدهار ، ونسى المسلمون أنه ما كانت لتقوم لهم قائمة في الأرض إلا بتمسكهم بدينهم وأن ما لحق بهم من ذل ودمار كان نتيجة طبيعية لتركهم دينهم وحب الدنيا والانغماس في الشهوات. ولا نقول أن الخلافة العثمانية كانت تمثل الإسلام بشكل صحيح أو كانت تخلو من الأخطاء ، بل نقول إن لها سلبيات وإيجابيات ، شأنها شأن الخلافة منذ عهد الأمويين وحتى العهد العثماني ، فهكذا كل عصر له إيجابياته وسلبياته التي يجب أن نبرزها لكي نستفيد من الإيجابيات ونتعلم من الأخطاء فلا نكررها. ولنبدأ في تناول هذه الصفحة اللامعة من تاريخ المسلمين . لقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن جمهورية تركيا الحالية (آسيا الصغرى سابقاً) هي الموطن الأصلي للأتراك العثمانيين والتي ترجع إليها أصولهم ، ولكن هذه المعلومة خاطئة تماماً ، فالأتراك موطنهم الأصلي هو بلاد تركستان الموجودة بأواسط آسيا والتي تمثل أراضيها الآن جمهوريات قازاقستان وتركمانستان وطاجكستان وقيرغيزستان وأزوبكستان والتي استقلت مؤخراً عن الاتحاد السوفيتي السابق ، بالإضافة إلى جزء تحتله الصين حتى الآن يعرف بتركستان الشرقية ، والذي تطلق عليه الصين إقليم سيكيانغ أي الولاية الجديدة ، ويوجد جزء آخر من بلاد تركستان في كل من إيران وأفغانستان ، والذي كان يعرف سابقاً بخراسان حتى اقتسمته كل من إيران وأفغانستان وجمهورية تركمانستان. والسؤال الآن كيف انتقلت بعض قبائل الترك إلى آسيا الصغرى (الأناضول)؟ يرجع الترك إلى الجنس المغولي (ذوي البشرة الصفراء) أو (أبناء يافث بن نوح) التي تضم معظم قارة آسيا مثل الصينيين واليابانيين والمغول والتتر والملايو وغيرهم. وكان الترك معروفين ببأسهم الشديد وقدرتهم الحربية الفائقة نظراً لقسوة البيئة التي يعيشونها حيث المرتفعات والأودية الجافة والصحاري ، ويشاركهم في ذلك أبناء جلدتهم المغول والتتر وكانوا قبل الفتح الإسلامي يعبدون الأوثان والكواكب والنجوم. وفي عصر الدولة الأموية فتح المسلمون هذه البلاد ، ودخل أهلها في دين الله أفواجاً وتوارد على فتحها قادة مسلمون ذوو حماسة شديدة للإسلام ، أشهرهم قتيبة بن مسلم الباهلي وآل الملهب الذين ولاهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأعز الله الإسلام بالترك. نعود إلى السؤال الذي طرحناه منذ قليل وهو ، كيف وصلت بعض قبائل الترك إلى آسيا الصغرى؟ والإجابة: أنه في عهد الدولة العباسية زاد نفوذ الترك فقد عمل العباسيون على توطئ أقسام من جيش خراسان في الأجزاء الأناضولية التابعة لهم والمتاخمة للإمبراطورية البيزنطية ، وكانت الحدود بينها وبين الخلافة العباسية يطلق عليها الثغور ، والتي كانت مسرحاً للقتال بين الطرفين ، وكان الخليفة المهدي يستقدم الأتراك من فرغانة (جمهورية قيرغيزستان) وبلخ (في خراسان) ويسكنهم الثغور في طرطوس وأضنة ومرعش وخرشنة وغيرها ، وكلها في المناطق الجبلية الفاصلة بين المسلمين والروم وزاد عدد الترك في هذه المناطق في عهد المأمون والمعتصم. وفي عهد المتوكل أصبح الأتراك هم عماد الجيش في الدولة وأصبحت الثغور الأناضولية تحت إمرتهم وكانوا يخضعون للخليفة العباسي تارة وللمحمدانيين في حلب تارة أو للطولونيين في مصر تارة أخرى! ورغم هذا الانقسام فإن القتال لم ينقطع بين المسلمين والروم ، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين. وفي مراحل ضعف الدولة العباسية ظفرت دولة السلاجقة وهم من الأتراك وكانوا في صراع دائم مع الروم وأبرزهم ألب أرسلان عندما انتصر الروم

انتصاراً حاسماً في معركة ملاذكرد عام 463هـ. وانساح السلاجقة بعد تلك المعركة في الأناضول وأسسوا إمارات كثيرة واستطاع السلاجقة المنتشرون في الأناضول أن يقدموا للمسلمين آثاراً إيجابية كثيرة منها: استرداد بعض الأجزاء من الروم التي سبق أن أخذوها من المسلمين وفتح كثير من أراضي الأناضول وزاد التوسع والانتشار كثيراً في أيام ملكشاه بن أرسلان وبقيت بعض الإمارات الصليبية في الأناضول ثم فتحها بالكامل في عهد العثمانيين. وعندما جاء الهجوم المغولي على بلاد المسلمين خاف بعض الحكام وتحالفوا للأسف الشديد مع المغول الكفرة ضد أبناء عقيدتهم المسلمين. ووقعت بلاد السلاجقة بيد المغول واستسلم أمراؤها وصاروا معهم حرباً على المسلمين ثم هزم المغول في عين جالوت سنة 658هـ ، وخرجوا بعدها من بلاد الشام فسار الظاهر بيبرس عام 675هـ إلى بلاد السلاجقة لينتقم منهم ، والتقى بهم وبحلفائهم المغول والكرج في معركة البستان ، وانتصر عليهم ثم سار ففتح عاصمتهم قيصرية ومع ضعف المغول زالت دولة سلاجقة الروم ، وقامت عدة إمارات في الأناضول منها أبناء أيدين وأبناء تركة وأبناء أرتنا وأبناء كرميان وأبناء حميد وأبناء أشرف قره عيسى وأبناء صاروخان وأبناء منتشا وأبناء جانبديرا (أسفنديار) وأبناء بروانة وأبناء صاحب آتا وأبناء قزمان وأبناء رمضان وأبناء ذي القادر. وكادت الأناضول أن تصاب بمثل ما أصيب به المسلمون في بلاد الأندلس وبلاد التتار نتيجة لتفرق المسلمين ومحاربتهم لبعضهم البعض والاستعانة بأعداء الإسلام على المسلمين رغم ما حذرنا منه الله عز وجل من آثار التفرق في كتابه الكريم: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم).هـ. فلما قرأت هذه الصفحات قررت أن أدافع عن العثمانيين شعراً ، فأشددت من شعري وعلى البحر البسيط والقافية النونية أقول:

قلدتكم مدحتي يا آل (عثمانا)	يا أصدق الترك إسلاماً وإيماناً
وصغتُ مدحي قصيداً سامراً غرداً	يفيضُ جرساً وأنغاماً وأحاناً
أنتم جديرون بالأمجاد ننشدها	شعراً - على حبنا - قد بات برهانا
لما أتيتُ إلى التاريخ أسأله	عنكم فقلتُ له: أريدُ تبياناً
ما شأنهم؟ ما الذي شادوه من مدن؟	أمسى البناء - على الإصلاح - عنواناً
وما الذي فتحوا - في الأرض - من بلدٍ	فحرروها أقاليماً وعُبدانا؟
وما الذي عمروا - في البيد - من رقع	إذ أشبعوا الدار والأصقاع عمراناً؟
وما الذي حفظوا في الدار مذ وطئوا	أرض الديار فبات القفر أوطاناً؟
فقال: يا صاح خط القوم سيرتهم	وأرخصوا - في شراء المجد - أثماناً
وما استكانوا لما يعوق ما طمحووا	إليه ، بل أثنوا - في الأرض - إثناناً

وأيقنوا - بانتصار الحق - إيقاناً  
إذ تابَعوا الغزوَ مِـدَاناً فمِـدَاناً  
وأحسنوا لأسارى الحرب إحساناً  
ففي السلم والحرب أخلاقاً وميزاناً  
وهم دعاة هُدًى سِـرّاً وإعلاناً  
على جهاد دعاة الشر أزماناً  
ورغم هذا يُعادي آل عثماننا  
مدى الحياة ، وإن هم غالطوا الآننا  
كفأك - يا غربُ - تضليلاً وبُهتاناً!  
ومَن يصدّقُ أفاكاً وخواناً؟  
لأن - للحق - أنصاراً وأعواناً

وأرخصوا - في سبيل الله - ما امتلكوا  
وفي الميادين - مِن أجنادهم - خبرٌ  
وحققوا النصر ، والأعداءُ قد شهدوا  
وأفهموا زمرَ الكفار أن لهم  
همُ الأساطينُ إن صالوا ، وإن سكنوا  
قرونهم سِـتة - في الغزو - شاهدة  
والغربُ يعرفُ - في الهيجا - بطولتهم  
لهم فتوحاتُ (أوروباً) ستذكرها  
لم التجني عليهم دونما سبب؟  
إن الحقائق - رغم المكر - ما خفيتُ  
لن يطمس الزيفُ حقاً عز جانبه

## يتقي السهم بالرغيف

(في مجالس النساء) ص 100- خبرٌ يقول: (استدعى نائبُ مصر ابنَ الفرات ذات يوم فقال له: ويحك إن نيتي فيك سيئة ، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك. فأراك في المنام تمنعني برغيف. وقد رأيتك في المنام من ليال كآني أريد القبض عليك ، فجعلت تمنع عليّ ، فأمرت جندي أن يقاتلوك ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك ، فلا يصل إليك شيء! فأعلمني ما قصة هذا الرغيف؟ فقال: أيها الوزير إن أمي منذ أن كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفاً ، فإذا أصبحت تصدقت به عني ، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت. فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي ، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفاً ثم أصبح فأصدق به. فعجب الوزير من ذلك وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوءً أبداً ، ولقد حسنت نيتي فيك وقد أحببتك).هـ. وتحت عنوان: (أحاديث في المعروف) يقول الدكتور منقذ بن محمود السقار ما نصه: (والمعروف هو فعل الخير وإسداؤه للعباد ، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون ، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه ، أو علماً ، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس ، كحسن المعاملة وإمطة الأذى وعبادة المرضى. {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}. فقوله: {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير ، وقال تعالى: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} وقال: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}. والأنبياء هم أسرع الناس إلى طاعة الله ، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم ، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف. فهذا إبراهيم الخليل ، بلغ هذه المنزلة بصناعته للمعروف ، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال لإطعامه الطعام يا محمد). وهذا موسى عليه السلام {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير}. وقال الله على لسان عيسى: {وجعلني مباركاً أينما كنت}. روى أبو نعيم وغيره بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيره للآية: (جعلني نفاعاً للناس أين اتجهت){الدر المنثور}. وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم. رواه مسلم).هـ. فأعجبني ذلك الخبر الجميل عن ابن الفرات واتقائه برغيف الصدقة ، فأنشدت فيه هذه القصيدة:

إن العطماء مطيئة الأرواح	لبلوع ما ترجو من الأفراح
والله ما استتويا بذول مخلص	ومقتّر في شُحّه الفضاح!
إن الجواد - بجوده - أسر الوري	حتى شدّوا بعطائه الصّراح
لا شيء - بعد الدين - يرفع أهله	كالجود يروي طيب الإصلاّح

تُفضي إلى مرثية وجراح  
ويرؤنه - في الخلق - كبش نطاح  
هو مدمنٌ أمسى صريعَ الراح  
يسعى - له - في غدوةٍ ورواح  
قد حازه بمشقةٍ وكفاح  
من جند (والي مصر) شرّ رماح!  
بالسوء ، يحصدُ غالي الأرواح!  
فاهتاج - بالدعوات - للفتاح  
فاسترسلتُ بدعائها الملحاح  
فدعا - لفارج همّه - بنجاح  
برغيف أمّ مؤذن بفلاح  
تودي بأي مخاضم وسلاح؟  
والأمرُ بقاء - على الملا - بسماح  
فتقي من النكبات والأتراح  
فجزاك ربك أجره ، يا صاح  
نعم الرغيف يُخصّ بالأمداح!  
يمحو الظلام قبالة المصباح  
بيراعة الكُتّاب والشراح  
أكرم - بهذا النص - من مفتاح!

والشخّ يُورث - في الضمانر - حسرة  
والناسُ أعداءُ البخيل جميعهم  
يحيا لكنز المال في دنيا الورى  
لا شئ يشغله سوى ديناره  
لا يتقي المكروه بالمال الذي  
(وابن الفرات) كم اتقى برغيفه  
ما أجمل الصدقات تدفع طارقاً  
فعل عبداً بالرغيف رمى الطوى  
ولعل أمّاً أطعمت أولادها  
ولعل محتاجاً تملكه العطا  
(يا ابن الفرات) وقيت غائلة الردى  
ما السهم إن شمع الرغيف كجنة  
وعفا الذي يرجو العقاب لمن أسا  
وصنائع المعروف تختصر المدى  
يا (ابن الفرات) بذلت بذل تفضل  
ورغيفك انتظم المدائح عذبة  
هي قصة غزت المراجع كالضيا  
وحكاية - لأولي البصائر - حُقت  
كم من مغالق فتحت بنصوصها



## كالأيتام - بل والله - أذل

(انشغل هذا الأب عن أولاده جرياً وراء لقمة العيش ، تلك التي أصبحت وثناً يعبد من دون الله. وطال انشغاله للحد الذي لا يراهم فيه إلا قليلاً رغم أنه يسكن في نفس البيت. وكذلك الأم تخلت عن دورها في إكمال فراغ الأب وتربية الأبناء. اصطنعت المشاغل والمشاكل معاً ، فهَمَّشت بذلك دورها وجعلت الأولاد على هامش حياتها ، وبدأت مرحلة أخزى من هذه المراحل ، بأن تجعل لهم بعض فضول الأوقات. إلى أن تلاشى ذلك تماماً. فكان الأولاد فعلاً كالأيتام. بل الأيتام يمكن أن يعطف الناس عليهم ، وصدق في ذلك قول شوقي في وصف اليتيم:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من	هم الحياة ، وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدينا الحكمة منهما	وبحكم تربية الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له	أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

فلما نظرتُ لهذه الأسرة المنكوبة الضائعة أدركتُ ما يرمز إليه شوقي من تعريف اليتيم الذي أبواه على قيد الحياة ، ولكنهما في حكم الميتين من ناحية التربية والتأثير. فلا أثر لهما على الأبناء بالمرّة ، وذلك لكثرة انشغال الأب بالعمل والسعي على المعيشة للحد الذي يستغرق وقته كله ، وأما الأم فهي الأخرى مشغولة بصوحيباتها وبزياراتها وبخلافاتها ومشاكلها التي لا حدود لها - وكأنها خلقت للمشاكل - وبتلفازها وبهواتفها التي لا تكف عن الرنين والكلام. وإذن فالأبناء من الناحية الشكلية والصورية لهم أبوان بين الناس ، بينما هم في الحقيقة لا يحظون بأي نوع من أنواع التربية ولا التأثير ولا الاهتمام إطلاقاً ، فباتوا كالأيتام ، بل هم أذل في تصوري من الأيتام ، إذ الأيتام يتعاطف الناس معهم ويوجهونهم ويربونهم ويشفقون عليهم ويلتمسون لهم الأعذار إن هم أخطأوا. وتحت عنوان: (الأب مشغول ، والأم في الأسواق!) قال الأستاذ عبد الملك بن محمد القاسم ما نصه: (لم يعد أمرُ تربية الأبناء ذا شأن في حياة الوالدين ، على الرغم من أهميته. بل إن الملاحظة - مع الأسف - أنه في أقصى قائمة اهتمامهم. فالأب مشغول حيث أرقه الجري واللهث وراء حطام الدنيا ، والأم تضرب أكباد الإبل للأسواق ومحلات الخياطة ، ولا يجد أيّ منهما وقتاً للتفكير في أمر فلذات الأكباد. سوى توفير الغذاء والكساء فيتساويان مع الأنعام في ذلك. أما ذلك الطفل المسكين ، فإنه أمانة مضيعة ، ورعاية مهملة ، تتقاذفه الريح وتعصف به الأهواء. عرضة للتأثيرات والأفكار والانحرافات. في حِضن الخادمة حيناً وعلى جنبات الشارع حيناً آخر. وتلقى القدوة المسيئة ظلالاً كالحة على مسيرة حياته. بعض أطفال المسلمين لم يرفع رأسه حين يسمع النداء للصلاة. وما وطأت قدمه عتبة باب المسجد ولا رأى المصلين إلا يوم الجمعة أو ربما يوم العيد. وإن أحسن به الظن فمن رمضان إلى رمضان. أما حفظ القرآن ومعرفة الحلال من الحرام فأمر غير ذي بال. قد يخالفني الكثير في ذلك التشاؤم. ولكن من رصد واستقرأ الواقع عرف ذلك. وهناك مثالان أو ثلاثة تبين موضع الأمانة ، ومدى التفريط! - الأول: كم عدد أطفال المسلمين الذي يحضرون صلاة الجماعة في المسجد؟ - والله. كأننا أمة بلا أطفال ، وحاضر بلا مستقبل! نحن أمة كذلك؟! كلا. هؤلاء تملأ أصواتهم جنبات الدور والمنازل والمدارس ويرتفع صراخهم في الشارع المجاور للمسجد. ولكن أين القدوة والتربية. - الثاني: من اهتم بأمر التربية وشغلت ذهنه وأقلقت مضجعه- أو ادعى ذلك- إذا وجد كتاباً فيه منهج إسلامي لتربية النشء ، أعرض عنه لأنه

ثمين وغال. وهو لا يتجاوز دراهم معدودة وأخذ أمر التربية اجتهاداً وحسب المزاج وردة الفعل. وهذه اللامبالاة نجد عكسها تماماً في واقع الحياة. فإن كان من أهل الاقتصاد فهو متابع للنشرات الاقتصادية ويدفع مبالغ طائلة لشراء المجلات المتخصصة. ويحضر الندوات ويستمتع المحاضرات ولا تفوته النشرة الاقتصادية في أكثر من محطة إذاعية وتلفاز و..؟! وإن كان من أصحاب العقار فهو متابع متلهف لا تفوته شاردة ولا واردة. ولنر الأم في أغلب الأسر. كم أسرة لديها كتاب حول التربية الإسلامية للطفل؟! - الثالث: يعطي الأب من وقته لبناء دار أو منزل أوقاتاً ثمينة فهو يقف في الشمس المحرقة ، يدقق ويلاحظ ويراقب ويتابع. ويزيد وينقص. ونسي الحبيب. من سيسكن في هذه الدار غداً؟! هـ. ومن هنا أنشدت من شعري في تأبين هؤلاء الأيتام أقول:

أيتام حقاً ، والذي خلق الوري	بل هم أذل من الألى لعقوا الثرى
لم يعدموا الأقوات تُطفئ جوعهم	كلا ، وما عديموا الشراب مُوفرا
والبيت يضحك مُعجباً بأثائه	ورواقه يُهدي الضيوف الجوهرا
والسقفُ تغمره اللآلى تزدهي	منها الضياء - على البساط - تحدرا
وأرائك البيت الوسيع تزينت	وغدتُ تفوح لكل أنفٍ عنبرا
وحديقة تحوي الثمار شهية	تسبي العيون ، فتستسيغ المنظرا
فهل السعادة خيمت بظلالها؟	وهل النعيم غزا الربوع ونورا؟
وهل المحببة أرسلت أسرارها	في أنفيس - منها - الإخاء تبخرا؟
ما قيمة البيت الذي فقد الهدى	وغدا - بأصنام الحضارة - أغبرا؟
والوالدان - بلا اكتراثٍ - فرطاً	وغدا التشاغل - دون عذر - مظهرا
كلُّ تنازل - راضياً - عن دوره	والبيت تذرّوه الرياح بما جرى
وتسابقاً في ترك كل مهمة	والبيت أمسى للموائد والكرى
فأبُّ بريق المال يسلب لبه	والشيب لفته النصيحة مُندرا
أوهك ذا الأرزاق تشغل أهلها	وتضل عبداً واعياً مُستبصرا؟
فيظن يكدح ليلته ونهاره	ويبيع أخرة بديننا تُزدرى؟

حتى يعظّم - في الديار - المنكرا؟  
أوقد غدت - من كل شيء - أكبرا؟  
ويبيت - في حق المليك - مقصرا؟  
وتضاحك المسـتهترات تنـدرا  
وتفننن - في الهزل - أصبح أخطرا  
تالله ما سـطرت كـذباً مـفتري  
فكتبت ملتاعاً أصـور ما أرى  
وحيأوهم - فوق الدروب - تبعثرا  
مما يرون من الفجور مقنطرا  
والكيد يجتاح المدائن والقري  
ممن يقلب في المواقع أعصرا  
وتجر من يهوى الفضائل والذري  
والفحش أمسى - للرديلة - معبرا  
والعيش - من كل المبادئ - أققرا؟  
لمن اشتهى في هذه الدنيا الثرا  
من أن يرانا الناس نبنى الأدورا  
والشعر - بالنصح الطيف - تعظرا

أوهكذا الأمـوال تفـتن عبـداها  
وهل المعاشن - بالمذلة - نُجتني؟  
حتى يُضـيِّع والدُ أبنـاءه  
والأم توغل - في المشاغل - جهـداها  
ووليمة ، فحديقة ، فضـيافة  
وإضاعة للوقت أثمر شـؤمها  
هذي حقائق كنت قد عاينتها  
ورأيـت أولاداً يطـالهم الأذى  
من بعد ما سـحق الخنا أخلاقهم  
ألف من القنوات تسحر ناظراً  
(والنيت) ويح (النيت) يزدرد الغثا  
وجحافل الأصحاب تختصر المدى  
والخادمات لهن أكبر حصاة  
ماذا نؤمل من حياة أقفرت  
أولادنا يا قوم أفضل ثروة  
وبناوهم أغلى وأعلى رتبة  
بلغت ، والله المهيمن شاهدي

## عقوق لا يمحوه التجمل

(أورد أستاذنا / محمد عبد العاطي بحيري - حفظه الله - في كتابه العظيم (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) ص (253) سبعة عشر أدباً من الآداب التي يجب أن يتأدب ويتخلق بها كل ابن مع والديه. ويطيب لي أن أورد فقط هذه الآداب على ترتيب مؤلفها دون إيراد الشرح خشية الإطالة ، إنما نشير إليها مجرد إشارة: \* أن يعلم الابن أنه مهما قدم لوالديه فهو قليل في جانب ما قدمه له والداه من الجميل والمعروف. \* السلام عليهما عند الدخول عليهما ، وكذلك عند الخروج. \* لين القول لهما ، والتأدب المفرط عند مخاطبتهما. \* أن لا يرفع صوته أبداً بحضرتهما. \* أن لا يتقدم الابن والديه في المشي. \* تفقد مواضع راحتها وتجنب إزعاجها. \* تجنب مد اليد إلى الطعام قبلها. \* عدم الاستئثار بالطيبات دونها. \* أن لا يسافر إلا بإذنها. \* عدم التعرض لسخطها. \* الدعاء لهما بعد موتها والاستغفار لهما. \* أن يتصدق عنهما بعد موتها. \* أن يصل المسلم أقاربها وأصدقائها بعد موتها. \* زيارة قبرها إن ماتا. \* عدم تسمية الأب باسمه ولا الأم باسمها. \* تجنب الأمور المؤدية إلى عقوبها. \* أن لا يتسبب في شتمها).هـ. وإلى هنا ويختتم الأستاذ أدبه بهذا الدعاء الذي نؤمن عليه جميعاً. (اللهم يا من ليس في الوجود سواه. يا من عليه يعتمد. ومن فضله يسأل. جار كل مستجير. ومن هو على كل شيء قدير. يا من امتدت لمسألته أكف السائلين. وخرت لعبادته وجوه الساجدين. يا من إليه المشتكى. يا من له عنت الوجوه وخشعت له الأصوات سبحانه. اجعلنا يا ربنا بارين بآبائنا وأمهاتنا. وارحم من مات من آبائنا وأمهاتنا. وارزقنا التوحيد والعمل والإخلاص. وارزقنا لذة العيش بعد الموت. وحسن النظر إلى وجهك الكريم. والشوق إلى لقائك. اللهم إن كنا مقصرين في حقك والوفاء بعهدك. فأنت تعلم صدقنا في رجاء رفقك وخالص ودك. فتجاوز عن زلاتنا وفك أسرنا وأحسن عاقبتنا يا رب العالمين).هـ. إلهي إن كنت قصرت في حق والدي يوماً برفع صوتي عليهما أو عصيان أوامرهما أو التسبب في شتمهما أو السير أمامهما أو التحدث عنهما باسمهما مجرداً أو تسببت يوماً في أن يدعوا عليّ بأهون الدعاء أو أقساه ، فاللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلا وأسألك باسمك الأعظم الذي إن سُئلت به أُجبت وإذا استنصرت به نصرت وإذا دعيت به لبيت بأتك أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أن تغفر لي ذلك كله وأن تتجاوز عني وأن تقبلني في التائبين. آمين. وأعود بعد هذه الإطالة المتعمدة المقصودة إلى القصيدة التي أخذت نسق السطر الشعري لتناسب العقوق وأهل العقوق. أما مناسبة هذه القصيدة فتعود إلى أب مبتلى في ابن له بلغ من العقوق مبلغاً لا تستطيع الكلمات وصفه. وراح الأب يعظه المرة بعد الأخرى ، وينصح له مراراً وتكراراً ، ويوجهه سراً وعلانية. وبعد أول اتصال سأل والده عن عقوقه ألا يزال جاثماً. فقال له والده: نعم لا يزال عقوقك مؤثراً فينا. ولن يذهب التجمل إلا أن يشاء ربي شيئاً. فأشددت في ذلك حكاية على لسان الأب بعد أن تخيلت أنني في مكانه أقول للابن!

أفعاك الـنـكـراء ما زالت تكدر غربتي  
وتزيد من ألمي ، وتشعلن يا سفيهاً كربتي  
وتسيئني سوء العذاب بغلظةٍ وتعننت  
وتهيئ أخيلتي وتبعث ما انزوى من حيرتي

ويُذِيبُ قلبي ما ارتأى يا قاتلي من قسوة  
ويهيئُ إحساسي تذكرُ ما مضى من جفوة  
ويريب عاطفتي عقوقك إذ يوججُ صدمتي  
ماذا جنيتُ لكي تُحرقَ بالتطاول مهجتي؟  
أفصحْ وبيِّنْ يا شقيِّ تجاوزي وجريرتي  
أولم أعركَ بغير منٍّ مطمحي وشبيبتني؟  
وبذلتُ لم أبخلُ عليك لأن هذي شيمتي  
ونصحتُ من قلبي ولكن لم تُفدك نصيحتي  
ورميتني بتشديدٍ وتعصّبٍ وتزمت  
ووعظتُ يا دهقانُ وعظ منافع ذي همة  
ودفعتُ عنك وأنت تعلم في الخصومة صولتي  
ومددتُ في الأزمات والعثرات كف معونتي  
واسأل عن الإحسان يا هذا العقور قبيلتي  
وعققتني وعققت أمك يا عديم النخوة  
وسرى عقوقك في الصغار فقد طعنت رجولتي  
وسننت للأبناء يا عجريِّ أخبث سنية  
وسلكت درباً ينتهي يا هازلاً بتثبنت  
واليوم تسألني بكل ترهل وتفلسفت  
عما اجترحت ، أما لديك من الحيا من ذرة؟  
ماذا أقول عن العقوق أباد طعم البسمة؟  
وأحالي هدفاً لكل تنقص وتشتمت  
وهل التجمل سوف يمحو في الديار مصيبتني؟  
أيجفف التوهين والتلطيف يوماً دمعتني؟  
وأنا الذي لمّا رحلت طفقتُ أئثم فرحتني!

## لن أتركك وحدك

(في مايو 1960م أورد الأستاذ / محمود البدرى تحت عنوان (غرفة على السطح) قصة لطبيب انتقل إلى وحدة صحية في إحدى قرى الصعيد ليعمل هناك. وعاش في بيت متواضع بين الفلاحين وكان طبيبياً صاحب رسالة قبل أن تكون وظيفة فأحسن إلى الفلاحين وبذل أقصى ما في وسعه وزيادة. غير أن زوجته التي ألفت المدينة رفضت المقام معه في هذه القرية الصعيدية القاحلة. كان الدكتور عبد الفتاح من أبرع الأطباء الشبان ، وكان قد قضى ثلاث سنوات في الخارج يدرس طب المناطق الحارة ، فلما عاد إلى مصر اشتغل سنتين في مستشفى الدمرداش بالقاهرة ، ثم انتقل طبيباً لوحدة مجمعة بإحدى قرى الصعيد. وكان يعمل بإخلاص وعن عقيدة متمكنة ، وقد أفادته رحلاته في الخارج ، فأصبح أكثر تجربة ودراية بأحوال البشر ، وكان هو المحرك في الواقع للمجمع كله ، وعليه يتركز العمل ، لأن باقي الموظفين كانوا يتكفون به بعد أن ينتهي عملهم ويسرعون إلى بيوتهم في البندر ، أما هو فكان يبقى ويغري الموظفين على البقاء ، لأنه كان يعتقد أن الريف المصرى لا يمكن أن يتقدم أبداً ، مادام الموظفون يتكفون به إلى المدينة. وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن هذا المجمع نفسه ، سيُخيم عليه الظلام وينسج عليه العنكبوت خيوطه إذا ترك أمره للممرض والخفير وفراش المدرسة. وفي الشهر الأول من قدومه ، قابله الفلاحون بالصدود والتوجس ، وكانوا يتكفون ويذهبون إلى أطباء البندر. وظل في حيرة حتى عرف السبب ، فقد كان الطبيب الذى قبله يمتص دماءهم ويفرض عليهم أن ياتوا إلى عيادته ليتقاضى منهم أتعابه أضعافاً مضاعفة ، فكره المرضى من الفلاحين المجمع ، وأصبح بنائة بيضاء من غير روح تسييره. وظل الدكتور عبد الفتاح ، يقاوم هذا الجفاء بإنسانيته وبصيرته حتى أعاد ثقة الفلاحين إلى بنائة الحكومة ، وكان إذا سمع عن مريض عاجز عن الحركة يذهب إليه بنفسه ، ويظل يتردد عليه حتى يشفى ولا يتقاضى منه أجراً على الإطلاق. وإذا ذهب إلى البندر يكون كل همه أن يحصل على الأدوية النادرة التي تنفع الفلاحين ، وتعالج أمراضهم المزمنة المستعصية ، ويدفع ثمنها من جيبه. وخلال فترة قليلة ، تحول الفلاحون إليه بقلوبهم ، وأصبح محبوبهم وأدركوا أنه المصباح الحقيقي المنير في القرية وكان هو يشعر بسعادة غامرة ، وهو يرى الوجوه المنقبضة تتفتح للحياة وتتطلع إلى المستقبل. وكان الماضي يميزهم (خداع الموظفين لهم ، واستغلالهم جهلهم ، وحيل الصراف عليهم ، وغشهم في الشونة وسرقتهم في الميزان ، عند توريد المحصول ، ومشاكل السماد والبذور ، ومياه الري ، واضطرارهم إلى الاستدانة بالفائدة الباهظة. ثم الآفات الزراعية التي تنزل بهم) كل هذه الأشياء حطمتهم ، وجعلتهم يمكرون ، ويسرقون ، ويكذبون ، ويخدعون ، ويعشون ، ويقتل بعضهم بعضاً ، وكانوا يتوجسون شراً ، من كل شئ جديد. ولما قام المجمع ، بعيداً عن القرية ، تطلعوا إليه في وجوم وتوجس ، فلما سرت فيه الروح الإنسانية ، وأصبح منارة في هذا الظلام ، وأقبلوا عليه ، ونسوا الماضي كله. وسرّ الدكتور عبد الفتاح من نجاحه في الريف ، وكتب لزوجته يصف أحلامه وما يعده لها ليحبب إليها الريف ويرجوها أن تحضر ولو لزيارة قصيرة ، وردت عليه أنها ستحضر في يوم الخميس لتقضى معه أياماً قليلة. وذهب ينتظرها على المحطة وكان هناك موكب من كبار وصغار أهل القرية في استقبالها. وعاد بها إلى بيته ، ورأت بعينيها البيت صغيراً ونظيفاً ومضاء بالكهرباء ، وحوله الغيطان ولكن كيف تعيش وحيدة ، وسط أشجار النخيل ، ومع من تتحدث ومع من تقضى النهار ، وإلى أين تذهب في الليل ولمن ترتدي الفساتين الشيك ولمن تتزين. وذات يوم جاء خفير المجمع ، وأخبره



أن فلاحاً مريضاً بالخارج في حالة إعياء شديدة يطلب الكشف. وأسرع إليه الطبيب فوجده بين الحياة والموت ، وكان قلبه في حالة هبوط شديدة فأعطاه حقنة مقوية ، ولكن الرجل مات في أثناء الحقنة ، وتآلم الطبيب ، وصرخ أهل الميت ، وسرى خبره في القرية ، من أن الدكتور عبد الفتاح قتل الشيخ عبد الجليل بالحقنة التي أعطاهها له. وتجمع أهل الميت ، وزحفوا على بيت الطبيب وفي عيونهم الشر ، ونسي الفلاحون كل حسنات الطبيب في ساعة واحدة ، وتحولوا جميعاً إلى وحوش. وبقي الطبيب بالداخل يقابل هياجهم بالهدوء والصمت والاسترجاع ، وكان الخبر قد وصل إلى وكيل العمدة فأسرع إلى المكان ، ونهر الفلاحين وضرب الذي أطلق النار وقال لهم في غضب: هل نسيتم كل ما فعله لكم الرجل ، إنكم أنذال حقاً ، ولا تستحقون الخير من إنسان ، واستمر يعنفهم ويوضح لهم حقيقة الأمر ، حتى هدأوا وانصرفوا. وقالت ناهد لزوجها الطبيب بعد ذلك: كيف تعيش وسط هؤلاء الوحوش؟ فقال: هذا لا مناص منه ، لأعيد إليهم إنسانيتهم ، التي سلبت منهم من سنين. فقالت: وهل أنت مسؤول عن هذا؟ فقلت: إذا لم أكن مسؤولاً فمن هو المسؤول؟ فقالت: ولكنك ستلاقي العذاب والوقت سيطول بك. فقلت: هذا صحيح ، ولكنني سأصل إلى بغيتي حتماً ، وأنا على يقين. فقالت: ألا تفكر في النقل؟ فقلت: أبداً لن أفكر في هذا ، سأبقى هنا ، لتظل هذه المنارة مضاعة. فقالت: إذن سأبقى معك ، لا يمكن أن أتركك وحدك بعد اليوم).هـ. وهناك في منتدى (عدلات) النسائي وقعت على هذه الدرر للمرأة المسلمة: (إليك سيدتي خمس نصائح بسيطة تطيعين من خلالها زوجك فحاولي أن تطبقها. \* أولاً: أن تكوني معاونة ، كوني دائماً معاونة لزوجك ولا تتأخري مطلقاً في أي شيء يطلب عونك فيه مادام في طاعة الله ، وإن لم يبادر هو بطلب العون منك فقومي أنت بعرض العون والمساعدة له ولا تتأخري في ذلك. \* ثانياً: أن تبدي تضامك معه دوماً ، فيجب عليك أن تكوني أنت صاحبة المبادرة الأولى في أن تعلن تضامك مع زوجك في جميع الظروف والأحيان ولا تتأخري عن إعلان تضامك معه وأن تساعد في الدفاع عن مبادئه ، وأن تقفي دوماً إلي جواره وأن تشدي من أزره. \* ثالثاً: كوني صديقة له قد تقف بعض النساء عند الإيفاء بمطالب الزوجية فقط ، ويغفلن الجانب المهم علي الإطلاق في حياتهن الزوجية وهو أن تكون الزوجة صديقة لزوجها يستمع إلي وجهات نظرها في جميع ما يجول بخاطره ويأخذ بوجهات النظر تلك. رابعاً: كوني من توفّر زوجها فمن الأمور البديهية بالنسبة لأي زوجة أن تولي القدر المطلوب والكبير من الاحترام لزوجها في جميع الأوقات والأحيان ، وهذا من الأمور الجوهرية والرئيسية في الحياة الزوجية ، وهو ما أكدت عليه جميع الرسائل والأديان السماوية التي ترشد المرأة إلي ضرورة احترامها لزوجها ، كما أن احترام الزوجة لزوجها من صفات الطاعة الواجبة التي يجب أن تتحلي بها معظم النساء المتزوجات دون استثناء. \* خامساً: أن لا تعارضي قراراته فإن طاعة المرأة لزوجها تعني أن تتفق الزوجة وأن لا تتعارض مطلقاً مع قرارات زوجها بشرط أن تكون هذه القرارات صائبة ولا يشوبها نوع من الشك).هـ. فأنشدتُ مُحِيياً هذا الموقف من هذه الزوج الفاضلة!

هذا القرارُ يسرّ العيشَ ، والدارا والأهل ، والزوجَ ، والخلانَ ، والجارا  
ويسرّ تحقّق تحياتي معطرة أصوغها - بين أيدي الناس - أشعارا  
قراكِ الشهم - في الآفاق - بدرُ دجى يشع والله - في الظلماء - أنوارا



وكان جُودك - للإحسان - تذكّارا  
واغتال سعيك أهوالاً وأخطارا  
وأكبرتْ بَذلك الميمونَ إكبارا  
وهيأتْ - للتي تزورها - الدار  
يسـتقبلونك زراعاً وتجارا  
أما البنات فقد حملن أزهارا  
يخشين سُخط مليك الناس والنار  
وكل فردٍ أتى - للحفل - مختارا  
هم الحياة ، وتزجي الخير مدارا  
حتى يداوي أوجاعاً وأوضارا  
وتؤثر الشظف المسعور إيثارا  
وإن - في قلبها - عزمًا وإصرارا  
إلا التفضل إكراهاً وإجبارا  
إلا التصبّر حتى تغسل العارا  
وكم تحمّل آثاماً وأوزارا!  
وسوف يَعدمُ أعواناً وأنصارا  
يَنجُح ، ويفلُح ، ويجن الخير مغزارا

يامن غمرت به دنياي مكرمة  
أسعدت قلباً رثى مما يواجهه  
والروح سُرت بما ناولت من منح  
والقريّة احتفلت بما وعدت به  
وعبأت أهلها من كل بادية  
في موكب حملت صبيانه علماً  
ونسوة سمرن في سكينه وتقى  
وللملاءات - من فوق النساء - سنا  
يرحبون بمن جاءت تُشاطرهم  
جاءت تساعدُ زوجاً في رسالته  
جاءت تشد - على المعروف - ساعده  
جاءت لتزرع - في البیداء - نبتتها  
جاءت لتردع نفساً ليس يردعها  
جاءت تروض ذاتاً لا يروضها  
إن الأنايية الكأداء مخبثة  
من عاش للنفس ماتت نفسه كمداً  
ومن يعيش يبذل المعروف محتسباً

## التمجيد والتكريم

(لقد فسر الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين قول الله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) بقوله: (قوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين}: {الحمد} وصف المحمود بالكمال مع المحبة ، والتعظيم ؛ والكمال الذاتي ، والوصفي ، والفعلي ؛ فهو كامل في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ؛ ولا بد من قيد وهو "المحبة ، والتعظيم" ؛ قال أهل العلم: "لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً ؛ وإنما يسمى مدحاً" ؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح ؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً ؛ تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء ، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبة فيهم ؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه ، أو خوفاً منهم ؛ ولكن حمدنا لربنا عز وجل حمد محبة ، وتعظيم ؛ فذلك صار لا بد من القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة ، والتعظيم ؛ و "أل" في {الحمد} للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد. وقوله تعالى: {لله} اللام للاختصاص ، والاستحقاق ؛ و "الله" اسم ربنا عز وجل ؛ لا يسمى به غيره ؛ ومعناه: المألوه. أي المعبود حباً ، وتعظيماً. وقوله تعالى: {رب العالمين}؛ "الرب": هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق ، والملك ، والتدبير ؛ فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور؛ و{العالمين}: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالم؛ وُصفوا بذلك ؛ لأنهم عَلم على خالقهم سبحانه وتعالى ؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته ، وحكمته ، ورحمته ، وعزته ، وغير ذلك من معاني ربوبيته).هـ.

الحمْدُ لمن صاغ كمالا	والشكر لمن زان جمالا
فردّ صمداً ما أعظمه	فتبارك ربي ، وتعالى
خلق البشرية من عدم	والحُسن على الخلق توالى
وتفضل بالنعمة ، وجازى	وأجاب دعاءً وسؤالا
وأزال شروراً وشقاء	ومحاً أوزاراً ووبالا
وسقانا الغيث برحمته	من يُحصي هذي الأفضالا
جعل الأزواج ليهجتنا	وحبانا بعد الأطفالا
أضحك رب الناس ، وأبكي	وبقدر غير أحوالا
وألمات الرحمن ، وأحيا	لما أمهانا إمهالا
كم أبعد من نقيم شتى!	ولكم جنبنا الأهوالا!
كم للخالق تقرب يرجو	خيراً ، كم حقق آمالا!

أرسل أحمد كي يهدينا	وليطرح عنا الأغلالا
وليتلو آيات المولى	ليعم الخير الأجيالا
ويزكي أقواماً رشدا	فازدادوا عزاً وجلالا
ويُنصَحُ من يرجو نصحاً	ويُعلم قوماً جهالاً
ويُذكر أقواماً غفلاً	ويُربِّي صِيداً أبطالاً
ويُبشِّرُ بالجنة قوماً	ساقوا التقوي والأعمالا
ولينذر من كفروا حتي	يُبطِلُ حُجَّتَهُم إبطالاً
فعليه صلاة وسلام	ما أومض نجم ، أو جالا
وعلى آل هم قودتنا	هل يُعقل أن أنسى الآلا؟
وعلى أصحاب سيرتهم	تملاً هذا الكون جمالا
وعلى أتباع أبرار	كانوا - في الطاعات - رجالا
وعلى أتباع من اتبعوا	ممن تبع الحق ، ووالى
وأثانا الرحمن بدين	يغمرنا فخرأ وكمالا
وتكفل بالحفظ ، ووفى	فازدنا تيتها ودلالا
وعلينا أسبغ أنعمه	وامتن ، فوهب الأموالا
وببده الأرزاق جميعاً	وببده خطط الآجالا
وشفى من أسقام عضلت	وطغنت ، وازدادت إعضالا
وهدى المؤمن كي يتزكى	وأضل الكافر إضلالا
ولهذا أحمد دوماً	حمداً مكثاراً مفضالاً

## عهدي أولى من ثأري

(من عجائب ما يؤثر إبان فتح الاندلس أن شاباً أسبانياً ضرب عربياً وقتله ، ففر الإسباني هارباً حتى لجأ إلى بستان فيه بئر. فوجد فيه شيخاً جليلاً ، فطلب منه أن يحميه من الأعداء. فأدخله إلى مأوى وخبأه فيه. وبعد وقت قصير علا الصياح في فناء البستان ، ودخل الناس يحملون قتيلاً فوق رؤوسهم ، فنظر الشيخ إلى القتيل فوجده ابنه الوحيد. وتأكد أن الشاب المختبئ هو قاتل ابنه. فحزن وغضب ولكنه حين حل الليل وهدأت الأصوات دخل على الشاب وأخبره فلهع الشاب وتغيرت هيئته. فقال: "لا تهتم ولا تعباً بمقدمي إليك فما كنتُ لأنقض عهداً قطعتهُ. ولكنني سئمتُ انتظارك عندي فارحل عني ، والله ولي أمري في مصابي". فعجبتُ كيف يقتل الإسباني ابن هذا الشبية المسلم ويعمد القاتل إليه ليحميه وليجيره فيجيره ثم علم أنه قاتل ولده فأمره أن ينصرف راحلاً ، وآثر أن لا ينقض عهده بحمايته على أن يأخذ بثأر ولده فأنشدت من شعري في هذا الموقف! قال الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}. قال ابن كثير رحمه الله: "هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد. قال ابن جريج: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها ، يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاهها حقها وقال ابن جرير: حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه ، فجاء ونسي الرجل ، فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال: ما برحت من ههنا؟ قال: لا. قال: إني نسيت قال: لم أكن أبرح حتى تأتيني ، فذلك {كان صادق الوعد}. وقال سفيان الثوري: يلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولاً حتى جاءه وقال ابن شاذان: بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكناً." وقال ابن كثير أيضاً: "فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة ، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون \* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتى خان". ولما كانت هذه صفات المنافقين ، كان التلبس بضعها من صفات المؤمنين ، ولهذا أتى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ولهذا أتى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أتى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب ، فقال: "حدثني فصدقتي ، ووعدني فوفى لي". وقال تعالى مادحاً عباده المؤمنين المتقين: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}. وقال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا} كقوله: {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق}. وعكس هذه الصفة النفاق كما صح في الحديث "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتهم خان" وفي الحديث الآخر: "وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر". ويأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بالعهود. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اتتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم). حديث صحيح. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ،

ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوّتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر). صحيح. فأعجبني حفاظ الشبيبة على عهده ووعدته مع من تبين له أنه قتل ولده!)

ألا فارتحلن ، إني جريحٌ مُحطَّمٌ  
فضمّد جراحاً أحرقتني بنارها  
قتلت ، وإن القتل أعتى جريمةٍ  
وجئت تريد العهد من والدٍ ثوى  
وذي جُراة لم يعهدِ الناسُ مثلها  
وأعطيتك العهد الذي ما نقضته  
وصنّنت جِواري ، والمهيمنُ شاهدٌ  
وأهدرتُ ثأري قانعاً غير ساخطٍ  
تُسربلني الأشواقُ ، والحرزُ لاعجٌ  
وأكظمُ غيظي في ابتلاءٍ يرجّني  
وأدفع عن نفسي الهواجس أضرمت  
ويكوي شغافَ القلبِ سُؤلٌ مُحيرٌ  
أهان ابنه حتى يُوارى مُجنّداً؟  
ألا كل هذا قائمٌ ، بل وضعفه  
ولكنّ إمضاء العهد أمانة

وأنت - بسرّ ابني المضّرج - أعلمُ  
وأضحى فؤادي - باللظى - يتزقّم  
وأنت - بهذا القتل - والله مجرم  
ألا إنما الباغى أضلّ وأظلم  
وعُقبى الذي يُردى النفوسَ جهنم  
وذكرى الذي أرديته بله علقم  
وأجرُ مليك الناس أغلى وأكرم  
وبنتُ بأنات الجوى أتضرم  
فأسى لَمّا ألقى ، وأبكى وأندم  
ودمعي على خدي ، تعزى به الدم  
ويلهجُ باسترجاع مرثيتي الفم  
لماذا تخطى عقدة الثأر ضيغم؟  
أم الجرحُ إذ مات الفتى ليس يُؤلم؟  
وعيشُ أبيه اليوم ضنكٌ وخلكم  
وليس الذي يُوفي كمن يتبرم

## المدرسة الوطنية

(ليس من عادتي أبدأ التكلف في الكتابة والتصنع في صياغة الشعر! وإن كانت هذه عادة وسمت الشعراء في القديم والحديث ، إلا أنني لست من هذه النوعية التي تصوغ الشعر أنى شأنت وأينما شأنت وبأي كلمات شأنت وبأي إيقاعات شأنت! بل الشعر عندي شعور وإحساس وعاطفة تتحرك في خلجات النفس ، ثم تخرج في صورة ألفاظ وكلمات لها أوزان وقوافٍ بطريقة معينة! وكما يقول الشاعر الفلسطيني أحمد الحاج أحمد في وصف الشعر: (إن الشعر لا يكون إلا في الوجود اللغوي ، وهو فعل تعبير لغوي ، أما في الوجود العياني فيكون شعوراً ، لكن بوسعنا القول: إنه يبدأ شعوراً خالصاً ، يسعى إلى الإفصاح والكشف عن نفسه ، فيتحول إلى القول والرمز المتفق عليه ، ليصبح فعلاً لغوياً مؤسساً على الفعل العياني. ولما كان الفعلان منتوجين لفعل السياق ، فإن الشعر يبدأ في السياق الكوني وينتهي ويضيع فيه. والشاعر ينتج شعراً منسجماً مع النظام اللغوي التعبيري ، ولا يخرج عنه إلا في محطات التغيير المتباعدة زمنياً. لذا لن ألتفت إلى الشكل وتقنياته بوصفه معياراً يحدد شعرية النص ، فهذا أمر متغير كما دلّ تاريخ التعبير الشعري ، وسوف أنسب هذا المتغير إلى التقويم الاجتماعي ومعايير الإجداد المتغيرة أيضاً).هـ. ولما طلب مني الأستاذ أبو بكر سليمان معلم اللغة العربية بالمدرسة الوطنية بعجمان عام 2009م أن أصوغ نشيداً للمدرسة الوطنية التي أعمل فيها معه ، أنشدته استجابة لأبي بكر فهو أخ عزيز!)

←	إن المدرسة الوطنية	→	تنبضُ تعليمياً وحمية
	وتربّي النشأ ، وترشده		ليُصَحَّح - بالصّدق - النيّة
	ويُعِيد الأجداد طواها		جوف الصّ فحات المطوية
	ولينشر في الدنيا علماً		يبعث - في الناس - الحيوية
	(عجمان) تحيي صفوتها		أصحاب الأخلاق الحية
	هيئة تدريس صالحة		تعطي - للمهنة - قدسية
	ما زالت تمنح طلبتها		قيماً - بالتقوى - مطايه
	وفقهها الله ، وأيّدها		عاشرة راضية مرضية
	وأعزز الشّيخة (فاطمة)		تلوك الهادية المهديّة
	راعية العلم وممن علموا		بهباتٍ ليست منسية

## نذرته لكتاب الله

(أب رزقه الله من الأولاد ستة. وعندما كان الحمل السابع وفي مرحلته قبل النهائية قررت الطبيبات إسقاطه لسلامة الأم ، فكان قرار الأب أن لا ، إن الأم تروح وتغدو، وتأكُل وتشرب ، وأمورها أفضل من أي حمل كان قبل هذا. ثم إن هذا الحمل وُلد ، وقد تخلق ويستعد للنزول إلى ساحة الحياة. ثم اتجه الأب إلى الله متمثلاً ابتهاجاً امرأة عمران: "رب إنني نذرتُ لك ما في بطني مُحَرَّراً فَتَقْبَلِ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ". وابتهاج الأب قائلاً: "رب إنني قد نذرتُه لكتابك الكريم فسَلِّمْهُ وَأَمَّهُ مِنَ الْمَهَالِكِ ، واجعله حافظاً لكتابك محباً له عاملاً به داعياً إليه مجاهداً في سبيل إعلائه". واستجاب الله لذلك الأب اليوم كما استجاب لامرأة عمران بالأمس. وإذا بالصبي يُولد بسلام ، وأمّه لم تعان إلا ما تعانیه كل أم تضع حملها! ويكبر الفتى ويترعرع ، ثم يتجه لحفظ القرآن الكريم ، فيتم حفظه في عامه الخامس! ولا شك أن استظهار ووعي وفهم القرآن والعمل به فضائل عظيمة ومناقب جمة! والنبی - صلى الله عليه وسلم - رغب في هذا في أحاديث صحيحة أذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، ثم قرأ: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم بعد علم شيئا} وذلك قوله - عز وجل - : {ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}. قال: إلا الذين قرأوا القرآن. وعن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من قرأ عشر آيات في ليلة ، كتب له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة ، يقول ربك - عز وجل - : اقرأ وارق ، لكل آية درجة ، حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول ربك - عز وجل - للعبد: اقبض ، فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم ، فيقول: بهذه الخلد ، وبهذه النعيم". عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "يجيء القرآن يوم القيامة ، فيقول: يا رب خلّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول: يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، ويقال له: اقرأ وارق ، وتزاد بكل آية حسنة". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه). وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "اقرأوا القرآن (وفي رواية: تعلموا القرآن) فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين (وفي رواية: تعلموا الزهراوين) البقرة ، وآل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما فرقان من طير ، صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة (وفي رواية: تعلموا البقرة ، فإن تعليمها بركة) وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة). وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن ، فهو يتلوه أثناء الليل وأثناء النهار ، فسمعه جار له ، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل أعطاه الله مالاً ، فهو يتصدق به أثناء الليل والنهار ، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل). وعن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من قرأ القرآن ، وتعلمه ، وعمل به ، ألبس يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوءه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلتان لا تقوم بهما الدنيا ، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ ، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن". فقلله ما أحلاه تفضل عليهما!)

إنني ابتهاجُ لربي واهب النعم وخالق الناس والأكوان ممن عدم



أن يجعل ابني - بذكر الله - مُستغلاً  
مُطبقاً سنة المختار خير هُدى  
ومؤثراً شريعة ، تسمو بصاحبها  
وصائناً عرضه من كل منقصةٍ  
وواعياً لكتاب الله أجمعه  
والله حقق لي ما رُمْتُ من أمل  
وجاء طفلي زكي القلب ذا نبيل  
وعى الكتاب بلا لحن ولا خطأ  
في عامه الخامس الميمون أكمله  
لذاك أحببته حباً يفوق مدى  
نذرته - لكتاب الله - مُحْتَسِباً  
وهل كمثّل كتاب الله مفخرة  
يارب وفقه للتطبيق في زمن  
وجُد عليه بما جاء النبي به  
واجعله - في دينك المفضل - مُجتهداً  
واجعله يذكر نذري دائماً أبداً  
واجعله سِلماً لأهل الخير قاطبة

مُعظماً لكتاب الله والقِيم  
ومُسْتَقِيماً على منهاجه اللقم  
نحو الرشاد ، فيحيّا طيب الشيم  
ككل عبد - بشرع الله - مُلتزم  
إن الذي يجهل القرآن جُد عمي  
ومنه كل الذي يمتن من نعم  
عف السريرة والأوصاف والسيم  
وصوته بلبل ، يتلوه بالنغم  
والله سهله على ذوي الهمم  
طلاوة الوصف ، أو سُيولة القلم  
عند المليك فتى - والله - ذا شمم  
إذ من يع الذكّر - بين الناس - يُحترم  
فيه استهان كثير الخلق بالخرم  
من يتبع سنة العدنان يستقم  
كيلا يعرض غداً أصابع الندم  
نكراً يُجنبه الوقوع في اللمم  
كانوا من العرب ، أو كانوا من العجم

## السبب أنك لا تصلي

(موعظة أجزاها الله على لسان امرأة لأحد تاركي الصلاة ، وهو قريبها وقد ذهب لزيارتها بحضور أحد محارمها ، وكان مُسرفاً على نفسه في المعاصي ، فكان يشرب الخمر ، ويسهر مع رفقاء السوء على الخمر والغناء ، وكان يترك الصلاة ، أو يُصلي أحياناً حياءً أو خجلاً أو مجاملة ، وذات مرة زار هذا العاصي إحدى قريباته ، فحمل طفلاً من أولادها ، فبال هذا الطفل على هذا الرجل العاصي المسرف على نفسه. يقول هذا الرجل بعدما تاب: فقلت لأمه: خذي هذا الطفل ، فقد بال على ملابسني. فقالت: الحمد لله أنه لم يبُل على ملابس فلان ، وكان قد حضر معه أحد أقاربها من محارمها ، فاستغرب هذا الرجل العاصي ، وقال ما السبب؟ قالت: أنت لا تصلي مثل هذا الرجل! والبول على الثياب لا يضرك مادمت لا تصلي. بهذه الكلمات القليلة (أنت لا تصلي ، لست مثل هذا الرجل ، البول على الثياب إذن لا يضرك) . يقول هذا العاصي: فرجعتُ إلى المنزل ، وتبتُّ إلى الله عز وجل ، واغتسلتُ وتركتُ الخمر وهجرتُ رفقاء السوء ، ولزمتُ الصلاة ، وفرحتُ بي زوجتي المتدينة التي تحثني دائماً على ترك الخمر. قال تعالى في سورة التوبة: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ). وقال في سورة مريم: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا أَلِيمًا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا). فوجه الدلالة من الآية الثانية – آية سورة مريم – كما يقول علماؤنا: أن الله قال في المضيعين للصلاة ، المتبعين للشهوات: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ) فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين. ووجه الدلالة من الآية الأولى – آية سورة التوبة – أن الله تعالى اشترط لثبوت الأخوة بيننا وبين المشركين ثلاثة شروط: (\* أن يتوبوا من الشرك. \* أن يقيموا الصلاة. \* أن يوتوا الزكاة ) فإن تابوا من الشرك ، ولم يقيموا الصلاة ، ولم يوتوا الزكاة ، فليسوا بإخوة لنا. وإن أقاموا الصلاة ، ولم يوتوا الزكاة ، فليسوا بإخوة لنا. وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الأمر واضحة جداً - قال صلى الله عليه وسلم: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". رواه مسلم في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعن بريده بن الحصيب رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر". رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. والمراد بالكفر هنا : الكفر المخرج عن الملة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين ، ومن المعلوم أن ملة الكفر غير ملة الإسلام ، فمن لم يأت بهذا العهد فهو من الكافرين. وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع. قالوا: "أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا ما صلوا". وكما أورد ابن عثيمين في رسالته عن تارك الصلاة ما نصه: (قال عبد الله بن شقيق: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". رواه الترمذي والحاكم وصححه على شرطهما. وقال إسحاق بن راهويه الإمام المعروف: "صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر ، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يخرج وقتها كافر". وذكر ابن حزم أنه قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ، قال: "ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة". نقله عنه المنذري في (الترغيب والترهيب) وزاد من الصحابة: عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبا الدرداء رضي الله عنهم.

قال: "ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعي ، والحكم بن عتيبة ، وأيوب السختياني ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب وغيرهم".(هـ.) ومن أراد المزيد فليطالع رسالة ابن عثيمين كاملة! وأعود لتارك الصلاة التائب!

ذَلِكَ التَّبْرِيرُ نَعَمَ الْمُنْطَقُ! سَأَقِفُهُ قَلْبًا عَطُوفًا مُشْفِقًا  
لِظُلْمِ زَادِهِ الْجَهْلُ شَقَا فَنَابِرِي يَهْدِي ، وَحِينَئِذٍ يَنْعَقُ  
لَمْ يُصَلِّ - الدَّهْرَ - هَذَا جُرْمُهُ إِنَّهُ جُرْمٌ فَظِيحٌ مُوبِقٌ  
كَيْفَ يَحْيَا؟ كَيْفَ طَابَتْ نَفْسُهُ؟ مِثْلُ هَذَا - فِي التَّرْدِي - يَغْرَقُ  
فَإِذَا بِالزَّوْجِ تُبَدِي مَا اخْتَفَى مِنْ عَوَارِكٍ يَشِينُ وَيُقْلِقُ!  
لَمْ تَكُنْ تَقْصِدُ إِلَّا وَعَظْمَهُ فَلَمَّاذَا - بِالتَّوَاصِي - يَشْرُقُ؟  
كُلَّ عِبْدٍ لَا يَصِلِي فَاسِقُ كَيْفَ يَحْيَا طَيِّبًا مَنْ يَفْسُقُ؟  
وَالرَّوَايَاتُ عَلَيَّ تَكْفِيرُهُ وَالْأَحَادِيثُ بِهِذَا تَنْطِقُ  
أَيَّ خَيْرٍ يُرْتَجَى مِنْ كَافِرٍ مَنْ صَمِيمُ الدِّينِ أَمْسِي يَمْرُقُ؟  
إِنْ عِبْدًا لَا يَصِلِي فَاجِرٌ وَالْمَصِيرُ النَّارُ - فِيهَا - يُحْرَقُ  
هَذِهِ الزَّوْجَهُ أَهْدَتْ زَوْجَهَا دَرْبَ عِزٍّ - بِالْمَعَالِي - يُشْرَقُ  
نَاوَلْتَهُ النُّورَ وَهَجَّ السَّنَا تَنْمَحِي الظُّلْمَةَ لَمَّا يَبْرُقُ  
وَجْهَتَ - نَحْوَ التَّقَى - قَلْبًا غَفَا فَإِذَا الْقَلْبُ بِبِشْرِي يَخْفِقُ  
وَإِذَا بِالزَّوْجِ يُعْطَى وَعَدَهُ أَنْهُ تَابَ ، فَيَا قَوْمَ ارْفُقُوا  
غَفْلَةً سَادَتْ ، وَوَلَّتْ وَانْقَضَتْ وَاتَّبِعْ أَعْيَابَ الْغِيِّ بِسَائِسِ الْمَزَلِقِ!  
إِنِّي أَعْلَنْتُ أَنِّي تَائِبٌ فَعَسَانِي فِي وَعُودِي أَصْدَقُ

## الله في خلقه شؤون

(هكذا عنون الخولي لإحدى قصصه الواقعية ، وأثرت ذات العنوان لقصيدتي عن طفل هدى الله به رجلاً احتفى به وهو ذاهب إلى المسجد وهاجمته الكلاب فأوى الطفل إلى بيت الرجل ، فأوصله الرجل إلى المسجد ، وكانت فاتحة خير على الرجل إذ صلى لأول مرة وندم على ما فات والتزم أوامر الله. والحقيقة أن مكتبة ليس فيها موسوعة (القصص الواقعية) للعلامة القصاص محمد الخولي ، لمكتبة فقيرة لا يتحقق لها الغنى في مجال القصة إلا بهذه اللبنة العظيمة من لبنات بناء المكتبات. حيث اشتملت هذه الموسوعة على باقة من القصص الواقعية العظيمة الموثقة ، تلك التي تتم بها الموعظة والفائدة ، وأضفى عليها أسلوب الخولي المبدع طعماً آخر من قالب الفلسفي النوراني ، وما هذه القصة إلا واحدة منها. يروي القصة أخو الصبي فيقول: (كنا نعيش في قرية نانية قاسية الطبع والطباع ، والمصلون فيها لا يتجاوزون بضعة أشخاص ، وهم من طبقة المُسنين الذين تقوّست ظهورهم عبر الأيام ، لكن الغريب أن بين هؤلاء المصلين طفلاً صغيراً لم يتجاوز التاسعة من عمره ، إنه أخي الصغير الذي كانت تستعر في صدره جذوة الإيمان ، وكان لا يهدأ له بال إلا إذا صلى الفجر في جماعة ، رغم بُعد منزلنا عن المسجد ووحشة الطريق بالنسبة لطفل صغير في مثل سنه. وذات يوم وبينما هو ذاهب إلى صلاة الصبح اعترضته مجموعة من الكلاب وانطلقت وراءه بسرعة كبيرة ، فأطلق لقدميه العنان وراح يسابق الريح حتى دخل أحد المنازل وهو يصيح ، فخرج صاحب المنزل الذي احتفى به هذا الصغير وقام بإبعاد الكلاب عنه ، وذهب معه وهو آخذ بيده إلى المسجد ، وهناك دخلا المسجد وصليا الصبح معاً وكانت هذه بداية هداية هذا الرجل الذي كان لا يصلي).هـ. والله در من قال: (زر قبر الرئيس وقبر الزعيم ، وقبر الأمير وقبر الوزير ، وقبر الملك ، وقبر الثري وقبر الفقير ؛ كلها بجوار بعضها ، أين الحُجَاب ، وأين البَوَاب ، وأين الاستئذان ، وأين البرتوكول ، وأين المواعيد؟ انتهى الأمر: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} هذا هو المرَدَ وهذه هي النهاية ، فمن تذكر ذلك حتى وإن ركب ما ركب وسكن ما سكن وجمع ما جمع ، فإنه بإذن الله عز وجل يعود منكسراً إلى الله {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}. لذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة ، فقال: «ألا فزوروا فإنها تذكرنا الآخرة» ؛ فما ذكره عبد قط وهو في ضيق إلا وسعه عليه ، ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقه عليه. بل (لما جيء بجنائزته وجلس صلى الله عليه وسلم على شفير القبر بكى حتى بل الثرى ، ثم قال صلى الله عليه وسلم: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا). فليتفكر العبد في هذا ، وليعلم أنه لا يعالجه من هذه الغفلة إلا أن يكسر ويحطم قسوة قلبه بأن يرى الأموات يغسلون ، ويرى الأموات يكفنون ، ويقف عند المقابر ، ويزور المرضى ، وينظر أحوال أصحاب العاهات الذين سلبت منهم العافية بين لحظةٍ ولحظةٍ ، ليعرف حاله وأن ما أصابهم ليس ببعيد أن يصيبه. هكذا ينبغي أن ننتبه وأن نحذر من هذه الغفلة).هـ. فسبحان الله الذي له في خلقه شؤون. أنشدتُ على لسان الرجل أقول:

رَأَيْتُ دَمْعَكَ - بِالْإِرْشَادِ - مُخْتَلِطاً      وَأَشْهَدُ اللَّهَ أَنْ النِّصْحَ خَيْرُ عَطَا  
تَخَافُ رَبَّكَ فِي سِرِّهِ وَفِي عِلْنِ      فَكَيْفَ تَخْشَى كِلَابَ الْأَرْضِ وَالْقِطَطَا؟  
تَقْوَاكَ أَثْقَلَ - فِي الْمِيزَانِ - مِنْ جُرْمِي      لِأَنْنِي رَجُلٌ - فِي غِيَّتِهِ - انْخِرْطَا

من الذي قلبه - بالشرع - ما انضبطا  
لما غدوت بها - يا شهم - مرتبطا  
ترجوبها جنة الفردوس مغتبطا  
كأنها جبل - من تحتك - انبسطا  
وتشفق الدهر من سعي إذا حبطا  
كأنه - خطأ عليك - قد سخطا  
من الذين غلوا ، واستعذبوا الغلطا  
يдай حتى وطنت الشيب والشمطا  
على المليك ، يحب السوء والشططا؟  
ولحم وجهي - إذا ما لامني - سقطا؟  
وكان أمري - بما قارفته - فرطاً  
وما أتيت الذي رب الورى اشترطاً  
وما اصطحبت له الأكارم البسطاً  
فإن ربي لي الأرزاق قد بسطاً  
والعين ما دمعت ، والقلب ما نشطاً  
إلى الرحيم ، وأدعوه بلا وسطاً  
أن لا يعود لذنب منه قد فرطاً

وأنت أعظم إيماناً وتجربة  
تعشى المساجد محبوراً لتغمرها  
وللشعائر فحواها وبهجتها  
وتتقي النار - في أخراك - مرتجفاً  
تسعى بجد وإخلاص ومسكنة  
والكلب ما احترم الصلاة جنت لها  
أولى بنبحك يا كلب الألى فسقوا  
أحرى بعقرك مثلي بالذي كسبت  
ما عذر مثلي إذا ما قيل مجترىء  
ما حجتني عندما ألقى الإله غداً  
أسرفت دهرأ على نفسي ، فما ربحت  
وما اعتبرت بما عاينت من نذر  
وما فقهت من الإسلام شريعته  
ولم أصل ، ولم أزل ريب غنى  
ولم أصم رغم إسلامي ومقدرتي  
واليوم تبث - على يدك - معتذراً  
رباه فاغفر لعبدٍ تاب معتزماً

## جل شأن الله

(حدثت من أثق في كلامه أن أحد الأثرياء ابتلاه الله بمرض الشلل فكان يتحرك من مكان إلى آخر على كرسي ذي عجلات. فقرر أن يلتمس العلاج في عواصم أوروبا ، فمن لندن إلى باريس إلى روما وغيرها. وبدون فائدة إذ كان يعود في كل مرة بخفي حنين رغم الأموال الطائلة التي كان ينفقها ، فسلم أمره الله غير يئس من رحمته ، وجلس في بيته على كرسيه ، وبينما هو يشاهد التلفاز مؤثراً إحدى القنوات الإسلامية على عادته. فجاء الأذان منقولاً على الهواء مباشرة من بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، ورأى الرجل أفواج الحجيج والمعتمرين ، فنوى أن يذهب إلى البيت العتيق. ونادى أبناءه وقال لهم: اذهبوا بي إلى الكعبة. فقالوا: لا يمكن. فقال: إيتوني بطائرة خاصة لا بد من أن أذهب معتمراً وعلى الفور وبأي تكاليف. وما زال بهم حتى أذعنوا لطلبه ، وهناك جلس على كرسيه ذي العجلات ، وعند الكعبة ظل يدعو ويبتهل إلى الله ساعتين بالدقيقة. وهو يدعو بدعوة لا يغيرها: (رباه ، والله لن أخرج من بيتك إلا ماشياً على قدمي أو محمولاً إلى المقابر) ، وما زال يرددتها حتى كلَّ ، وأنهكه العرق والصداع. فنام واستغرق في النوم أيضاً على كرسيه ، فرأى فيما يرى النائم من يقول له: قم فامش على قدميك ، ولا يزال هذا الهاتف يتكرر ، فافاق وقام يمشى ، فلم يكذ يصدق نفسه ، فجلَّ شأن الله الذي أبرَّ قسم هذا الرجل وعلى الفور. والدعاء من صفات عباد الله المتقين: قال - جلَّ شأنه - عن أنبيائه - عليهم السلام -: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين). وقال عن عباده الصالحين: [والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم]. ولقد أمرنا الله بدعائهم والتضرع إليه والإلحاح عليه فقال: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]. ولقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم أن الدعاء عبادة ، فلقد جاء عن النعمان بن بشير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الدعاء هو العبادة). وأعلمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الدعاء أكرم شيء على الله ، فعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (ليس شيء أكرم على الله - عز وجل - من الدعاء). الدعاء سبب عظيم لدفع غضب الله: فمن لم يسأل الله ويدعوه ويبتهل إليه ويتضرع بغضب عليه ؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من لم يسأل الله يغضب عليه). والأصل أن نحسن الظن بالله ولا نتعجل! فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من مسلم ينصب وجهه إلى الله ، يسأله مسألة إلا أعطاه إياها ، إما عجلها له في الدنيا ، وإما ذخرها له في الآخرة ما لم يعجل. قالوا: يا رسول الله ، وما عَجَلْتُهُ؟ قال: يقول: دعوتُ دعوت ، ولا أراه يستجاب لي!) وليكن معلوماً أن الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله: قال - عليه الصلاة والسلام -: (ولا يرد القدر إلا الدعاء). وينبغي الإيمان بأن الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة). ومعنى يعتلجان: أن يتصارعان ، ويتدافعان. ومنه أن نقول علاج كذا بكذا ، فكأن العلاج يصارع المرض). هـ. والدعاء يدل على سلامة العبد من العجز، ودليل على الكياسة والفتنة: فعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام). والحقيقة أن الله تعالى مستجيب للعبد ، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من سوء مثله ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم). وعن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (ما من مسلم يدعو ، ليس بإثم

ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها قال: (إذن نكثر قال: الله أكثر). أنشدت مادحاً لثقة ذلك العبد في ربه أقول:

جَلَّ الْمَلِيكَ الْمَسْتَعَانُ الْكَافِي  
وإذا مرضنا فالإله الشافي  
كَمْ يَبْتَلي قوماً ، لِيَبْلُوَ صَبْرَهُمْ  
ويخصهم - من بعدُ - بالألطف!  
فهو اللطيف لمن يشاء تفضلاً  
ولقد يجودُ تكرمًا ، فيعافي  
ويُجيب من يدعوه يرتجلُ الدعا  
متوسلاً بالمدمع الذراف  
أو يجعل العُقبى إلى يوم القضا  
فالله يُكرمُ من دعا ، ويُوافي  
يا رب أكرمنا بنصرة ديننا  
لنعيش في عز ، وفي استشراف  
أنت الذي شافيت أشيب مقعداً  
عند (العتيق) ، وبعد طول طواف  
بك أحسن الظن الجميل مؤملاً  
فيك الرجاء بوابل استعطاف  
لَمَّا يَزُرُ يَأْسٌ فَوَادٌ مُعَذِّبُ  
بل كان يأملُ في عطاء الكافي  
هو مدّ كف مسربل يرجو الشفا  
هو أرسل الدمع الغزير تقرباً  
ويكرّر الدعوات بالآلاف  
هو قد دعاك مؤكداً بيمينه  
مثل الغباب بساحل الرّجاف  
هو لم يكن - في ذا الدعاء - بمعتدٍ  
وبحزن قلب مستكين صاف  
هو خصّ بالدعوات رباً ، حكمه  
كلا ، ولم يك - فيه - بالمتجافي  
هو للمهيمن قد شكَا آلامه  
وقضاؤه في غاية الإنصاف  
وسعى إلى (باريس) يلتمس الدوا  
وشكا إليه شجون الاستضعاف  
واسقبلت (مدينت) زائرَها الذي  
فيل لهفة حرى وبعض لهاف  
فعل طبيباً يستطيع علاجه  
حملته في سيارة الإسعاف  
وإذا أراد شفى بغير تطبُّب  
سبحان من هو بالدواء يُشافي!  
بل منة يُبلي بها ، ويُكافي



عن أن تعالج خيرة الأضياف  
والجرح - في قلب المعذب - خاف  
بل يظهر التصبير في استعفاف  
فيظل يقرأ سورة (الأعراف)  
قدسية الغايات والأهداف  
واقطع قرى ومدائناً وفيافي  
ستبوء بالخيرات والإتحاف  
أبنائه الرنبالاة الأشراف  
والآه تخرج من كنيب شغاف  
وكانها شِعْرٌ بعذب قواف  
وأناه آت في المنام يُصافي  
فلقد شفاك - من السقام - الشافي  
إن المقام هنا مقام (طواف)  
وأناك ما يدعو إلى الإيلاف  
مثل العروس سعت بفوج زفاف  
تسعى به ، فلقد كفاك الكافي!  
فعلى التقى الحمد الدليل الوافي!

وكذاك (روما) أشهرت إفلاسها  
ليعود يقاتله الجوى مسترجعاً  
هو ليس يُبدي للعيون أنينه  
ويبيت يخنقه النحيب تشفياً  
حتى أتته من (العتيق) رسالة  
اهرع إلى (الحرمين) دون تلكؤ  
وادع المليك بأن يزل رحلة  
ودعا وجد السير تسبقه خطا  
وقضى سُويعات يكابده البكا  
وغدا يُكرّر دعوة ملتاعة  
وأنته من ثقل الدعا إغفاءة  
ويقول زف البشریات ، وقم وسر  
وامش الهوينى بين أفواج الورى  
واسعد ، فقد مضت الكأبة والشقا  
وانهض وقم بالسعي ، وابدأ بالصفاء  
ستودع الكرسي ذا العجلات ، لن  
فاحمد مليك الناس ، واشكر واعتبر

## مُدَايِنَةٌ

(سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ أَنْ يَسْتَدِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجُودُ . وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَسْتَدِينُ بِاعْتِبَارِ الدِّينِ مَنْقُصَةً أَوْ مَذْمُومَةً كَمَا يَزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ ، لَسَلِمَ مِنْهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَالصَّالِحُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمَصْرٍ . بَلِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ أَنْ يَسْتَدِينَ عَمْرُو مِنْ زَيْدٍ ، وَأَنَّ الْفَقِيرَ لَا يَبْقَى فَقِيرًا دَهْرًا ، وَلَا الْغَنِيَّ يَبْقَى غَنِيًّا دَهْرًا . بَلِ قَدْ يَتَغَيَّرُ الْحَالُ ، فَلَا يَدُومُ غَنَى وَلَا فَقْرٌ ، كَمَا لَا تَدُومُ صِحَّةٌ وَلَا مَرَضٌ . وَالنَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَمِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ أَوْ ضَلْعِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلْمَذَلَّةِ الَّتِي تَوَرَّثَهَا الْحَاجَةُ الْمَاسِيَّةُ إِلَى مَعُونَةِ الْآخَرِينَ . وَكَنْتُ قَدْ احْتَجَجْتُ إِلَى بَعْضِ الرِّجَالِ ، فَظَهَرْتُ إِلَى أَكْثَرِ الْقَوْمِ حَوْلِي فَأَلْفَيْتُهُمْ يَغْرَقُونَ فِي عِبَادَةِ الْمَالِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، إِذَ الدِّينَارُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَسِيرٌ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَلْجَأَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كُنْتُ نَذْلًا وَبَشًا أَنَانِيًّا فِي مَعَامَلَتِهِمْ لَقُلْتُ: لَهُمْ حَقٌّ لِأَنِّي الَّذِي بَدَأْتُ الْقَوْمَ بِالنَّذَالَةِ وَالْخَسَةِ فَلَا حَقَّ لِي فِي لَوْمَتِهِمْ! وَلَكِنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ رَبِّي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا مَعَهُمْ نَذْلًا وَلَا أَنَانِيًّا . فَعَمَدْتُ إِلَى الْاِقْتِرَاضِ مِنْ صَدِيقٍ شَاعِرٍ مُحْتَرَمٍ ، وَعَمُومًا هُوَ رَجُلٌ التَّقِيْتُ مَعَهُ عَلَى مَانِدَةِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلِ ، ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ اتَّخَذْتُ مِنَ الرَّجُلِ صَدِيقًا وَمُسْتَشَارًا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا الشَّعْرُ وَتَدْوِقُهُ وَصِيَاعَتُهُ وَإِحَاوَهُ . وَاعْتَقَدْتُ جَازِمًا أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ اسْتَطَاعَ فَلَنْ يَبْخُلَ ، فَسَطَرْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَطْلُبُ مِنْهُ الْقَرْضَ . وَلَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَبَيَّنَ فِيهَا فَضْلُ وَأَجْرُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِلَى إِنْظَارِ الْمَعْسِرِ ، وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ! فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ) . وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَأَيْضًا: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهَ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفُسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، وَمَنْزِلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ" أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ . وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى) (أَخَذَ الدِّينَ الَّذِي لَهُ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ ، فَإِذَا حُلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ . وَعَنْ خُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا . قَالُوا: تَتَذَكَّرُ! قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَأَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّرُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَجَوَّرُوا عَنْهُ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظٍ: (أَتَيْتُ اللَّهَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ - قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا - قَالَ: يَا رَبِّ ، أَتَيْتَنِي مَالًا فَكُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأَنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِدَا مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي) . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفِتَاهِهِ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنْكَ، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ). رواه البخاري ومسلم. فسطرت لصاحبي هذا الذي كان سمحاً كريماً في مداينته لي رسالة شعرية ملؤها الشفافية والعشم الخالص ، إذ إن أغلب معاملات الشعراء التي تأخذ شكل المكاتبات في ظني يجب أن تصاغ شعراً ، ومن هنا جعلت رسالتي شعرية من قلب شاعر أستدين منه غيرها ، وجعلت عنوان القصيدة هكذا (مداينة)! حيث حرصت على التعامل معه بمنتهى الإخلاص والمحبة والود! عملاً بالمبدأ القرآني: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟)

الحممد لله ربُّ الناس والفلق	حمداً تجاوز حدَّ الأرض والأفق
ثم الصلاة على المختار دائمة	ما جنَّ ليلٌ ، ووازي حُمرة الشفق
سبحان ربك ، بعضُ الناس متَّعهم	بالرزق يصحبهم في كل منطلق
والبعض ربك - بالتضييق - جمَّ لهم	ليركبوا طبقاً - في العيش - عن طبق!
فالشكرُ لله في كلِّ له جمم	لا شيء يفتن مثل المال والورق
الدين أثقل في الميزان من كبدي	لأنني غيرُ ذي مدح ولا ملق
فإن يكن فضل أموال فمن به	عليّ ، ثم برداً ما أخذت ثق
المال (يا صاحبي) المنان واهبه	فما صرفت ثوى ، والقرضُ منك بقي
لم ألق غيرك من أهل ومن ولدٍ	في هذه الدار أشكو عنده قلقي
أفيت قلبك ذا عطفٍ ومرحمةٍ	يحنو على رجلٍ من حاله فرق
ولا أزكي - على الرحمن - من أحدٍ	وأنت - والله - ذو دين وذو خلق
إن كنت تملك جُذ ، والله مُخلفه	وذي الأمانة مثل القيد في عنقي
وإن تكن مثلنا تأوي لذي سعةٍ	فانشد لفقرك ربَّ الناس والفلق!

## في وداع رمضان

(كثيرون هم الأقوام الذين يطربون لرحيل ضيف المسلمين الكريم شهر رمضان ، ولسان حالهم هو كما قال أمثلهم طريقة متندراً ساخراً:-

رمضان ولى ، هاتها يا ساقى مشتاقة تهفو إلى مشتاق!

والحقيقة أنه لا يحزن على رحيل الشهر الميمون المبارك إلا أهل الإيمان والإسلام ، إذ إنه ضيفهم العزيز الغالي الذي ترفع به الدرجات وتمحى به السيئات وتستمطر به الرحمات ، وتُتذكر به الذكريات الكريمة. وقليلون هؤلاء الشعراء الذين ودّعوا رمضان بعذب أبياتهم. إذ إن الشعراء هم جزء من الناس ، ولما كان أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا يوقنون ، بل أكثرهم ظالمون فاسقون كافرون جاحدون ، وتلك كانت شهادة الله تعالى عليهم في كتاب العزيز ، فكذلك الشعراء الذين هم فريق من هؤلاء الناس ، فيكون أكثر الشعراء كذلك ظالمين وفاسقين وجاهدين وهانمين في باطلهم وسادرين في غيهم لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا ما أشربوا من هواهم. وكنت أردت أن أودّع رمضان في أيامه تلك الأخيرة ، وتذكرت هذا البيت ، فقلت مُصححاً المفهوم ومُجدداً الفكرَ والنظر ، وعلى ذات البحر ونفس القافية ، لكن على غير الطريقة! فإن الشاعر المسلم لا ينبغي أن يحتوي شعره على مخالفات شرعية مطلقاً!

رمضان ولى ، فارقتي ياراقى  
من عاندات زلزلت أعماقي  
واقراً من القرآن أعذب رقيقة  
تودي بما في القلب من ترياق  
وأدم قيام الليل تُبهج خاطري  
لتزيل ما حولي من الأطواق  
واملاً كؤوس الصبر حليماً وادعاً  
أكرم بكأس بالهدوء دهاق!  
واشحذ بعزك هممة مصقولة  
كي تستمر على هدى الخلاق  
وانصخ ، ولا تك في النصيحة وانياً  
فالنصخ بعد الذكر زاد الراقى  
واحمل على حُب السخامن ذاقه  
إن السخاء مطيعة الإنفاق  
رمضان ولى حاملاً طاعاتنا  
هل ياترى نالت رضا الرزاق؟  
أم ردها المولى لأمر عابها  
فتمرغت في خيبة الإخفاق؟  
ما زارها الإخلاص يوماً واحداً  
فبها أردنا غير وجه الباقي  
هل خالفت هدي الشريعة جملة؟  
هل كابرث في عزة وشقاق؟

بين الأنام ، وطار في الأفاق؟  
لا تختفي يوماً على الإطلاق  
مستأثراً بالسـر في الأوراق  
وصحائف الأعمال والأوراق  
ومفتنن ياوي لحن الساقى  
كالشمس إذا خصته بالإشراق  
لتدعها في موقد الإحراق  
وغدا قوياً قوة العملاق  
لرشادها بمعينه الدفاق  
حتى غدا في ذروة الإشفاق  
فلكم بكت من قيد الاسترقاق!  
يدعو عليه بدمعه الرقاق  
والروح سائرة إلى الإزهاق  
أو غداة بمسلسل برّاق  
فتجرعت كأساً من الغساق  
هل يا ترى - بعد الفراق - تلاقى؟  
أهفو إلى رمضان كالمشتاق  
رمضان ، شاهدة بذا أشواقى

أم أنها قبلت ، وفاح أريجها  
إن القبول له علامات تُرى  
رمضان ولي مادحاً أو قادحاً  
كل له مطوية وصحيفة!  
والله ما استويا معظّم شهره  
فالصائم الحق الذي رمضان  
وتتبعته شهواته بضراوة  
فارتاح من ضنك يعكر صومه  
فالنفس زكاه الصيام ، وساقها  
والقلب نقاه الصيام ، وهزه  
والروح حررها الصيام طليقة  
أما الذي رمضان متألماً  
فأراه خاب ، وكيف يفلح مثله  
والقلب غص بما يعاين من هوى  
والنفس أجمها العرور بمكره  
رمضان ولي ، والمهيمن عالم  
ودعته ، والله يشهد أنني  
والله أسأل أن يبلى غمتي

## لعل أبي يسمع

(من الأبناء من إذا نظر إليه أبوه قال: (اللهم أجرني في مصيبي ، واخلف لي خير منها). ومنهم من إذا نظر إليه أبوه قال: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً). أورد قصة كفاح ابن في هداية أبيه ، الأستاذ الخولي في قصصه الواقعية ص 678. كان ذلك الابن شديد الحرص على إجابة النداء وإدراك الصف الأول ، بل والصلاة خلف الإمام مباشرة وبين كبار السن ، لاحظ الإمام أن هذا الطفل يطيل المد في التأمين (كلمة آمين) خلفه في الصلاة الجهرية ، وبصوت جهوري ومميز ، لدرجة أن من كان خارج المسجد يسمع تأمين الطفل ويميزه عن غيره ، أراد الإمام أن ينصحه كي يخفض من صوته ، فكانت المفاجأة عندما قال له الطفل مزيلاً الشبهة: إنني أعلم بخطئي في ذلك ، ولكن أبي لا يصلي ، ولا يستمع لنصحي ، فأردت أن أرفع صوتي بالتأمين لعله يسمعي ويتذكرني ، فيرق قلبه ويرجع إلى الله ، فأكبر الإمام همة هذا الطفل الصغير وحرصه على هداية والده ، فأخذ بعض من كان في المسجد وزاروا أباه ، وحكوا له الحكاية ، فتأثر الأب وتاب إلى الله ، وأصبح من رواد المساجد. فكان هذا التصرف من الابن فاتحة خير على أبيه الذي تاب إلى الله وأناب. والحقيقة إنها الشهوات تصرف العبد عن طاعة ربه! يقول الإمام ابن الجوزي: "قدرت في بعض الأيام على شهوة النفس ، هي عندي أحلى من الماء الزلال في قم الصادي ، وقال التأويل: ما ههنا مانع ولا معوق إلا نوع ورع ، وكان ظاهر الأمر امتناع الجواز ، فترددت بين الأمرين فمكنت نفسي عن ذلك فبقيت حيرتي ، فقلت لها: يا نفسي ، والله ما من سبيل إلى ما تودين ولا ما دونه ، فتقلقت ، فصحت بها ، كم وافقتك في مراد ذهبك لذته ، وبقي التأسف على فعله ، فقدري بلوغ الغرض من هذا المراد ، أليس الندم يبقى في مجال اللذة أضعاف زمانها. فقالت: كيف أصنع؟ فقلت: هاأنذا أنتظر من الله عزّ وجلّ حسن الجزاء على هذا العمل فأسطره إن شاء الله ، فإنه قد يجعل جزاء الصبر ، وقد يؤخره ، فإن عجل سطرته ، وإن أخر فما أشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه ، فإنّ من ترك شيئاً لله ، عوضه الله خيراً منه. والله إنني ما تركته إلا لله تعالى ، ويكفيني تركه ذخيرة ، حتى لو قيل لي: أتذكر يوماً آثرت الله على هواك؟ قلت: يوم كذا وكذا. وكان هذا في سنة 561 هجرية ، فلما دخلت سنة 565 هجرية عوضت خيراً من ذلك ، فقلت هذا جزاء الترك لأجل الله سبحانه في الدنيا ولأجر الآخرة خير والحمد لله. ويقول في مقام آخر: يقول: تراعت عليّ نفسي في طلب شيء من أغراضها ، بتأويل فاسد فقلت لها: بالله عليك تصبري ، إذا هممت بفعل فقدري حصوله ثم تأملي عواقبه ، وما تجنيه من ثمراته فأقل ذلك الندم على ما فعلت ، ولا يؤمن أن يثمر غضب الحق عزّ وجلّ وإعراضه عنك ، ثم اعلمي أيتها النفس أنه ما يمضي شيء جزافاً ، وأن ميزان العدل تبين فيه الذرة ، فتأملي الأموات والأحياء ، وانظري إلى من نشر ذكره بالخير أو الشر. يقول ابن الجوزي: وقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاية لأجل نيل ما في أيديهم ، منهم من يداهن ويرائي ، ومنهم من يمدح بما لا يجوز ، ومنهم من يسكت عن منكرات إلى غير ذلك من المدهانات ، وسببها الفقر ، فعلمنا أنّ كمال العزّ والبعد عن الرياء يكون في البعد عن الولاية الظلمة ، ولم نر من صحّ له هذا إلا في أحد رجلين: \* الأول: من كان له مال كسعيد بن المسيب كان يتجر في الزيت وغيره ، وسفيان الثوري كانت له بضائع ، وكذلك ابن المبارك. \* الثاني: من كان شديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه كبشر الحافي ، وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين ولا كمال أولئك ، فالظاهر تقلبه في المحن والآفات وربما تلف دينه. ويقول ابن الجوزي: ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً ، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل وجه ، فما رأيت طريقاً للخلاص ،

فعرضت لي هذه الآية: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب" فعلمت أنّ التقوى سبب للمخرج من كل غم ، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج فلا ينبغي أن يتوكل المؤمن إلا على الله ، فالله عزّ وجل كافيه ، فيقوم بالأسباب ولكن لا يعلق قلبه بها. فأعجبنتني قصة الصبي مع أبيه ، فأنشدت من شعري ما لو كنت مكان الصبي لقلته شعراً!

جهرتُ أقصدها ، كي أستميل أبا  
ترك الصلاة من الإسلام يُخرجه  
وكم نصحتُ ولا جدوى ظفرتُ بها!  
وكم وعظتُ بأقوال مُرغبةٍ  
وكم بذلتُ وصايا لا حدود لها!  
فقليل: كُفَّ عن العزيف تنثره  
فقلت: هذا إلى المليك معذرة  
فقليل: أنت صغيرٌ ، لا تكن وقحاً  
ألسنت تعشق ما خولت من تحفٍ  
ألسنت تلهو ككل الطفل مُتفلاً  
فقلت: قطعاً أحب اللهو ، أعشقه  
ودعوة الناس للإسلام تشغني  
لذا علا الصوت بالتأمين في ملاء  
واليوم تاب أبي عن شؤم معصيةٍ  
عليه تب يا مليك الناس أجمعهم

حتى يُقيم من الطاعات ما وجبا  
ولست أعلم فيما قلته ربّيا  
فما عليّ إذا صرحتُ محتسباً؟  
تسبي الفؤاد ، فعاد الوعظ منتحباً!  
وكل لفظٍ برفقي كان مُختضباً  
بين الكبار ، وخلّ الوعظ والخطباً  
أو عَنّي بالذي أزجي وعظتُ أبا  
ألسنت تهوى المزاح العذب واللعباً؟  
يُزيل منظرها الأحزان والكرباً؟  
بما يثيرُ اندهاشَ الناس والعجباً؟  
لكن كذاك أحبّ العلم والأدباً  
عن كل لهو ، وإنّ قلبي له طرباً  
وإنّ قلبي بما أحدثته اضطرباً  
كم خاطري من لظى عذابها احترباً!  
واغفر له ربنا كل الذي ارتكبنا



## مِسْكِيّ وَلَا يَبِيعُ الْمِسْكَ

(لا يتخلى الله – عز وجل – عن أوليائه أبداً. أورد الخولي في قصصه الواقعية ص 694 أن تاجر قماش دعته امرأة إلى نفسها بالحيلة ، ولكنه أبى في قرارة نفسه ، وأوهمها بأنه يريد دخول الحمام ، فأدخلته فوضع الأذى على جسمه ورأسه وخرج فقالت له: اخرج يا مجنون ، ونجا بالحيلة. فأبدله الله برائحة الأذى رائحة المسك حتى مات. وأحب هنا أن أمتع القارئ بنص القصة بأسلوب الأستاذ الخولي ، يقول: (كان هناك شابٌ يبيع القماش ، فيضعه على ظهره ويطوف بالبيوت ، وكان هذا الشاب جميل الهيئة من رآه أحبه لما حباه الله من جمال ، وفي يوم من الأيام وبينما هو يمر بين البيوت أبصرته امرأة فنادته ، وأمرته بالدخول وقالت له: إنني لم أدعك لأشترى منك ، ودعته إلى نفسها ، فذكرها بالله وأليم عقابه ، فما زادها إلا إصراراً. وقالت له: إذا لم تفعل ما أمرك فسوف أصبح في الناس وأقول لهم: دخل داري ، وأرد أن ينال من عفتي. فلما رأى إصرارها على الإثم والعدوان ، سألها أن تسمح له بالدخول إلى الحمام أولاً ، ففرحت لذلك فرحاً شديداً. وأما هو فقد كان جسده يرتعش من خوف الوقوع في المعصية. وفجأة خطرت له فكرة ، فقام ولطخ جسده بالقاذورات والأوساخ ، وبكى ودعا الله قائلاً: ربي وإلهي وسيدى خوفك جعلني أعمل هذا العمل ، فأخلف عليّ بخير. ثم خرج إليها فلما رأته على هذه الحال صرخت في وجهه قائلة: اخرج من داري يا مجنون ، فخرج منها خائفاً يترقب! نعم خرج يفكر في الناس ماذا سيقولون عنه ، حتى وصل إلى بيته ، وهناك خلع ثيابه واغتسل غسلًا حسناً. ثم ماذا: هل يترك الله عبده ووليه هكذا؟ لا ، فعندما خرج من الحمام عوّضه الله شيئاً عظيماً بقي في جسده حتى فارق الحياة ، فلقد أعطاه الله رائحة عطرية تفوح منه لمسافات بعيدة يشمها الناس حتى لقب "بالمسكي". وعندما مات كتب على قبره: (المسكي).هـ. فلما قرأت القصة تأثرتُ بها وبأحداثها التي تبشر المؤمنين بأنه لا يزال فيهم من يجعل يوسف الصديق قدوة له في الاستعفاف وتأديب النفس وردعها ، وكبح جماح كل امرأة تحنّ إلى ارتكاب الفاحشة وتحتال لها وتبذل كل الذي تستطيع من أجل نزوةٍ رخيصةٍ ما تلبث أن تنقضي ويبقى عارها إلى يوم القيامة وتسجل في ديوان الزانيات ، والعياذ بالله من الفاحشة وأهلها. وجعلتُ تأثري بالقصة ترجمة شعرية هي هذه القصيدة من المتقارب على قافية الميم ، مُثْبِتاً على هذا المسكي وإن لم يكن قد باع المسك في حياته!)

أَغْرَاكِ فِي الْجَمَالِ الْوَسِيمِ	فَقُلْتُ: أَرَاكَ الْمَلَاكَ الْكَرِيمِ؟
وَكُنَّ احْتِيَالُكَ أَضْحُوكَةَ	فَوَاعْجِبِيَّ لاحتِيَالِ الْحَرِيمِ!
وَبَعَتِ الْكِرَامَةَ فِي نَزْوَةٍ	وَكُنْتُ ضَاحِيَةً كِيدِ الرَّجِيمِ
وَأَتَقَنْتُ حَبْكَةَ وَلَهَانَةَ	تُعَانِي السُّعَارَ الشَّدِيدَ الْكَظِيمِ
سَبَا عَقْلُكَ الْعَشْقُ لَمَّا زَكَا	فَلَمْ تَعْبُنِي بِالمَصِيرِ الْوُخِيمِ
وَكَبَّلَكَ الْحُبُّ لَمَّا غَزَا	فَوَادَكَ لَمَّا بَدَأَتْ الْهَجُومِ
وَأَدْخَلْتَنِي الدَّارَ فِي خِسَّةٍ	لَعَارِ يَجُورِ الْوُورِ لِلْجَحِيمِ

وأغلقَتِ بابَـكَ مَسـعورة  
 وأغرَثَـكَ نَفْسُـكَ أن الـذي  
 وصـرحتِ باللفظِ في جُـرأةٍ  
 وأضـفَى لهائـثك شرعية  
 وهـددتِ ، لم تتركـي فرصة  
 وغرَثَـكَ خلوتنا وحـدنا  
 وراهنـتِ جَـهراً على عِـفةٍ  
 فأيقنـتُ أني مسـتهدفتُ  
 فقلـتُ: انـذني بدخول الخـلا  
 وأخـرُجْ منـه على أهـبةٍ  
 فوافقتِ في التـو مخدوعة  
 فلمـا دخلتِ اهتـديتِ إلى  
 فـعلتِ الأذى فـوق رأسي لكي  
 فقلـتِ: ابتعدُ لستِ أهـلاً لـما  
 فأبـداني الله مسـكاً زكـا

على صـيدك المسـتكين الوسيم  
 تريـدين يمضي كمثل النسيم  
 كـأنـي خـيـلٌ ، بشوق يهـيم  
 كأنـك زوجي الودود الـرؤوم  
 لعبـدٍ تغثتـه شـتى الهموم  
 أليس يرانا البصير العليم؟  
 تُراوِجُ بين الهوى والزعموم  
 وحتمـاً سأصـبـو إلى ما تحوم  
 لكيـما أمـيط الأذى والزهموم  
 عليـها يـكون الضجيج النديم  
 بما أدعي من فـرى في الصميم  
 دفاع لـما عـشـته من هجوم  
 أضـد البلاء الوبيـل الذميم  
 أردتُ ، فأنتِ فتى مُسـتقيم  
 شـذاه دواء العليل السـقيم!

## الأب الحقيقي

(إن الأبوة ليست بمجرد الانتساب ، بل هي بذلٌ وجهدٌ وعطاءٌ ونصيحةٌ وتضحيةٌ. أورد الخولي في قصصه الواقعية تحت عنوان (الأب الحقيقي) قصةً ملخصها: (دخل الأب منزله كعادته في ساعة متقدمة من الليل ، وإذ به يسمع بكاء من غرفة ولده. فدخل عليه فزعاً متسانلاً عن سبب بكائه ، فردّ الابن بصعوبة: لقد مات جارنا فلان (جد صديقي أحمد) ، فقال الأب متعجباً: ماذا! مات فلان! فليمت عجوز عاش دهرًا ، وهو ليس في سنك يا بني ، وتبكي عليه كل هذا البكاء ، يا لك من ولدٍ أحقّ لقد أفرعتني ، ظننت أن كارثة قد حلت بالبیت ، ربما لو أني مُت لما بكيت عليّ هكذا! نظر الابن إلى أبيه بعيون دماعة كسيرة قائلًا: نعم لن أبكيك مثله! هو من أخذ بيدي إلى الجُمع والجماعة في صلاة الفجر ، وهو من حذرنى من رفاق السوء ، ودلني على رفاق الصلاح والتقوى! هو من شجعني على حفظ القرآن وترديد الأذكار. أنت ماذا فعلت لي؟ كنت لي أباً بالاسم ، كنت أباً لجسمي ، أما هو فقد كان أباً لروحي ، اليوم أبكيه وسأظل أبكيه ، لأنه هو الأب الحقيقي ، ونشج بالبكاء. عندئذٍ تنبه الأب إلى غفلته ، وتأثر بكلامه واقشعر جلده ، وكادت دموعه أن تسقط ، فاحتضن ابنه وتاب إلى الله منذ ذلك اليوم ولم يترك أي صلاة في المسجد. وأحسن إلى ابنه).هـ. ومن هنا جاز القول عندنا بأن الأب الحقيقي هو الأب الذي يُربّي ويُنشئ ويضع التصورات الصحيحة عن القيم ومنظومة الأخلاق ، ويتابع تطبيقها في الحياة العملية. أما الأب الذي كل همّه البيت الواسع المترف الراقي والأثاث الجميل والطعام الذيّذ الشهوي والملابس الأنيفة الغالية الأثمان والمستوى المعيشي الذي يحلم به الأبناء ، أقول بأن هذا كله بدون القيم والأخلاق لا يعطي هذا النوع من الآباء وصف الأبوة الحقيقية الحانية ، التي ينبغي أن يكون عليها الآباء في الحياة. وأذكر أنني أيام كنت في عمر ذلك الصبي بطل قصيدتنا كنتُ أحرصُ الحرص كله على مصاحبة الكبار الذين منهم من يفوق سن أبي أو يقل قليلاً. وما ذاك إلا للاستفادة من خبراتهم الحياتية. وهذا أمرٌ قد عرفتُ به ، يدركه الكبير والصغير من أقربائي ومن الراسخين في معرفتي. وما ندمتُ يوماً على صحبة هؤلاء. وفي (منتديات الشروق) كان تعريفٌ للأبوة أقتبسه كما هو: (يعتقد الكثيرون أن دور الأبوين ينحصر في مجرد إطعام الأولاد وكسوتهم وصرف المال لعيشهم فقط. لكنهم لا يعلمون أن الأبوة الحقّة تكمن في إظهار عاطفة الآباء تجاه أبنائهم ، في حُبهم وحنانهم. إضافة إلى تكوينهم وتعليمهم نفسياً ليتحملوا متاعب الحياة. قليل فقط مكن الأولياء ، ومعظمهم من طبقة المثقفين ممن يعلمون بهذه الحقيقة. كما أن البعض الآخر يجد صعوبة في تربية ابنه مما يجعله ابناً عاقاً ، عندها يلقي كل اللوم عليه لأنه غير مؤدّب ، وقد لا يدرك أنه السبب في حصول ذلك ، فشخصية الطفل تتكون من محيطه الذي يعيش فيه ، ألا وهو الأسرة. قد لا ينجح الكثيرون ممن ضاقت بهم الدنيا في الاعتناء مادياً بأبنائهم ، لكنهم يوجهون جُل حُبهم وعواطفهم تجاههم ، وهذا بالضبط ما يحتاجه الأبناء: الحب والحنان. على عكس البعض ممن يسرفون في صرف الأموال الباهضة من أجل أن يلبس أبنائهم أجمل الثياب ويسكنوا أفخم منزل ، وبذلك تشغلهم تلك الأموال عن إظهار عواطفهم وحنانهم).هـ. ومن هنا أعجبتني قصة الفتى ، فأنشدت تحت عنوان (الأب الحقيقي) الذي هو تعبير الابن عن صديقه الرجل الأشيب ، هذه الأبيات من البحر الكامل وقافية الراء!)

كم في المقابر غيّب حُصاراً! ذهبوا ولمّا تذهب الآثار!

حازوا الكرامة والشرافة والإبا ونعاهم الشعراء والأشعار

واسـتأثروا بمناقـب وضـاءةٍ  
بلغوا الذؤابـة في التفضـل والعطا  
وتفردوا بالمجد والحسنى معاً  
وتحمّلوا في البذل كل كـريهةٍ  
حتى غدّوا بين الأنام منارة  
هم أخلصوا لله ديناً ، فاستتمّوا  
ولئن فنّوا ، فالله خآلد ذكـرهم  
وعلى المهيمـن لا أزكى عبده  
لكنه حق الأنام وفضلهم  
وأخصّ بالذكر المبجل جارنا  
هذا الأشـيمط داني ، وأعانني  
والناسُ والجَمْعُ الجلائلُ شُهدًا  
كم خصّني بالنصح ينشدُ رفعتي!  
كم من رفاق السوء حذر مُنذراً!  
فعلّيه رحمة ربنا ما أشـرقت  
وأنا - بدمع العين - قد أبنته  
أبتاه تبّ حتى أحبك مثله

وغدّت لهم - بين الورى - أقدار  
وعلى الشهامة في الخلائق غاروا  
وتواردت عن ذلك الأخبـار  
ما ردهم عمّا ارتأوه ضرار  
فالناسُ أرضٌ ، والأبـاة منار  
ولهم بذلك هيبـة ووقار  
هم غيّبٌ ، لكنهم خُضار  
جَل المليك الواحدُ القهار  
والله ما استويا غثاً وكبار!  
إذ قدوتي - بعد النبي - الجار  
والشاهد الصلوات والأسـحار  
وأولو النهى الرئبالـة الأخيار  
لا شيء مثل النصح حين يُعار  
وأنا استجبْتُ ، وأثمر الإنذار  
شمسٌ ، وما كسح الظلام نهار  
والدمعُ - في تشبيعه - مدار  
واحقر ذنوبك ، ربنا غفار!

## عقل الأستاذ غير موجود!

(إن المواقف الجميلة يفعل لها قلب كل شاعر ولا شك. وكم من مواقف عشناها وسوف نعيشها ما كان في العمر بقية ، تؤثر فينا بما تطبعه من ذكريات عذبة عذوبة المواقف ذاتها. وكم من مواقف باهتة تافهة لا تستحق مجرد الذكر ، لا يابيه المرء بها ، بل ويتمنى لو مُحيت من سجل حياته. وبوصفي أستاذاً للغة الإنجليزية على مدى ربع قرن ، فأراني عشت من المواقف الشيء الكثير ، من الذي أفتخر به مع تلاميذ وزملاء وإداريين ، ولا يزال المعلم الأستاذ يعيش من المواقف أصدقها وأجلها كلما كان صادقاً في أدائه مؤثراً جعل وظيفته رسالة لا مهنة ارتزاقية كما هو معهود مشاهد ملموس محسوس عند الكثيرين اليوم وأمس وغداً ، إلا من عصم الله. غير أنني عجبْتُ لموقف تلميذٍ ليس من تلاميذي وإن كان بين تلاميذي من هو مثله ، غير أنني أوقن أنه موقفٌ جريءٌ لتلميذٍ مؤمن مسلم موحدٍ قانت. موقف مشهور ذلك الذي أفحم به تلميذ مسلم معلمه الملحد عندما سأل الملحد: أترون الله؟ قالوا: لا. فعقب: إذن الله غير موجود. فاستدرك التلميذ: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا. فعقب ، إذن عقل الأستاذ غير موجود. فأفحم التلميذ الزكي العبقري الملهم معلمه المتعجرف الغبي ، وكان درساً واعياً شافياً جامعاً مانعاً يسجل في ديوان الخلود ويملاً سمع الزمان. وتحت عنوان: (المعلم السويدي) يقول الأستاذ إمام عثمان ما نصه: (يقول أمير الشعراء أحمد شوقي محتفياً بالمعلم في بيته «قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً» ومن خلال تلك المفردة الثرية بالاحتراف والمضامين نتعرف على قيمة ومكانة المعلم وأيضاً دوره في بناء الأمم والدول. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». ولكن شتان بين أمس واليوم. وفي الحين ذاته دعوني أرو لكم جوانب من مشاهداتي في السويد حيث لا أحمد شوقي ولا الرسول المصطفى ، بل هناك أجيال تعلمت وتربت على القيم الكبرى. فبات المعلم منارة شامخة يتشرف بها ويفتخر. والعلاقة هناك مع المعلم لا تنتهي عند السنة الدراسية. بل نحن أمام رصيد ضخم من العلاقات الإنسانية التي تبدأ دائماً بالطالب وجميع من تعاقبوا على تدريسه وفي جميع المراحل بحيث تظل العلاقة حاضرة بين الطالب والمدرس والمدرسة وأيضاً زملاء الدراسة. ذات يوم في أحد الأسواق المركزية. شاهدت ابني وهو ينطلق إلى أحد مدرسيه في المرحلة المتوسطة لم يلتقه منذ سنوات فكان الاحتراف به والحديث معه مطولاً وتعريفه على جميع أفراد الأسرة وفي المقابل كانت مبادرة المدرس بتعريفنا على أفراد أسرته وأيضاً النقاط الصور ووضعها على مواقع التواصل الاجتماعي في حوار راح يتواصل ويتجدد يوماً بعد آخر. المدرس السويدي نموذج مختلف ومتطور عن جميع الصيغ التقليدية التي عرفناها عن المدرس لربما ليس في العالم العربي وحده ، بل وفي جميع انحاء العالم فهو الصديق والمربي والمتابع والموجه والنموذج وغيرها من المعاني والمضامين والقيم الكبرى. أعرف أحد المدرسين السويدين قام بزيارة طالب من أصول شرقية لأنه تغيب عن المدرسة يومين متتاليين من أجل الاطمئنان عليه والسؤال عنه وحينما عرف بأنه متوَعك دعا جميع الطلاب في اليوم الثاني لزيارة زميلهم. فأى صنف من المدرسين هو المدرس السويدي؟ إنه حتماً من تلك النوعية التي قال عنها شوقي: «كاد المعلم أن يكون رسولاً»..هـ. ويقول الأستاذ صالح بن عامر آل خشيل سفير متقاعد سيدي المعلم: من علمني حرفاً صرتُ له عبداً. معلماً كان أو معلمة. لقد نشأنا في تربيتنا الأولى على هذا المبدأ ، تبجيل واحترام المعلم إيماناً بمنزلته العظيمة وبقيمة رسالته الخالدة . فبدون المعلم لا يتسنى للعلم أن ينتشر ولا للحياة أن تتطور. ومنذ بدء الخليقة نشأ

التعلم كأسلوب حياة طبيعي يكشف للإنسان أسرار الكون والحياة من حوله ، ويكسبه مهارات جديدة تعينه على عيشه وحفظ أمنه وصحته وتيسير حياته وهكذا هيا الله للإنسان سبيل الاكتشاف والاختراع المرهلي على مدى العصور والأزمان على قدر استطاعته وليعلم كل يوم أن ما خفي من علم الخالق أكبر واعظم مما تيسر له أن يعلم. وهدى الله الإنسان الأول إلى الكلام و اللغة كوسيط يتفاهم بها الناس فيما بينهم ، ثم هداه إلى رموز كتابة اللغة كوسيلة للتعلم ومن ثم القدرة على قراءتها وحفظها في وسائل مختلفة من معطيات الطبيعة حتى تم التوصل إلى الكتاب التقليدي الذي حُضِنَ بين دفتيه كل حقول العلم والمعرفة. وصولاً إلى الوسائل التقنية الحديثة. ولكن السؤال هو: هل كان هذا كافياً لتستمر عملية التعلم وتناقل المعرفة بين الناس تلقائياً بمجرد توفر لغة وكتاب ووسائل تقنية؟ بالطبع لا ، ومن هنا نشأت الحاجة إلى وجود المعلم كضرورة من ضرورات التعلم وبدونه لا يتسنى للعلم أن ينتشر ولا للإنسان أن يتعلم. وأصبح المعلم في كل بقاع الارض وفي كل مراحل التاريخ الإنساني هو الأولى والأهم قبل غيره من شرائح ووظائف المجتمع. من غير المعلم لا نعرف ديننا! من غير المعلم لا نحافظ على صحتنا. من غير المعلم لا نحفظ أمننا. من غير المعلم لا نكسب عيشنا ولا ينمو اقتصادنا. من غير المعلم لا نحمي أنفسنا وأوطاننا من الخطر. بل من غير المعلم لا قيمة للحياة. كل وظائف الحياة لم يقدر لها أن تكون بدون المعلم. كل سبل الحياة لا تتيسر بدون المعلم. كل العلوم و الثقافات والأداب والفنون والتقاليد والمهارات لا تنشأ وتتطور بدون المعلم. يا لها من مهنة عظيمة جليلة سامية! أن تكون معلماً ، فقد حزت أعلى درجات الشرف الحقيقي لا المزيف ، ونلت المرتبة الأعلى والأسمى ، وتربعت على عرش القدر العالي والاحترام الواجب. هذا أنت أيها المعلم في نظري ونظر الناس من حولك . فهل تدرك أنت قيمتك؟ وتعمل جاهداً على تعزيزها وتمكينها؟ وهل تدرك أيها المعلم أنك تحمل على عاتقك مسؤولية عظيمة ليست ككل المسؤوليات؟ وأمانة ثقيلة ليست ككل الأمانات؟ وهل تدرك أيها المعلم أن عليك أن تثق كل الثقة بسمو مهنتك وعلو قدرها ومن ثم أن تعمل بكل جد واجتهاد لتطوير ذاتك وتنمية معارفك ومهاراتك لتستحق هذا الشرف العظيم؟ وأنت أهلاً له بعون الله. أيها المعلم أنت الأول فاحفظ صدارتك. وأنت الأسمى فاحفظ منزلتك. سر في دربك محاطاً برعاية الله. ولا تلتفت لرسائل الإحباط والفت في العُضد وتكسير المجاديف. فأنت تعلم قدرك ومنزلتك التي يجب أن تكون عليها ، وتعلم قدرتك وسبيلك ووسيلتك التي تبقيك فيها بكل ثقة. ونحن من حولك بالتعاضد والتعجيد والدعاء).هـ. وكمن من عقول أساتذة اليوم لا وجود لها من حيث المبدأ ، لكثرة ما ران عليها من المهارات والحدائق والسخافات والحماقات ، ناهيك عن المغالطات التي يتوقعون بها ويتبجحون دون احترام لرأي المخالف لهم عند النقاش في أية قضية من القضايا. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ، ما بين الدرجتين مائة عام. قال وهب ابن منبه رحمه الله: (يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه ذليلاً ، والعز وإن كان صاحبه مهيناً ، والقرب وإن كان قصياً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والمهابة وإن كان وضعياً). وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله في وصيته لولديه: (والعلم لا يُفْضَى بصاحبه إلا إلى السعادة ، ولا يقصر عن درجة الرفعة والكرامة ، قليله ينفع ، وكثيره يعلي ويرفع ، كنز يزكو على كل حال ، ويكثر مع الإنفاق ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يُخَاف عليه سارق ولا محارب ؛ فاجتهدا في تحصيله ، واستعدبا التعب في حفظه والسهر في درسه ، والنصب الطويل في جمعه ، وواظبا على تقييده وروايته ، ثم انتقلا إلى فهمه ودرايته. وقال ابن حزم رحمه الله: (لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ، وأن العلماء يجلونك لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة؟ ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ، ويغبط نظراءه من الجهال لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه

فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟ وعن سفيان الثوري والشافعي - رضي الله عنهما -: (ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم). ولذا أكبرت موقف هذا التلميذ النجيب مع معلمه الأحمق الذي ظن أن صوت الفطرة المركوزة في النفوس يمكن أن ينخرس أمام الجحود والمكابرة والعناد والغباء. هذا الموقف الجميل استشهد به خطباء كثيرون ، وقصه كتاب كثيرون ، وعلى حد علمي لم يتناوله شاعرٌ ما في قصيدة أو مقطوعة ، فكنْتُ ذلك الشاعر الذي أراد أن يصوّر ذلك الموقف شعراً ويتغنّى به في ديوانه الذي اقتطع جزءاً كبيراً من حياته من أجله!

موقفاً أودى بقول المجرم	مُخرساً بـين التلاميذ العمي
بالغاً في رشده أقصى مدى	يصبغ الخضم به كالأبكم
يُلْقِمُ الإلحاد صخراً جليداً	ماله في الأرض يوماً من سمي
ويُعِيدُ الحق مرفوع اللوا	تارة يبدو ، وأخرى يستمي
كم جهول غره إفلاسه!	فافتري زوراً بقول مُبهم
فإذا بالعلم يجتث الهرا	مُوهناً كيدَ الدعي المجرم
إن للعقل اجتهاداً قاصراً	وفوق آيات الكتاب المُحكم
أيها الأستاذ أعماك الهوى	عن بلوغ الحق ، فاحذروا ندم
لم يكن يدعوك إلا للهدي	بسؤال ساقه أندي فم
فلماذا لم تتابعه على	وعظمه البرّ الوديع القويم؟
إذ تجرأت على رب السورى	صاغ رداً قاصلاً كالعقم
بارك اللهم في هذا الفتى	واحفظ اللهم عقل الملهم!



## ضمير طفلة

(قد يُجري الله الحكمة على لسان طفل لينتفع بها الكبار. وكم من موعظة قالها طفل أو طفلة كانت طريقاً لهداية أعتى المجرمين أو المجرمات. أما (ضمير طفلة) فعنوان أورده الخولي في قصصه الواقعية قصة رقم (253) ويحكىها الخولي بنفسه عن أحد جيرانه بسند متصل هو راويه والعهد عليه ، وملخصها قوله: (كان لي جار تاجر ، ومن ضمن تجارته بيع المياه المعبأة المنتجة من المصنع المتخصص ، فكان يقوم بتعبئة مياه غير معقمة ويبيعه للناس ، ويضع لاصقاً معتمداً من المصنع ، وكانت ابنته الصغيرة تلاحظ غشّه للناس دون أن تجرأ على نصيحة أبيها لخوفها منه ، وذات يوم وبينما هو يقوم بإشعال الغاز لغلي الماء ، كان الغاز قد انتشر في المكان بصورة فظيعة فاشتعلت أرضية المكان ، واشتعلت معها رجلا التاجر، وكان في رجله مرض جلدي عُضال تعذر علاجه ، لكنهما شفيتا بعد احتراقهما مباشرة. فأقبلت البنت على أبيها وقالت له: انظر يا أبي ما أعظم رحمة الله بك ، تعصيه ويجعل في خطاك طريقاً لشفاء مرضك ، ولو حاسبك بعملك لأحرقك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ، فاندھش الأب من ملاحظة ونصيحة ابنته ، بينما لم يفتن هو لهذه النعمة الكبيرة ، فتاب وحمد الله على نعمة البنت الصالحة ، والعافية التي أنعم الله بها عليه بعد طول عناء).هـ. فحمدتُ الله بعد مطالعة هذه القصة وأدركتُ أن في أمة محمد - ﷺ - اليوم مثل بنت بانعة اللبن على زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالأمس. إن هذا مؤشر عظيم يدل دلالة قاطعة على أن أمتنا المسلمة لا تزال بخير. وجزا الله الأستاذ الخولي راوي القصة خيراً كثيراً حيث أمتعنا بها إمتاعاً يعجز القلم عن تصويره ، وإن استطاع القلم التصوير عجزت الكلمات عن ذلك التصوير لما للقصة من صدق في النفوس والقلوب عظيم. أنشدت من شعري بعد إيراد ملخص القصة!)

أَسْمِعَتْ مَا قَالَ الضَّمِيرُ المَبْتَشِرُ      لَمَّا أَسْرَ بِذِي الكَلِيمَاتِ العُرْرُ؟!  
إذ عَطَرَ الأَسْمَاعَ بِالوَعظِ الذِي      أوحاه دون تهيب لمن أذكر  
ألقاه دون تخوفٍ في حينه      إلقاءً من لفظ التوجس والحذر  
هذي - ورب الناس - أشجع طفلةٍ      تُهدي الحقيقة دون أن تخشى الخطر  
لم يُخِنِ هَامَتَهَا تَعْنَتْ وَالِدِ      كلا ، ولا عُقبى الدغاول والغير  
وضميرها للحق يسبق الخطأ      ويعيش وقاد البصيرة والبصر  
عَفَّ اللسان ، له عزيمة مخلص      ويشع - في الظلماء - نوراً كالقمر  
لم يرضَ بِالظلمِ المُقْتَمَعِ منهجاً      وطريقة تفضي إلى شيءٍ نكر  
إن الحرام وإن رَبَّتْ أرباحه      يوماً يقود إلى المهالك والخسر  
لا شيءٍ مثلِ الحِلِّ يُبهج عيشنا      ويُجنبُ الناسَ المَضْررةَ والكدر

صفو الحياة من الإذايمة والضجر  
لكن تجاهلنا ، ولم تُغن النذر!  
لم تُبق شيئاً عاينته ، ولم تذّر!  
والشرع أفضل ما يُعز به البشر  
تند الضمائر عندما تقلو العبر  
ويُحيل عالمنا إلى بعض الأثر  
كثبان رمل في مجاهيل الخفر  
وجزاء من غش الأنام غداً سقر  
أقصر فإن الغش ليس بمنتصر  
ينبيك عما خبأت كف القدر  
لتذوق - في الدنيا - اللهب المستعر  
والغش درب للضلالة والسفر  
حتى يُخلصك المليك المقتدر!

والحق أجدر أن يعالج ما اعترى  
كم من نذير طالعتْه نفوسنا  
وكم انحدرنا للمطامع ، نأرها  
وكم انحرفنا عن شريعة ربنا!  
ما الغش بين الناس إلا لعنة  
الغش يجلب كل ألوان الأذى  
كم دمّر الغش البيوت فأصبحت  
والغش يُورث أهله ضنك الشقا  
والطفلة العصماء قالت: يا أبي  
والنار أرسلها المهيمن من ذراً  
وشفاك ربك - بالحريق - مسعراً  
إن المثوبة قد تصد عقوبة  
أبتاه تب ، وارجع ، وأحسن ، واعتذر

## نعزي أم نهني؟

(هناك في (جنين) مرض ذلك الأب ، وظل طريح الفراش ثمانية عشر عاماً ، وهو صابر متصبر محتسب يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه ويسأله حسن الخاتمة. وتعاور على خدمته أبناؤه وزوجاتهم ، وتفانوا في الإحسان إليه جداً ، وألمهم عدم جدوى العلاج قط ، وعدم وصول الأطباء لحقيقة مرضه وآلامه وجراحه. وبعد هذه المعاناة الطويلة فارق الحياة. فتضاربت مشاعر أبناؤه هل يفرحون أن الله رحمه من رحلة الصراع مع المرض المزمّن ثمانية عشر عاماً؟ أم يحزنون على فراق أبيهم ذلك الفراق الذي لا لقاء بعده إلا يوم القيامة؟ فرحت أسطر مادحاً. ألا وإن إكرام ذي الشبيبة المسلم من شعائر ديننا! فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قِيَصَ اللَّهِ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ) [رواه الترمذي ، وضعّفه الألباني رحمه الله في (ضعيف سنن الترمذي)]. وفي معناه ما رواه يحيى بن سعيد المدني قال: بلغنا أنه من أهان ذا شبيبة لم يمتّ حتى يبعث الله عليه من يهين شبيته إذا شاب. وروى ابن أبي الدنيا قال: دخل سليمان بن عبد الملك المسجد فرأى شيخاً كبيراً فدعا به ، قال: يا شيخ أتحب الموت؟ قال: لا ، قال: بم؟ قال: ذهب الشباب وشره وجاء الكبر وخيره ، فإذا قمت قلت: بسم الله ، وإذا قعدت قلت: الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا. وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: (مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ) [رواه الترمذي ، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح سنن الترمذي)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) [رواه البخاري في (الأدب المفرد)]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرًا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرًا فَلَيْسَ مِنَّا) [رواه أبو داود ، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح سنن أبي داود)]. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّبِيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) [رواه أبو داود ، وحسنه الألباني رحمه الله في (صحيح سنن أبي داود)]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَسْتَنُّ ، فَأَعْطَى أَكْبَرَ الْقَوْمِ وَقَالَ: (إِنَّ جِبْرِيْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَكْبِرَ) [رواه أحمد ، وصححه الألباني]. وعن أبي يحيى الأنصاري رضي الله عنه قال : انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا ، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَمَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِيْنَةَ ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَخَوِيصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: (كَبِّرْ كَبِّرْ) وَهُوَ أَحَدُثُ الْقَوْمِ فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا فَقَالَ: (تَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟) وذكر تمام الحديث [رواه البخاري ومسلم]. وقوله (كَبِّرْ كَبِّرْ) معناه: يتكلم الأكبر. وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكِ فَجَدَّبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَتَأَوَّلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ) [رواه البخاري معلقاً ، ومسلم موصولاً – واللفظ له].

ياراحلاً قد هفأ لضجة القبر

لذا أعد لها نفائس الذخر

قاسيت في العيش أهوالاً مقتطرة

وفي العروق من البلوى دم يجري

وتستهين بما تلقاه من ضرر  
لوك الذي عالج الأسقام بالصبر  
نفس هوت زماً في حماة الشر  
يطوي الحياة بألوان من القهر  
وقسموها ، فمن طور إلى طور!  
وكيف يصدق من يأوي إلى الفجر؟  
وباليهود وما أتوه من جور  
أضنتك عقدين من بحبوحه العمر  
يوملون الشفا في السر والجهر  
حزناً عليك من الإصباح للفجر  
خوفاً عليك من الأسقام تستشري  
وفي الضرورة يقضي الطب بالحجر  
وتسأل الله أن يمين بالخير  
وأصبح الشيخ بعد الموت في القبر  
من الكلام يُواري سواة الأمر  
ونحمل الكل في المعزى على الصبر؟  
من العذاب طغى حيناً من الدهر!!

وعشت تعصر الألام في جلد  
ولكت ما ساق الأقدار من محن  
وذبت شوقاً إلى غفران ما اقترفت  
وفي (جنين) رأيت الظلم عن كذب  
قضية نسج الأعداء حبكتها  
وصدق البعض ما حاكوه من كذب  
وأنت أخبر بالأوضاع منذ بدأت  
حتى دهنتك لما عاينت قاصمة  
والكل حولك منذ عانيت في شغل  
أبناؤك الصيد ما جفت مدامعهم  
ولكنائن في الإخلاص مدرسة  
أما العلاج فلم ينفع تناوله  
والناس ترجو لهذا الشيخ نجدته  
والموت خط بلا إذن نهايته  
وحير الصحب والأهلين ما التمسوا  
قالوا: نعزي ونبدي الحزن في ملاء  
أم نظهر السعد حيث ارتاح أشيبا

## فاعتبروا يا أولي الأبصار

(كم من طفل أجرى الله على يديه كرامات ليعتبر بها الكبار من حوله ، حيث إنها أكبر من سنه ، ومن هنا كانت خارقة وسابقة في ذات الوقت! أورد الخولي في قصصه الواقعية ص 670 هذه الأقصوصة العجيبة. يقول الراوي (كنت يوماً في زيارة لأحد الأصدقاء ومعني ابني عبد الرحمن الذي لم يتجاوز السبع سنوات ، وبينما كان صديقي في المطبخ يقوم بإعداد الشاي ، احتجت استعمال حاسوبه ، وأنا أستخدم برنامج الكتابة ، أخذ ابني يداعبني ويمازحني ، ويطلب مني أن أشغل له نشيداً عن طريق برنامج الريل بلاير (ويظن أن لدى صديقي تلك الأناشيد) وحاولت أن أفهمه أن تلك الأناشيد ليست على هذا الجهاز ، ولكنه أبى إلا أن أجرب له وأبحث ، وعندها قلت له: انظر بنفسك ، وكان يعرف كيفية فتح ملفات الأناشيد والقرآن الكريم والمحاضرات. وبينما هو يبحث في الملفات نظرت إلى ملف وإذا به تحت اسم (سفينة البحر) ، فقلت: لعله برنامج أو صور عن تلك السفينة ، وبينما أنا أفكر ماذا بالملف ، لم يمهلني ولدي وقام بفتح الملف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد كان الملف عبارة عن لقطة قذرة ترتكب فيها الفاحشة ، تسمّر ولدي أمام تلك اللقطة ، وبدأ قلبي ينبض وارتعدت فرائصي ، ماذا أعمل؟ ولم أتمالك نفسي إلا وأنا أمسك بعيني ولدي وأغمضها قسراً ، وأضع يدي الأخرى على الجهاز (الشاشة) ، وفجأة قمت بإغلاق الجهاز. وابني مصدوم مما رأى ، أما أنا فلم أستطع النظر إليه ، وبدأ قلبي ينبض وكانت الأفكار تدور في رأسي ، كيف أعلمه؟ ماذا أقول له؟ كيف أخرجه من هذا الوحل الذي رآه؟ وكيف؟ وبينما أنا كذلك نظر إليّ ولدي وهو يقول لي: بابا ، عمو هذا ما هو طيب ، وأنت دائماً تقول: لا تصاحب إلا الطيبين فكيف تصاحبه ، أبي عدني أنك لا تكلمه بعد اليوم. نزلت هذه الكلمات كالبرد الشافي على قلبي ، قبلت رأسه وقلت له: أعدك يا بني أنني لا أصاحب الأشرار ، ولكن أريد منك شيئاً واحداً ، قال: ما هو؟ قلت: أن تقول لعمو: هذا حرام ، فوعدني بذلك وانطلق إلى صديقي بالمطبخ ، وقال له بهدوء: عمو ، عمو ، ممكن أقول لك شيئاً؟ وكان صديقي يحب عبد الرحمن كثيراً ، فأجابه وهو منشغل بتحضير الشاي ، ما هو يا حبيبي ، قال ولدي: أهنئك مسلم لا يحب ربنا؟ فقال له: لا. فقال ابني: وتريد ربنا يحبك؟ ترك صديقي ما بيده واستدار على ابني وهو يقول: لماذا هذا الكلام يا حبيبي ، وأخذ يمسح على رأسه ، فقال ابني له: عمو جهاز الكمبيوتر به شئى ربنا ما يحبه! وتلعثم ابني ولم يدر ما يقول له! وهنا تسمّر زميلي ، وقد علم ما يقصد ابني يقيناً ، عندها ضمّ صغيري وأخذت الدموع تنهمر من عينيه ، وهو يقول: سامحني يا حبيبي ، وضّمه أخرى وهو يقول: يا رب سامحني ، يا رب سامحني ، كيف ألقاك وأنا أعصيك؟ دخلت عليه وقد كنت أسمع الحوار الذي دار بينهما ، ولم أدر ما أفعل ، وكان صغيري يقول له: عمو أنا أحبك وبابا يحبك ، ونريدك أن تكون معنا في الجنة ، ازداد زميلي في البكاء والتضرع ، وهو يقول: لقد أهدى لي ابنك حياتي ، وأخذ يبكي ، عندها أخذت بتذكيره بالله والتوبة ، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً. وهو يقول: لقد أهدى إليّ ابنك حياتي ، لم أعرف كيف مر الموقف ، كل ما أذكره أنني تركته وذهبت إلى بيتي ومعني ابني وهو على حاله تلك من التضرع لله بأن يغفر له ، والبكاء بين يديه. وفي منتصف الليل دقت سماعة التليفون قمت لأجيب ، ما تراه قد حصل ، وإذا به أخو زميلي الأصغر ، يقول لي: يا عم صالح أدرك صاحبك ، يريدك أن تأتي الساعة ومعك ابنك عبد الرحمن ، ذهب إلى غرفة ابني ، وأيقظته وأخذته معي وكلي قلق ما الذي حدث لصديقي ، دخلت بسرعة ومعني عبد الرحمن ورأيت صديقي وهو يبكي كما تركناه ، سلمت عليه وما أن رأى ابني حتى عانقه ، وقال: هذا الذي أهدى إليّ حياتي هذا الذي هداني ، بدأ صديقي يتمتم بكلمات في نفسه ، وكانت الغرفة

ملئمة بأقاربه ، ما الذي حدث وسط هذه الدهشة من الجميع ، قال لي ابني ، بابا عمو يقول: لا إله إلا الله ، بابا عمو يحب الله ، فجأة ، سقط صديقي مغشياً عليه ، ومات صديقي وهو بين يدي عبد الرحمن).هـ. فلما طالعت هذه القصة أعجبتني فأنشدت من شعري أقول مُشيداً بهذا الطفل الذي هدى الله به ، وكانت عبرة لأولي الأبصار! وتحت عنوان: (العبرة بالخواتيم) يقول الأستاذ خالد بن سعود البليهد في معرض رده على سؤال عن معنى حديث (فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها). فقال ما نصه: (إنما العبرة بالخواتيم فإذا مات الإنسان على حياة سيئة ومنكرات وشهد عليه الناس بالسوء كان ذلك دليلاً على سوء خاتمته أما قبل وفاته فلا يدري ما يختم له وقد يفتح الله عليه بالتوبة النصوح ويوفقه للتوبة قبل الممات فلا يحكم على أحد قبل موته ولا يرجى له النار وإن كان يوصف بالفسق والضلال وينصح وكذلك الرجل الصالح لا يحكم له ويرجى له الجنة حتى يموت على عمل صالح ويختم له بخير وهذا هو وجه الجمع بين النصوص ولهذا كان السلف الصالح يخافون على أنفسهم من سوء الخاتمة ولا يزكون أنفسهم ولا يحكمون على أحد بالنار ولا يتألون على الله ويشفقون على أهل الغفلة والضلالة ويسألون الله لهم الهداية وحسن الخاتمة. وقد ورد الوعيد الشديد في التالي على الله والحكم على العصي بالنار كما جاء في صحيح مسلم عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان وأن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك).هـ. ونص الحديث: (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثته رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وهو الصادق المصدوق (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفه ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) رواه البخاري. (فيما يبدو للناس) فقط ، كما جاء في الحديث الآخر الذي رواه البخاري ومسلم عن سهل قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَافْتَنُوا فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضْرَبَهَا بِسَيْفِهِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجْزَأَ أَحَدًا مَا أَجْزَأَ فُلَانًا فَقَالَ إِنَّهُ مِنَ أَهْلِ النَّارِ فَقَالُوا أَيُّنَا مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنَ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَا تَتَّبِعْنَهُ فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصَابَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَدُبَابَهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ وَمَا ذَاكَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ). وأما من يعمل بعمل أهل الجنة حقيقة ، إخلاصاً وإيماناً ، فالله أعدل وأكرم وأرحم من أن يخذله في نهاية عمره).هـ.

أيها الطفل جُذ بأعلى الوصايا      دون خوفٍ - يا صاح - بين البرايا  
وانشر العلمَ في قطيع جهول      ضلّ قوّم هم للتدني ضحايا  
وابذل الخيرَ ، أنت للخير أهلٌ      إن فعل الخيرات أركى السجايا  
وانصح الناسَ ، إنما النصح زادٌ      كم بنصح صحتّ خطي ونوايا!

خَمَشَتْهُم دَمَاءُ أَصْوَالِ الْخَلَايَا  
فَالضَّيَاءُ فَوْرًا يُجَالِي الْخَبَايَا  
يَا صَغِيرِي ، حَاشَاكَ فَعَلَ الْخَطَايَا  
وَالذِّي قَلَّتْ مِنْ عَزِيمِ الْوَصَايَا  
حَيْثُ بَاتَتْ مِنْ أَمَّهَاتِ الْقَضَايَا  
بَعْدَ أَنْ أَصْلَحْتَ الرَّؤْيَ وَالنَّوَايَا  
مُغْرَقًا بِالْإِدْمَاعِ النَّهْيَ وَالْحَنَايَا  
شَاكِرًا مَا أَهْدَيْتَهُ مِنْ عَطَايَا  
عَازِمًا أَنْ لَا عَوْدَةَ لِلدُّنَايَا  
يَعْلَمُ الْجَهْرَ - كَلِمَهُ - وَالْخَفَايَا  
وَسُؤْمُوهُ يَحْوِي عَظِيمَ الْمَزَايَا  
رَبِّمَا حَلَّتْ بِالْعِبَادِ الْمَنَايَا  
فِي الْمَعَاصِي حَتَّى اسْتَبَاحَ الصَّبَايَا!  
وَالرَّفَاقُ يَا كَمْ لَهُمْ مِنْ حَكَايَا!  
وَالنَّشَامَى تَعَافُ سَرْدَ الرُّوَايَا  
يَا سَمِيعًا مَرَّ الدَّعَا وَالشُّكَايَا

وَانزَع الشوكَ مِنْ طَرِيقِ أَنْاسِ  
وَاحْمِلِ النُّورَ إِنْ دَهَاهُمْ ظَلَامٌ  
أَنْتَ لَمْ تَذَنْبِ ، بَلْ أَتَيْتَ صَوَابًا  
وَالْأُمُورُ قَدْ أُسْفِرَتْ عَنْ صَبَاحِ  
وَأَرَاهَا عَادَتْ بِرُشْدٍ وَخَيْرِ  
أَنْتَ أَهْدَيْتَ - لِلْفَقِيدِ - حَيَاةَ  
حَيْثُ تَابَ الْمَخْدُوعُ تَوْبًا نَصُوحًا  
بِإِذْنِ فِي التَّوْبِ النَّفِيسِ احْتِسَابًا  
غَاسِلًا كَفَيْتِ مَسْتَكِينِ حَزِينِ  
ثُمَّ خَطَّ الْحِمَامُ لِقِيَا مَلِيكَ  
عِبْرَةَ هَذِي دُونَهَا أَيِّ وَصْفِ  
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ اسْتَجِيبُوا ، وَتَوَبُوا  
كَمْ سَمِعْنَا عَنْ غَافِلٍ قَدْ تَمَادَى  
ثُمَّ كَانَتْ لِلنَّذْلِ أَخْزَى أَحْجَابِ!  
وَالرُّوَايَاتُ فِي الصَّحَائِفِ خَطَّتْ  
رَبِّ سَلَّمَ مِمَّا اعْتَرَى أَهْلَ دَارِي



## دمعة وداع

(إنها دمعة شعرية دمعها العينُ على رحيل العلامة جاد الحق علي جاد الحق - رحمه الله - وذلك علي مواقفه الجميلة الجريئة الخالدة. كتب الأستاذ أيمن حمودة في (منار الإسلام عدد شوال 1426هـ) وتحت عنوان: (الرجال مواقف) ما نصه: (إن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ، شيخ الأزهر السابق - رحمه الله - ، هو رجل المواقف العظام الشامخة الخالدة دفاعاً عن دينه وقضايا أمته ودفاعاً عن الإسلام والمسلمين المستضعفين في شتى بقاع العالم - وسيدكر التاريخ بأحرفٍ من نور مواقف الإمام الراحل مُسجلاً للأجيال القادمة شموخ هذا الرجل الذي جسّد للبشرية جمعاء الدور الريادي للأزهر الشريف ، بعد أن أعاد له مرجعيته وقدسيتها ، ونهضته العلمية والفكرية ، فانتشرت المعاهد الأزهرية في جميع مدن مصر وقراها وكثير من البلدان الإسلامية! لقد كان (رحمه الله) مدافعاً صلباً عن قضايا أمته حاملاً هموماً وغرقاً في مشكلاتها ، حتي لقي الله وفي صدره الكثير والكثير من الهموم والمحن والآلام التي يحيها الإسلام والمسلمون في شتى بقاع الأرض. ولد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ، يوم الخميس 13 من جمادى الآخرة عام 1335هـ ، الموافق للخامس من أبريل (نيسان) عام 1917م في بطة مركز طلخا من محافظة الدقهلية. نشأ الإمام الراحل نشأة دينية خالصة في أسرة كريمة ، حيث كان والده رجلاً صالحاً معروفاً بالأمانة وحملها ، فكان أهالي القرية يودعون عنده أشياءهم الثمينة ، خوفاً عليها من الضياع ، وقد أثرت هذه النشأة الصالحة على الإمام الراحل ، حيث حفظ القرآن الكريم ، وأجاد القراءة والكتابة في سن مبكر جداً في كتاب القرية وعلي يد شيخها الراحل البهنساوي ، ثم التحق بالتعليم الإعدادي بالمعهد الأزهرى الأحمدي في مدينة طنطا عام 1930م ، حيث حصل علي الابتدائية الأزهرية عام 1934م والثانوية الأزهرية عام 1939م ، ثم التحق بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ، وحصل منها علي الشهادة العالمية عام 1943م ، ثم حصل علي الإجازة في القضاء الشرعي عام 1945م ، وقد عين الشيخ جاد الحق فور تخرجه موظفاً قضائياً في المحاكم الشرعية في يناير (كانون الثاني) 1946م ، ثم أميناً للفتوى في دار الإفتاء عام 1953م ، فقاضياً في المحاكم الشرعية عام 1954م ، وفي عام 1956م عُين قاضياً في المحاكم بعد إلغاء ثورة يوليو (تموز) للمحاكم الشرعية ، ثم رئيساً للمحكمة عام 1971م. وفي أغسطس (آب) 1978م ، عُين فضيلته مفتياً للديار المصرية ، وبعدها بعامين اختير عضواً في مجمع البحوث الإسلامية ، وفي الرابع من يناير (كانون الثاني) عام 1982م ، عُين فضيلته وزيراً للأوقاف المصرية ، وبعدها بشهرين وفي شهر مارس (آذار) عام 1982م ، عين شيخاً للأزهر. وفي سبتمبر (أيلول) عام 1988م ، تم اختيار فضيلته رئيساً للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة! وكانت له مواقف جريئة وخالدة في كل القطاعات التي عمل بها! مواقف جريئة وشجاعة وصريحة في كثير من القضايا والمشكلات المحلية والدولية ، انطلاقاً من رسالته الكبرى كشيخ للأزهر وإمام للمسلمين ، فللمشيخة دورها. ونذكر منها على سبيل المثال:- \* نصرته للأقليات المسلمة ، حيث كان شيخ الأزهر الراحل نصيراً للأقليات المستضعفة في العالم ، وكان في حواراته الصحافية وبياناته المتكررة في كل المناسبات الدينية ، ينبه إلى خطورة التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة في العالم ، ومما قاله فضيلته: (إن الأقليات المسلمة تتعرض لمحن قاتلة ، فهي مستضعفة في أوطانها مطرودة من ديارها ، ومدارسها مهددة بالتدمير، كما يحدث في الهند وكشمير وبورما ، وبعض دول أوروبا. من دون ردع أو حماية من حكومات تلك البلاد ، وكأن هذه الأقليات المسلمة ليست من المواطنين ، إن لهم حقوقاً على تلك الحكومات).

وكان فضيلته يؤكد دائماً على أن الأخوة الإسلامية ، تقتضي مؤازرة هؤلاء المستضعفين ، والسعي إلى حماية حقوقهم والحفاظ على أموالهم ، في وقت تنادي فيه الدول والشعوب بالمساواة ، وتتواصى بحقوق الإنسان وبحرية العقائد والأديان. وكان الإمام الراحل يولي اهتماماً بالغاً بقضايا الأقليات المسلمة في العالم ويطالب بوقف عمليات الاضطهاد التي يتعرضون لها ، وكان له مواقف عظيمة وجريئة وشجاعة في عدد من الحالات التي تعرض فيها المسلمون للعدوان علي أرضهم وأرواحهم وعقائدهم ، وأشهر هذه المواقف موقفه من العدوان الصربي على المسلمين في البوسنة والهرسك. فعندما نشبت حرب إبادة المسلمين في البوسنة ، كان أول من أعلن بأن حرب الإبادة صليبية في المقام الأول ، وهدفها إبادة المسلمين في البوسنة. وكان أول من دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي في الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة لمناصرة شعب البوسنة والهرسك ، وحضره عشرات الآلاف من المصلين ، ودعا فيه إلى إقامة صلاة الغائب على شهداء المسلمين في البوسنة. وأعلن (رحمه الله) أن مسلمي البوسنة والهرسك لا يحتاجون إلى مجاهدين بقدر حاجتهم إلى المال والسلاح ، ودعا الحاضرين ، والمسلمين في شتى بقاع العالم إلى التبرع بالمال في سبيل الله ومناصرة شعوب البوسنة. ونجح الإمام الراحل من خلال منصبه رئيساً للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في إعلان تأييده التام لحملة الإغاثة الإنسانية في نقابة الأطباء في مصر ، نجح في جمع ملايين الدولارات التي تم إرسالها إلى المجاهدين في البوسنة. كما أوفد فضيلته وفداً من علماء الأزهر الشريف برئاسة الشيخ جمال قطب – عضو البرلمان المصري وقتئذ – إلى البوسنة ليستقصى أحوال المسلمين هناك ، ويحث المجاهدين من شعوب البوسنة على مواصلة الجهاد وعدم التنازل عن شبر واحد من أراضيهم . كما أجرى العديد من الاتصالات مع المنظمات الدولية ، ووجه سلسلة من النداءات الدولية والإنسانية لإنقاذ مسلمي البوسنة ، وكان لفضيلته موقفٌ شجاعٌ في مناصرة المجاهدين في الشيشان ، وقدم لهم كل الدعم المالي والمعنوي ، وعندما نشبت حرب الشيشان بين الروس والشعب الشيشاني ، أصدر فضيلته بياناً حول تلك الحرب ، حيث أكد أنه لولا تمسك شعب الشيشان بإسلامهم ما حاربهم الروس. وقد قام الإمام الراحل بالعديد من المنح الدراسية المجانية إلى أبناء البلدان الإسلامية المستضعفة حتى يعودوا إلى أوطانهم دعاة إلى الإسلام ، وذلك من خلال الدراسة في الأزهر الشريف. \* ثانياً: قضية القدس: لقد كانت قضية القدس تشغل حيزاً كبيراً في عقل الإمام الراحل وقلبه ، وكان يذكر بها في كل المواقف والمناسبات ، مؤكداً على أن القدس ستظل عربية إسلامية إلى قيام الساعة ، رغم أنف يهود. وعندما قرر الكونجرس الأمريكي نقل السفارة الأمريكية إلى القدس ، أصدر الإمام الراحل بياناً صريحاً وواضحاً ، أدان فيه العدوان الصهيوني المستمر على القدس ، وأدان فيه القرار الأمريكي ، وقال: (إن أميركا تزعم أنها صديقة لكل العرب ، وهي أصدق في صداقتها لإسرائيل. تؤيدها وتدفعها إلى مزيد من العدوان على العرب وعلى حقوقهم ، وتساعد على وضع العراقيل نحو إتمام عملية السلام التي تتظاهر بدعمها ، لكنه دعم غير عادل ، فهو دعم للمعتدين الظالمين واستهانة وهدم لقرارات منظمة الأمم المتحدة. إن الأزهر الشريف يرفض القرار الظالم من أمريكا ، التي تسعى في إتمام عملية السلام ، ولكن هذا القرار أكد أن دعاة السلام صاروا دعاة للغدر وللإغتيال للأرض والعرض والمقدسات لا يراعون حقاً لغيرهم ، ولا يدعون إلى خير وإنما يسعون في الأرض فساداً). ورفض الإمام الراحل سياسة التطبيع مع إسرائيل طالما استمر اغتصابها للأرض العربية وكان مما قاله: (لا سلام مع المعتصبيين اليهود ولا سلام إلا بتحرير الأرض العربية). ورفض فضيلته زيارة المسلمين للقدس بعدما أفتى بعض العلماء بجواز ذلك بعد اتفاقية (أوسلو) عام 1993م ، أعلنها الإمام الراحل بعزة المؤمن الذي لا يخشى إلا الله: (إن من يذهب إلى القدس

من المسلمين آثم آثم. والأولى بالمسلمين أن يناؤا عن التوجه إلى القدس حتى تتطهر من دنس المغتصبين اليهود وتعود إلى أهلها مطمئنة يرتفع فيها ذكر الله ، والنداء إلى الصلوات. وعلى كل مسلم أن يعمل بكل جهده من أجل تحرير القدس ومسجدها الأسير). وعلى إثر هذا النداء القوي من الإمام الراحل ، دعا البابا شنودة بطريك الكنيسة الأرثوذكسية في مصر هو الآخر دعا النصارى إلى عدم زيارة القدس. وكان للإمام الراحل موقفٌ واضحٌ وقويٌّ من رفض التطبيع ، فقد رفض أن يستقبل الرئيس الإسرائيلي عيزرا وايزمان إبان زيارته للقاهرة ، وبعد عقد إتفاقية (أوسلو) عام 1993م ، مما سبب حرجاً شديداً للحكومة المصرية والرئيس الصهيوني. وكان لفضيلته مواقف شجاعة في التصدي للممارسات الإسرائيلية الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني ، فأدان فضيلته الحادث الإجرامي البشع ، الذي قام به يهودي متطرف عندما قتل عشرات المصلين الفلسطينيين في شهر رمضان داخل المسجد الإبراهيمي عام 1994م ، وقد سبق وأيد الإمام الراحل الانتفاضة الفلسطينية المباركة والعمليات الاستشهادية للمجاهدين الفلسطينيين مؤكداً على أن تحرير القدس لن يتم إلا بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله. ورفض الإمام الراحل ما تردد عن حصول إسرائيل على مياه النيل ومن خلال مشروع ترعة السلام وقال مقولته الشهيرة: (إن حصول إسرائيل على مياه النيل أصعب من امتلاكها على سطح القمر). وعن الأسرى المصريين الذين قتلتهم إسرائيل عمداً إبان حرب يونيو (حزيران) 1967م ، وأثارها الصحافة المصرية. قال فضيلته: (القتل العمد ضد أسرانا يستحق القصاص). \* ثالثاً:- التمسك بحكم الإسلام في مؤتمر السكان: حيث يعتبر موقف الإمام الراحل من المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ، الذي عقد في القاهرة عام 1994م ، من المواقف الخالدة والشجاعة لفضيلته (رحمه الله) أعاد فيه إلى الأزهر مكانته ومقامه الرفيع وموقفه المشرف من القضايا الدولية ، باعتباره حامي حمى الإسلام والمدافع عنه ضد محاولات التغريب ، فقد أريد من قاهرة الأزهر أن تصدر قرارات تناقض تعاليم الإسلام والأديان السماوية ، وتعتدي على عفاف البشر وكرامة الإنسان. فقد تناقلت وسائل الإعلام المختلفة وأيضاً نشرت الصحف العالمية قبيل انعقاده وثيقة المؤتمر التي تتضمن إباحة الشذوذ الجنسي بين الرجل والرجل. وبين المرأة والمرأة ، وإباحة الزنا وحمل الصغيرات العذارى والحفاظ على حملهن وإباحة إجهاض الزوجات الشرعيات الحرائر ، وكلها أشياء تخالف تعاليم الإسلام وأخلاقياته. وفور علم الإمام الراحل بخطوط تلك المؤامرة الخبيثة ، أمر كل العلماء والفقهاء والباحثين داخل الأزهر الشريف وخارجه بقراءة هذي الوثيقة جيداً ، ودراسة ما فيها وكتابة التقارير عنها ، ثم اجتمع فضيلته بمجمع البحوث الإسلامية عندما تأكد من صدق ما تنقله وسائل الإعلام حول وثيقة المؤتمر ، وأصدر بياناً شديداً اللهجة والصراحة ، يرفض وثيقة المؤتمر ، لأنها تخالف شريعة الإسلام. وأكد البيان أن الإسلام لا يقر أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي الذي يقوم بين الرجل والمرأة ، كما يحرم الإسلام الزنا واللواط والشذوذ ، ويحرم تماماً تماماً إجهاض الجنين البرئ ، حتى ولو كان الجنين هذا عن طريق الزنا. وأهاب البيان بالأمة الإسلامية الصادر يومها قبول أي بند أو فقرة تخالف شريعة الله! وقد كان لبيان مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الإمام الراحل فعل الزلزال القوي الذي أجهض المؤامرة الغربية التي تستهدف تحطيم الأخلاق الإسلامية الراسخة والتردي في هوة الفساد الجنسي. وقد سارعت الحكومة المصرية والقيادة السياسية المصرية بتبني بيان شيخ الأزهر ، وأصدر الرئيس المصري حسنى مبارك بيانه الذي أكد فيه على أن مصر المسلمة لن تسمح للمؤتمر بأن يُصدر أي قرار يصطدم مع ديننا وقيمنا! وخرج المتآمرون من قاهرة الأزهر يجرون أذيال الخيبة والفشل الذي لحقهم في المؤتمر التالي الذي عقد في مدينة بكين في الصين ، وكان الفضل في ذلك لله تعالى ثم لعزم الإمام الراحل الشيخ جاد الحق وصلابته ،

والذي رفض (وثيقة بكين) مؤكداً على أن هدف واضعي الوثيقة هو تدارك ما فاتهم في مؤتمر القاهرة . كما تصدى الإمام الراحل لقرار وزير التربية والتعليم المصري بمنع الحجاب في المدارس المصرية الابتدائية وضرورة موافقة ولي أمر الطالبة في المرحلة الإعدادية والثانوية على ارتداء ابنته الحجاب. وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الإمام الراحل بيانات أعلنت فيه أن القرار الوزاري يخالف الشريعة الإسلامية ونصوص الدستور ، واستند المحامون المصريون على هذه الفتوى عند التقاضي أمام المحاكم ضد وزير التعليم المصري ، حتى تم إلغاء هذا القرار ، وعاد الوزير إلى رشده بعد حكم القضاء بإلغاء هذا القرار. \* رابعاً- نهضة الأزهر: شهد الأزهر الشريف في عهد الإمام الراحل نهضة كبيرة لم يشهدها في عهد من قبله ، فقد انتشرت المعاهد الأزهرية في كل مدن مصر وقراها ، فحين تولى الإمام الراحل مشيخة الأزهر عام 1982م ، كان عدد المعاهد الأزهرية لا يزيد على ستمائة معهد ، وبلغ عدد المعاهد في عهده ستة آلاف معهد وبضع مئات ، فقد زرع الإمام الراحل المعاهد الأزهرية في قرى مصر ، كما تزرع النخيل في الصحراء. ولم يقف جهد الإمام الراحل على نشر المعاهد الأزهرية في مصر ، بل حرص علي انتشارها في شتى بقاع العالم الإسلامي ، فأنشأ معاهد أزهرية تخضع لإشراف الأزهر في تنزانيا وكينيا والصومال وجنوب إفريقيا وتشاد ونيجيريا والمالديف وجزر القمر ، وغيرها من البلدان الإسلامية. كما فتح الإمام الراحل باب الأزهر واسعاً أمام الطلاب الوافدين من الوطن الإسلامي وخارجه ، وزاد من المنح الدراسية لهم حتى يعودوا لأوطانهم دعاة للإسلام . ونجح الإمام الراحل في فتح فروع لجامعة الأزهر في جميع أنحاء مصر وعقدت الجامعة في عهده لأول مرة مؤتمرات دولية في قضايا طبية وزراعية وثقافية مهمة تحدد رأى الأزهر والإسلام فيها. وعندما أصيبت مصر بزلزال أكتوبر (تشرين أول) عام 1992م ، وتهدم أكثر من 1500 معهد وتخلت الدولة عن تقديم الأموال الكافية لترميم تلك المعاهد ، لم ييأس الإمام الراحل ، وأخذ يجوب القرى والمدن في مصر لحث رجال الخير والمحسنين على التبرع بالمال لترميم تلك المعاهد وبناء معاهد جديدة. وكان الإمام الراحل حريصاً على الدفاع عن علماء الأزهر الشريف وإبراز الوجه المشرق لهم ، انطلاقاً من إيمانه الكامل بعظمة الرسالة التي يقومون بها ، ووصف هؤلاء العلماء بأنهم ليسوا علماء سلطة ، وأكد أن علماء الأزهر يجهرون بما يرونه حقاً وعدلاً في كل المواقف والأزمات ، وتاريخ علمائه وشيوخه حافل بما يؤكد ذلك ، ورد على من اتهم الأزهر وعلماءه بالتقصير في مواجهة الإرهاب والنظر بقوله: مكنوا علماء الأزهر من منابر المساجد عندها لن يجرؤ أمير أو غير ، أو أي مدع على الإسلام أن يعطو المنبر ، وعندها لن يسمح عامة الناس وصفوتهم للجهلاء أن يخطبوا فيهم ويعلموهم. وكان لدعوته تلك صدى كبير مؤثراً! ودعا الإمام الراحل بضرورة قيام علماء الأزهر الشريف بمحاورة الشباب المتطرف الذي يفهم الإسلام فهماً خاطئاً وكان آخر قرارات الإمام الراحل لنهضة الأزهر وإبرازه في نشر رسالة الإسلام هو تحويل الأزهر الشريف إلى مدرسة مسانية للرجال والنساء لنشر الثقافة الإسلامية الرفيعة ، ولتوضيح حقائق الدين السمحة البعيدة عن التعصب والتشردم ، والداعية للحب والسلام على شكل مركز دائم مفتوح للدراسات الإسلامية ، ويتم فيها تدريس وتعليم جميع فروع العلوم الإسلامية. وأما عن مؤلفاته وتراثه الفكرى:- فلفضيلة الشيخ الجليل جاد الحق (رحمه الله) العديد من المؤلفات النفيسة ، وهي تناهز خمسة وعشرين مؤلفاً تتنوع موضوعاتها بين الكتب والرسائل الفقهية في موضوعات إسلامية وبحوث وفتاوى شرعية في قضايا معاصرة ومن أشهرها:- (مع القرآن الكريم - النبي في القرآن - الفقه الإسلامي مرونته وتطوره - أحكام الشريعة الإسلامية فى مسائل طبية عن الأمراض النسائية - بيان للناس - رسالة في الاجتهاد وشروطه - رسالة في القضاء الإسلامي والرسالتان تدرسان

في المعهد العالي للدراسات الإسلامية في القاهرة ومركز الدراسات القضائية في وزارة العدل. وصدر لفضيلته من خلال الأزهر الشريف ، خمسة مجلدات من فتاويه التي جمعت في حياته بعنوان: بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة ، وقد أعدها في 11 جزءاً ، صدر منها خمسة أجزاء فقط. وللشيخ الراحل العديد من الأبحاث ، والتي قدمت للجهات المعنية بذلك ، منها بحثه عن الطفولة في ظل الشريعة الإسلامية ، الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامية في سبتمبر (أيلول) 1995م هدية مع مجلة الأزهر. وأخيراً توفي الإمام الراحل قبيل فجر الجمعة 25 من شوال 1416هـ ، بعد أن فرغ فضيلته من مراجعة أوراق الأزهر ، وبريد الجهات الرسمية الأزهرية والبريد الوارد لمكتبه من أنحاء العالم كافة. مات (رحمه الله) ومشكلات الأمة في صدره وأوراق الأزهر بين يديه يقلب فيها ، ومات متوضئاً وهو يشرع لأداء الصلاة في الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الجمعة ، حيث شعر بدوار مفاجئ فجلس على سريره ليستريح ، لكنه فارق الحياة بعد لحظات ، وكانت وصيته أن يدفن في قريته في بطرة ، وأن يشهد غسله ويؤم صلاة الجنازة عليه الشيخ محمد متولي الشعراوي ، رحمهما الله ، وتم تنفيذ وصية الإمام الراحل ، حيث صلى عليه الشيخ الشعراوي ، الذي نعاه بقوله: (لقد تعلمنا منه أن لا نعصرن الدين ، بل ندين العصر ، فعصرنة الدين تعني أنه غير كامل - حاشا لله). رحم الله الإمام الراحل صاحب المواقف العظام دفاعاً عن الإسلام ، والذي حافظ على مرجعية الأزهر الشريف وقديسيته ، ليظل نبزاً لتصحیح الدين ، تتجه إليه عقول العلماء والمفكرين وأفئدة جميع المسلمين. رحم الله عالمنا الكبير وجزاه عن الأزهر ومصر والإسلام خير ما يجزي العلماء العاملين. وما أن طالعت سيرة العلامة الفذ جاد الحق علي جاد الحق ومسيرته حتى جدت بهذه الدمعة الشعرية في تأبينه!

علي رحياك دمغ العين ينسجم	ودمغ قلبي على شيخي الجليل دم
أرثيك ، والنفس تُدميها كآبتها	إذ أوهمت عزمها الأرزاء والنقم
وللخواطر ترجيع يُصبرها	على الجراح متى تُشفى وتلتئم؟
وللسان تسابيح وحوالمة	تجري عليه ، فقد أودى به الوضم
وللعواف أهانت وهنمة	والبؤس في قسَمات الوجه يرتسم
وبالأحاسيس أشجان تُسرربها	حتى استبدت بها الأحزان والغم
ولست وحدي الذي أبكيك مُتملاً	مَرّ البكاء ، ودمعي عارض عرم!
بل الملايين تبكي فقد عالمها	بأدمع من جوى المأساة تنسجم
علمتنا شريعة الإسلام واضحة	وذذت حتى يسود المنهج اللقم
وجُدت بالعلم والتعلم مُحتملاً	وكل ما قلته بالفضل متسم



فيه تعددت الأسماء والسيـم  
ومصرُ تشهد والأعداء والأمم  
من أن ظلمهم يوم الجزا ظلم  
فإن قلبك بالرحمن معتصم  
وهمك العلم والإسلام والقـيم  
كالعقد لؤلؤه الفضـي منتظم  
تهدي الذين عن الحق المبين عموا  
ليرحم الشيخ ربّ واحدكم  
فطبقوا نصّه من بعدما علموا

وقدت زمرة أهل العلم في بلد  
وخضت (بالأزهر) الوضـاء ملحمة  
وقلت كلمة حق للألى ظلموا  
وعشت تحمل همّ الدين مجتهداً  
وهمّ غيرك أموالاً يكدسها  
وكم كتبت لنا الأسفار قيمة  
أما الفتاوى فكم أفتيت من سألوا  
واليوم يا شيخنا فرداً تودعنا  
وثبتت الله من تراثه حفظوا

## فرح في زمن الأحزان

(مهما طال الزمن ، فلا بد من عودة الغريب إلى أهله وبلده. عودة يختارها أو يُجبر عليها. ويكون الهوان على أشده عندما يبتلئ الغريب في غربته بأقارب خونة وأعداء! يتآمرون على دماره وخراب بيته بأساليب ماهرة خبيثة ممقوتة مكشوفة. إن الأفاعي الحمقاء هي التي تظن بأن الذين تقوم بلسعهم ولدغهم لا يرونها. والحرباء الغبية هي التي تظن أنه لمجرد تغييرها للونها أن الناس في معزل عن رؤيتها. إن الغريب لا يبكي إلا على من يحب ، وكذلك الغريب لا يبكيه إلا من كان يحبه ، وإن السنوات هذي لغربة لشبح قد جثم على قلب الغريب ، ولا بد له من طرد أجلاً أو عاجلاً. وبعد العسر يسر ، وإن الفرج مع الضيق ، وإن النصر مع الصبر ، وإن النصر صبر ساعة. إنه بعد تسع سنين قضيتها في التيه ، رحنت أعزم على كسر سني التيه تلك ولكن في زمن كل ما فيه باعث على الحزن والأسى ، ولا أدري من ألوم وعلى من أعتب. ألوم الأقدار؟ إنه لا يلوم القدر مسلمًّ أبدأً. ألوم نفسي؟ وهل كنتُ أدري عن الغيب المخبوء شيئاً؟ ألوم من حولي؟ وهل هم مسؤولون عن الذي حدث لغيرهم وإن كانوا جزء تكون به نسبة مسؤوليتهم؟ فخرجتُ بعد هذا الاستغراق بتهيدة موحدة مشئلة مسترجعة مبسمة محوقلة محوقلة مسبحة محمودة مكبرة مهللة من الأعماق تقول في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، آمنتُ بالله الذي لا إله إلا هو وكفرتُ بكل ما يعبد من دونه ، رضيت بالله رباً وبمحمد عليه السلام نبياً ورسولاً. والصحابة علمونا كيف نستدرك ما فاتنا! فعن أنس قال: غاب أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، أي: المسلمين ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، أي: المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة! ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة ما بين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بينانه. وهذا الحديث رواه البخاري رحمه الله. وروى النسائي عن عاصم بن سفيان الثقفي أنهم غزوا غزوة ذات السلاسل ففاتهم الغزو ، فرابطوا ثم رجعوا إلى معاوية وعنده أبو أيوب وعقبة بن عامر ، فقال عاصم: يا أبا أيوب! فاتنا الغزو العام وقد أخبرنا أنه من صلى في المساجد الأربعة غفر له ذنبه ، فقال: يا ابن أخي! أدلك على أيسر من ذلك ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من توضأ كما أمر ، وصلى كما أمر ، غفر له ما قدم من عمل). أكذاك يا عقبة؟ قال: نعم وشهد معه على ذلك. وإذن فهو إحسان الظن بالله! وليس يأتي إحسان الظن بالله إلا بالخير!)

نقشتُ في النفس العوادي نقشا

أنبشُ التاريخ المعاني نبشاً

وعليها من كل عطر مؤشئ

كنتُ فيها لمن يُذبح كبشاً

سنواتٌ في القلب تحمل نعشا

لا أسب الدهر الجميل ، ولكن

فسني العمر البريئة وسني

في ثمان قضيتها في عذاب



كنت فيها ضحية تتمنى  
ورأيت الأوغاد ما أمهلوها  
ودماها في كل وادٍ أريقته  
وسيوفُ الأصحاب في القلب غاصت  
أجمعوا كيداً ، ثم جاؤوا جهاراً  
لم أكن أدلي في المهوي بدلو  
لم أكن فيمن غشني أتشفى  
فرحة أن ألقى دماءً قلتني  
فرحة رغم الدمع زارت فؤادي!  
وتغنى في غبطةٍ وسرور  
وله في داجي الكروب انطلاق  
جعلت من كل المرار نعيماً  
صوتها في ظل المشيب جهيرٌ  
وصداها في مسمي يتهادي  
إن هذا يا قلب منك لطيفٌ  
نحن أرخصنا في هُدانا دمانا  
فاطرح الأحزان يا قلب أرضاً  
راشدٌ أنت يا فؤادي ، وشهمٌ  
فامتثل هدي الله ، إنك ماض

في ارتزاق الخلق الكثيرة عيشا  
كل وغدٍ بين الأناسي رُقشا  
والمنايا تُهدي الطواغيت نعشا  
كان كلٌّ عند الفريسة وحشا  
وخِدادِ الأصحاب كان مُغشا  
ثم هاماتِ المجد قد كنت أغشى  
كان هذا عندي نفاقاً وغشاً  
وعلى قلبي حزنها يتعشى  
وفؤادي قد هس منها وبشا  
وبنى في زاهي اليواقيت عرشا  
والأمانى تبني قلاعاً وغشا  
والمعالي أضحت غطاءً وفرشا  
بعد أن كان المكفهر الأجشا  
ينشد الخير المس تفيض الأبخشا  
وثمارُ التقوى ستأتيك جيشا  
وسوانا يا قلب يعبد قرشا  
مبصرٌ أنت ، والذي ضلّ أعشى  
وسواكا عانى انكساراً وطيشا  
لا تكن ثعباناً يؤزّ وقرشا

## رسالة عزاء رفيقة إليك يا عدنان

(كان عنوان هذه القصيدة (لا يطفى النار الرماد) ، ثم عدلت عن هذا العنوان نزولاً عن رغبتي الأولى رغبة: أم عبد الله والثانية رغبة من أهديتها له الدكتور عدنان. فلما كانت طبعة الأعمال الشعرية الكاملة أو ما أسميتها بديوان (السليمانيات) نسبة إلى جدي سليمان عبد الرحيم رحمة الله عليه رأيت أن أسمى هذه القصيدة: (رسالة عزاء رفيقة إليك يا عدنان). وذلك لأنها فعلاً رسالة عزاء للدكتور الشاعر الكبير / عدنان النحوي في ولده إيباد رحمه الله! إذ قضى شاباً يافعاً. أشار إلى شئ كبير من ترجمته الوالد الدكتور عدنان في ديوانه الشعري. ولنن أتت رسالتي متأخرة إذ لا عزاء بعد ثلاث! لكنني نظرتُ للمسألة باعتبار الشعر وقلب الشاعر. فالشعراء عندي وفي تصوري إخوة لعلات منهجهم وعروضهم واحد ، ونزعاتهم وتصوراتهم شتى ينظمها جميعاً عقد التوحيد ويربطها رباط العقيدة ويلفها سوار الشريعة! هذا الأمر إن كانوا مؤمنين موحدين فربهم واحد هو الله سبحانه وتعالى وونبيهم واحد محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وكتابهم واحد وهو القرآن الكريم. وإذن فالدكتور عدنان النحوي أحببته قبل أن أسعد برويته ولقائه هنا في الإمارات. وشربت عنده الشاي والقهوة ، وأهديته من شعري في الفندق الذي نزل فيه ، وحل ضيفاً علينا في الإمارات - وفي عجمان تحديداً - وصليت خلفه وناقشته في عديد من قضايا الأمة والشعر! وشاركنا ضيفاً الدكتور الوالد / ماجد عرسان الكيلاني صاحب كتاب: (هكذا عاد جيل صلاح الدين). وكنت وعدتُ سماحة الوالد الشاعر الدكتور العلامة / عدنان على رضا النحوي ، بقصيدة تحمل عنوان: لا يطفى النار الرماد ، وذلك في رسالتي التي أجيب فيها عن مکتوبه الجميل الذي حملة البريد في رمضان 1417هـ. والحقيقة أن شعر الدكتور / عدنان ذو شؤون وشجون: فهو يحمل النفس على الأمل وبعض الحزن في آن واحد. وأنى لمثلي أن يحاكيه في أشعاره! وإن هو إلا شرف المحاولة يحدوني ، وعمق الحب في الله يدفعني ، فعزمتُ على أن أكتب له قصيدة: إن أحبه شاعر في الأرض حبي فليرني ماذا قد كتب فيه. وأقول لسماحة الوالد الدكتور عدنان: هذه هديتي أقدمها لك على طبق الحب في الله ورسوله والجهاد في سبيله! وأعدك مكرراً أنه: لا ولن يطفى النار الرماد. ألا وإن عقد أخوتنا في الله لا ينفصم ولو بالموت! فعن الأخوة في الله يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (أساس الأخوة الاعتصام بحبل الله عز وجل ، وبمنهج الله عز وجل ، وبطريق الله تعالى. والأخوة عبادة ، فلا بد أن نعرف أن الأخوة عبادة من العبادات التي نتقرب بها إلى الله عز وجل ، فهي عبادة نتقرب إلى الله بها مثلما نتقرب إليه بالصلاة أو بالصيام ، أو بالحج ، بالدعاء ، بالتوكل. فهي عبادة من العبادات الجليلة التي ركب الله تعالى عليها فضلاً عظيماً منه عز وجل ، وهي نعمة عظيمة جداً ، نعمة عظيمة لا يحس بها إلا من توافرت فيه شروط الأخوة ، وإلا فأقول بصراحة: إن كثيراً من الناس اليوم تجده يقول: فلان من أعز أصدقائي ، أو هذا فلان صديق عزيز أو هذا فلان كنت أنا معه من السنة الفلانية ، أو من المرحلة الابتدائية ، أو كنا معاً في حارة واحدة! هذا الكلام لا يعني مطلقاً أن هذين الرجلين متأخيان في الله ، لا. فقد تكون العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتقارب وتوافق نفسي فقط ، اثنان يرتاحان لبعض ، أما الأخوة في الله فهي مسألة أعلى من ذلك بكثير ، فهي مراتب وصفات لا يحس بها إلا من عرفها وذاق طعمها. إن الله عز وجل وصف أهل الجنة بأنهم إخوة في الله ، قال عز من قائل: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ). إذا دخل أهل الجنة الجنة لا يزال في صدورهم بعض الأشياء العالقة من الدنيا ، فإذا دخلوا الجنة نزع الله من صدورهم الغل فصارت عندهم أخوة نقية ما فيها شائبة واحدة. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضمن شروط الإيمان (أن يحب المرء لا يحبه

إلا الله). وإذا كان ذلك كذلك فإن الله تعالى يُظل هؤلاء المتحابين تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله (ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه). إذن هذا الحديث يوضح معنى الكلام ، وهو أن الأخوة في الله مرتبة عالية ، ولها شروط كثيرة ، فلذلك ليس أي اثنين تحابا يظلمهم الله في ظله ، لا بل لا بد أن تكون الأخوة كما فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه). اجتمعا من أجل الله وعلى منهج الله ، والطريق التي ارتضاها الله عز وجل ، وتفرقا على نفس الشيء ، ما تغيرت القضية بالمجلس ، لما جلسوا ما تغيروا بل تفرقوا على مثلما جلسوا عليه ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، سواء في المجلس أو في مجالس متفرقة ، أو كانت في الدنيا عموماً ، اجتمعا عليه وفرق الموت بينهما وهما ما زالا على نفس العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهما. نحن أحياناً لا ندقق في العبارات ولا ندقق في الآيات والأحاديث ، لكنك لو دقت تجد أشياء توضح لك لماذا القضية عظيمة (رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن في صحيح الجامع (ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا الله ، فلا يفترقان حتى يغفر لهما). والآن نحن نلتقي كثيراً ، وكثيراً ما يسلم بعضنا على بعض ، لكن هل توافرت الشروط التي تجعل هذا الالتقاء ينتهي بمغفرة الذنوب لكلا الطرفين: (ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا الله) لماذا نركز على هذا المفهوم؟ لأن معظم الالتقاءات التي تحدث اليوم بين الناس ليست لله ، ولا في الله ، وإنما هي من أجل عرض من الدنيا زائل. الآن الناس يتلاقون فيسلم الواحد على الثاني ، ويأخذ بيده ويصافحه ، لكن إذا نظرت في الحقيقة لماذا يصاحبه؟ ولماذا يسلم عليه؟ ولماذا يأخذ بيده؟ تجد الغرض من وراء هذا كله مصلحة دنيوية ، الآن الناس يلتقون لكن اللقاءات على الماديات الفانية: (وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) فلذلك لا يحس الواحد من هؤلاء طعماً مطلقاً ، لا يجدون حلاوة للقاء ؛ لأن القضية فيها مصلحة ، مسألة مصالح ؛ ولذلك تجد الواحد يسلم على الثاني ويقابله ويبتسم بوجهه ويرحب به ويكيل له ألفاظ الثناء والمديح فإذا انصرفا وتفرقا ، نزل فيه سباً وشتماً وغيبة ، لماذا؟! من الأسباب: أن أصل اللقاء فاسد ، وما بني على فاسد فهو فاسد ، فأصل اللقاء فاسد وهو الدنيا ، فمن الطبيعي أن يتفرقوا على أشياء كثيرة من البغضاء والشحناء ، وهذه الابتسامات والمودة الظاهرة هي من أجل متاع دنيوي ، لذلك لا يمكن لهؤلاء الناس أبداً أن يرتاحوا بهذه العلاقة التي تنشأ بينهما والحب في الله والأخوة في الله عميقة جداً جداً إلى أبعد ما يتصور الإنسان المسلم ، وهي عبارة عن محبة متزايدة يدفعها إلى التزايد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه) انظروا محاسن الدين الإسلامي ، محاسن الإسلام عظيمة جداً! أحياناً لا نتصور ، نقول: الإسلام أحسن والإسلام أفضل والإسلام. لكن فسر كلامك: كيف الإسلام أحسن؟ لا تجد تفسيراً ، لكن عندما ندقق في الآيات والأحاديث (إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه) معناه المحب في ازدياد ، وكلما أحببت أخاك أكثر كلما ازددت فضلاً عند الله ، فمعنى ذلك: أن الأفراد في المجتمع المسلم متلاصقون في غاية التلاصق ، ويحب بعضهم بعضاً حباً جماً ، هكذا يريد الله من المسلمين ، ولذلك المجتمع الإسلامي مجتمع متماسك لا يمكن أن تتخلله الشائعات ولا الأشياء المغرضة ولا وشايات الأعداء ومخططاتهم ؛ لأنه إذا كان الأفراد في تلاحم ، فمن أين ينفذ الشر؟ وكيف ينفذ؟ ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً الأجر العظيم للمحبة في الله والأخوة في الله وبعض بنودها ، يقول عليه الصلاة والسلام عن الله عز وجل في حديث قدسي: (حقت محبتي للمتحابين فيّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ) – صلة ، زيارة ، رسالة ، بالهاتف! (وحقت محبتي للمتناصحين فيّ) ، (وحقت محبتي للمتزاورين فيّ) – أي في

سبيل الله - (وحقت محبتي للمتبادلين في). وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (المتحابون في الله على منابر من نور يغبطهم النبيون والصدیقون والشهداء). وهذا يبين عظم المحبة وفضلها ومنزلة المتحابين في الله عند الله عز وجل ، يكونون في منابر مرتفعة من نور يغبطهم على هذا المكان النبيون والصدیقون والشهداء ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي). رواه مسلم. وإذن فالأخوة في الله تعالى سلعة غالية جداً لا يمكن أن تجد لها بديلاً ، ولو بذلت أعلى الأسعار).هـ. ومن هنا كانت أخوتي الإيمانية الصادقة للدكتور الشاعر عدنان النحوي الذي لا أزكيه على الله تعالى ، والله حسيبه ووكيله.)

نورٌ تحدر من سنا التبيان	وله احمرارُ الورد كالمِرجان؟
أم ياترى دُررَ حوتها أسطرّ	فاحت كمثل أزاهر البستان؟
أم واحدة خضراء ، طاب جمالها	وسَط القفار ، على شفا الكتبان؟
أم ياترى عقلية جمعت لها	زبد العلوم بكفتي ميزان؟
أقريحة صهر النبوغ بريقها	فتعاضمت في الكون كالإيوان؟
أيراعة من كل فن ترتوي	لفح المِداد عطاءها بتفان؟
أشيبية تحيا بسابع عقدها	فاقت شباباً مُعظم الأقران؟
أحديقة للفكر دفاً أريجها	بين المِروج على صدى التحنان؟
أم شاعر جمع الخيال بكفه	واختار ما يهوى من الأوزان؟
أم عقبريّ مُلهمّ مُتفكّرة	مُستبصرٌ في عالم الغميان؟
هو كل ذلك ، والذي رفع السما	بل ، ذاك شئ من جنى (عدنان)
(عدنان) حُبك في الفؤاد ، وربنا	فله أريج الفل والريحان
ليثٌ يصول ، وغيره مُتفرّج	بطلّ يُعيد كرامة الإنسان
ويريده عبداً لديان الورد	ويثورُ رغم تعاضد الكفران
ويحرّر الأذهان من هفواتها	ويحارب التضليل بالإيمان
ويحرّر الشعر الأصل من الخنا	ومن ادعاء المُفلس الولهان

ويحرّر الأدب الرفيع من الهوى  
ويجاهد الأدب الرقيق بسيفه  
هو حاملٌ هم الحنيفة عمره  
وجراحه شتى ، جهيرٌ نرفها  
يبكي الحنيفة كيف شرد أهلها  
يبكي على الأقصى السليب وأهله  
(لا يطفئ النار الرماد حقيقة)  
هي أرض إسراء الحبيب ، وذكرها  
هي غادة يا (عدن) ، أنت خطيها  
والفارس النحوي فوق هضابها  
وموجة درس العلوم جميعها  
آلام أمته غزت تفكيره  
فرضت على (النحوي) أن يحيا بها  
(عدنان) صدقك في الكتابة طابع  
كل الذي كتبت يمينك صادق  
شخصت حالة أمة منكوبة  
وفجرت آفاقاً لكل مفكر  
ووقفت في صف الجهاد مذكراً  
ورثيت (أقصى) المؤمنين بحسرة  
وفضحت بالأشعار علمانية

ويحرّر الشعرَا من البهتان  
وبه يصارع جوقة (القباني)  
وذاك يبكي ضيعة الإحسان  
وتراه مُلتاعاً من الأحزان  
مازال منتحباً على الأوطان  
وربما ظهم في مهبط الأديان  
من خان وحي الله جد أناني  
في أول (الإسراء) في القرآن  
فتحية يا أجمال العرسان  
من عليه الأفذاذ والأعيان  
أكرم به من عالم رباني!  
ما استطاع للآفات من كتمان  
أمرٌ يُشيب يانع الولدان  
متأصلٌ متميزُ التبيان  
والعلم عند الواحد الديان  
ببراعةٍ ملئت بدمع قان  
وأبنت دين الواحد الرحمن  
بالمِرقم السبيل بسوح معاني  
مُزجت بكل الحب والتحنان  
ورجمت كل مُضلل دُهقان

وكذا كشفت الجاهلية طالما  
وطعت بالقلم النزيه ذابها  
ونقشت في سمع الزمان حقيقة  
وتدفق النور الطهور على الثرى  
رغم الجراح مضى على درب الهدى  
وهناك (الأرض المباركة) انتشت  
من كل شبل ، والصخور سلاحه  
ويذود عن أرض تباع رخيصة  
(عدنان) هذا الشعر بعض معيّنكم  
أحببت فيك صراحة وعذوبة  
في عالم فقد الأمانة والوفا  
من كل من كتب الهراء يخاله  
ومتاجر بالآي في محرابه  
ومشوه علم الأوائل من مضوا  
(عدنان) أنت مبرء من زيفهم  
وبرغم أمراض تريديك مقعداً  
للهم فاشف العبد من أسقامه  
مرض على مرض يُمزق مهجة  
(لا يطفى النار الرماد) ، فلا تخف  
هون عليك ، سينصر الله الهدى

وعوار زخرفها البغيض الشان  
في العيد قد ضحيت بالثيران  
هو أن بأس الحق ليس بفان  
في (موكب النور) الوشيك الداني  
لازلت أرقب عفة العرفان  
طرباً بمقدم جيلها الريان  
ليذود عن دين وعن نسوان  
ويبوء بانعها بكل هوان  
لازال يُشرق في صدى الأزمان  
وأمانة ، هي في الدنا سلواني  
ومضى يُكرم جوقه الشيطان  
حقاً رفيعاً غالي الأثمان  
ولله ان دفاع للحميم الآن  
ويجول في سر ، وفي إعلان  
وأراك نوراً شغ في الأذهان  
لازلت تعطي السباح دون تواني  
واجعله ليس بموجع عيان  
وسريرة في غالب الأحيان  
فيم التفكير في أسى الحرمان؟  
أنسيت يوم قد التقى الجمعان

وتراه ليس يميل للعُدوان  
ويصدّ كل مُضلل خِوان  
ويكون فيها الدينُ للديان  
ويريد خيراً يُجتني بجنان  
قد بَاء بالتقتيل والخسران  
يهتاج ، والأقوامُ في رمضان  
وتقاربنا ، فتلاحم الخصمان  
وأتى الأميين كذاك بالقربان  
ضربوا من الكفار كل بنان  
والنصر نصر القادر المنان  
مثل الذي في غزوة الفرقان  
والشرط ما بالشرط من نقصان  
وكان نفي الشريك والأوثان  
ويعود كل العز والسُلطان  
عزاً يُبدد لعنة العصيان  
يُهدي المشاعر عاطر الألمان  
قوماً تردوا في أسى الخذلان  
وعيونٌ شعر فائق التبيان  
رفقاً بقلبك ، أنت نورُ جحان  
وتواجه الأقسام بالبرهان

جمع على رب السما متوكّل  
لكن يقاتل في المليك وشرعه  
كيلا تكون بأرض ربك فتنة  
يرجو رضا القيوم ثم رسوله  
وعلى النقيض هناك جمعٌ مشركٌ  
صف الجنود ، يريد دحر حنيفة  
جمع الكتائب والجحافل عامداً  
وإذا بنصر الله ينزل عاجلاً  
ألفاً من الملك الملائك أنزلوا  
والألف أصبح خمسة في (بدرنا)  
يارب نصرنا نستعز ببأسه  
(عدنان) إن الله مُنجز وعده  
والشرط إخلاصُ العبادة كلها  
إن ننصر الله العظم سننتصر!  
وإذا تقاعسنا فلن تلقى لنا  
(عدنان) شِعرك نابضٌ ببائنة  
وملاحمٌ سبغٌ تُعير دماءها  
هي مضربُ الأمثال في تصويرها  
يا أيها المجرؤخ في إيحائه  
وأراك في الفكر انطلقت مناظراً



وأبنت للـدنيا عُـرى الأركان  
إن في القرآن وسُنة العـدنان  
في الشعر ملحمة تبيد الجاني  
بين الأنامـل حـالم الأـجفان  
فالشـعرُ في ذا المـهـرجان سـباني!  
بالمثـل ردي لـيس بالإمـكان  
بـالله أهـوى شـعرك المُتفاني  
فلقيتـها بالمـدمع الهـتان  
إذ إن قلبـي مُتـرعُ الغـيان  
وكان رـوحـي في بهـي مغـاني  
في جنـة المـأوى فتى الفـتيان  
إذ لا يـزال - اليـوم - في المـيدان  
بالحق ، رـغم ترهـل القـطعان  
هو كل شـهم مُمـسكٍ بسـنان  
بـربـا الجـهاد وعـاطر الـؤديان  
رغم الخـطوب ، ورغم كل دُخان  
بالحب والتـوحيد غير مـدان  
للباطـل المـمقـوت والتـيجان  
ولـه هـناك قصـائدٌ وأغـان  
يجتـث كل مُشـككٍ طـعان

وهناك التـوحيدُ قد فصـلته  
وكلامـكم متأيـدٌ بأدبـة  
وكذا فلسـطين الحزينة صـغتها  
(عدنان) هـذا (مـهـرجان قصـيدكم)  
حـتام أصـدقك الحـديث ، حـبيننا  
دُررٌ أتتني في البـريد نـديـة  
(لا يطفئُ النار الرماد) ، وإنني  
دُررٌ أتتني بـعد طـول ترـقب  
شوقاً إليها ، لـيس حباً في الجوى  
فطفقتُ أحمـدُ ربنا بـضـراة  
أبـا (إيـاد) إن شـبلك لـم يمت  
إن شاء ربك في الجنان لقـاؤه  
فـ (إيـاد) كل مـوحـدٍ مُستعصـم  
هو كل طفـل في يديه جـارة  
هو كل مـن يسـعى لنـيل شـهادة  
هو كل مُرتـقب لنـصرة حـقه  
هو كل قلب مـخلصٍ متـدقق  
وإيـادُ كل طـليعةٍ لا ترعـوي  
وإيـادُ في كـشمير يـزرع فـجره  
وإيـادُ في الشيشان سـيفُ عدالة

يغشى الوغى من أشجع الفرسان  
وكذا إياد الخير في السودان  
بين الشعاب ووهدة القيعان  
والجو يخنقه دجى الأشجان  
صداقاته للمسلم الجوعان  
بالفأس يهدم قبلية الثعبان  
يُردي اليهود وجوقة الذؤبان  
ويرد مكر السوء والغربان  
لُ مُجدل ، في مفرق الشنان  
كالذوح في متشابك الأغصان  
في (العود) بالعود الندي الحاني  
نصر الحنيفة ، ثم قبر الجاني  
تُركي القريض بصفحة الديوان  
والأرض تأكل ضفوة الأبدان  
فيما احتسبت اليوم بالندمان  
في الصبر والتصبير والشكران  
وحزنتُ حزناً لم تصغه معان  
وأراك فوق الموت والأحزان  
متأثر بقصد يدك الهتمان  
متضخم بالدمع والسنوان

وإياد في القدس الأسيرة فارس  
وإياد في الصومال يبني مجده  
وإياد في هيران وثاب الخطا  
وإياد نهر النيل يرقب زحفه  
وإياد في الهند اليتيمة باذل  
وإياد في بورما ضمير صادق  
وإياد في لبنان يدفع مهرها  
وإياد في كابول يحمي مجدها  
وإياد في محراب إبراهيم كـ  
وإياد في مؤستار فيمن جاهدوا  
وإياد قاقيليا تعطى قبره  
وإياد في البلقان ليث حارب  
فـ (إياد) ملحمة الجهاد وشعره  
أعطى الوديعه روحه لمليكه  
أباً إياد فاحتسبه ، ولا تكن  
وأراك أهلاً للبلاء وآية  
لما قرأت رثاءكم أكبرتكم  
وعذرتكم ، إن المصائب لمفجع  
بعد الثلاثة لا عزا ، لكنني  
وإياد أكبر من قصيد لا عج

هي دوحه ممتدة الأفق  
حتى ولو قد كان بعد أوان  
فاياد عند الراحم الرحمن  
ن حزينه الخلجات والأوزان  
مرثية أخرى بغير صبيان  
جرحان في بائيه وعوان  
وبكيت أهل الخير والإيمان  
وقصائد النحوي طيف حسان  
فالشعر يوقظ غافل الأذهان  
وتراه فوق الشعر كالربان!  
والشعر بين يديه كالحيوان  
أبدأ على متن الحياة يُعاني  
يرجو وان دحار مكائد الطغيان  
الجهبذ النحوي شوق حان  
بوركيت يام من للفضائل بان  
ومحرق التزييف بالنيران  
ومبداً تعويد الكهان  
ومدمر الأحرار والرهبان  
ومكسر القنوات والصلبان  
من عالم الأحياء بالقرآن

ولذا فإن قصيدتي فيه العزا  
فاقبل عزائي في مصابك ، صاحبي  
ثريته بالأبيات؟ كلا ، لم يمت  
ثريته في بائية بالمهرجا  
وتركت - عن عمد - إياد ، وذبت في  
كشفت رزايا أمة مطعونية!  
جرح الإياد ، وثم جرح ديارنا  
(لا يطفئ النار الرماد) ، أقولها  
رجع قريضك في الفؤاد وروه  
يا للجمال بشعر من بلغ الذرى  
يختار ما يرضاه من ألفاظه  
يا (عدن) شعرك صنعة وسجية  
وكذاك نثرُك رغم حزنك باسم  
إن في (لقاء المؤمنين) ، وغيره  
وتراه عن أدب العقيدة ذائداً  
وممزقاً عُهر الحداثة شامخاً  
ومفناً شُبة الخنا وشباكه  
ومحطم المستشرقين جمعهم  
من يعقرون كتابنا ونبينا  
ومبيد كل ضلالة وخرافة

كتب تُحذرها من الذوبان  
حتى يُجنبها نظى الطوفان  
ملئت بفيض نبوغه الفينان  
ذخرت بكل بلاغته وبيان  
لمعت كبراق حمرة العقيان  
لمن اتقى ، ولمن سعى بأمان  
بالحق ، بورك من فتى معوان  
وبرغم أن الصوت كالشبان  
في بحر حب ماله شيطان  
أبشّر بنصر القاهرة المنان  
والشاعر النحوي ليس بفان  
فالذكر منطبّع مدى الأزمان  
يُركي المحبة في الإخا اليقظان  
أملّ يداعب مهجتي وজনاني  
ويؤمن رب الناس بالغفران

وموجهاً للصحة الكبرى ، له  
يأسى عليها ، ثم يرسم دربها  
ويعود يرسم خطّة دعوية  
وهناك في (النهج المبين) هداية  
وكتابه (الشورى) عصاره فكره  
وحوافز - يا صاح - إيمانية  
وكذاك في (المنهاج) أفصح جاهراً  
وتراه في (الأضواء) شيخاً ناصحاً  
(عدنان) تلك قصيدتي لك صغتها  
(لا يطفى النار الرماد) حبيبنا  
(صَفْدٌ) غداً تمضي ، ويفنى قومها  
أهل العلوم وإن تمت أجسامهم  
هذا القصيد هدية يا والدي  
يا لبيت شعري ، إن جُل حديثها  
أن ينصر المولى القدير غنائنا

## أطلق قصيدك - شعر / د. عدنان النحوي

(وأما هذه القصيدة فليست من شعري! إنما هي مهداة من الشاعر الكبير سماحة الوالد الدكتور / عدنان على رضا النحوي ، حفظه الله تعالى ، وفيها يرد على قصيدتنا (رسالة عزاء رقيقة إليك يا عدنان - لا يطفئ النار الرماد). وهي إحدى قصائد ديواننا: الأمل الفواح. جعلني الله خيراً مما يظن بي الوالد الكريم ، وغفر الله لي ما لا يعلم عني ، ولا فتنني الله بما أنشد في ، آمين. والحقيقة أنني أهديت شعراء كثيرين من شعري: أثني فيها عليهم وأطريهم وأنصفهم وأتبنى قضاياهم ، وأعيد لهم بعض حقوقهم ، وأرد لهم اعتبارهم ، وأسألهم من قوادح أعدائهم كما تسل الشعرة من العجين على حد قول حسان بن ثابت - رضي الله عنه - . ولكن أن يرد أحدهم على تحيتي له شعراً ، فهذا ما حدث إلا من الدكتور عدنان - حفظه الله - . وفي اعتقادي أن تحايا الشعراء لا تكون إلا بالشعر! ولا أستطيع قط أن أصف شعوري يوم طالعت قصيدة الدكتور عدنان (أطلق قصيدك) بقلمه في الرسالة للمرة الأولى! كما لا أستطيع أن أصف شعوري وأنا أطلعها للمرة الثانية في ديوانه: (عبر وعبرات)! وأعتبر هاتين الفرحتين من الأفراح المعدودة في حياتي على قلتها! حيث إنني كنت حينها كنت في ظروف نسيت معها الابتسام! يقول الأستاذ أحمد أمين في مقاله: (ابتسم للحياة) ما نصه: (لا شيء يضيع ملكات الشخص ومزايه كتشاومه في الحياة ، ولا شيء يبعث الأمل ، ويقرب من النجاح ويُنمي الملكات ، ويبعث على العمل النافع لصاحبه وللناس ، كالابتسام للحياة. ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط ، بل هم كذلك أقر على العمل ، وأكثر احتمالاً للمسئولية ، وأصلح لمواجهة الشدائد ، ومعالجة الصعاب ، والإتيان بعظام الأمور التي تنفعهم ، وتنفع الناس. ولو خُيرت بين مال كثير ، أو منصب خطير ، وبين نفسٍ راضية باسمه لاخترت الثانية ؛ فما المال مع العبوس؟ وما المنصب مع انقباض النفس؟ وما كل ما في الحياة إذا كان صاحبه ضيقاً حرجاً كأنه عائد من جنازة حبيب؟ وما جمال الزوجة إذا عبت وقلبت بيتها جحيماً؟ لَخَيْرٌ منها ألف مرة زوجة لم تبلغ مبلغها في الجمال ، وقد جعلت بيتها جنة. ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثةً عن نفس باسمه ، وتفكير باسمه ، وكل شيء في الطبيعة جميلٌ باسمٍ منسجمٍ ، وإنما يأتي العبوس مما يعتري طبيعة الإنسان من شذوذ ، فالزهر باسم ، والغابات باسمه ، والبحار ، والأنهار ، والسماء ، والنجوم ، والطيور كلها باسمه ، وكان الإنسان بطبعه اسماً لولا ما يعرض له من طمع ، وشر ، وأنانية تجعله عابساً ؛ فكان بذلك نشازاً في الطبيعة المنسجمة. ومن أجل هذا لا يرى الجمال مَنْ عَبَسَتْ نفسُه ، ولا يرى الحقيقة مَنْ تَدَنَسَ قلبه ؛ فكل إنسان يرى الدنيا من خلال عمله ، وفكره ، وبواعثه ؛ فإذا كان العمل طيباً ، والفكر نظيفاً ، والبواعث طاهرة ، كان منظاره الذي يرى به الدنيا نقياً ، فرأى الدنيا جميلة كما خلقت ، وإلا تغبَّسَ منظاره ، واسودَّ زجاجه ، فرأى كل شيء أسودَّ مغبَّساً. هناك نفوس تستطيع أن تخلق من كل شيء شقاءً ، ونفوس تستطيع أن تخلق من كل شيء سعادة). هـ. فقرأت القصيدة ، وابتسمت للحياة!)

لله دَرَكٌ مِمَّنْ وَفِي حِائِي  
رفَّ القصيدُ ، في الحسن بيان!

لله درك يا أخي ، يا (أحمد) \_\_\_\_\_  
دُ) الشعرُ الوفي رسالة الإنسان

أثيبت حتى قلت: يا ويحي إذن  
خفيت عيوبي عن رؤى الإخوان

ما دار في خلدي ثناءً يرتجى  
ماذا أقول؟ فإن مدحتُ قصيدكم  
حار اليراع ، فكيف أفعال والوفاء  
سأقول ما يُملئ الوفاء ، وإنه  
لله درك كم جمعت؟ وكم ترى  
فلكم ذكرت محاسني ، وكأنها  
ذكر الفضائل ، والبيان يضمه  
لله درك ، والقريحفة أطلقته  
ما بين أبيات القصيدة أنتقي  
وعلى قوافيها تفتح نورها  
وجعلت من أوزانها نغم الهدى  
تلك الدواوين التي زينتها  
فبكل ديوان حداثقُ تجتلي  
فلدى (سويغات الغروب) نسائم  
وعلى (نهايات الطريق) تساؤل  
وأطوف ، ما أحلى الطواف كأنني  
وأشم من عبق الورود ، وأنتقي  
وألم باقيات فألقي بينها  
لله درك ، طف بها شذت كما  
واغرس غراس الخير تنمو كلما

بل رمث عفو الواحد الديان!  
فكأنني زكيت فيه شاني!  
بين الضلوع يلح بالإحسان؟  
حق يليق بشاعر متفان  
هيجت من شوق ومن أشجان؟  
زهر يفوح وروضة ومغاني  
حسن يرف على الفضائل ثان  
دراً تموج بلؤلؤ وجمان  
روحا صفت ورؤى لديك حوان  
عبقاً يعطر لفظها ومعاني  
وشذا التقى وجوامع الإيمان  
زهرت ، في الأزاهر الديوان!  
فانعم بطيب ورودها وجنان  
وعلى (جدار الحب) لهفة عاني  
يُركي الحنين ، يُعيد من أشجاني  
في روضة حيناً وفي بستان!  
ما شئت من ثمر ومن ريحان  
ذكرى الفواجع أو رؤى السلوان  
تهوى من الأزهار والأغصان  
رويتها ورعيتها ببيان

روحاً تطوف وتجتلي وتعاني  
شق الظلام ، وصد من بهتان  
عبقاً من التقوى وصدق أمان!  
وثباً لمحممةً وروح جنان  
شرف الجهاد ، فعز من ميدان!  
جلد ، فيا للفراس الطعان!  
سهماً وقنبلة وخطف يمان  
ورميتمهم بقذيفة وسنان  
فيض الفؤاد ودفقة الإيمان  
وحنين أضلاع وشوق جنان  
ومرارة الإذلال والإذعان  
حسراتنا ، ونعيد من أحزان  
من غافل غافٍ ومن حيران!  
بين النصال تحز من أبدان  
سقطت ، وهذي - لو عرفت - يدان  
والدار ، وابكٍ مرابع الأوطان  
لله في سر وفي إعلان!  
والشكر من قلب وصدق لسان

لله درك يا أخي ، ألقى هنا  
وأرى يقينك مشرقاً نوراً سرى  
كم من قريض صغته ، ونفحته  
وكأنه ساح نزلت رحابها  
الشعر ميداناً تخوض بساحه  
ترمي على الأعداء رمية فارس  
فجمعت من بين القصائد عدة  
وطغنتهم بمهندٍ يا ويحهم!  
يا (أحمد) الشعر الغني كنوزه  
(أطلق قصيدك) يا أخي عبق الهدى  
أنى تلفت خاطري يلقى الأسى  
وكأننا نجتزر في أيامنا  
نشكو وتطوينا الشكاة فكم ترى  
ناموا على شهواتهم ، واستيقظوا  
تتطاير الأشلاء ، تلك جماجم  
(أطلق قصيدك) يا أخي وابك الربى  
بوركت من رجل يصون حياته  
لك يا أخي أصفى الدعاء تحية



## أمة تذبج وعالم يتفرج

(إن دور العالم هو تقديم النصيحة وبيان الحق ابتغاء وجه الله تعالى. وهو يبين الحق عليه أن يسوق الأدلة من كتاب الله وسنة ورسولة - صلى الله عليه وسلم - حتى يتبعه من يريد وعلى بينة ويعرض عنه من يريد وعلى بينة كذلك. كتب الأستاذ / وحيد عبد السلام بالي - حفظه الله - كتابه البديع العظيم: (المتهم الأول) ، ولفت انتباهي عنوانه فاشتريته وتصفحته وأهديته وانتفعت به ، وهو يحسم القضية في شأن صنم التلغاز الذي يدين له أغلب أهل الأرض اليوم من أهل الجاهلية ، وقد تحدث علماء كثيرون عن التلغاز لكن لم يوفقوا إلى حسم القضية كالأستاذ / وحيد بالي ، قاهر كل من شياطين الإنس والجن بفضل الله عز وجل. والذي عناه الأستاذ وحيد هو البرامج والمواد الصوتية المرئية في التلغاز! وليس كما يفهم السفهاء والمتنطعون: أن الرجل يحكم في كتابه على صندوق من الفيبر جلاس وبدخله ميكرفون وشاشة ولمبات صوت ولمبات صورة ومحول ويخرج منه سلك ليوصله بالكهرباء! إن هذه الأشياء لا يمكن الحكم على اقتنائها في ذاتها بالحل أو بالحرمة! إنما الحكم علة ما يقدم عبرها من مواد إعلامية! قال محمد المنجد عن النصيحة في خطبة له: (إن النصيحة تنقذ المسلم ، كما قال العبد الصالح لموسى لما جاء من أقصى المدينة يسعى: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) ، إن النصيحة تنقذ الإنسان من زواج فاشل ، كما إذا استنصحتك في أمر امرأة سيقدم على الزواج منها ، وأنت تعلم أنها لا تصلح له ، فإنك تنقذه بنصيحته ، وكذلك ولي المرأة إذا استنصحتك في حال شاب تقدم إليهم ، فقد تكون النصيحة منقذة من كارثة ستحل بهذه الفتاة لو تزوجها ذلك الفاجر المتخفي الذي يخادعهم ، فالنصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عزيمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته). لقد ضاعت النصيحة بسبب انقلاب المفهوم والخوف من الكلام الذي سيأتي من الطرف الآخر ، ولما صارت القضية عندنا إرضاء الناس ، ولو سخط الله عم كثير من الشر والفساد ، صرنا نخاف أن نتدخل في شأن رجل على منكر ، صرنا نخاف أن نوجه كلمة حق إلى إنسان في شر واقع فيه).هـ. ومن هنا فالأستاذ وحيد بالي حريص على هداية الناس بالدليل الواضح!)

أيها الناصحُ قد أخلصت نصحا	فلمسنا من أريج النصح بزحاً
أنت قدمت الهدايا في كتاب	وفجرت النص تبياناً وشرحاً
ونصرت الحق فيما قلت نصراً	وعن الدهماء ما أخرت نصحاً
ومألت العرض بالحجة تهدي	وعلى الأوغاد قد صوبت رمحا
وعلى التلغاز قد أطلقت سهماً	ثم أضحي السهم - في الفتنة - فتحا
بُحت بالفتوى بلا رعشة صدع	ما ادخرت اليوم عن قومك بوحا

وأبنت النور في الدرب (وحيداً)  
وسكبت الهدى في سمع البرايا  
ولذا أعذرت بالنصح جهيراً  
كنت حاربت الشياطين جميعاً  
لم تدع عرافهم والسحر حتى  
ثم عالجت من الجن فناماً  
ثم للتفاز قد أخرجت سيفراً  
لم يكن غيرك يُعطينا مناراً  
ثم يفتي أن لنا فيه اختياراً  
يا (وحيداً) الخير حتى جنت تهدي  
لم تجامل من تعامى ، كنت أسمى  
يصرفون الناس عن قرآن ربي  
يا (وحيداً) النصر يا سيف السجايا  
ومع الإجماع حقق ، ثم حاكم  
كيف تحيا أمة وسط البغايا؟  
وأراك اليوم قد أعلنت حرباً  
تنشد الخير ، وتبني كل عز  
إنهم لم يجنحوا فينا لصلح  
جرّد الصمصام ، واكتب كل حق

ونكأت - اليوم - عبر الجهر جرحا  
لم تكن ترجو وراء الأمر ربعا  
تسأل الله - لهذا الليل - صباحا  
إنسهم والجن من عمرك ردحا  
قلت: هذا الصوت - واحزاناه - بوحا  
وذبحت السحر بالساطور ذبحا  
يرشح الخير على القراء رشحا  
إنما يشجب في التفاز قبحا  
وعلى فتواه قد يُمدح مدحا  
وتقيم الآن للتبيان صرحا  
جوقة أمسى لها التشويش نبحا  
ويردون بذا ما كان صحا  
أكمل الجولة ، أضحي ذاك فرحا  
إن هذا العهر - فينا - بات قبحا  
بات وأد الشر إرهاباً ملحا  
ضبحت خيلك - في الميدان - ضبحا  
ومع العادين لا تعرف صفحا  
أمع الضلال قد ننشد صالحا؟  
تمتلك مأوى ورِيحانا ورؤحا

### حبر اللحن أيها الحادي

(وهذي رسالة شعرية للمنشد المصري الكبير أشرف أبو مالك. وذلك بمناسبة شريط أناشيد: (أول الغيث) ، وذلك على النجاح الباهر الذي أحرزه من خلال ذلك الشريط. فلقد احتوى على مجموعة قيمة من الأناشيد الطيبة ذات الطابع الوجداني العاطفي! وذلك بعد أن ابتلي الناس بهجير الأغاني الجاهلية الساقطة التي ما صحت لفظاً ولا لحناً ولا طريقة أداء! ومن هنا تأتي أهمية الأناشيد الإسلامية لتكون كالواحة الظليلة في هجير الجاهلية اللافح! ويصبح القانمون عليها على ثغر من ثغور الإسلام متى حافظوا على الشروط الشرعية في النشيد!)

أطرب الروح ، وطيب ألمي  
وازرع الأنغام في أشواقنا  
واجعل الإحساس يسمو للغلا  
أيها الحادي تفقد هيعتي  
ثم ضمّ ضمّاً بالتحايا آهتي  
ثم لف الجرح في ترنيمه  
واحقن الآهات حرى في دمي  
وارو بالتنعيم قلباً يكتوي  
واكسر القيود كفاناً عزلة  
إن هذي الحرب ظمأى للهدي  
جرحت قومي أراجيف الهوى  
هدم الباطل - جهراً - نوقهم  
إنهم صرعى أغان أحرقت  
يا (أبا الأملاك) زلزل دُعرهم  
(أشرف) الأنغام عطر دارنا

واعزف اللحن رطيب البلبل  
واحبك الترجيع بعد الرتل  
واسبك الترخيم عند الزجل  
عبر هذا (الغيث) خلف المسل  
وأعد لي ذكريات الطلل  
عذبة الإيقاع مثل العسل  
بنشيد موعظ في الغزل  
بالذي يجريه أهل السفل  
لا تخض حرباً بقوس عطل  
بعد أن ذاقنت جحيم الضلل  
ثم سار البعض صوب البدل  
فاس تغاثوا الوهم بعد الثمل  
فيهم العزة بعد الأمل  
بهدي الإسلام خير المائل  
بُعداءٍ بالهدى مبتهايل

## نجم في سماء النشيد

(رسالة شعرية لببلب الجزيرة العربية ، رائد النشيد الإسلامي المنشد الكبير الأستاذ محمد بن رشيد المساعد ، أهدى هذه القصيدة إلى من يستحق لقب: هزار الجزيرة العربية ، وفنان العرب المؤمنين الموحدين بصدق! ذلك الببلب الذي طالما أشجانا وأمتعنا بأناشيده التي تجاوزت المائة إلى اليوم! بمختلف الإيقاعات والألحان ، وكأني به طير رنان في دنيا الألحان! فله دره من منشد محترم يختار الكلمة واللحن وطريقة الأداء المناسبة اللانقة! ولا أزكيه على الله ، فالله حسيبه ووكيله! فأنشدت فيه من الخفيف.)

أيّ نجم من السماء أتى لي؟  
وجمال في كل صقع تبدي  
وطيوف في معقل الخير نشوى  
ليس هذا بـ (معبد) أو (غريض)  
ليس هذا (زرياب) في أي لحن  
ببلب فاق النثر والشعر وصفاً  
ورطيب الأنتات لفظاً ومعنى  
كم تغنى بالشعر يبكي جراحاً  
ينتقي اللفظ المستبين ، ويشدو  
كم نشيد للعندليب حنون  
(رددوها) كم قد حوت من عظمات  
عندليب عنه الترانيم تحلو  
إن هذا نجم الجزيرة صدقاً  
رب فاتفع بـ (ابن الرشيد) البرايا  
دوحة هذا العندليب تسامت

وهزار يفوق حسن اللآلي  
وعبير يذر أسمى المعالي  
وسراج من العصور الخوالي  
أين نجم من عالجات الرمال؟  
مالش حرور مثله من مثال  
وأنيس يزين كل احتفال  
وأداء ما فيه أدنى ابتذال  
فوق رأس الإسلام مثل الجبال!  
واقعي قد مَجَّ كل خيال  
في جناه المأنوس بعض ابتهاج!  
تبعث الشوق في الحنايا الغوالي  
وأغاني الأفراح خير أمالي  
ورقيع النجوم تحنت النعال  
عبر جيل يحب كل ضلال  
تبعث الخير من وراء الظلال

## نكون أو لا نكون (أرجوزة)

(الصحة إن لم يكن لها ثمرة طيبة متحققة من ورائها ، أعنى الثمرة المنبثقة من قول الله - تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولى ببعض) ، لا تكون صحبة خير أبداً. في كتابه البديع (مدراج السالكين) ص 453 ، تحدث ابن القيم - رحمه الله - عن مفسدات القلوب وذكر أنها خمسة: (الخلطة والتمني والتعلق بغير الله والشبع والمنام). وشاهدي من كلامه (الخلطة). قال: (والضابط النافع في أمر الخلطة ، أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهاد والنصيحة. ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات ، فإن دعت الحاجة إلى خلطهم في الشر ، ولم يمكنه أبداً اعتزالهم. فالحذر الحذر أن يوافقهم ، ويصبر على أذاهم ، وذلك يعقبه عز ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً). وإذن فبمقاييس ابن القيم هذا نرى أن الناس اليوم يريدون الصحبة على هواهم ومزاجهم! فكل صاحب ليس يوافقهم في باطلهم ، فإنهم ينصرفون عنه. وكنت قد ابتليتُ بكثير من هذه النوعية التي سبب هذي القصيدة واحد منهم. فرحتُ أكتب له ولغيره: (نكون على الجادة من أمر الإسلام في الصحبة ، أو لا نكون من حيث المبدأ أصحاباً أبداً! وكنت قد صاحبتُ من كنت أنشد من وراء علاقتي به أن أهديه إلى طريق الحنيفية السمحة ، وبذلتُ معه ما يبذله مخلص موحد قانت مع صفيه من أهل الآخرة ، ولكنني وجدته لا يلوي على هداية ولا يرعوي للحق ، وليست تعتوره تباشير المتابعة للهدى ، ولا يلوح من هذه العلاقة أي أمل في الهداية ، بل بدأ هذا الصاحب في التشويش عليّ وجرني إلى ما هو عليه من جاهلية ، فخشيتُ أن أنجرف مع الصاحب الجاهلي العنيد في تياره. إن الأخوة بذل وعطاء! قال الأستاذ صالح آل الشيخ عن بعض حقوق الأخوة ما نصه: (من حقوق الأخوة أن يقدم الأخ لأخيه الإعانة بالمال وبالنفس ؛ لا شك أن الناس مختلفون ، مختلفون في طبقاتهم ، والناس بعضهم لبعض خدم ؛ الغني يخدم الفقير والفقير يخدم الغني ، من كان ذا جاه فإنه يخدم من كان ليس بذي جاه ، وهكذا فالناس متنوعون ، جعلهم الله جل وعلا كذلك ، ليتخذ بعضهم لبعض سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ، هذه سنة الله جل وعلا في خلقه ، وسنة الله جل وعلا في تصنيف الناس ، وهذا إذا كان كذلك فإن من حق الأخوة ، من حق الصحبة الخاصة ، أن يسعى المرء في بذل نفسه ، في بذل ماله لأخيه الخاص لأن حقيقة الأخوة أن يؤثر المرء غيره على نفسه ، كما وصف الله جل وعلا الذين امتثلوا ذلك بقوله (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ، فالإيثار من حقوق الأخوة المستحبة ، فإذا كان هذا في درجة الإيثار فذاك من الخير ؛ لكن نطلب شيئاً أقل من الإيثار ، من حقوق الأخوة في الإعانة بالمال والنفس أن يتفقد بشيء فاضل في وقته ، أن يتفقد بشيء فاضل في ماله ، أن ينظر إلى أخيه ، ينظر إلى حاجاته ، وقد قال بعض العلماء إن من آداب أداء هذا الحق أن لا ينتظر أن يسأله أخوه ذلك الشيء ، بل يبتدأ هو ويبحث عن حاجة أخيه الذي صافاه ووادّه في الله جل جلاله ، وقد كان أمر النبي - عليه السلام - كما روى مسلم في الصحيح أمر بعض الصحابة أن يلقوا ما معهم الآخرين من الصحابة في بعض الغزوات حتى قال الراوي: حتى لم يكن أحداً يرى أن له فضلاً على أخيه. وهذا لا شك من المراتب العظيمة ، لكن هذه المسألة - وهي بذل المال وبذل النفس - هذه مسألة عظيمة ، ولها مراتب ، فمن حقوق الأخوة أن تبذل مالك لأخيك ؛ نطلب بذل المال الفاضل ، إذا كان عندك شيء زائد تقرضه ، وقرض المسلم مرة خير وإحسان ، وإذا أقرضه مرتين فهو صدقة ، كأنه تصدق على أخيه بتلك الصدقة ، كما روى ابن ماجة في سننه: «من أقرض أخاه مرتين فهو كالصدقة عليه» وهذا أمر عظيم ، بذل المال من غير سؤال ، تتفقد حاجته ، فإذا رأيت بحاجة إلى مال ، رأيت حالته رثة ، رأيت بحال ليست بمحمودة ، وأنت قد وسع الله جل وعلا عليك ،

فتبذل الفاضل من ذلك ، تواسيه بذلك ، والأحسن تواسيه بذلك ، لأن في هذا بذل الفضل ، ولأن في هذا إقامة عقد الأخوة ، والذي يبذل مبتدءاً ليس كمن يبذل مسؤولاً ، وقد قال الله جل وعلا في صفة المؤمنين (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ، وكونهم رحماء بينهم يقتضي أن بعضهم يرحم بعضاً ، وبعضهم يرحم بعضاً فيما يحتاجه ؛ يحتاج إلى بذل الجاه ، يحتاج إلى بذل المساعدة ، يحتاج أن تساعده في نفسه ، في بيته ، يحتاج أن تساعده في جهده في إصلاح شيء ، ضاق وقته عن بعض الأشياء عنده مهمات وعنده سفرات ، فحق الأخ على أخيه - حقوق الأخوة الخاصة - أن تسعى في ذلك ، لأن عقد الأخوة الخاصة يقتضي البذل ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي - عليه السلام - قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ». وفي الحديث الآخر حديث صحيح معروف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». إذن فهذا الحق وهو بذل النفس ؛ أن يُعوِّدَ الأخ أن يبذل نفسه لأخيه ، أن يبذل بعض وقته لأخيه ، أن يبذل بعض ماله لأخيه وأن يسعى في ذلك ، يُقيم في القلب حقيقةً التخلص من الشح ، والمؤمن مأمور بأن يتخلص من الشح أمر استحباب ، وقد أتى الله جل وعلا على أولئك بقوله: (وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وشح النفس يكون بأنواع ، يمكنه أن يذهب مع أخيه إلى مكان ليعرفه عليه أو ليبذل جاهه ، أو ليزكره عند أحد ، فيبخل بهذا الجهد ، ويشح بالنفس ، ويشح ببعض الوقت على أخيه. فما حقيقة الأخوة إذا لم يكن ثم بذل ، وثم عطاء في هذه المسائل وفي غيرها؟ وقد جاء في الحديث أيضاً «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»! فإذا كنت موطناً نفسك في هذه المسائل أن تبذل لصفيتك ، أن تبذل لخليلك ، أن تبذل لصاحبك ، فإن ذلك من حقوق الأخوة التي من بذلها قبل السؤال فإنه قد أدى شيئاً عظيماً ، ومن بذلها بعد السؤال فإنما أدى ما وجب عليه أو ما استحبه له ، لكن مكارم الأخلاق والإقبال على الخير أن تبتدأ بالشيء قبل أن تُسأل عنه ، لهذا كان بعض السلف يتفقد حاجة إخوانه من دون أن يُعرف ، كم روي لنا من أحوال السلف أنهم دسّوا أموالاً ؛ دسّوا بعض المال في بيت إخوانهم من دون أن يُعلم من هذا الذي أرسل ، ومن هذا الذي أعطى ، وقد قال الربيع بن خثيم مرة لأهله: اصنعوا لي طعاماً - وكان يحب ذلك النوع من الطعام - فصنعه له أهله كأحسن ما يكون ، فأخذه وذهب به إلى أخ له مسلم ابتلاه الله جل وعلا بأنه ليس بذئ لسان وليس بذئ سمع وليس بذئ بصر ، يعني أصيب بمصيبة فقد معها البصر وفقد معها اللسان وفقد معها السمع ، فإذا أتاه هذا وأطعمه أو أهدى إليه ، فمن الذي يعلم بحاجته؟ من الذي يعلم بما أعطى؟ هذا الرجل لن يعلم ما فعله به الربيع بن خثيم مثلاً ، فأتى الربيع بن خثيم وأخذ هذه الحاجة هذا الطعام الخاص الذي يحبه هو ، وذهب به إلى ذلك الرجل الذي هو من إخوانه المؤمنين في بلده فأخذه وأخذ يطعمه شيئاً فشيئاً حتى غداه وأشبعه ، فلما انصرف ، فقيل له: يا ربيع فعلت فعلاً لا ندري وجهه؟ قال: ما فعلت؟ قالوا: فعلت إذ أطعمت هذا ، وهو لا يعرفك ، ألم تكتف أن أعطيت أهله فأطعموه؟ قال: لكن الله جل جلاله يعلمه. وكم من آثار للسلف في هذا الباب فقد رعى بعض السلف حال أولاد أخ له يعني صاحب له رعى أحوال أهله وأحوال ولده أربعين سنة حتى توفي ، قالوا: فكأننا لم نفقد أباناً! كأنهم ما فقدوا أباهم لشدة ما حصل لهم من البذل (في ذلك). هـ. ولذا رأيت أن أنهي علاقة الاندماج لأبداً أخرى هي أن أتجنبه في غير قطيعة. وأصر الثاني على التعدي والتوقح بغير الحق ، فقطعت تلك العلاقة ريثما يأتي الله بأمره. ولعل هذا الثاني كان له نصيب كبير من قول الله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ، ويحبون أن يحمداً بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم). فلقد كان يحب كثيراً أن يُحمد بما لم يفعل. ومن امتحانات القدر أن يبتل المرء الموحد في الأصحاب والأحباب ، لدرجة أن يصل به الحال ، لأن يفتش عن صاحب

يرعى الود ويحفظ العهد ، فلا يجد من الأصحاب ، إلا كما تقول الآية: (الميتة ... ، ... ، والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ... ، وما ذبح على النصب) ولا يكاد يجد في الناس (إلا ما ذكيتم) وهذا من البلاء. من أجل ذلك كله وسواه في القلب الكثير كتبت الأرجوزة الشعرية.

لا تسلني كيف هذا الود ولي؟  
لا تسلني عن دموعي وانتحابي  
لا تسلني عن مَراري وانفعالي  
إن هذا منك لي ظلمٌ جهيرُ  
خففِ اللومَ ، وجنبني النقاشا  
واعتبرْ نحن كأننا ما التقينا  
وافترضْ أن عتاباً ليس يُجدي  
ولماذا نبرة التمييع هذي؟  
كم بذلتُ الخير في ودي رضياً!  
لأرى الآمال في لقياه نشوى  
لأرى الأحلام في مَراهُ تسري  
لأراه ساعة العُسْر صديقا  
لأراه في الـدياجير سـراجا  
لأراه في أسى الغربية نجما  
وإذا الأصحابُ باعوا لم يبعني  
يحفظ العهدَ ، ويُزكى أمنياتي  
كم تنازلتُ كثيراً عن حقوقي!  
وسمعتُ الرجز كم منك كثيراً!

إن نور الحق في الأمر تجلى!  
لا تسلني عن سُهادي وعذابي  
لا تطل عندي أفاعيل الجدالِ  
وجراحي من أسى صحتي تمورُ  
واجعل الود لَمّا قلتُ فراشاً  
وسنا الترحاب ما زار يدينا  
فلماذا الخوض في دنيا التحدي؟  
وَدنا أمسى سراباً من جُذاذ  
لأرى خللي تُناجيه الثريّا  
ورحيق الشعر يُزجي كل فحوى  
وشذا الأنسام في الأفاق يُغري  
بفـوادي وأحاسيسي رفيقا  
يطرح الظلمة أرضاً والسناجا  
يُفعم الإنسان أنواراً وعِلما  
وإذا الخلالُ خانوا لم يخني  
ويصون الودَ ، يُعطيني حياتي  
ولمن تكـره أشـهـرتُ عقـوقي  
ورأيتُ الهزل كم فيك وفيرا!



وسهرتُ الليل ، ما نمتُ هزيعاً  
وانتظرتُ ، لأرى لليل صبحاً  
وأريجُ الشوق مكبوتٌ صداهُ  
وظهيراً في العنا كنتُ أراكا  
بأسفه في الناس يسعي مُستتبينا  
وربيعاً فاح كالشعر المُقفى!  
ورمى الرغبة منهُ بالهوان  
ولما قدر حبرتُ خشوعي  
لا ، ولم يكبح شهيقى أو زفيرى  
ببقينى أجتني خير المنايا  
وئد الوُد ، فهل تجدي الطلؤل؟  
وعلى الهازل لن يأسى فؤادي  
وكتبتُ الشعر تُركميه القوافي  
أنشدُ الجنّة ، لا أنشدُ قرشاً  
فاسعَ للجناتِ ، هذي خيرُ فتيا  
لذّة ليست يُدانها بذينذ  
ولهذا قد تجاوزتُ الصريخا  
دامع القلب له قيدٌ عنيف  
ثم بالمأساة تهتاج العروقُ  
ماله من هذه البأوى مَحيصُ

ثم قلتُ: الله يهدينا جميعاً  
واجتهدتُ ، لم أؤخرُ عنك نصحا  
فإذا بالليل يكويني دجاءهُ  
كنتُ أرجو فيك خيراً لا يُحاكى  
ونصيراً في البلايا ، ومُعينا  
وفتياً سسل للأعداء سيفا  
لكن الشيطانُ أودى بالأمانى  
فتاءتُ فكرتى خلف دموعي  
وعلى ما كان لم يندم ضميري  
إنني اعتدتُ على هذي الرزايا  
إنما الغدرُ هو الداءُ الوبيئُ  
لن ألوم اليوم من باع ودادي  
إنني ضمدتُ قلبي بعفافي  
وعلى التصبير قد شيدتُ عرشاً  
تعس المال ، ومن للمال يحيا  
ثمر التقوى شهياً ولذينذ  
إنني آثرتُ في الذل الشموخا  
ويُعاني اليوم في الناس العفيفُ  
خانه الأصحابُ ، حتى والشقيقُ  
دمه في القوم مهدورٌ رخيصُ

عِرضُهُ فِي النَّاسِ مَمْسُوخٌ هُضِيمٌ  
تَنْظُرُ الْعَيْنُ فَتَلْقَى الدَّارَ مَسْخَا  
وَدِيَاراً عَنِ صِرَاطِ اللَّهِ حَادِثٌ  
عُبْدُ اللَّاتِ ، وَعَادُ الشَّرِكِ غُضَا  
وَنَصِيرُ اللَّاتِ فِيهَا يَتَمَطَّى  
أُمَّةٌ ضَاعَتْ ، فَلَا تَسْأَلُ عَلَيْهَا  
أَعْرَضَتْ عَنْهُ ، وَعَاشَتْ فِي هُرَاهَا  
مَنْهَجُ اللَّهِ لَهَا دَرْبٌ وَشَمْسٌ  
كُلُّ صُقْعٍ يَحْتَوِي جَمْعاً وَبَعَثاً  
يَحْمِلُ الْحَقَّ ، يُضْحِي ، يَتَحَدَى  
أَيُّنَ أَنْتَ الْيَوْمَ مِنْهُ يَا كُنْيِي؟  
فَاكْشِفِ الْآنَ عَلَى الْفُورِ الْفَتَاعَا  
وَاجِهُ الْخَيْبَةَ هَذِي ، كُنْ صَرِيحَا  
رَبِمَا فِي الصِّدْقِ أَدْرَكَتِ الصَّوَابَا  
إِنَّمَا التَّوْبَةُ حَانَتْ ، فَتَقْدَمُ  
وَافْعَلِ الْخَيْرَاتِ ، إِنْ الْعَمْرُ أَدْبَرُ  
وَاشْغَلِ النَّفْسَ بِمَا فِي الْمَوْتِ خَبِيئُ  
إِنَّمَا الْأَيَّامُ قَدْ عُدَّتْ عَلَيْكَ  
قَلْتُ: حَتْمًا سَوْفَ يَطْوِيكَ الْفَوَاتُ  
وَانظُرِ الْحَقَّ لِيَنْزِحِ السَّرَابُ

وَلَهُ قَلْبٌ مِنَ الصَّحْبِ كَلِيمٌ  
وَتَرَى فِي جِبْهَةِ التَّوْحِيدِ شَرْخَا  
وَنَفُوساً عِنْدَهَا الْأَصْنَامُ رَاجِثٌ  
ثُمَّ فَاضَ الْفَسْقُ فِي الْأَصْقَاعِ فَيُضَا  
وَلَمَنْ وَحَدَّ قَدْ أَمْسَكَ سَوْطَا  
وَسَبِيلُ الْعِزِّ مَوْفُورٌ لِيَدِيهَا  
وَاسْتَحَلَّتْ كُلَّ دَعْرٍ فِي قِرَاهَا  
وَجَمَالَ الْهَيْدِي مَأْنُوسٌ يَحْسُ  
بَاتَتْ التَّقْوَى لَهُ نَهْجًا وَإِرْثَا  
وَسِوَاهُ فِي الدُّنْيَا يَتَرَدَى  
لَا تَغَالِطِ ، لَسْتَ خَلِيٌّ أَوْ سَمِيي  
وَتَعْلَمُ أَنْ تُرَى فَيُنَاشِجَا  
لَا تَقْلُ أَمْسَى فَوَادِي مُسْتَرِيحَا  
وَصَرَعْتَ الْهَزْلَ أَرْضَا وَالْعَذَابَا  
وَاهْجُرِ الْأَوْزَارَ هَذِي ، وَتَنْدَمُ  
فَارْقُبِ اللَّحْدَ مَلِيئًا ، وَتَفَكَّرُ  
وَاطْرَحِ الزَّيْفَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ غُبِيئُ  
وَجَنَاحُ الْمَوْتِ مَمْدُودٌ إِلَيْكَ  
فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ يَنْفَعُكَ الثَّبَاتُ  
وَلِيكَ السُّنَّةُ لِأَنْتَ وَالْكِتَابُ

ولديك الضأذ للفقاه بـراق  
هل منال الغادة الشقراء سهل؟  
واذكر النصح الذي أودى بصوتي  
إنما أعذارك اليوم عليا  
دمعة راحت تعير الغدر لحنا  
سحقت في مجريها الوصل سحقا  
خفف اللوم ، فإن اللوم صعب  
أنت قد أفشيت بين الناس سري  
وتخذت الصد سيفا والشقاقا  
لا تسألني كيف أنهيت إخواني؟  
فتعلم كيف تنساني وتلهو  
طالما بعثت ودادي والتأخي  
وطعنت الشعر في دنيا التأبي  
فالتهم وحدك بلوى الانتكاس  
ربما واساك توديع وشيك

ذي عروس ، وعلى الصب الصداق  
حكّم الشرع ، ولا يضللك جهل  
كم نصحت ، ثم ضحيت بوقتي!  
ودموع العين في العين كليا  
ورأت في الزيف والإعراض فنا  
وغدا الزيف لدى التبرير صدقا  
واتخذ غيري صديقا يستحب  
والتمست الخير في تركي وهجري  
وطعنت الود عندي والوفاقا  
أنت قد حطمت آفاق الصفاء  
ولي المولى ، وكل الخير منه  
وتناسيت عتابي وصراخي  
فانبرى يبكي عليه (المتنبي)  
إنني - في الشعر - قررت انغماسي  
خطه من سالف الدهر المليك

## خلق فلا يعبد سواه!

(عندما كتبت قصيدة: (عجبت من قدرة الله تعالى) على البحر العروضي البسيط ، أعدت النظر فيها ، وقرأتها مرات ومرات ، فاكتشفت أنني وقعت في الخطأ الذي وقع فيه الشاعر الذي كتب قصيدة: (عجبت لا تنتهي!) ألا وهو التركيز على توحيد الربوبية فقط! فلاح لي أن أستدرك ببعض أبيات ترسخ توحيد الألوهية! ولما بدأت الكتابة توهمت أن البحر الذي كتبت عليه هو البحر العروضي الكامل! فصغت هذه الأبيات منتوياً إلحاقها بالقصيدة الأولى ، لأذيلها بها مركزاً على توحيد الألوهية! فلما هممت بإجراء عملية الإلحاق والتذييل ، إذا بي أكتشف التباين بين البحرين: البسيط والكامل! مما حدا بي أن أعيد الصياغة في نص آخر ، وأكملت قصيدة: (عجبت من قدرة الله تعالى) والله الحمد ومنه التوفيق والسداد! وهنا لاح لي أن أجعل هذا القصيدة: (خلق فلا يعبد سواه) نصاً منفصلاً تماماً عن الأول ، وإن كان يلخص زبدته ويمحور موضوعه! ويحسن بي - لإكمال الفائدة - أن أورد في مقدمة هذه القصيدة نبذة مطولة عن التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسول! وأنصح بقراءة قصيدتنا: (عجبت من قدرة الله تعالى) في ديواننا ديوان: (السليمانيات) للمتعة والاستفادة! والقصيدة هي إحدى قصائد الجزء الذي يحمل ذات العنوان ، وهو الجزء العشرون! جاء في الدرر السنية ما نصه: (المراد بتوحيد الألوهية: أفراد الله جل وعلا بالتعبد في جميع أنواع العبادات. ويعبر بعض أهل العلم بالعبادة بدل التعبد ، ولا فرق ، إذ مراده بالعبادة معناها المصدرية وهو التعبد. والتعبد له ركنان وشرطان لصحته ، أما الركنان: فغاية الخضوع والتذلل لله ، وكمال المحبة له. وأما الشرطان: فمعرفة المعبود - وهو الله سبحانه وتعالى - ، ومعرفة دينه الشرعي الجزائي ، والمقصود بالعبادات: ما يتعبد به لله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ولها شرطان: المتابعة فيها - أي أن تكون وفق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصدق والإخلاص لله جل وعلا فيها. وهذا هو معنى شهادة ألا إله إلا الله - وتام تحقيقها بشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومما يوضح أن التعريف السابق هو تعريف لشهادة ألا إله إلا الله قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ). قال ابن جرير: (وقوله: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) يقول تعالى ذكره: وجعل قوله (إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) وهو قول لا إله إلا الله: كلمة باقية في عقبه ، وهم ذريته ، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده. اهـ. وكلمات السلف كلها تدور حول هذا المعنى فمنهم من فسر الكلمة بشهادة ألا إله إلا الله ومنهم من فسرها بالإسلام. ولا خلاف بين القولين ، إذ الإسلام هو الاستسلام لله بالعبودية ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد شيئاً سواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله المترتبة من النفي والإثبات ؛ نفي عبادة ما سوى الله ، وإثبات العبادة لله وحده ، وهذان هما النفي والإثبات نفسهما الواردان في الآية (بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي). ويؤكد صحة هذا التفسير أن إبراهيم عليه السلام جعل الكلمة في بنيه بأمرين: الدعاء والوصية. أما الدعاء - ففي قوله: (وَاجْتَبِنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ). فهذا تيري من عبادة ما سوى الله تعالى ، وهذا يستلزم أفراد الله جل وعلا وحده بالعبادة - ولذلك كان من دعائه: (رَبِّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ). وأما الوصية ففي قوله: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). فبين الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بالإسلام ، وكذلك يعقوب عليه السلام وصى بها بنيه وعهدوا بها إلى أولادهم من بعدهم ، ثم إن الله بين صيغة هذه الوصية بقوله: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ

قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). فهذا نص في أن الوصية هي الإسلام وهي قولهم: (نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ). وبه يظهر ظهوراً جلياً أن الكلمة هي الإسلام: أي الاستسلام لله بالعبودية! وقد لخص ذلك ابن جرير الطبري بقوله (وهي الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له). اهـ. وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة. ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـ (توحيد الألوهية) ، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ (توحيد العبادة) ، و(توحيد العبودية) و(توحيد الله بأفعال العباد) ، و(توحيد العمل) ، و(توحيد القصد) ، و(توحيد الإرادة والطلب) ، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات ، بإرادة وجه الله تعالى. وهذا التوحيد من أجله خلق الله الجن والإنس ، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، كما قال سبحانه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ، ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأمهم ، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهل البدع والخرافات ، ومن أجله جُردت سيوف الجهاد في سبيل الله ، وهو أول الدين وآخره ، بل هو حقيقة دين الإسلام ، وهو يتضمن أنواع التوحيد. فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات ، فإن من عبد الله تعالى وحده وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة ، دل ذلك على أنه مؤمن بربوبيته وبأسمانه وصفاته. لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو المتفضل عليه وعلى جميع عباده بالخلق والرزق والتدبير ، وغير ذلك من خصائص الربوبية ، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ومع أهمية هذا التوحيد فقد جحدته أكثر الخلق ، فأتكروا أن يكون الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وعبدوا غيره معه أو من دونه. قال العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الصنعاني: (اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه ، ولذا قالوا: (أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ: أي لنفرده بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا؟ فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه ، واتخذوا له أندادا). هـ. وإذن فلأنه سبحانه وتعالى خلق ورزق ، وأحيا وأمات ، وأضحك وأبكى ، وأنزل المطر من السماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، ودبر الأمر في السماء والأرض ، فهو الأحق بأن يُعبد فلا يعبد سواه! وجاء في موضع آخر من الدرر السنية ما نصه: (إن التوحيد هو إفراد الله جل وعلا بالتعبد في جميع أنواع العبادات وهذا هو تحقيق كلمة لا إله إلا الله ، ولا تصح إلا بالمتابعة وهي شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي عليه أهل السنة والجماعة أن أول واجب هو الشهادتان ، كما حكى عنهم ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان ، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ). اهـ. والأدلة على أن أول الواجبات هو عبادة الله بما شرع يمكن تلخيصها في أربعة أدلة عامة: الدليل الأول: هو أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد الله جلا وعلا وإخلاص العبادة له ، كما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ، وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ). ولقد وردت آيات كثيرة تبين أن أحاد الرسل يأتون قومهم فيقولون لهم: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ). ويتضح هذا الدليل بالعلم بأمرين وهما: الأمر الأول: إن الأصل في بني آدم التوحيد وكان ذلك مدة عشرة قرون بين آدم ونوح عليهما السلام

، فقد كانوا على التوحيد ثم نشأ فيهم الشرك – ثم إن الأصل في بني آدم: الإقرار بالله. الأمر الثاني: معرفة الشرك الذي وقعوا فيه وهو الشرك في الألوهية. فإذا علم الأمران ، وهما: أن الأصل في بني آدم توحيد الله بعبادته ، وأن الشرك الذي وقعوا فيه هو الشرك في العبادة لا إنكار وجود الله وتفردته بالخلق والرزق ، علم أن الرسل جاؤوا بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ، فيعلم من هذا أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له خاصة وأن الأدلة دالة على أن كل مولود يولد على الفطرة. فيبقى بعد ذلك أن من لم يقر بوجود الله عليه أن يقر أولاً ليتوصل بإقراره هذا إلى عبادة الله فيكون وجوب إقراره وسيلة لواجب مقصود وهو إفراد الله بالعبادة ، إذ الإقرار وحده لا يكفي. الدليل الثاني: إن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة. كما قال الله جل وعلا: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)! فقد بين الله جل وعلا أنه خلق الناس لهذه الغاية وهي عبادته ، وبين سبحانه أنه فطر الناس على الإقرار به ولذلك فإنه أول ما يأمرهم بأمرهم بعبادته ، كما قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). الدليل الثالث: وهو كما قال أبو المظفر بن السمعاني: (تواترت الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين. ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله). وقوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله). وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند بيعة الرجال والنساء أول ما يبدأ به في البيعة قوله: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً. الدليل الرابع: الإجماع: وهذا الإجماع حكاه ابن المنذر بقوله: (أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام ، وهو بالغ صحيح يعقل: أنه مسلم). اهـ. وقد ذكر أبو المظفر بن السمعاني أن القول بأن أول الواجبات هو النظر قول مبتدع لم يكن معروفاً عند الصحابة ولا التابعين ، إذ لو كان معروفاً لنقلوه لنا لشدة اهتمامهم بهذا الدين ، كيف والمدعى أنه أول الواجبات! – وإنما المعروف أنهم كانوا يدعون إلى الإسلام ، وهم الذين نقلوا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ، مما يدل على أن المستقر عندهم هو أن أول شيء يدعى إليه الكافر هو الشهادتان – وهما أول واجب. وقد حكى هذا الاتفاق شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم النقل عنه وحكاه كذلك تلميذه ابن القيم فقال: (وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام. وهذا يدل على أنه أول الواجبات ، ولو أتى بغير الشهادتين ما اعتبر ذلك. ومن المعلوم أن الشهادة تتضمن الإقرار بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فكل من شهد الله تعالى بالألوهية فشهادته فرع إقراره بوجوده وربوبيته ، ولكن إذا وجد من لم يقر بالله لتغير فطرته فهذا يجب عليه النظر أولاً ، لأنه وسيلة لإقراره الله تعالى بالعبودية ، فوجوب مثل هذه الحالة يعتبر من وجوب الوسائل التي تؤدي إلى الغاية. فإن المعرفة بوجود الله جل وعلا لا تكفي العبد! بل ولا حتى إيمانه بأن الله هو الرب الخالق حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: (وهو) أي توحيد الإلهية (الذي به الإله) عز وجل (أرسل رسله) من أولهم إلى آخرهم (يدعون إليه أولاً) قبل كل أمر يدعو إلى شيء قبله ، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات اختلفت أو اتفقت ، لا يشرك معه فيها غيره. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نحن معشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد). وقد أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً فقال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)



، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك بقية الرسل ، وقال تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ) ، وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ، وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ، وقال الله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا). وفي الصحيح عن المغيرة رضي الله عنه قال: (قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تعجبون من غيرة سعد ، والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة). وأما مقامات التفصيل فقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ، وقال تعالى: (وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ، وقال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ) ، وقال الله تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ) ، وقال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوفَةَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ). وهذا في مقام مناظرته عليه الصلاة والسلام لعباد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة الله عز وجل المسخرة بقدرته وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل. فلما أقام عليهم الحجة: (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّه قَوْمُهُ قَالَ اتَّحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ، أي الذين آمنوا يعني صدقوا ووجدوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل ، وفي الصحيح: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما نزلت الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)! فالذين آمنوا بالإيمان التام الذي لم تشبهه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه ، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله ، ولا معاصي الله المحبطة ثمراته من الطاعات ، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء ، وباجتناب المعاصي يحصل تمامها. ثم قال تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) ، وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا



عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا قَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). وقال تعالى: (وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَأُبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ). وقال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَنْفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ..... إلى آخر الآيات). وقال تعالى: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا). فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئاً. فبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال. ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء ، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: (إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) ، وبيّن أن فعله ذلك عبادة للشيطان موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان ، عياداً بالله من ذلك. وقال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبِي السَّجِنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ). وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ لِرُسُلِهِمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ). ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال الفصل. وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة ، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك). هـ. فالعجب كل العجب لمن اعترف لله تعالى بالخلق والرِّزق والإماتة والإحياء والإيضاح والإبكاء وإنزال المطر من السماء وتدبير الأمر في السماء والأرض ، ثم هو يعبد سواه سواء بداء ذلك الغير أو التحاكم إليه فيما شرع على غير هدى من الله ولا كتاب منير؟! وجاء في موضع آخر من الدرر السنوية ما نصه: (المقصود بعقد الإسلام هو أصل الدين ، أي القدر الشرعي الذي متى ما التزمه المكلف نجا به من الكفر ، وكذلك نجا به من الخلود في النار إذا مات على ذلك. فبه يصير الكافر مسلماً ، والعدو ولياً ، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال. كما يترتب على الإقرار بهذا الأصل الأصيل الدخول في مسمى أهل القبلة ، واستحقاق ما لهم من حقوق ، ووجوب ما عليهم من واجبات. ومن ثمة يكون هذا المبحث من الأصول اللازمة لدراسة حكم الجهل بمسائل الاعتقاد على التفصيل وفائدة هذا المبحث وثمرته هي: الوقوف على ما يتحقق به أصل الإسلام ، ومن يحكم له به ، وهل يعذر أحد بجهل بعض أركانه أو بعدم الالتزام بها؟ ويتحقق أصل الدين بالإقرار المجمل بكل ما صح به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تصديقاً وانقياداً. وهذا المعنى تعبر عنه الشهادتان ؛ ولهذا جعلهما الله تبارك وتعالى باب الدخول إلى الإسلام ، وجعل النطق بهما هو مناط عصمة الدماء والأموال والأعراض. ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها ، وحسابه على الله عز وجل). وفي رواية: (... حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به). وفي رواية له أيضاً من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم الله دمه وماله ، وحسابه على الله عز وجل). قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ، ويجعله مسلماً. فقد أنكر على أسامه بن زيد قتله لمن قال: لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف ، واشتد نكيره عليه. ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط على من جاءه يريد الإسلام ، أن يلتزم الصلاة والزكاة). فالشهادة لله بالوحدانية تعني الإقرار المجمل بالتوحيد ، والبراءة المطلقة من الشرك ، والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة تعني الإقرار المجمل بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من عند الله تصديقاً وانقياداً. وهذا كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول من كان يأتيه من الكفار يريد الإسلام ، كما جاء في الأحاديث المتقدمة ، وكما جاء في كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله ، وهكذا كان أمره لرسوله إلى القبائل والملوك وأهل الكتاب ، وكذلك إذا بعث السرايا أن يدعوا إلى توحيد الله ويقاتلوا عليه. عن أبي معبد مولى ابن عباس قال: سمعت ابن عباس يقول: (لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى أهل اليمن ، قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى عبادة الله... الحديث ؛ وفي رواية: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ويفتح الله عليه... فدعا علياً ، فبعثه فقال: اذهب فقاتل ، حتى يفتح الله عليك ، ولا تلتفت. فمضى ساعة – أو قال: قليلاً - ، ثم وقف ولم يلتفت ، فقال: يا رسول الله ، علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلوهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك ، منعوا منك

دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله). وبناء على ما سبق ، فإن وصف المسلم لا يثبت للمكلف على الحقيقة التي يصير بها مسلماً عند الله إلا بأمرين: الأول: تحقق هذا الأصل في القلب. الثاني: النطق باللسان بالبراءة من الشرك والالتزام بالتوحيد ، وهذا في حالة الخلو من الموانع والأعذار الشرعية المعتبرة كالبحم والإكراه. فهذا القدر – وهو أصل الدين – إذا ما تحقق ولم ينقض بقول أو عمل أو اعتقاد ، فقد نجا صاحبه من الكفر ، ومن الخلود في النار ، وهذا ما أطلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية اسم (الإيمان المجمل) ، حيث قال: (فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر ، أو ولدوا على الإسلام ، والتزموا شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، فهم مسلمون ، ومعهم إيمان مجمل. ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك). هـ. وعلى هذا ، فإن نفي الإيمان المجمل معناه نفي مطلق الإيمان ، وسقوط صاحبه في الكفر الأكبر الناقل عن الملة ، ويتحقق هذا بانتفاء أو نقض أحد عناصره من التصديق أو الانقياد أو الإقرار. ومن خلال ما سبق بيانه ، يتبين لنا جلياً أن أول واجب على المكلف هو: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، لا كما يقول أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية أن أول ما يجب على العبد النظر في الأدلة العقلية على وجود الله تعالى ، أو القصد إلى النظر أو غيره. قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: لو لم يكن في (علم) الكلام إلا مسألتان ، هما من مبادئه ، لكان حقيقاً بالذم. إحداهما: قول بعضهم: إن أول واجب الشك ؛ إذ هو اللازم لوجوب النظر ، أو القصد إلى النظر. والثانية: قول جماعة منهم: من لم يعرف الله بالطرق التي رتبها أهل الكلام ، لم يصح إيمانه. والقائل بهاتين المسألتين كافر ؛ لجعله الشك في الله تعالى واجباً ، ومعظم المسلمين كفاراً ، حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة. والخاصة: أن هذا الالتزام المجمل هو الذي يتوقف على تحقيقه ثبوت عقد الإسلام ، فلا يكون المرء مسلماً إلا باستيفائه. كما أنه شرط في صحة الأعمال وقبولها ، فهو سابق على غيره من التكاليف. أما الالتزام بباقي الواجبات ، فإنه يأتي بعد تحقيق هذا الأصل ، فإن حصل التزام وعمل ، استلزم ذلك بقاء وصف الإسلام واستمراره ، وهذا مصداق أمر النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ إذ بعثه إلى اليمن أن يدعو إلى الشهادتين ، فمن أطاعه على ذلك ، أعلمه بالصلاة ثم الزكاة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (الكافر إذا أسلم وقلنا له: قد وجبت عليك الصلاة ، فإنه يلتزمها وينويها ؛ لاستشعاره لها جملة ولم يعلم صفتها ، بل كل من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم إيماناً راسخاً ، فإن إيمانه متضمن لتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، وإن لم يعلم ولم يقصد أنواع الأخبار والأعمال. ثم عند العلم بالتفصيل ، إما أن يصدق ويطيع ، فيصير من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أو يخالف ذلك ، فيصير إما منافقاً ، وإما عاصياً فاسقاً ، أو غير ذلك. والثمرة النهائية التي نستخلصها من هذا المبحث هو: أنه لا عذر لأحد بالجهل في هذا الأصل ، فمن لم يتحقق لديه ، لم يكن مسلماً ، دون اعتبار لعلم أو لجهل. فإن هذا مما انعقد به الإجماع بين المسلمين بكفر كل من لم يدن بدين الإسلام. فكل من لم يشهد لله بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، فهو كافر بلا نزاع ، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو غيره. أما ما كان من نزاع في بعض هذه الطوائف ممن لم تبلغهم نذارة ولم يصلهم بلاغ ، فهو فيما يتعلق بأحكام الآخرة ، هل يخلدون في النار لكفرهم ، أو يعفى عنهم ؛ لعدم بلوغ الحجة إليهم ، أم يمتحنون في عرصات يوم القيامة؟ أما في الدنيا فهم كفار بلا نزاع). هـ. وعلى كل حال فلن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة موحدة ، آمنت بالله وكفرت بكل ما يعبد من دون الله تعالى! وتلك عبرة عظيمة لكل من زلت أقدامهم فوقوا في الشرك والكفر! إن شأوا تابوا وأنابوا ليقبلهم الله في موكب العائدين الأوابين! فإن الحجة الرسالية العامة قد أقيمت عليهم ببعثة النبي محمد - صلى الله عليه

وسلم -! إن شأوا اجتهدوا في معرفة دين الله الحق ليتبعوه وليلتزموا به بكل إخلاص ومتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لضمان السعادة في الدارين: الدنيا والآخرة! وجاء في موضع آخر من الدرر السنية ما نصه: (إن توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق لا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم، فلا بد من الإقرار بتوحيد الألوهية الذي هو أفراد الله تعالى بالعبادة الخالصة. وهو معنى (لا إله إلا الله) ، (إذ الإله: هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً... ولهذا كانت "لا إله إلا الله أحسن الحسنات ، وكان التوحيد بقول (لا إله إلا الله) رأس الأمر) . وهذا هو حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: حقهم أن لا يعذبهم). ولهذا التوحيد لوازم ظاهرة وباطنة ، وهي من أوامر الله تعالى للمؤمنين به الموحدون ، وهي قبل ذلك من موجبات العبودية لله الواحد القهار الذي له صفات الكمال والجلال ، كما قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) ، وقال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ) ، وقال تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، وقال تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) ، وقال تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) ، وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ وَلَا تَتَفَعَّلُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) ، وقال تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وقال تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ). ونظائر هذا في القرآن كثير ، وكذلك في الأحاديث ، وكذلك في إجماع الأمة ، لا سيما أهل العلم والإيمان منهم ، فإنه عندهم قطب رحي الدين ، كما هو الواقع. لذلك وجب على الإنسان المؤمن الموحد من أعمال القلب ومن أعمال الجوارح ما يحقق به حقيقة التوحيد لله عز وجل ، وما يحقق به حقيقة العبودية في نفسه ، فيحقق في نفسه تعظيم الرب جل وعلا ومحبته ، ورجاءه والخوف منه ، والرضا به والتسليم له ، والطاعة له والانقياد عملاً بالقلب والجوارح معاً. ومن أهم الأعمال القلبية التي يتحقق بها كمال التوحيد الرضا (وقد جاء هذا الرضا بأنواعه مبيناً في سورة الأنعام التي هي سورة التوحيد العظمى ، فقد اشتملت على ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله. الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد: (قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ). الرضا بالله حكماً لا شريك له في التشريع والطاعة: (أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا). الرضا بالله ولياً لا شريك له في محبته وموالاته: (قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً). وقال عليه الصلاة والسلام: (من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، غفرت له ذنوبه). واللوازم الظاهرة التي يتحقق بها التوحيد تتلخص في أتباع أوامر الله واجتباب نواهيه ، وتحقيق ذلك بأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والالتزام بالشريعة. وهذا هو مقتضى الشهادتين: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله. ومما يلي مقام الرضا من أعمال القلوب ، مقام الصدق والإخلاص. وهذان عملا قلوبان من أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان. فأما الصدق ، فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق ، وأما الإخلاص ، فهو



الفرقان بين التوحيد والشرك - في قول القلب واعتقاده ، أو في إرادته ونيته - والأعمال - التي رأسها وأعظمها شهادة أن (لا إله إلا الله) - لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص. وأكذب الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة ؛ لانتفاء الصدق ، فقال: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ). كما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمشركون أن دينهم هو الحق بانتفاء الإخلاص ، فقال: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ). إلى أن يقول: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) ، وقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). فعلى محك الصدق والإخلاص بطلت أكثر دعاوي العابدين وهلك أكثر الثقلين ، فالصدق يخرج كل من عبد مع الله غيره ، أو أراد غيره معه في عمل من أعمال العبادة ، كما في الحديث الصحيح: قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه). والمنافي لهذا التوحيد هو الشرك بالله تعالى ، وهو صور كثيرة واقعة في حياة الناس اليوم لأسباب كثيرة ، منها قلة الدعاة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة والطاعة ، ومنها إعراض الناس عن تعلم أحكام الدين اشتغالاً منهم بالدنيا والشهوات ، ومنها الجهل المتفشي في كثير من أقطار المسلمين وخاصة الجهل بالدين الصحيح ، وإلا ، فعلم الضلالة والبدع منتشر وله مؤسسات وهيئات تقوم عليه وترعاه وتنشره بين المسلمين. والذي يهمننا من هذه الأسباب الجهل الذي أدى بالناس إلى التفريط في حق خالقهم عليهم، فوقعوا في المخالفات التي تنافي توحيد الألوهية بالكلية أو تنافي بعض تفاصيل هذا التوحيد. فما هي حدود العذر بالجهل فيما يتعلق بتوحيد الألوهية؟ الحكم في هذه المسألة ينبنى على جملة من القواعد. **أولاً:** تحديد أبرز الصور التي تنافي توحيد الألوهية. **ثانياً:** إذا قلنا: إنه لا تكفير ولا عقاب إلا بعد قيام الحجة ، فلا بد من تحديد مناط قيام الحجة في هذه المسألة ونحن نحاول تطبيق هذه القاعدة على الواقع. **ثالثاً:** تحديد دائرة ما يعذر به في هذه المسألة وما لا يعذر. وينبغي تحديد أبرز الصور التي تنافي توحيد الألوهية. عدم إفراد الله تعالى بالعبادة ، كمن أظهر الإيمان نفاقاً أو صلى أو ذبح لغير الله أو دعا أو استغاث بغيره ، أو أطاع مخلوقاً في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل ، ومنهم أهل الكتاب والمشركون الذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأنبياء أو غيرهم ، وعبودهم زاعمين أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، ومن هؤلاء أيضاً غلاة القبوريين المنتسبون للإسلام ممن يستغيثون بالأموال ويطلبون منهم قضاء الحاجات ويتقربون إليهم بالذبح ، ثم يزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك معهم ليقربوهم إلى الله زلفى. الاعتراض والكرهية لما أنزل الله بعضه أو كله ، وهذا مما وقعت فيه الأمة كلياً أو جزئياً ، فوقع فيها الاعتراض على توحيد المعرفة والإثبات ، والاعتراض على الأمر الشرعي بالتحليل والتحريم ، والاعتراض على أمره الكوني. فاعترض كثير منهم على صفاته وشريعته وقضائه وقدره). هـ. ومن هذا المنطلق كان عنوان هذه القصيدة: (خلق فلا يُعبد سواه)! إشارة إلى وجوب توحيد الألوهية بعد الإقرار بتوحيد الربوبية! ألا له الخلق (الربوبية) والأمر (الألوهية)! وتلك بدهية فصلنا فيها الأمر تفصيلاً! وأبدأنا القول فيها وأعدناه! وإنما لإحدى الكُبر أن يتخرج اليوم مكلف عاقل من الجامعة ويتدرج في أرقى المناصب ، ثم هو لا يعرف الفرق بين الرب والإله! لا يعرف الفرق بين الإسلام والإيمان! لا يعرف معنى ولا واجبات ولا نواقض لا إله إلا الله! وتكون ثافية الأثافي عندما يكون ذلك المكلف العاقل قد تخصص في العلم الشرعي وعلم القراءات ويعي كتاب الله كاملاً ، ثم تكون منه هذه الطوام آفة الذكر! اكتفى بأن يرتزق بالقرآن بأن يتقياه في الموالد والمآتم وكذلك في الخطب والمناسبات ، دون أن يقف عند حدوده ، ودون أن يعلم أنه لا

إله إلا الله! لقد كان الأخرى والأولى معرفة التوحيد والعمل بمقتضاه! أما الارتزاق الرخيص بالإسلام كتاباً وسنة فهذا ليس شأن المكلف العاقل المسلم المؤمن الموحد الذي يعبد الله لا يشرك به شيئاً! إنما شأن المرتزق الذي يعبد الدرهم عبادة! فمن بيت إلى بيت ومن صقع إلى صقع يحفظ الأولاد كتاب الله ، ذلك الكتاب الذي وعاه كله ولم يطبق منه حرفاً في حياته ، ولم يعمل بآياته ، بل طوعه للطواغيت والمناسبات والتراتيل والخطب! وتجده يقرأ ولا يعي ماذا يقرأ فضلاً عن الممارسة والتطبيق! وأضعف الإيمان أن يتعلم الكتاب ويقف نفسه عند حدوده! وينبغي أن يفعل الشيء ذاته مع أهله وأولاده! ولكنه للأسف لم يفعل قط!

الأرضُ ضجَّتْ بالذي يؤذيها	ولذا اشتكت لمليكتها أهلها
الله خالق كل شيء وحده	ولذا استحق العز والتنزيها
وكذا استحق من الأنام عبادة	تستوعب الإفراد والتأليهها
لا رب يعبد غيره سبحانه	وأرى الذي يرجو سواه سفيها
تعمساً لعباد القبور جمعهم	ولسان كلِّ قدا يطريها
عباد غير الله قد لفظوا الهدى	وكنما سنن أهواؤهم تجريها
هل مستساغ شركهم وضلالهم؟	ودعاة فتنتهم تضخم فيها!
أيطاغ غير الله في تشريعه؟	هذبا يشوّه ديننا تشويها
أم أن قوماً ألهوا شركاءهم	فأروا لديان الأنام شبيها؟
لا يغفر الرحمن شركاً مخرجاً	من ملّة الإسلام إذ يُزديها
فإذا المكلف تاب منه حقيقة	قبل المليك متابة يأتيها
والله يغفر كل شرك أصغر	وكنائراً أصحابها تخفيها
وصغانراً أخرى تعاضم عدّها	ومزالقماً أصحابها تُبديها
لكن بتوحيدٍ تجرد للذي	رزق النفسوس هداية تهديها
توحيد رب خالق متفضل	وهبات رب الناس من حصيها؟
ورأيت توحيد العبادة واجباً	والنفس تطمح للذي يعليها

حتى ننزهه ربنا تنزيها  
ولذا استحق من الورى التأليها  
لقد استمت عن كل ما يزيها  
لنبيت عن عز نفاخر تيهها  
وبه القلوب وعت لما يهديها  
واسـتمروا التضليل والتمويهها  
ومطاعنأ عاداتهم تحويهها  
ودجى تقاليد تتي أهليها  
أو حرّموا ما قد أحلت تيهها  
للخالد في نار يعذب فيها

ورأيئت توحيد الصفات سـببنا  
والهنا عن كل نقص قد سما  
وعن المعايب قد سما ، وصفاته  
وخضوعنا لله يعلى شـأنا  
عز المهيمن ، بالهداية خصنا  
وإذا أصيب القوم في توحيدهم  
وتعبّدوا شـهواتهم وسألومهم  
واسـتعذبوا ما يرتتي كبرأؤهم  
وبها استحلوا ما الشريعة حرّمت  
بأؤوا بشـركك أكبر مسـتوجب



## ست الشام

(يا ترى من هي ست التي نوبنها ونحيبها ونطريها شعراً يملأ سمع الزمان والمكان؟! الأميرة زمرد خاتون الشام بنت الملك نجم الدين أيوب ، ألقابها كثيرة ، هي: السيدة الأميرة ، وأم الفقراء ، وراعية العلم. هي: ابنة ملك ، وزوجة ملك ، وأم ملك ، وأخت الملوك وعماتهم ، لها من الأقارب المحارم 35 ملكاً! هذه المكانة الرفيعة ، لم تحرك فيها الغرور ، بل سخرت مكانتها وثرأها للعلم الشرعي ، وخدمة الفقراء! هي الأخت الصغرى للملك: (صلاح الدين الأيوبي) منه ومعها ، تعلمت الأخلاق النبيلة ، وعلم الفقه والحديث ، حتى غدت عالمة من علماء الشافعية ، مما أهلها لتدريس بنات جيلها وعصرها! سكنت دمشق ، مقابل البيمارستان النوري. منزلها الكبير ، جعلته ، مقصداً لطلاب العلم وحفظ القرآن ، وجلبت خيرة المدرسين من أمثال الشافعي. أنفقت الاف الدنانير ، لتصنيع الأدوية وتوزيعها مجاناً على مدار العام. أما في الحروب ، فكان منزلها امتداداً لمعارك أخيها صلاح الدين بتأمين مأوى للجرحى والهاربين من بطش الفرنجة ، مع أن هذا العمل ، من واجبات الدولة ، لكنها أبت ، إلا أن يكون هذا الشرف ، في منزلها ، وتحت إشرافها ، وعلى نفقتها لم يكن لديها وقت فراغ تمضيه في الثثرة ، كغيرها من زوجات المسؤولين والاعنياء وكثير من النساء ، بل سخرت وقتها ومالها ، لبيتها ، وعلماها ، وولدها الوحيد: حسام الدين الذي لم تنجب غيره علمته الفقه ، وجعلت منه فارساً عظيماً ، قاد المعارك ، وفتح نابلس وتولى إمارتها ، وكأمه لم يمنعه منصبه ، من الصفوف الأولى في المعارك ، حتى استشهد في معركة حطين ، ودفنته والدته في بيتها! بنت مدرستين عظيمتين هما: المدرسة الشامية الجوانية في منطقة العقبية بدمشق ، والمدرسة الشامية البرانية الحسامية. وعلى هذا فإن عمرها كله أمضته بخدمة العلم والناس، إلى ان توفيت عام 616 هـ. ولم يشهد تاريخ الشام أعظم من جنازتها. آمنت بأن خير الناس أنفعهم للناس. خلدتها أعمالها الصالحة ، وليس غناها ونسبها فحق عليها لقب: ست الشام! رحمك الله يا ست الشام! كم نحتاج لأمثالك اليوم!؟ وتحت عنوان: (ست الشام سيدة ملكات عصرها في العلم والمعرفة) ونقلاً عن جريدة الاتحاد الصادرة يوم الثلاثاء 30 أغسطس 2011 جاء ما نصه: (عن جدارة ورضا من الجميع استحققت تلك السيدة أن يسميها أهل بلاد الشام في زمانها ست الشام ولم يكن لقبها هبة من ملك أو تشريفاً من سلطان. هي الأميرة «ست الشام زمردة بنت نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان» التي توصف بأنها أم الفقراء وراعية العلم والعلماء وأخت الملوك وعمتهم وزوجة الملك ناصر الدين محمد بن شيركوه بن أيوب». إنها أخت الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ويقال إن لها من المحارم خمسة وثلاثين ملكاً منهم صلاح الدين ، والملك العادل أهم سلاطين الأيوبيين بمصر والشام ، والملك المعظم توران شاه ملك اليمن. لقب أبوها بالملك «الأفضل» عندما كان يعمل تحت إمرة أخيه في خدمة نور الدين محمود زنكي ، وقد تزوجت في مقتبل حياتها أحد أمراء الجيش الزنكي ، وهو «عمر بن لاشين» ، ولكنه توفي بعد أن أنجبت منه ابناً «محمد بن عمر بن لاشين» المعروف بحسام الدين ، فتزوجت محمد بن شيركوه بن أيوب أحد أبناء عموماتها. عاشت السيدة «زمردة خاتون» أجواء الجهاد ضد الصليبيين ، الذي كان لأمراء الزنكيين الدور الأكبر فيه فتجاوبت مع هذه الأجواء وتعاطت معها. فبينما كان الأمراء من بني أيوب يحملون السلاح دفاعاً عن حياض الإسلام ، كانت السيدة زمردة تقوم بدور اجتماعي وتعليمي لا يقل أهمية عن الأدوار الجهادية. وتوصف في مصادر التاريخ بأنها سيدة ملكات عصرها في العلم والمعرفة والدراية ، وكانت كثيرة البر والصدقة ، فقد كانت لها صدقة سنوية تؤديها في دارها ، وتوزع على الفقراء والمحتاجين لتصلح من حالهم ، وكان بابها مفتوحاً ، فهو ملجأ لكل قاصد ممن عجزت الدولة عن إعانتة. يذكر عنها أبو شامة في

كتابه «ذيل الروضتين» أنها كانت «سيدة الخواتين» عاقلة كثيرة البر والإحسان والصدقات ، وكان يعمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف الدنانير». ويبدو أن سبب اهتمامها بصناعة الأدوية والعقاقير هو وجود دارها أمام «البيمارستان النوري» ، ذلك المستشفى الشهير الذي شيده نور الدين محمود زنكي بدمشق ليقدم خدماته الطبية بالمجان للغني والفقير على حد سواء ، وقد كرّست «زمردة خاتون» جزءاً من جهودها الخيرية لمعاونة وظيفة البيمارستان بإعداد الأدوية والعقاقير. ومن المعروف أن البيمارستان النوري كان يقدم الأدوية بالمجان ، ليس فقط للمرضى المقيمين به ، بل وللذين يترددون للعلاج فيما يعرف اليوم بالعيادات الخارجية. ونظراً لتحمس الأيوبيين كافة للمذهب الشافعي ، فقد سارت السيدة «زمردة خاتون» على درب أخيها السلطان الناصر صلاح الدين ، الذي رعى إنشاء المدارس الشافعية بمصر ، منذ كان وزيراً للعضد آخر خلفاء الفاطميين ، فعهدت أولاً إلى «شبل الدولة كافور الحسامي» - الذي كان يتولى خدمتها وخدمة ولدها حسام الدين محمد بن عمر لاشين - ببناء مدرسة للشافعية بمحلة العوينة قرب دمشق ، وعرفت هذه المدرسة بالمدرسة الشامية «البرانية» ، وذلك لوقوعها خارج أسوار دمشق ، كما عرفت بالمدرسة الحسامية سواء لقيام كافور الحسامي بالإشراف على بنائها ، أو لدفن حسام الدين بن زمردة خاتون في التربة الملحقة بها. وقد ووري جثمانها الثرى بتلك التربة عقب وفاتها في 16 ذي القعدة عام 616 هـ «1195م» ، ودفن بها أيضاً أخوها الملك المعظم توران شاه ملك اليمن. وكانت المدرسة الشامية البرانية من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكبرها أوقافاً. وظلت وظائف التدريس قائمة فيها حتى بداية القرن العشرين ، حيث كانت بها مدرسة ابتدائية للأيتام تابعة لجمعية الإسعاف الخيرية ، وطوال ستة قرون عملت على تخريج الفقهاء والعلماء. ودرس بتلك المدرسة عدد من مشاهير علماء الشام ومنهم: «قاضي القضاة ابن سني الدولة» ، و«ابن أبي عصرون» ، و«شيخ الشافعية ابن قاضي شهبه» ، و«قاضي القضاة تقي الدين ابن عجلون» ، و«الشيخ تقي الدين السبكي» ، والشيخ «تاج الدين السبكي» ، و«قاضي القضاة ابن الزكي» ، و«الشيخ زين الدين الفارقي» ، وغيرهم من فقهاء الشافعية. وتقع المدرسة اليوم بحي «ساروجة» بدمشق وهو حاشد بالمباني الأثرية حتى أنه يعرف باسم «كوجك استانبول» ، أو استانبول الصغيرة. ويتم الدخول للمدرسة من الضلع الشمالي ، وهي تتألف من صحن أوسط مستطيل المساحة في الجنوب الشرقي من إيوان القبلة المغطى بقبوس طولي ويتم الدخول إليه من مدخل ثلاثي العقود وهناك في الجنوب الغربي التربة أو المدفن ثم مجموعة من الغرف التي تتقدمها ظلة معقودة في الجانبين الآخرين من الصحن المكشوف ، وبوسط الصحن فوارة ماء ولهذه المدرسة منذنة ذات بدن متعامد الأضلاع في الشمال الشرقي من بنائها. ولم تكتف زمردة خاتون بذلك بل أمرت بتحويل دارها المواجهة للبيمارستان النوري إلى مدرسة عرفت بالمدرسة الشامية الجوانية تمييزاً لها عن مدرستها السابقة وكان ذلك قبيل عام 582هـ. وكان أول من درس بها شيخ الإسلام ابن الصلاح الشهرزوري ، ثم جاء من بعده «شرف الدين عبدالله بن زين القضاة عبدالرحمن بن يحيى الدمشقي» ، وعلماء وفقهاء كبار آخرون. ورصدت زمردة خاتون في حياتها الأوقاف الجزيلة للإنفاق من ريعها على رواتب المدرسين وصيانة المدرستين ، ومن أوقافها «الوقف السلطاني» ويقدر بنحو ثلاثمائة فدان تبدأ من قناة الريحانية إلى أوائل القبيبات ودرب البويضة ، ومنه الوادي التحتاني المسمى «وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فداناً ، ومن أوقافها أيضاً بستان صاحب غرب المصلى ، ومنه ثلاثمائة فدان من الكروم وطاحونة باب السلامة ، فضلاً عن عدة أحوار أخرى ذهبت جميعها اليوم. وقد ساعدت تلك الأوقاف المدرستين على الاستمرار في أداء وظائفهما حتى القرن العشرين. وظلت مكتبتها عامرة بالكاتب القيمة.

«الخانقاة» ، وزيادة على المدرستين شيدت زمردة خاتون أيضاً «الخانقاة الحسامية» لرعاية الزهاد ، وهي عبارة عن أمكنة وزوايا للطلبة والعباد والزهاد ، وجعلت لها أوقافاً للإنفاق من ريعها على وظائف العلم والزهد. وللسيدة التي عرفت بست الشام ذكر في وقائع التاريخ يتصل بالحروب الصليبية والجهود المظفرة التي قام بها أخوها صلاح الدين الأيوبي. فقد خرجت زمردة خاتون صحبة قافلة الحج الشامي لأداء الفريضة ، وبرفقتها ابنها محمد بن عمر لاشين الملقب بحسام الدين ، حتى إذا وصلت القافلة إلى منطقة قريبة من الشوبك ببادية الأردن ، تعرضت جيوش «أرناط» القائد الصليبي بحصن الكرك للقافلة ونهبت الحجاج بعد أن قتلت بعضهم ، ولما ناشده المسلمون الصلح الذي كان جارياً وقتذاك بين المسلمين والفرنجية ، لم يلتفت أرناط بغطرسية لتوسلاتهم ، بل وزاد على ذلك بسب الرسول صلى الله عليه وسلم. وحين بلغ صلاح الدين الأيوبي ما تعرضت له أخته وحجاج بيت الله الحرام ، أقسم أن يقتل أرناط بيده جزاء فعلته. وتجدر الإشارة هنا إلى أن «ست الشام» التي تزوجت محمد بن شيركوه حاكم حمص ، ما برحت تذكر هناك باعتبارها رأس آل «حسامي» إحدى أسر المدينة التي تتيه بأن نسبها ينتهي إلى حسام الدين محمد بن عمر لاشين ابن زمردة خاتون راعية الفقراء والعلم والعلماء «ست الشام». هـ. وجاء في (دائرة المعرفة) وتحت عنوان: (سِتُّ الشَّامِ فَاطِمَةُ خَاتُون) في عددها الصادر في يوم 24 ديسمبر من عام 2016 بقلم: الأستاذة الأدبية أماني العشماوي تقول ما نصه: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مَغْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ). رواه مُسْلِمٌ. حديثنا اليوم عن أعجوبة زمانها وآية عصرها ، فاطمة خاتون بنتُ نجم الدين أيوب ، أما (خاتون) فهو لقبٌ لكلِّ امرأةٍ محترمةٍ ، وهذه الكلمة لا تزالُ مُتداوِلَةً عندَ العرب والأكراد المسلمين في العائلات العريقة في البلاد العربية خاصة العراق! وهي فاطمة ، لقبُ أبوها بالملك الأفضل. أُختُ صلاح الدين الأيوبي الذي لا يقلُّ فضلاً عن أبيه. وأمُّها سِتُّ الملكِ خاتون ، أحسنتُ تربيتهَا وجميعَ إخوتها ، فقد ربَّتْ صلاح الدين وإخوته على الصلح والتقوى. وُلِدَتْ في دِمَشْقَ ، ونشأتُ في كَنَفِ والدِها نجم الدين أيوب الذي كان يُلقَّبُ بالملكِ الأفضل ، وكان من كبار رجالات السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، وكان عمُّها أسد الدين شيركوه من كبار قواده. تزوجت في بداية حياتها من عمر بن لاجين ، وقد مات في فترة زواجهما الأولى. ثم تزوجت من ابن عمِّها ، ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وكان صلاح الدين قد ولَّاه حمص منذ سنة 570هـ/1175م ، وبقيت عنده إلى حين وفاته فجأة في 9 ذي الحجة سنة 581هـ/1186م ، وورثت منه ثروة عظيمة. فانتقلت إلى دِمَشْقَ ، وسكنتُ في دارٍ واسعةٍ قبليَّ البيمارستان النوري. ولقد كانتُ جلساتُ النساءِ في العهدِ الأيوبيِّ جلساتٍ علميةٍ وثقافيةٍ ، فقد اشتهرتُ النساءُ الأيوبياتُ ، في القرن السادس والسابع للهجرة ، بالعلم والتربية الرفيعة والحرية المسؤولة. ومن أبرز أميرات الأسرة الأيوبية ؛ سِتُّ الشام الكبرى فاطمة خاتون بنتُ نجم الدين أيوب ، وشقيقةُ الملكِ نور الدولة شاهنشاه بن الأمير نجم الدين أيوب صاحب بعلبك ، وشقيقةُ المعظم شمس الدولة توران شاه بن الأمير نجم الدين أيوب صاحب الإسكندرية ، وشقيقةُ الملكِ العادل سيف الدين بن الأمير نجم الدين أيوب ، وشقيقةُ ظُهر الدين سيف الإسلام طُغتكين بن الأمير نجم الدين أيوب ، وشقيقةُ ربيعة خاتون بنتُ الأمير نجم الدين أيوب ، وهي زوجةُ ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وهي أولاً – وقبل كلِّ شيءٍ – شقيقةُ صلاح الدين الأيوبي ، سلطانَ مصرَ والشامِ ومُحرِّرَ بَيْتِ المَقْدِسِ. وكانتُ أحبُّ الناسِ إلى قلبِ أخيها صلاح الدين ، وكانتُ تتبَعُهُ في كلِّ شيءٍ بل وتتفوقُ ، درستُ معه عندَ علماءِ الفقهِ وعلماءِ الحديثِ ، وبرعتُ فيهما حتى صارتُ

تَدْرُسُهُمَا لِنِسَاءِ وَبَنَاتِ جِيلِهَا. وَحَتَّى صَارَتْ عَالِمَةً مِنْ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ. وَاسْتَمَرَّتْ تَسَلُّكُ كُلِّ طَرِيقٍ يَسَلُّكُهُ أَخُوهَا فَكَمَا كَانَتْ تُنَافِسُهُ فِي الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ نَافِسْتُهُ فِي تَعَلُّمِ الطَّبِّ وَصِنَاعَةِ الْأَدْوِيَةِ وَتَفَوَّقَتْ فِيهِمَا أَيْضًا ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَقَامَتْ مَصْنَعًا لِلأَدْوِيَةِ. فَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَمْلِكُ مَصْنَعًا لِلأَدْوِيَةِ ، وَعَمَلَتْ فِي هَذَا الْمَصْنَعِ مِائَةَ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ حَافِظَاتٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ، مَا هَرَاتٌ فِي رُكُوبِ الْخَيْلِ. وَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ لِلْعَمَلِ فِي هَذَا الْمَصْنَعِ! وَعِنْدَمَا سَأَلُوها لِمَاذَا حَافِظَاتٌ فَارِسَاتٌ؟ قَالَتْ: مَا أَرَاهُنَّ إِلَّا مُجَاهِدَاتٍ يَحْتَجْنَ إِلَى رُكُوبِ ظَهْرِ الْخَيْلِ وَيَكُنَّ فِي قَلْبِ الْجَيْشِ، وَمَا أَرَى امْرَأَةً فِي قَلْبِ الْجَيْشِ تُطَبِّبُ الْمَرْضَى إِلَّا وَيَكُونُ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهَا رَاسِحًا ، وَمَا أَرَى رُسُوحَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ. وَكَانَ مَصْنَعُهَا هَذَا يُورِدُ الْأَدْوِيَةَ لِجَيْشِ صِلَاحِ الدِّينِ. كَانَتْ سِتُّ الشَّامِ نِعْمَ الزَّوْجَةِ وَنِعْمَ الْأُمُّ ، فَهِيَ زَوْجَةٌ لِابْنِ عَمِّهَا نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوهِ ، أَنْجَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ حُسَامَ الدِّينِ عَمْرَ بْنَ لَاجِينَ الْبَطَلِ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ صِلَاحُ الدِّينِ وَيَفْخَرُ بِهِ. وَكَانَ يَقُولُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ فَتًى نَشَأَ وَتَرَبَّى كَمَا تَرَبَّيْتُ إِلَّا حُسَامَ الدِّينِ ، وَمَا رَأَيْتُ امْرَأَةً رَبَّتْ وَلَدَهَا كَمَا رَبَّتْ أُمِّي وَلَدَهَا إِلَّا سِتُّ الشَّامِ. بِمَعْنَى أَنَّهَا هِيَ الْأَشْبَهُ بِأُمِّهَا سِتُّ الْمَلِكِ خَاتُونِ. وَلَقَدْ كَانَتْ سِتُّ الشَّامِ عَالِمَةً ، عَابِدَةً ، سَيِّدَةً أَعْمَالٍ ، وَقَائِدَةً كِتَابِيَّةً. وَلَقَدْ قَالَتْ لِزَوْجِهَا وَأَخِيهَا قَبْلَ الْقِتَالِ: أُرِيدُ عُدَّةً وَعَتَادًا لِكِتَابِيَّتِي! فَقَالَ صِلَاحُ الدِّينِ: وَلِمَاذَا؟ فَقَالَتْ: لِكَيْ نَكُونَ جَاهِزَاتٍ عِنْدَ قِيَامِ الْحَرْبِ ، فَقَطْ أُرِيدُ مِنْكُمْ الْخَيْلَ ، وَلَا أَمْنٌ عَلَى الْخَيْلِ إِلَّا أَنْ يَخْتَارَهُ نَاصِرُ الدِّينِ زَوْجِي ، لِمَا لَهُ مِنْ خِبْرَةٍ فِي الْخَيْلِ! وَقَادَتْ سِتُّ الشَّامِ الْكِتَابِيَّةَ الطَّبِيبَةَ الَّتِي تَسْمَى كِتَابِيَّةَ الْحَافِظَاتِ. يُطَبِّبْنَ الْمَرْضَى ، وَيُسَعِّفْنَ الْجَرْحَى. وَكُنَّ فَوْقَ تَضْمِيدِ الْجِرَاحِ يُقَاتِلْنَ. وَكَثِيرًا مَا يَخْلُطُ النَّاسُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَفِيدَتِهَا زُمْرَدَةَ خَاتُونِ ابْنَةِ حُسَامِ الدِّينِ ، الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِعَايَةِ جَدَّتِهَا بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهَا. أَطْلَقَ عَلَيْهَا النَّاسُ لَقَبَ "سِتِّ الشَّامِ" لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهَا وَإِحْسَانِهَا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ. فَقَدْ وَقَفَتْ حَيَاتِهَا وَثَرَوَتِهَا لِأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَزَادَهَا رِفْعَةً أَنَّ الْمُلُوكَ الْأَيُّوبِيِّينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ الْمَشْهُورَةِ هُمْ إِمَّا إِخْوَتُهَا وَإِمَّا أَبْنَاءُ إِخْوَتِهَا ، فَعَدَا بَيْتُهَا مَلْجَأً لِلْقَاصِدِينَ ، وَمَثَابَةً لِلْمَكْرُوبِينَ ، يُؤْمَةُ كُلِّ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى الدَّوْلَةِ ، حَتَّى وَصَفَهَا الْمُؤرِّخُ الذَّهَبِيُّ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ الْمَلِكَاتِ فِي عَصْرِهَا. صَرَفَتْ سِتُّ الشَّامِ حَيَاتِهَا وَجَاهَهَا وَمَالَهَا وَوَقْتَهَا فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ: - أَوَّلُهَا: بَذَلَتْ جُهْدَهَا كُلَّهُ فِي تَرْبِيَةِ ابْنِهَا الْوَحِيدِ ، حُسَامِ الدِّينِ ، وَتَعَلِيمِهِ. فَكَانَ فُقِيهًا شَافِعِيًّا ، وَامْتَازَ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ ، فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ خَالَتُهُ صِلَاحُ الدِّينِ ، وَكَانَ أَفْضَلَ أَعْوَانِهِ فِي مَعْرَكَةِ حِطِّينَ سَنَةَ 583هـ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْهُ إِلَى نَابِلِسَ فَفَتَحَهَا بِالْأَمَانِ ، فَوَلَّاهُ عَلَيْهَا حَتَّى وَفَاتِهِ بِدِمَشْقَ سَنَةَ 587هـ ، وَدُفِنَ فِي التُّرْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ بِالتُّرْبَةِ الْحُسَامِيَّةِ نَسَبَةً إِلَيْهِ بِالمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ الْبِرَانِيَّةِ. وَثَانِيهَا: رِعَايَةُ الضَّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ، خَاصَّةً عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْأَزْمَاتِ. كَانَتْ دَارُهَا قِبْلَى الْبِيْمَارِسْتَانَ النَّوْرِيِّ (نَسَبَةً إِلَى نُورِ الدِّينِ زُنْكِى) ، فَجَعَلَتْهُ مَقْصِدًا وَمَلَاذًا لِلْخَائِفِينَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ رِجَالًا وَنِسَاءً. ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْهَا فِي تَارِيخِهِ: "كَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ النِّسَاءِ صَدَقَةً وَإِحْسَانًا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِيحِ (الْمُعْدَمِينَ) ، وَتَعَمَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي دَارِهَا بِأَلُوفٍ مِنَ الذَّهَبِ أَشْرِبَةً وَأَدْوِيَةً وَعَقَاقِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ فَيُفَرِّقُ عَلَى النَّاسِ". وَثَالِثُهَا: اِهْتِمَامُهَا بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ وَإِنْفَاقُهَا عَلَيْهِ. فَقَدْ أَنْشَأَتْ مَدْرَسَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ فِي دِمَشْقَ ، هُمَا: المَدْرَسَةُ الشَّامِيَّةُ الْبِرَانِيَّةُ: (لِأَنَّهَا تَقَعُ خَارِجَ أَسْوَارِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ الْقَدِيمَةِ) ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْهَا الْيَوْمَ جَامِعُ الشَّامِيَّةِ فِي سَوْقِ سَارُوجَةَ. وَالمَدْرَسَةُ الشَّامِيَّةُ الجَوَانِيَّةُ: فَقَدْ أَوْصَتْ بَعْدَ وَفَاتِهَا ، رَحِمَهَا اللَّهُ ، بِدَارِهَا الْمُجَاوِرَةِ لِلْبِيْمَارِسْتَانَ النَّوْرِيِّ لِتَكُونَ مَدْرَسَةً سُمِّيَتْ بِالْجَوَانِيَّةِ لِأَنَّهَا تَقَعُ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ. هَذَا ، وَلَقَدْ بَدَأَ بِنَاءَ الْمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ الْبِرَانِيَّةِ عَامَ 582هـ/1187م ، وَفُرِّغَ مِنْ بِنَائِهَا عَامَ 587هـ/1191م. وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ مَدَارِسِ الْفِقْهِ أَوْفَقَتْهَا عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَّفَقِّهِينَ ، أَيْ طُلَّابِ الْفِقْهِ ، مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَقَدْ نَالَتْ شُهْرَةً عَظِيمَةً جَدًّا فِي بِلَادِ الشَّامِ وَخَارِجِهَا. وَكَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ الْمَدَارِسِ أَوْقَافًا ، حَتَّى أَصْبَحَتْ جَامِعَةً مِنْ جَامِعَاتِ ذَلِكَ الْعَصْرِ. وَحَتَّى تَضَمَّنَ الْخَاتُونُ سِتُّ الشَّامِ



استمراراً ما أوقفته على المدرسة البرانية دون أن يتعدى عليه أحد أشهدت قاضي القضاة زكي الدين وأربعين عدلاً (العدل: المرضي قوله) من أعيان دمشق على ذلك ، وهكذا استمرت المدرسة حتى العصر المملوكي كقبة المدارس في دمشق. أول من درس فيها تقي الدين بن الصلاح ، ثم شمس الدين الأعرج ، ثم شمس الدين المقدسي وغيرهم. وكان شرطها أن لا يجمع المدرس بينها وبين غيرها من المدارس ، لتضمن تفرغهم واهتمامهم بالطلبة. أوقفت عليها أوقافاً ضخمة من أموالها ، كما أوقف غيرها من بعدها. ومن أشهر أوقاف غيرها: الوقف السلطاني ومقداره 300 فدان. توفيت فاطمة خاتون ، ست الشام ، بدارها في دمشق يوم الجمعة في 16 ذي القعدة سنة 616 للهجرة ، ودفنت فيها بجوار ابنها حسام الدين ، بعد 32 عاماً من وفاته. وشيّعها سكان دمشق في جنازة مهيبة حضرها أكثر من 450 ألف مشيخ. ويقال إن جنازتها كانت فريدة ، إذ لم تشيخ امرأة قبلها بمثل ما شيعت به. هـ. وجاء في صحيفة (سوريات) الإلكترونية ما نصه: (من هي ست الشام ولماذا لقت بهذا الاسم ؟ 11 يوليو من عام 2016 م – باب شخصيات سورية - : تعتبر المرأة في العصر الأيوبي من أهم أعمدة الحركة العلمية والسياسية في الدولة ، مما أهلها لتكون سيدة الشرق في القرنين السادس والسابع الهجريين. ولعل من أبرزهن وخير من يتقدمهن زمردة بنت نجم الدين التي تُعتبر الجندي المجهول الذي قام على إعمار المدارس والاهتمام بالأدب والأدباء والعلم والعلماء والفقراء والمحتاجين. يقول الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء: «خاتون أخت السلاطي. لها بر وصدقات وأموال وخدم» أخت الملوك وعمة أولادهم وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكاً. من هي ست الشام ولماذا لقت بهذا الاسم ؟ إنها زمردة خاتون بنت نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، وخاتون لقب لكل امرأة محترمة وهذه الكلمة ما تزال متداولة عند العرب والأكراد المسلمين في العائلات العريقة في البلاد العربية خاصة العراق. لقب أبوها بالملك الأفضل ، حيث كان يعمل مع أخيه أسد الدين شيركوه في خدمة نور الدين زنكي بمرتبة وزراء. من إيمان الملك الأفضل بدينه وقيامه بواجباته من صلاة وصيام وزكاة وكرم وجود نفس. اكتسبت خاتون – زمردة – كل الصفات الحميدة خاصة أن أباها صلاح الدين الأيوبي ، الذي لم يكن أقل شأناً من أبيه في طاعته لربه وحمايته لدينه وسعيه في الجهاد لإعلاء كلمة الحق التي هي كلمة الله ، وهو أعرف من أن يُعرف في هذا الصدد. في دمشق مقابل البيمارستان النوري كانت تقطن في بيت كبير جعلته مقصداً وملاذاً للخائفين من بطش الإفرنج رجالاً ونساءً. وكانت تقدم الصدقات لكل محتاج ، وتغلق في عطائها. وقد ألف ابن قاضي شهبة كراسة في ست الشام ومناقبها. تزوجت من محمد بن عمر بن لاجين ، ويبدو أنه مات في فترة زواجهما الأولى ، ثم تزوجت من محمد بن شيركوه ، فهو من أبناء عمها وكان صاحب مدينة حمص ، ومما يذكره عنها ابن أبي شامة ، في ذيل الروضتين ما يلي: (قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كانت سيدة الخواتين ، عاقلة ، كثيرة البر والإحسان والصدقات ، وكان يعمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف الدنانير) مما يجعلنا نقول أنها كانت جديرة بلقب ست الشام. ومما يذكره عنها ابن كثير في تاريخه: «كانت من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج وتعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك فيفترق على الناس». حتى عُرفت بين معاصريها بمحبتها للخير وإيثارها لأهلها. ولما توفيت ست الشام بدمشق بدارها المقابلة للبيمارستان النوري كانت لها جنازة رهيبة تحدثت عنها الركبان ؛ فقد سار الناس وراء نعشها بالآلاف وهم يرددون الأدعية لها ، حيث دفنت فوق ولدها حسام الدين ، ويقال بأن جنازتها كانت فريدة إذ لم تشيخ امرأة قبلها بمثل ما شيعت به خاتون ست الشام). هـ. وجاء في موقع (لها أون لاين) ما نصه: (ست الشام الأيوبية راعية العلم وأم الفقراء اشتهرت

الأميرة الأيوبية ، زمردة بنت نجم الدين الأيوبي ، شقيقة السلطان الأشهر صلاح الدين الأيوبي ، بست الشام ، وهو لقب أطلقه العامة ، لما كان لها من حضور كبير في أعمال البر والإحسان ، فقد أحسنت إلى الفقراء ، كما أحسنت إلى طلبة العلم. يقول عنها الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء: "خاتون أخت السلاطين ، لها بر وصدقات وأموال وخدم" أخت الملوك ، وعمة أولادهم ، وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكاً. رباها أبوها على الإيمان المتين ، والعناية بواجبات الدين ، من صلاة وصيام وزكاة وكرم وجود نفس. كما اكتسبت ست الشام كل الصفات الحميدة ، خاصة أن أخاها صلاح الدين الأيوبي: لم يكن أقل شأناً من أبيه في طاعته لربه ، وحمايته لدينه ، وسعيه في الجهاد لإعلاء كلمة الحق". يذكر المؤرخ شهاب الدين النويري: أنّ الخاتون ست الشام عندما لحق بها المرض "جعلت دارها مدرسة ووقفت عليها وقوفاً" ؛ حتى أصبحت من أكبر المدارس وأعظمها ، وأكثرها فقهاء ، وأكبرها أوقافاً ، وكانت بمحلة العقبية بدمشق ، وقد درّس بهذه المدرسة العديد من العلماء والفقهاء ، أمثال: شيخ الشافعية ابن قاضي شُهبة ، وقاضي القضاة تقي الدين ابن عجلون ، والشيخ تقي الدين السبكي ، والشيخ تاج الدين السبكي. وقد ذُكرت ست الشام في نص الوقفية: أن من شرط الفقهاء والمتفقهة والمدرس والمؤذن والقيم: أن يكونوا جميعاً من أهل الخير والدين والصلاح والعفاف ، وحُسن الطريقة وسلامة الاعتقاد والسنة والجماعة. وفي يوم الجمعة الموافق للسادس عشر من ذي القعدة سنة 616 هجرية: توفيت ست الشام بدمشق بدارها المقابلة للبيمارستان النوري ، وشيعت بجنّازة شعبية ؛ ويقال: إن جنّازتها كانت فريدة ، إذ لم تشيع امرأة قبلها بمثل ما شُيعت به خاتون ست الشام رحمها (الله). هـ. وجاء في صحيفة (بصائر) الإليكترونية ما نصه: (ربما تكون هذه أول مرّة تسمعين فيها باسم هذه المرأة ، فحتى اسمها (زمرد خاتون) غريب وغير شائع ، فلنتوقف قليلاً مع اسمها فمعنى زمرد خاتون ، الزّمرّد من الأحجار الكريمة ولونه أخضر شفاف ، وخاتون لقب للمرأة المحترمة ، واستخدامه شائع بين العائلات العربية والكردية في العراق وسوريا. صرفت جُلّ همّتها لتعليم ابنها حسام الدين ، فكان لها ما أرادت ، امتاز ابنها بالشجاعة والكرم بين أقرانه ، فقرّبَه إليه خاله صلاح الدين ، وعقب رجوعه من الحج مع والدته ست الشام سنة 582 هـ/ 1187 م حضر معركة حطين سنة 583 هـ/ 1187 م ، فكان لصلاح الدين من أعظم الأعداء ، فأرسله عقب المعركة مع فرقة من العسكر إلى نابلس ففتحها بالأمان ، فولّاه عليها حتى وفاته بدمشق في رمضان سنة 587 هـ/ 1191 م ، وفُجع صلاح الدين بوفاته ، وفُجعت ست الشام بوحيدها ، ودفنته في التربة التي كانت بنّتها لزوجها ناصر الدين في مقبرة العوينة ، فأصبحت تعرف بالتربة الحسامية نسبة إليه. وعلى الرغم من أن زمرد خاتون غير مشهورة مثل أخيها ، فإنها قامت بدور ملهم في التطوع والعتاء ، يجعلها في وسط أي مشهد يصور حركة المرأة في المجتمع ، بل يستحيل من دونها أن تستوعب تماماً مشاهد بطولات صلاح الدين نفسه ، فلنبدأ بإعادة تصوير هذه المرحلة ، وزمرد في وسط المشهد. ولقد استطاعت زمرد أن تحوّل بيتها إلى امتداد للفضاء العام ، بحيث أصبح بيتها جزءاً من المجتمع نفسه ، فسخرت منزلها ملاذاً للخائفين من النساء والأطفال والجرحى من المقاتلين في أثناء حروب شقيقها على الجبهة ضد الفرنج ، ففي الوقت الذي كان صلاح الدين يقاتل ويحرّر المدن ، كانت زمرد خاتون في الداخل تسعف الجرحى وتؤوي المتضرّرين نفسياً وجسدياً من الحرب ، كان منزلها ملجأً للمدنيين من لهيب المعركة وشراسة العدو ، وبالأصل أنّ هذا دور الدولة عادة ، ولكن أن تسخر امرأة منزلها الشخصي كملجأ وبمبادرة ذاتية لم يفرضها عليها أحد ، وبإقامة وخدمة مجانية فهذا الملفت والتميز. ولم تشتهر زمرد على نفس مستوى شهرة من شاركوا في حطين ، لأنّ النَّاس في معادلة النصر والهزيمة ، تركّز على ما يحدث في جبهة القتال ، ولكن زمرد قامت بدور لا يقل أهمية عن دور المقاتلين ، فلم تكتف بتحويل بيتها إلى ملجأ وملاذ للمدنيين ، وإنما إلى مستشفى عسكري يقدم الرعاية الطبية للمصابين. هناك امرأة واحدة تأتي إلى العالم ، وترحل منه دون أن يشعر بها أحد!

وهناك امرأة أخرى تأتي إلى العالم وترحل منه ، وقد تركته بأعمالها أفضل ممَّا وجدته عليه. وأعتقد أن توفير الرعاية الطبية في وقت الحرب من أهم المراحل في معادلة النصر والهزيمة ، وإن لم يدرك مغزاها الناس ، فبقدر جودة الرعاية الطبية التي يحظى بها من أصيب إصابات طفيفة بقدر ما يستطيع الانضمام إلى صفوف الجند ، ويساهم في تقوية الجيش ، فما تقوم به زمرد ليس مجرد التطبيب ، وإن كان ذلك في قمة الإنسانية والرحمة ، وإنما بمقاييس الناس المؤرخين ومتابعي ما يدور على جبهة الحرب ، مساهمة في حسم النتيجة النهائية لصالح المسلمين. وكانت زمرد تستقطب أفضل الأطباء وأفضل الممرضين ، وتدفع لهم أجوراً محترمة وكانت تجلب أفضل الأدوية جاهزة من بلدان مختلفة وتخزنها في بيتها لتوزيعها على من يحتاجها من المرضى الفقراء ، فكان بيتها صيدلية مناوبة طوال السنة ، لتوزيع الأدوية مجاناً ، وتوفر للأطباء ما يحتاجونه من مال ومواد طبية ومختبرات لتصنعها في منزلها ، ولم تكن أدوار زمرد في التطوع والإغاثة موسمية أو مرتبطة بظروف الحرب ، وإنما كانت ممتدة طوال السنة ، في الحرب والسلام ودون دوافع مصلحة أو مادية ، كانت تشتري الأدوية وتوزعها مجاناً على الفقراء ، ومن هنا يمكن اعتبار أن زمرد أسست دار الحكمة في منزلها بجلبها الأدوية من فارس والهند والصين وتصنيع العقاقير وتوزيعها. ولنا أن نتخيل من مشى في جنازتها التي كانوا ممَّن مشت في حاجتهم: النساء والرجال والأطفال ، المسلمون وغير المسلمين ممَّن أوتهم وقت الحروب! الطلبة الذين درسوا في مدارسها ، جرحى المعارك ممَّن تلقوا العلاج في بيتها ، كل من استفاد من دار الحكمة من المرضى المحتاجين ، العلماء والخطباء ومن صلوا في مسجدنا ، عاشت زمرد خاتون حياة طويلة ، بمجموع آجال من عاشت لهم). هـ. هذه ست الشام التي يُردد الناس اسمها ويجعله البعض لافتة لدكانه أو اسماً لابنته وهو لا يعرف من هي؟ ولا يعرف سيرتها؟ رحمها الله تعالى رحمة واسعة! والآن لنقرأ عن ست الشام!

الحمد لله باري الخلق من عدم	حمداً كثيراً على ما جاد من نعم
إني لأحمده ، وأستعين به	على حياة تعاني داجي الإزم
يا رب فاهد - لما تحب - مُلتجئاً	إليك لم يدخر قربي سوى السلم
وأسأل الله غفران الذي اقترفت	نفس ترى النور في مخلوك الظلم
وأستعذ به من شر ما ارتكبت	من الكبائر ، أو من سيء اللمم
من يهده الله لن يضلله من أحد	مهما تفنن في التضليل والجُرم!
ومن يضلّ مليكُ الناس ليس له	هادٍ ، وإن مسح الدنيا على قدم
حمداً لك الله أن حققت أمنيّتي	فبت لا أشتكى ما اشتط من ألم
ولا إله سوى الرحمن خالقنا	من يتبع هديّه يرشد ويستقم
والمصطفى عبده - بالدين - أرسله	يا رب صل على ذا المصطفى الهشيم



وبعدُ أكتبُ عن (ست النساء) ، وأنا  
أجلُّ سِيرتها العِصماءِ مبهجاً  
تفردتْ بالعطا والجود في زمن  
وأخلصتْ سَعِيها - لله - موقنة  
وأعطتِ الناس في سر وفي علن  
لم تألُ جهداً ، ولم تبخل بعارفةٍ  
(زُمرَّد) الخير بَشْرِكِ الخيور أتت  
تعيذُ حقاً نأى عن ساح صاحبه  
(يا بنت خير أب ، يا أخت خير أخ)  
لقد عمدتُ إلى التاريخ أسأله  
أيقونة الملك في سَمْتِ ، وفي نسب  
أم المساكين في بيدٍ ، وفي حَضْر  
وغوث كل فقير رهن حاجته  
وباليتامى احتفتُ أسمى بلهنيةٍ  
بنت الملووك حَبَاكِ الله مكرمة  
ورقة لم تكن - في العيد - قد عُهدتْ  
يا من رعيت علوم الشرع أجمعها  
فقيه: راعية للعلم باذانة  
فلكتاب كتاب الله حصته  
وللكتاتيب - في الأمصار - حصتها

مُتيم القلب والإحساس والقلم!  
بخير محسنة بين النساء العُصم  
غال النساء به صنائع الكرم  
بالأجر عند المليك الواحد الحكم  
تزيل ما كابدوا من عاجل النقم  
وقلبها كم حوى من وافر الرُحم!  
تمحو البلاء طغى من وطأة الإزم  
فبات تطحنه سنابك السدم  
وقل مثلك في عَرَب ، وفي عَجَم!  
عن حُرّة هلكت في الدهر من قَدَم  
وحولها زمر من خيرة الحشم  
وصبيتها ذائع في سالف الأمم  
من كل كهل دنت ، وكل محتلم  
في خير حُكم - بشرع الله - ملتزم  
ليناً وعظفاً ، ودَفَقَاتٍ من الرُحم  
وطيب أصل ، وآياتٍ من الشيم  
بمنهج طيب الأوصاف محترم  
والبذل للعلما من خير معتصم  
وحصة لحديث الشافع الهشم  
عن اقتناع يشي بالمظهر السنم

وبالعطايا المعلمون قد شهدوا  
وللتلاميذ - يا فضلى - شهادتهم  
قالوا: (زمرد) طابت مَخْتِداً وَصُوءً  
وطابت اسماً له فحوى تُغلفه  
وزيدَ (خاتون) ، فازدادت طلاوته  
والأقرباء ملوكَ عَزَّ جَانِبِهِم  
شُم الأنوف أعزاءَ جاحجة  
وفي الحروب صناديدٌ دهاقنة  
ففي الأيادي سيوفُ النصر مُشهرة  
وفي لقاء الأعداء ليس من هرب  
وهم على دينهم ما أكرهوا أحداً  
واستشهدوا كتبَ التاريخ عن ملكٍ  
وتلك (حطين) بالمغوار شاهدة  
(صلاح) ذكراك مثلُ الشمس مُشرقة  
أست تذكرُ ما قالتَه (فاطمة)  
والفارسات بذيل الجيش مُلحقة  
يسقين من عطشوا ، فالماءُ مدخرٌ  
وأستت مصنعاً يعيد أدوية  
دواؤها يحمل البشرى لمن مرضوا  
وإن نسيتهُ ، فلا أنسى مدارسها

وبالسخاء الندي البالغ العظم  
على الذي بذلت من وافر النعم  
ربيبة الفضل عن حب ، وعن رغم  
اشتق من ذهب صافٍ ومرتسم  
يا فاطمَ الخير ، والألقاب ، والسيم  
وتَوَجُّوا حُكْمَهُم بالمنهج اللقم  
وللرعية ذلوا ذلّة الخدم  
والكفر إن تلقه - بالبأس - ينهزم  
والخيلُ مُسرَّجة ، تختال في الشُّكْم!  
لأنهم عمدوا - جهراً - لسفك دم  
شأن الطغاة الألى هم خائنو الذم  
بالحق ، والعدل ، والإحسان متسم  
أعاد نكرى مضت من عهد (معتصم)  
تُنيرُ عالمنا بنورها التتم  
تريد خيلاً لخوض الحرب والإزم؟!  
والبعض فوق ظهور الأيُنق الرسم  
وقد يعالجن جرحى من لظى الألم  
فيه العلاج أتى لكل ذي سقم  
من كل عبدٍ يُعاني شدة القَحَم  
كم علمتُ من يواقيت ، ومن حكم!

من كل عدل - بتقوى الله - معتم  
نهاية الشهر ، إن يعمل فيستلم!  
وتمنح الدر للمستبصر الفهم  
بما استزادت من الأخلاق والقيم  
نشر الهدى والتقوى في كل مصطم  
فقه الشوافع أنقى من ذوي العمم!  
وتلك أشهر من نار على علم  
وعز (ست الولايا) غير منبهم  
بكل لفظ تسامى غير معتم  
من كل ليث يقاسي شدة الكلم  
فواجهوا كبة الإحراق والضرم  
والبتر خلف آثراً من الورم  
من الفرنجة ما فاءوا لحقن دم  
وجنّهم في الوغى سيل من العرم  
سائلة المجد من جلت عن التهم  
أبليت في حربهم ، والبأس ، والسلم  
ضعيفة ، في خلي الغيد مختصمي!  
ما قد يؤدي بها للمرتع الوخم!  
والخوف يفضي إلى الشكوك والوهم  
بالنصر يرزقه حتماً ذوي الهمم

خبرتها تنتقي فيها معلمها  
وللمعلم أموالاً تخصصها  
وبعد تمتحن الطلاب قد درسوا  
(زمرد) العلم فاقت غيد ضيعتها  
تفقهت في علوم الشرع بغيثها  
ودرست للنساء في عُقر دارتها  
وأوتيت غيرة على شريعته  
لم ترض بالدون في دين تدين به  
ودرست لغة القرآن واضحة  
وكان منزلها مأوى الألى جرحوا  
والبعض بالنار ألقاهم العدا احترقوا  
والبعض أطرافهم بالسيف قد بُترت  
وكان منزلها مثوى الألى هربوا  
بل أشعلوا الحرب ظلماً دونما هدف  
تقبل الله يا (ست الشام) عطا  
في آل (أيوب) هذي ذرة سطعت  
ما قلت: أنشى ، وما لي في الخصام أنا  
ما قلت: ربة قصر لا يليق بها  
بل انطلقت بلا خوف ، ولا وجل  
وظدت ملك بني (أيوب) واثقة

فريدة لم تسد في موقع النجم  
في آل (أيوب) ذي من خيرة الحرم!  
ومن يعش لكتاب الله يستقم  
رأت شرائعه من أفضل النظم  
مدّ وجزر ، وفتك الخوت بالبلم!  
حتى غدت قمة تميز في القمم  
وجاءها الموت بالإفناء والعدم  
(ست الشام) أوت لخير مختم  
من عودة الروح يوم الحادث العمم  
ومن سيؤويك مثل الراحم الحكم؟!  
أن تؤجري عند رب الناس بالرحم  
بأن يؤسع رب الخلق في الرجم  
لقلت ما غاب عنك اليوم من نسمة!  
ولم تكلّ عن المسير من قدم  
وفي القلوب عذابات من السدم  
مشفوعة بدعا المكروب عن أمم  
لفت بثوب الضنا والبؤس والوصم  
ما وشح الكون بالإصباح والغسم  
بدعوتي تلك يا (خاتون) مختمي!

يا أيها الناس هذي نجمة بزغت  
مليكة في النساء سامت مناقبها  
حياتها - لكتاب الله - قد نذرت  
وأخلصت دينها ترجو النهوض به  
وعيشها كان مثل البحر دورثه  
وواجهت كل ما في العيش من محن  
حتى إذا ما انقضت أيام رحلتها  
فلجنازة شجواها وهيبتهها!  
اليوم ودعت الدنيا على أمل  
في ذمة الله - يا فضلى - بلا أسف  
مشيعوك من الزهاد مطمحهم  
وحاملوك من العباد ماملهم  
ولو رأيت الألى يودعون ضحى  
في نصف مليون ما جفت مدامهم  
يستغفرون ، ورب الناس يسامعهم  
وللعزاء أسى يكوى وهينمة  
وللمعزين أورا وأدعية  
(ست الشام) عليك العين دامعة  
عليك رحمة ربي دائماً أبداً



## الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الصبور الشكور ، العلي الكبير ، السميع البصير ، جرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور ، وأسمنت دعوته لليوم الموعود أصحاب القبور ، قدر مقادير الخلائق وآجالهم وكتب آثارهم وأعمالهم ، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور. القاهر القادر فكل عسير عليه يسير ، وهو المولى ، فنع المولى ونعم النصير ، يسبح له ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله خالق كل مخلوق ، ورازق كل مرزوق ، سابق الأشياء فما دونه مسبوق ، موجد المنظور والملبوس والمدقوق ، أنشأ الآدمي بالقدرة من ماء مدفوق ، وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق ، والهوى يحث على ما يوجب العقوق ، فاحذر وفاق المشتهى فإنه يرمي لا من فوق فوق ، فسح داود لنفسه في نظرة فاتسعت الخروق ، وغفل ابنه سليمان عن طاعته (فطفق مسحاً بالسوق)! أحمده على ما يقضي ويسوق ، مما يغم وما يشوق ، وأقر له بالتوحيد هاجراً يعوث ويعوق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج سوق ، فدمغ بحقه أهل الزيغ وأرباب الفسوق ، صلى الله عليه وعلى آله ما هب الهواء ولمعت البروق ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق ، وعلى عمر الملقب بالفاروق ، وعلى عثمان الصابر من الشهادة على مر المدوق ، وعلى علي مطلق الدنيا فما غره الزخرف والراووق ، وعلى العباس أقرب الكل نسبا وأخص العروق ، وعلى جميع أصحابه وأتباعه ممن قاموا في الناس بالحقوق! أين أرباب البيض والسمر ، والمراكب الصفر والحر ، والقباب والقب الضمر ، ما زالوا يفعلون أفعال الغمر ، إلى أن تقضى جميع العمر ، لو رأيت مرتفعهم بعد النصب قد جر ، إلى بيت لا يدرى فيه الحر والقر ، وعليه ثوب لا خيط ولا زر ، المحنة أنه ما انتقل بما يسر ، تالله لقد حال خلوهم إلى المر ، وصار ما كان يُجدي وينفع يضر ، باعوا بمخشاب الهوى ثمين الدر ، ولا يمكن أن يقال البائع غر ، لأنه باع وهو يدرى أنه حر ، الحكمة نور الفطرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير قيمة الهمة ، والهوى ضد الحزم ، ثقف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك ، فإن سياسة الأخلاق مراقي المعالي! قال بزرجمهر: أخذت من كل شيء أحسن ما فيه ، حتى من الكلب والغراب والهرة! قيل: وما أخذت من الكلب؟ قال: ذبه عن حريمه وإفقه لأهله! قيل: فمن الهرة؟ قال: رفقاها عند المسألة ولين صياحها! قيل: فمن الغراب؟ قال: شدة حذره! يا هذا صن حياة عقلك عن مخالطة غوغاء نفسك من طلب المعالي ، استقبل العوالي ، ألا من لازم الرقاد فاتته المراد ، ومن دام كسله خاب أمله! اللهم يا مالك المساء والشروق ، احفظنا من مساءة الحوادث والطروق ، وهب لنا من فضلك ما يصفو ويروق ، وزد آمالنا من إحسانك فوق ما نرجو ونتوق ، وافتح لي وللحاضرين موق ، بصر البصيرة لحبيب الموق. يا من أكثر عمره قد مضى ، يا من نفسه مع اللحظات تقتضي يا من قد أنذره سلب القرين معرضاً ، كيف يحترس العريان من سيف منتضى ، إن كان ما فرط يوجب السخط فاطلب في هذا الشهر الرضا ، يا كثير القبائح ، غداً تنطق الجوارح ، أين الدموع السوافح؟ على تلك القبائح! يا ذا الداء الشديد الفاضح ، ما أعسر مرض الجوانح ، هذا الشيب دليل واضح ، وهو في المعنى عذول ناصح ، جانحته لا تشبه الجوانح ، يضعضع الأركان الصحائح ، يسد أبواب اللهو والممازح ، والموت في خلاله ميبين لانح ، أين زادك يا أيها الرائح؟ أين ما حصلت هل أنت رايح؟ يا أسفي لهذا النازح ، كيف حاله في الضرائح؟ من له إذا أوثقه الذابح؟ من له إذا قام النائح ، واستوى لديه العائب والمداح؟ ولم ينفعه في بطون الصفائح ، إلا عمل إن كان له صالح ، أتراه يعتقد أن النصيح مازح؟ ضاعت المواعظ إلا أن الموعوظ سكران طافح ، يا من قد

سارت بالمعاصي أخباره يا من قد قبح إعلانه وإسراره ، يا فقيراً من الهدى أهلكه إعساره ، أتوثر  
الخرسان قل لي أو تختاره ، يا كثير الذنوب وقد دنا إحضاره ، يا أسيراً في حبس الطرد لا ينفعه إحضاره ،  
نقدك بهرج إذا حك معياره ، كم رد على مثلك درهمه وديناره ، يا محترقاً بنار الحرص حتى متى تخبو نار  
المذكرون بينكم قد أصبحوا كالسما ، وأنتم قد جعلتم المواعظ مثل الأسما ، وكان القرآن عندكم صوت  
مزمارة ، وقد ضاعت في هذه الأمور الأعمار ، فأين يكون لهذا الغرس إثمار. وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده  
لا شريك له ، جلّ عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظهير ، ليس كمثله شيء وهو السميع  
البصير. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، خيرته من بريته ، وصفوته من خليفته ، أعرف الخلق به ،  
وأعظمهم له خشية ، أسلم قلبه وقالبه لربه ، وأنانب إليه في كل أمره ، وقضى حياته عبادة وجهادا وصبرا  
ومصابرة حتى أتاه اليقين ، وما من خير إلا دلّ أمته عليه ، وما من شر إلا حذرّها منه ، وما مات وطائر  
يطير بجناحيه في السماء إلا وأعطانا منه خبرا ، فاللهم صلّ عليه وسلم ، وبارك وأنعم ، وأجزه خير  
الجزاء وأوفاه ، وأعلاه وأسناه ، واحشرنا اللهم في زمرة يوم يقوم الأشهاد. واجعلنا من أتباع سنته ،  
وحُماة شريعته ، وتوفنا على ذلك غير مبدلين ولا مضيعين ، آمين ، آمين. أما بعد! فإنني أهدي ديواني:  
(السليمانيات) لوالدي الكريمين عرفانا بما ربياني صغيراً! وأسأل الله أن يكون هذا العمل قربي إليه سبحانه  
أولاً وآخرأ ، وأن يثيب الله عني والديّ الكريمين أعظم الثواب وأرجاه ، فلقد علماني منذ الصغر حب  
العربية والشعر والحكمة والأمثال! وأشرباني حب الشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ المنشاوي  
والشيخ رفعت والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمود علي البنا! كما أنهما عهدا بي للشيخ الشحات  
محمد الشيخ ليعلمني القرآن صغيراً ، ومن هنا نما الحس والإحساس المبكر للألفاظ العربية الأصيلة! كما  
أهدي ديواني: (السليمانيات) لأسرتي وزوجي (أم عبد الله) وأبنائنا: (عبد الله وعبد الرحمن وعمر الفاروق  
ويوسف الصديق وصلاح الدين وسيف الإسلام وحسان وفاطمة)! وأسأل الله أن ينفعم به منفعة كبيرة!  
وأهديه لأساتذتي الكرام الذين علموني اللغة العربية والقرآن الكريم والشعر العربي أحياءً وميتين! وأهديه  
لكل صاحب فضل عليّ من قريب أو من بعيد! وأهديه لكل من كانت له يد طولى في كتابته أو صفه وإخراجه  
فنياً ولغوياً قلت مساعدته أو كبرت! وأهديه لكل من قدم النصيحة لصاحبه من قريب أو من بعيد! وأعلن من  
هنا أن كل من خذلني وأخر تقدم هذا الديوان للخروج إلى الناس ، أنني لا أسامحه حيث إنني لم أقصر في  
حق مادي ولا معنوي أبداً ، فلماذا كان التقصير من طرفه أو من جانبه؟! وأهدي ديوان: (السليمانيات)  
لأمة الإسلام رجاء أن يقيم ذلك الديوان معوجّها ويقيل عثرتها ويبصّرّها الطريق! والحقيقة أنني لم أكن  
لأكتب عن خيال أو فراغ ، لأنني إنما كتبت من الواقع المعاش الذي تحياه تلك الأمة ، وحاولتُ جاهداً أن  
أعالج ما تحياه أمتي المسلمة المؤمنة الموحّدة بالشعر من خلال النصوص الجادة التي تحمل التشخيص  
الدقيق للمرض كما تعنى بتحديد الدواء الناجع المفيد المجدي الذي يقطع دابر ذلك المرض! فعسى الله أن  
يكون هذا الديوان الطيب: (السليمانيات) خطوة على طريق الهداية والعودة إلى الله سبحانه وتعالى! وهذا  
الجزء الذي عنوانه: (عجبتُ من قدرة الله تعالى) يمثل الجزء العشرين من ديوان: (السليمانيات - الأعمال  
الكاملة)! وكنت قد أعدته إعداداً ليتواءم مع الأجزاء الأخرى ، وينتظمهم جميعاً غلاف واحد! راجياً الله  
العليّ القدير السميع القريب أن يجعل أفئدة من القراء تقرأ وتنقد وتستوعب وتستلهم الدروس والعبر  
والمواعظ من شعريالذي احتواه ديوان: (السليمانيات)! إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه! والله  
تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل!



فهرس المحتويات – ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى)

الصفحة	البحر	القافية	الأبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	داء				الإهـ
9	ة		دم	ة	الم
11	ة	ي	ح	ت	الاف
13	الكامل	الأحباب	32	مروعة نادرة	1
15	الخفيف	بالتعالى	35	إلى رئيس التحرير	2
17	البسيط	مؤتورا	66	في وداع الخريجين	3
21	بحور متنوعة	قافية متنوعة	60	قوتنا في وحدتنا واتحادنا	4
23	الكامل	خير الورى	76	الهجرة النبوية نقطة تحول!	5
31	الوافر	العطايا	35	شهاد الحق	6
37	مخلع البسيط	والتهانى	35	المودع الكريم	7
40	البسيط	أبا	50	العود أطيّب ، يا أستاذي!	8
43	البسيط	أبا	21	برقية شكر شعرية!	9
45	الطويل	العند	50	مزايدة	10
50	الكامل	والعمران	25	الغيث سر الحياة!	11
53	الوافر	يطول	23	مطعم ضفاف النيل - عجمان!	12
55	البسيط	مقبولا	32	واليوم على عشرين نحو!	13
57	المتقارب	نازلة	31	النادلة والشهم!	14
59	الطويل	قصتي	22	استعطاف فوق الوصف!	15
62	مجزوء الكامل	الوفير	32	ربة القلب الكبير!	16
64	الكامل	الورى	15	اذكروا محاسن موتاكم!	17
65	الوافر	دامى	21	شريط الذكريات	18
67	الكامل	ووناما	20	فذكرت غيرة الزبير	19
70	المتقارب	لا تحفلى	21	بقايا طعام	20
72	البسيط	أشجاني	40	غسان أبو خضرة	21

75	المتقارب	البسمة	20	يا ابن عم لا تتركنا	22
77	الكامل	الغفار	122	عمار	23
85	البسيط	والعظيم	20	مريم	24
86	البسيط	إحسانا	46	الأعمال بالخواتيم	25
89	البسيط	مشهورا	22	من خدعنا بالله انخدعنا له!	26
91	البسيط	وأعوانا	40	وأسفى على التصنيف وأهله!	27
95	الرجز	الفلاخ	37	المتفوقون	28
97	الكامل	البصيرة	20	أخ النمروذ من الرضاعة	29
99	الكامل	وثرغب	40	في رحاب الهجرة	30
102	البسيط	تيها	120	(عجبت من قدرة الله تعالى)	31
110	بحور متنوعة	قوافي متنوعة	33	أبوريت هيا إلى العمل!	32
112	بحور متنوعة	قوافي متنوعة	120	الزاهية تحدثنا عن نفسها	33
118	الكامل	أشفقوا	40	التفوق ثمرة العمل	34
120	الكامل	بتعدد	118	الابتلاء سنة ماضية	35
127	البسيط	ويفتخرا	41	التميز طريق النصر	36
130	الكامل	للقهار	50	البكائية النحوية	37
146	البسيط	واللينا	33	عودة طيبة وجمع كريم	38
150	الوافر	رضايا	28	غرفة الدروس	39
152	الطويل	الصهد	83	مستهترة أنت يا هند!	40
159	الطويل	يا زيد	80	بل أنت المستهتر يا زيد!	41
165	الرمل	من رجل	19	مهرجان القبل	42
167	البسيط	المحبينا	26	منصة الشعر	43
170	الطويل	لوما	16	فاختر لنفسك	44
172	الخفيف	والإدعاء	29	لماذا المغالطة؟	45
174	المتقارب	القهقري	34	مروعة لا أحلى ولا أجمل!	46
177	البسيط	خلا	28	حامل المسك	47

180	البسيط	العربُ	33	الحُطِينَةُ (إمام الهجّائين)	48
184	الكامل	تطلبُ	52	فليُكرّم ضيفه	49
191	البسيط	عرفانا	63	وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه!	50
196	الكامل	حياءٍ	93	الشقيقتان	51
207	الوافر	يا ابن الأيهم	50	بخواتيمها الأعمال	52
212	الوافر	نصيبُ	21	بل حرامٌ يا مرتزق	53
215	البسيط	وإيمانا	28	لماذا التجني على العثمانيين؟	54
219	الكامل	الأفراح	24	يتقي السهم بالرغيف	55
221	الكامل	الثرى	35	كالأيتام – بل والله – أدل	56
224	مجزوء الكامل	غربتي	25	عقوق لا يمحوه التجميل	57
226	البسيط	والجارا	22	لن أتركك وحدك	58
229	المتدارك	جمالا	38	التمجيد والتكريم	59
231	الطويل	أعلمُ	18	عهدي أولى من ثأري	60
233	المتدارك	وحمية	10	المدرسة الوطنية	61
234	البسيط	من عدم	19	نذرتة لكتاب الله	62
236	الرمل	مشفقُ	17	السبب أنك لا تصلي	63
238	البسيط	خيرُ عطا	20	لله في خلقه شؤون	64
240	الكامل	الشافى	38	جلّ شأن الله	65
243	البسيط	والأفق	14	مداينة	66
245	الكامل	أعماقى	34	في وداع رمضان	67
247	البسيط	ما وجبا	18	لعل أبي يسمع	68
249	المتقارب	الكريمُ	26	مِسْكِي ، ولا يبيع المِسْك	69
251	الكامل	الآثارُ	19	الأب الحقيقي	70
253	الرمل	العمى	15	عقل الأستاذ غير موجود!	71
256	الكامل	الغُررُ	22	ضمير طفلة	72
258	البسيط	الدُخْرُ	19	نعزي ، أم نهني؟	73

260	الخفيف	بين البرايا	20	فاعتبروا يا أولي الأبصار	74
263	البسيط	دُم	26	دمعة وداع	75
269	الخفيف	نقشا	23	فرح في زمن الأحزان	76
271	الكامل	كالمرجان	150	رسالة عزاء رقيقة إليك يا عدنان	77
281	الكامل	لحسن بيان	40	أطلق قصيدك - شعر / د. عدنان النحوي	78
284	الرمل	برحا	25	أمة تدبج ، وعالم يتفرج	79
286	الرمل	البلي	16	حبر اللحن ، أيها الحادي	80
287	الخفيف	اللآلي	14	نجم في سماء النشيد	81
288	الرمل	قوافي متنوعة	75	نكون أو لا نكون (أرجوزة)	82
294	الكامل	أهليها	28	خلق ، فلا يُعبد سواه!	83
305	البسيط	من نعم	88	ست الشام	84
316	ة			خاتمة	ال
319	ات		وي	رست المحنة	فه

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه الانتهاء من ديوان: (عجبت من قدرة الله تعالى)!

## تنوية هام

**حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر  
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية  
(إدارة الإيداع القانوني)**

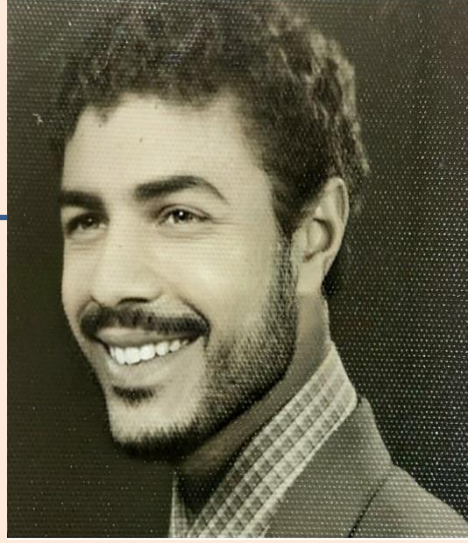
**16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م**

**بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية**

**إدارة الشؤون الفنية**

**800 ، 811**

## نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

### أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

### ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

### ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)



- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين قلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء  
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)  
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)  
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)  
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)  
 85 – الكائنات الفضائية!

#### رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات  
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!  
 3 – آمال وأحوال  
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة  
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم  
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)  
 7 – تحية شعرية والرد عليها  
 8 – رمضان شهر الخير والبركة  
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت  
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!  
 11 – بيني وبينك!  
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء  
 13 – دموع الرثاء و بكاء الحُداء (1 & 2)  
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان  
 15 – رسائل سليمانية شعرية  
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)  
 17 – شرخ في جدار الحضارة  
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)  
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)  
 20 – عندما يُثمر العتاب  
 21 – فمثله كمثل الكلب!  
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)  
 23 – كل شعر صديق شاعره  
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية  
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)  
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –  
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)  
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!  
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات  
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد  
 31 – الضاد بين عدو وصديق  
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى  
 33 – الغربية دُرْبة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة  
35 - القصيدة ابنتي  
36 - اللغة العربية وصراع اللغات  
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!  
38 - المال والجمال والمآل  
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)  
40 - المعلم صانع الأجيال  
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)  
42 - اليثم غنم لا غرم  
43 - أمومة وأمومة  
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر  
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!  
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!  
47 - بين الفتنة والفتنة!  
48 - بين هندٍ وزيد!  
49 - جيران وجيران!  
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)  
51 - عزة الخير (أم عبد الله)  
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!  
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)  
54 - مدائح إلهية شعرية  
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم  
56 - البُردات الشعرية السليمانية  
57 - عيون الدواوين السليمانية  
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)  
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)  
60 - مقدمات وإهداءات شعرية  
61 - من أزاهير الكتب  
62 - من الأجوبة المُسكّنة المُفحمة  
63 - من أناشيد الأفراح  
64 - نحويات شعرية  
65 - نساء صقلتهن العقيدة  
66 - نساء لعب بهن الشيطان  
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!  
68 - وصايا شعرية!  
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان  
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان  
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان  
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان  
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان  
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)  
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان  
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان  
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان  
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر  
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟  
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!  
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3  
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان  
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان  
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان  
86 - نصيب طلابي من شعري  
87 - حضارة البطنة لا الفطنة  
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2  
89 - لا ينبغي أن نندع بلحن القول!  
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!  
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان  
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان  
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان  
94 - وترجون من الله ما لا يرجون  
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان  
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان  
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان  
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)  
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان  
100 - لماذا؟  
101 - (لا) كلمة لها وقتها!  
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان  
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)  
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان  
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)  
106 - أين؟!  
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان  
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان  
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)  
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان  
111 - أيومة إلى الأبد!  
112 - شتان بين البر والعقوق  
113 - الملك والأميرة!  
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد  
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان  
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان  
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

### خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانيّة في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

### سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!